# إهداء

**لئلاّ يأتي أحدٌ ويقول لي: "ما دُمتَ قد عرفتَ الحقيقة فلماذا لم تُخبرني بها؟". أُهدي هذا الكتاب لكلِّ إنسانٍ يريد أن يعرف الحقيقة الّتي في المسيح يسوع، الإلَهُ الحقُّ والحياة الأبديَّةُ.**

## المقدَّمة

لا أنشر هذا الكتاب لأخبِر سكّان الأرض من خلاله بأنَّها كُرَويَّة الشَّكل لأنَّهم جميعاً يَعلمون ذلك كلّه علم اليقين. لكنّني أنشره لكي أُخبرَهم بأنَّها موضوعةٌ في يَدِ إبليس "الكذّاب وقتَّال النّاس منذُ البدء" كما يُسمِّيه الرَّب يسوع المسيح، و"إلَهُ هذا الدَّهرِ الّذي أعمى أذهانَ غيرِ المؤمنينَ" كما يُسمِّيه الرَّسول بولس، والّذي يؤثِّر عميقاً في تفكيرهم ويقودهم إلى طُرقِ الخطيَّة والعمى الرّوحي والموت الأبدي، من خلال الأساليب الشِّريرة والخبيثة الّتي يَتبِّعها لضلالهم في حياتهم الإيمانيَّة والدّينيَّة، ولكي أحذِّرهُم من الفخّ المُحْكَم الّذي نَصبه لهم لهلاكهم، والّذي لن يُنَجيَهم ويُخرجَهم منه إلى النّورِ والحياةِ الأبديَّةِ إلاّ الرَّب يسوع المسيح **وحده**، إن قَبِلوه مُخلِّصاً لهم وربّاً على حياتهم.

ولا بدَّ لي هنا من التَّصريح أمام الملأ بأنَّ قلبيَ مملوءٌ بالشُّكر العظيم للرَّب يسوع المسيح، الّذي أعطاني مع كَوْنِيَ لم أُحَصِّل أيٍّ من درجات العِلْم العُليا إن كانت في الأدب أو في اللاَّهوت، امتياز أن أُنجِز هذا العمل البحثيُّ الجاد والجديد من نوعهِ، بمساعدةٍ وارشادٍ من روحه القدّوس فقط لكي يكون فَضْلُ القوَّة والحِكمة لهُ لا مِنِّي. كما أودُّ بالمناسبة أن أُشيدَ بالمحبَّةِ والتَّشجيع اللَّذين لقيتهما من بعضِ الإخوَة المؤمنين أثناء كتابتي هذا الكتاب، في الوقت الّذي كنت فيه أتعرَّض للتَّفشيل بسبب اللامبالاة والاستخفاف، من أشخاصٍ كان من المُفترض بهم أن يؤازروني حينها لأنَّهم كثيراً ما يتكلَّمون عن المحبَّةِ الأخويَّةِ والمؤازرةِ والدَّعم أثناء الحاجة، ولكن تبيَّن لي أنَّ أقوالهم شيءٌ، وأفعالهم شيءٌ أخر.

لا شكَّ أنَّ القارئ العزيز سيلاحظ الأسلوب البسيط والواضح والصَّريح الّذي اتَّبَعته في طريقةِ الكتابة، والّذي قد يَعتبرهُ البعض أسلوباً هُجوميّاً وسَلبيّاً. لكن يجب أن أوضِّح هنا أنَّ هذا الأسلوب أخذته عن أشخاصٍ كُثُر ذَكرَهم الكتاب المقدَّس، كانوا أمَناءَ على إعلانِ الحقِّ والّذين كان على رأسهِم مِثالي الأعلى الرَّب يسوع المسيح، والّذي قالوا فيه الحقيقة للنّاس كما هي، وسَمَّوا الأشياءَ بأسمائها من دون لفٍّ أو دَورانٍ وزَيَغانٍ. ولا بدَّ من التّأكيد هنا أنّني قمت بكتابة هذا الكتاب بمبادرةٍ فرديَّةٍ مِنّي وليس بطلبٍ من أيِّ شخصٍ كان، أكان فرداً أو كنيسةً أو طائفةً معيَّنةً.

أنا أعلم أنَّه غداً سيُقيم رجال الدّين الدُّنيا ولن يُقعِدوها بسبب هذا الكتاب، لأنَّهم يخافون من انكشاف أساليبهم المُلتوية أمام أتباعهم المخدوعين بهم وبتعاليمهم

المُضلِّلَة، ولفقدانهم تسلّطهم عليهم، ومن تَعرُّض مواردهم الماليَّة للنّقصان، وسيُحرِّضون النّاس عليَّ زاعمين بأنَّني أهنتُ فيه الأشخاص والشَّعائر والأماكن والرُّموز والمناصب والأعياد "المقدَّسة"، وسيتبع الكثيرون تحريضهم. لكنّني على يقينٍ تام بأنَّ كلَّ الّذين سيقرأون هذا الكتاب بقلبٍ باحثٍ عن الحقيقة الموجودة في طيَّاته وبين حروفه، سيُدركون أنَّ رجال الدّين هؤلاء ليسوا إلاّ مُفبركي أكاذيب وتعاليم مُضَلِّلة، هلَك وسيَهلك بسببها الملايين من النّاس المساكين.

وقبل أن أختُمَ هذه المقدَّمة، وبسبب أنَّنا نَعبُر مرَّةً واحدةً في هذه الحياة فقط، ثمَّ نَغيب منها إلى الأبد دونَ أيِّ إمكانيةٍ للرُّجوع مرَّةً أخرى، لتغيير المصير الأبدي الّذي وبقرارٍ منَّا قد أخذنا نفوسنا إليهِ، أودُّ أن أطلبَ من كلِّ قارئٍ أن يضع التَّعصُب الدّيني الأعمى الّذي يجعل منه أعمىً روحيّاً جانباً، وأن يقرأ هذا الكتاب بِتَمهُلٍّ وتَمعُنٍّ، مُركِّزاً على محتواه المُرتكز فقط على تعاليم الإنجيل، والغَني بالصِّدق وبالمعلومات الصَّحيحة، لكي في النِّهاية يأخذ القرار الأصَحّ والأنسب له، ليس لحياته على الأرض وحسب، لكن لحياته الأبديَّة أيضاً.

أيضاً أُشيرُ إلى أنَّني لم أضع أسماءَ المراجعَ الّتي استقيتُ منها معلوماتِ هذا الكتاب، لِعلْميَ بأنَّنا أصبحنا نعيش في زمنٍ أصبح بإمكانِ أيِّ شخصٍ كان، أن يَطَّلِع فيه على كمٍّ هائلٍ من المعلومات في كل المواضيع بالإضافة إلى الصُّوَر والأفلام المُصوَّرة. ومن يعتقد بأنَّني أكذب في أيّ موضوعٍ كتبته في هذا الكتاب، فَلْيَقُم ببحثٍ شخصيٍّ وسيتأكَّد بأنّني صادقٍ لم أكذب فيه، ولم أفتري فيه على أحدٍ بشيء، ولكلّ قارئٍ الحقَّ في قبولهِ أو رفضه، مع كامل احترامي ومحبَّتي للجميع.

أمرٌ أخيرٌ أريد أن أمرَّ عليه الا وهو بما أنَّ الحقّ والحقيقة لا يُقدَّران بثمنٍ، فإنّني قررتُ أن يكونَ هذا الكتاب للبشارة وليس للتّجارة، وأن أطبعهُ وأقدِّمهُ مجاناً للنّاس. وعليه فعلى كل من يريد المشاركة معي طوعياً بكلفة طباعة هذا الكتاب لتوزيعه مجاناً للأهل والأصدقاء ولجميع النّاس يمكنه التَّبرع قدرَ ما يُريد على رقم الحساب في بنك بيبلوس

A.AL ACHKOUTY LB410039000000006855451733001

ولكلّ من يريد التّواصل معي هذا هو عنوان بريدي الإلكتروني abdache12@gmail.com أو jesusjohnjordan@gmail.com

الفصل الأوَّل

## بابل - الرَّحم الّذي وُلدت منه الوثنيَّة والمثليَّة الدينيَّة

يُخبرنا الله في الكتاب المقدَّس، بأنَّه في البدء خلق السَّماوات والأرض، ثمَّ خلق الحيوانات والطُّيور، وأمَر بأن تُنبت الأرض النّباتات والأشّجار. فكان كلّ شيء كما أمَر الله أن يكون، ورأى الله ذلك أنّه حسنٌ.

وقال الله نعمل الإنسان على صورَتِنا كشَبهِنا فيتسلَّطون على كلّ المخلوقات، فخلق الله الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى خلقهما. ودعا الله الإنسان الذّكر آدم الّذي بدوره دعا إمرأته حوّاء لأنَّها أمُّ كلِّ حيٍّ. وباركهما الله وقال لهم أثمروا واكثِروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلّطوا على المخلوقات الّتي عليها. عاش آدم مع امرأته حوّاء في جنَّة عَدْنٍ إلى الوقت الّذي فيه وبتحريضٍ من الشَّيطان، تَمرَّدا على وصيَّة الله الّتي نَهَتهُما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشَّر، فطردهما الله من الجنَّة إلى أرضٍ ملعونةٍ تُنبِت لسُكَّانها الشَّوك والحسَك، وتُنتِج لهم التَّعاسة والتَّعب والشَّقاء، وكلّ أشكال المآسي والآلام.

عَرَف آدم امرأته فولدت قايين ثم عادت فولدت هابيل، واستمرت عملية التَّوالد والتَّكاثر في نسلهما وصولاً إلى الوقت الّذي فيه رأى الرَّبُ أنَّ شرَّ كلّ إنسانٍ قد كثُر في الأرض، وإنَّ كلّ تَصوُّر أفكار قلبه إنَّما هو شرّيرٌ كلّ يوم، وقال: "أمحو عن وجه الأرض الإنسان الّذي خَلَقتهُ مع كلّ المخلوقات الأخرى". لكن في ذلك الزّمان وجد نوح بن لامك، الرَّجل البارَّ الكامل في أجياله، وَجد نعمةً في عَيني الرَّب الّذي أوصاه بأن يصنع فُلكاً ينجو به مع أهل بيته من طوفان الماء الّذي كان الله مُزمعاً إحداثه لإهلاك النّاس الأشرار وإزالتهم عن وجه الأرض. دخل نوح الفلك الّذي صنعه مع أهل بيته، وأغلق الرَّب عليهم باب الفلك. إنفجرت كلّ ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السَّماء طوال أربعين يوماً وأربعين ليلة، فمات كلّ ذي جسدٍ على وجه الأرض.

وبعد انتهاء الطّوفان، خرج نوح من الفلك وبنى مذبحاً للرَّب مُقدِّماً عليه البهائم والطّيور الطّاهرة، فتَنسَّم الرَّبُ رائحةَ الرِّضا. وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا واكثُروا واملأوا الأرض. وأمّا بنو نوح الّذين خرجوا من الفلك فكانوا ساماً وحاماً

ويافث، ومنهم تَشعَّبت كلّ الأرض. وُلِد لِحام كوش، وكوش وَلدَ نمرود الّذي ابتدأ يَكونُ جبّاراً في الأرض. لذلك يقال: كنمرودَ جبّارُ صيدٍ أمام الرَّب (تكوين ١٠: ٨-٩).

نمرود

من الواضح أنَّ نجاح نمرود كصيّادٍ جبّارٍ أوصله ليكون مشهوراً بين النّاس البدائيين في زمانه، فأضحى "أعظمهم" وأصبح قائداً يعمل على تحسين أحوالهم. ولقد استفاد من هذا المقام ليستنبط وسائلَ أفضل لحمايتهم. فقام بتنظيم النّاس داخل مُدنٍ مُسوَّرةٍ بِجُدرانٍ، ثمَّ جعل هذه المَدن داخلَ مَملكةٍ واحدةٍ. وكان ابتداء مملكته بابل وآراك وأكد وكلنة في أرض شنعار (تكوين ١٠:١٠). إعتَبر البعض أنَّ ما ذَكره الكتاب المقدَّس عن نمرود أنَّه شهادةً إيجابيَّةً حسنةً، لكن بدراسة مُعمَّقة للواقع آنذاك نجد أنَّ العكس هو الصَّحيح !.

مهما كان التَّقدم الّذي صنعه نمرود جيِّداً ونافعاً، إلاّ أنَّ نمرود نفسه كان قائداً مُلحداً وعديم التَّقوى وفاسداً. فإسم نمرود يعني "هو تَمرَّد" وكلمة "جبّارٌ أمام الرَّب" تَحمل معنىً عدائيًّا لأنَّها فُسِّرت "جبّارٌ ضدَّ الرَّب". وتقول الموسوعة اليهوديَّة أنَّ نمرود هو الّذي جعل كلّ الشَّعب مُتمرِّداً على الله. وإذ كان نمرود هو المَثَل والمِثال لشعب بلاد ما بين النَّهرين، استطاع أن يقوده إلى تركِ عبادة الله ومعاداته، وتوجيهه إليه شخصيًّا. دوَّن المؤرخ اليهودي يوسيفوس عن تلك الحقبة من الزَّمن ما يلي: "كان نمرود المحرِّض الشَّعب على تَعمُّد الاحتقار والإهانة للرَّب، ولم يترك طريقةً إلاّ واستخدمها لإرجاع النّاس عن مخافة الله... كانت الجموع الكثيرة مُستعدَّةً لكي تتبع تصميم نمرود... وبنوا بُرجاً... لا أحدٌ فيهم أحسَّ بِمَشقَّةٍ أو بألَمٍ، ولا واحدٌ قصَّر في العمل... وبإستخدام كثرة الأيدي ارتفع البُرج عالياً... المكانُ الّذي بنوا فيه البُرج يُدعى اليوم بابل". إذاً كان بناء البُرج الّذي سيصل إلى السَّماء حسب زعمهم، دليلاً على الكبرياءِ الموجودةِ في قلبِ نمرود والشَّعب الّذي كان معه.

ولكي نعرف ما نعيشه في الزَّمن الحاضر علينا أن نعود إلى الزَّمن الغابر، ولكي نُدرك ماهِيَّة ومعاني الفروع في أيّامنا الحاضرة، علينا أن نَرجع إلى الجذور والجذوع في الأيّام الماضية. فلو عُدنا إلى التّاريخ القديم لوجدنا أنَّ حضارة بابل في بلاد ما بين النَّهرين دجلة والفرات الّتي أسَّسها نمرود، هي الأقدم والأكثر تأثيراً على البشريَّة حتّى إلى يومنا هذا. وعلى أساس المعلومات الّتي وصلت إلينا من التّاريخ والميثولوجيا، كَتب ألكسندر هيسلوب في كتابه "ألبابليتان"، كيف أنَّ الدّيانة البابليَّة قد

نشأت على أساسِ تقاليدٍ تَتعلَّق بنمرود وزوجته سميراميس (أي عشتار) وابنها تمّوز الّذي ولدته من بعد موت نمرود!. فلقد أعلنت سميراميس أنَّ نمرود قد أصبح إلَه الشَّمس من بعد موته، وأنَّها وَلَدت تمّوز بطريقةٍ معجزيَّةٍ بدون رجُلٍ لكي يكونَ إحياءً لنمرود من جديد. من المُحتمل أنّ تكون سميراميس أمّ تمّوز قد سمعت عن النُّبوَّة المعروفة منذ القديم عن ولادة المسيح المُنتظَر من امرأةٍ (تكوين٣:١٥). فادَّعت بحسب هذا الوعد أنَّ ابنها تمّوز قد وُلِد بمعجزةٍ وهو المُخَلِّص المُنتَظَر. وبحسب هذه الدِّيانة المزيَّفة الّتي نشأت، لم يكن الابنُ مُكرَّماً ومعبوداً وحدهُ بل كان الإكرام والعبادة للأمِّ أيضاً.

لقد كانت الدّيانة البابليَّة قائمة على الكثير من الرُّموز الغامضة، فالعِجل الذَّهبي مثلاً كان يرمز لتمّوز ابن - إله الشّمس أو بعل. وفي تلك الدّيانة القديمة - والّتي ما زالت مستمرَّةً إلى يومنا الحاضر- ابتدع البشر آلِهةً مزيَّفةً ليخشوها ويعبدوها ويتوسَّلوا إليها، مع أنّهم هم الّذين أوجدوها، ورفضوا الإلَه الحقيقي الّذي خلقهم ليعبدوه وحده. بعد عدَّةِ قرونٍ، أعطى بولس الرَّسول في رسالته إلى أهل روما وصفاً دقيقاً للإتّجاه الّذي سار عليه شعب بابل والشُّعوب الوثنيَّة من بعدهِ، والّذي ما زال مُستمراً إلى يومنا الحاضر: "لأنَّهم لمّا عرفوا الله لم يُمجِّدوه أو يشكروه كإلهٍ بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبيُّ... وأبدلوا مجد الله الّذي لا يفنى بشبه صورةِ الإنسانِ الّذي يفنى والطّيور والدَّواب والزَّحافات... الّذين استبدلوا حَقَّ اللهِ بالكذبِ واتّقوا وعبدوا المخلوقَ دون الخالقِ الّذي هو مبارَكٌ إلى الأبد أمين" (رومية ١: ٢١-٢٥).

انتشر هذا الأسلوب من عبادة الأصنام من بابل إلى جميع الأمم، ومن هذا الموقع تَشتَّت النّاس فوق وجه كلّ الأرض (تكوين ١١: ٩) آخذين معهم عبادتهم للأمّ والطّفل مع مُختلف الرُّموز الدينيَّة الوثنيَّة الّتي ابتدعوها. وحين شاهَد الرَّحالة والمؤرِّخ هيرودوتس في أثناء تِجواله في بلدانٍ عديدةٍ حول العالم، العبادة الوثنيَّة الغامضة وشعائرها الدينيَّة قال: "إنَّ بابل هي مصدَر كلّ تلك الطُّرق في عبادةِ الأصنام". ويُؤكِّد عالِم الآثار ومُكتشِف آثار نينوى وكنز نمرود هنري لايارد في كتابه " بقايا نينوى": "أنَّه لدينا الدَّليل على إنَّ الدّين الدَّنِس في عبادة الأصنام قد ابتُدع في بابل".

عندما أصبحت روما الإمبراطورية المُتسلِّطة على العالم، استوعبت داخل نظامها الدّيني دياناتٍ وآلِهةٍ من مختلف البلدان الوثنيَّة الّتي حَكَمتها والّتي كانت بابل مصدر العبادة الوثنيَّة لها، في أشكالٍ مُتعدِّدةٍ وتحت أسماءٍ مختلفةٍ. في ذلك الوقت وُلِدَ

المُخلِّص الحقيقيّ الرَّب يسوع المسيح، عاش بين النّاس، عَلَّمهم أنَّه هو الحَقّ وقال لهم الحقيقة، ماتَ على الصَّليب وقامَ، صَعدَ إلى السَّماءِ، أَرسل الرّوح القدس، تأسَّست كنيسة العهد الجديد على الأرضِ، وانضمتْ إليها جموع المُخلَّصين، وصُنِعت العلامات والعجائب العظيمة تتميماً لوعدِه بحسبِ كلمتهِ. مُسِحَت هذه المسيحيَّة بالرّوحِ القدس فاجتاحت العالم كالنّار في الهشيم، وامتلأ المسيحيونَ الأوائل بالقوَّةِ العظمى فقلبوا العالمَ رأساً على عقبِ.

تَواجهتْ هذه المسيحيَّة وجهاً لوجه مع الوثنيَّة البابليَّة المُترسِّخة بأشكالها المختلفة داخل الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة، فرفض المسيحيّون الأوائل كلّ آلِهَتها وعاداتها وخُرافاتها ومعتقداتها وتقاليدها، ممّا دفعَ بالرّومانِ إلى اضطهادهم وقتلهم بالسَّيف، كما رموا بعضهم للأسُودِ الجائعةِ وأحرقوا البعضَ الآخرَ على أوتادٍ ليُضيئوا شوارع الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة خلال اللّيل.

بعد هذا الاضطهاد الّذي دام لقرونٍ عديدةٍ حدثت تغييرات جذرية ، فجاهر الإمبراطور قسطنطين باعتناقه المسيحيَّة وأصدر أوامرَ صارمةٍ بإيقاف الاضطهاد على المسيحيّين فوراً. وأعطى الأساقفة الّذين يُدينون بالولاء له المراكز العاليةَ والقوَّة والسُّلطة، فأقام هؤلاء الأساقفة أنفُسهم أسياداً على النّاس بدلاً عن سُلطة المسيح والرّوح القدس، ووضعوا أفكارهم وأساليبهم الخاصَّة مُحاولين دَمج الوثنيَّةِ مع المسيحيَّةِ، لكنَّ محاولتهم باءت بالفشل لأنَّ المسيح أقام لنفسه كنيسةً مجيدةً وطاهرة على الأرض، وِجْهَتُها إلى سماءِ المجد معهُ، مفصولةٌ كليّاً عن هذا العالم ونجاساته، كما قال في صَلاته إلى الآب عنها "ليسوا من العالم كما أنّي أنا لَستُ من العالم" (يو١٧:١٦). فلهذا السبب قام هؤلاء الأساقفة آنذاك بابتداع "كنيسة" أصلها وجذورها وفروعها وثنيَّةٌ ، تُشبِه وتُطابق ديانات العالم في "المثليَّة الدينيَّة"، وُصِفت في سفر رؤيا يوحنّا، بامرأةٍ متسربلةٍ بأرجوانٍ وقرمزٍ ومُتحلّيةً بذهبٍ وحجارةٍ كريمةٍ ولؤلؤٍ، ومعها كأسٌ من ذهبٍ في يدها مَملوَّةٌ رجاساتٍ ونجاساتٍ زِناها وعلى جبهتها إسم مكتوب: "سرٌّ. بابل العظيمة أمُّ الزّواني ورجاسات الأرض" (رؤ١٧:٥).

عندما يستعمل الكتاب المقدَّس لُغةً رمزيَّةً "امرأة" يكون معناها الحقيقيّ "كنيسة". فلقد وُصِفَت الكنيسة الحقيقيَّة بأنَّها العروس امرأة الخروف (رؤيا١٩:٧) وبأنَّها كنيسةً مجيدةً ومقدَّسةً بلا دنس (أفسس٥:٢٧). لكن في اختلاف واضح عن كنيسة المسيح

الحقيقيَّة، فإنَّ المرأة المذكورة في النَصِّ هنا هي امرأةٌ زانيةٌ ونجسةٌ، وبالتّالي فإنَّ المعنى الحقيقيّ لهذه المرأة يكون لكنيسة لا تُرضي الله وسَيدينها على زناها.

نحن نعتقد ونؤكِّد بأنَّ الصَّفحات التّالية في هذا الكتاب سوف تُثبِت بالدّلائل الواضحة أنَّ هذه المرأة أي - بابل الزّانية - هي الكنيسة الكاثوليكيَّة الرّومانيَّة، ومَن معها من الكنائس الّتي تَتبَع تعاليمها. ونحن لا نشكّ على الإطلاق بأنَّه يوجد أشخاصٌ أتقياءٌ ومُخْلِصين داخل هذه الكنائس لكنَّهم يحتاجون إلى أن يكونوا أبراراً ومُخَلَّصين، وليس في نيتنا أن نتعامل بخفّةٍ واستهزاءٍ بالمعتقدات الّتي لا نتفق عليها معهم، بل بالعكس، فإنَّ الهدف من هذا الكتاب هو أن يُلهِمَهم على ترك الأفكارِ والعقائدَ البابليَّةِ الوثنيَّةِ المُمَسْحَنَةِ، وأن يرجعوا إلى تعاليم الكتاب المقدَّس وإلى الإيمان الأقدس المُسلَّم مرَّة للقدّيسين لكي ينجوا من غضبِ الله ودينونته وينالوا بالإيمان بالمسيح يسوع **وحده** الخلاصَ والحياة الأبديَّة.

الفصل الثَّاني

## العبادة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة للأمّ والطّفل

لمعرفة كيفيَّةِ مَسْحَنةِ الوثنيَّة البابليَّة واستمرارها حتَّى يومنا الحاضر علينا أن نسبر أغوار التّاريخ جيِّداً، لنعرف الطَّريقة الّتي ابتدعتها وطوّرتها الكنيسة الكاثوليكيَّة باستبدال عبادة الإلَهة الأمّ الوثنيَّة وطفلها الإلَهي بعبادة "الأمّ مريم والطِّفل يسوع" وتعميم هذه العبادة إلى بقاع الأرض كلِّها.

وكما كنّا قد ذَكرنا قبلاً، فإنَّ عبادة الأمّ والطِّفل بدأت في بابل القديمة وكانت العبادة الأساسيَّة هناك. وتُظهِر أنصابٌ بابليَّةً قديمةً الإلَهةَ الأمّ سميراميس (تحمل اسم عشتار أيضاً) وهي تحمل طفلها تمّوز على ذراعها. فلقد ادَّعت سميراميس بأنَّها ومن بعد موت زوجها الملك نمرود، قد حَبِلت بطريقةٍ معجزيَّةٍ من دون رجلٍ ووَلَدت طِفلاً، فأصبحت هي وطِفلها شَخصين إلَهِيَّين وسَماويَّين.

وعندما بلبلَ الرَّب ألسِنة شعب بابل تشتّتوا إلى مختلف بقاع الأرض حاملين معهم عبادة "الأمّ المقدَّسة وطفلها السَّماوي". وهذا ما يُفسِّر لماذا عَبدت أممٌ كثيرةٌ من قبل أن تُخلَق مريم أو أن يولدَ الرَّب يسوع بقرونٍ عديدةٍ، أمّاً مع طفلها بشكلٍ أو بآخرٍ بأسماءٍ مختلفةٍ وبلُغاتٍ متعدِّدةٍ، سنذكر بعضاً منها كالتّالي:

- عند المصريّين، دُعِيت الإلَهة الأم إيزيس وطفلها دُعِيَ حورس، وعُبِدت لقرونٍ عديدةٍ. أيضاً عبدها الرّومان حيث كانت عبادتها إحدى أهمّ العِبادات عندهم.

- في آسيا القديمة، دُعِيت الإلَهة الأمّ عشتروت ومُثّلت حاملةً طِفلها على يديها، وقد عبدها الفينيقيّون والكنعانيّون والإسرائيليّون وغيرهم.

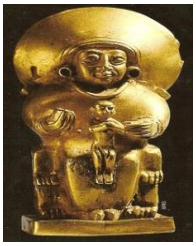

- في الإمبراطورية الحِثِّيَّة الّتي امتدت من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، دُعِيت الإلَهة الأمّ أريانا Araina ومُثّلت مع طفلٍ على حضنها.

- في ألمانيا القديمة، عبد الألمان الإلَهة الأمّ العذراء هيرثا Hertha مع طفلٍ على ذراعها. أمّا في اليونان القديمة، فقد دعاها الإغريقيّون رِيا Rhea وعبدوها مع الطِّفل بروتوس.

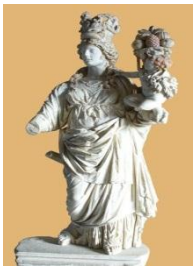

- في إيطاليا دعاها الأتروسكان(٩٠٠- ٨٠٠) قبل الميلاد نوتريا Nutria وعبدوها مع طفلٍ على ذراعها. وفي أيّام الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، دُعِيت تلك الأمّ فورتونا Fortuna وطفلها دُعيَ جوبيتر Jupiter عند المُكرَّسين لها في أيّام روما القديمة.

- في بلاد الغال (فرنسا حاليّاً)، دعاها الدّروريون الّذين كانوا كهنة الشّعب السِّلتي "Virgin Paritura" أيّ بما معناه "العذراء الّتي ستلد طفلاً" وعبدوها كوالدة الإلَه.

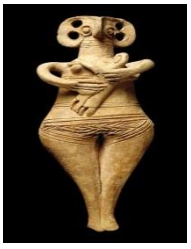

- في قبرص، دُعِيَت الأمّ Cyprus وقد عبدها القبارصة بين عامي ٢٠٠٠ و ١٨٥٠ ق.م كإلَهة الخصوبة، ومثَّلوها حاملةً لطفلٍ على ذراعيها. ويعتقد علماء الآثار أنَّ النَّحاتين القبارصة قد أخذوا الشَّكل من سوريا ونحتوه بحسب تَصوُّرَهم الخاص.

- في الصّين، تفاجأت الإرساليات اليسوعيَّة حين وصلت إليها لأنَّها وجدت هناك نسخةٌ عن الأمّ والطّفل الكاثوليكيّين مَعْبودَين من

الصّينيّين. وكانت الأمّ المقدَّسة الّتي تُدعَى شينغ مو Shing Moo ممثّلة مع طفلٍ على ذراعها تماماً، كما لو أنَّ واحداً من الفنّانين الكاثوليك الرّومان قد صنعها ووضعها هناك. وكانت شينغ مو تُعبد في اليابان أيضاً.

ايزي وأسوارا

ديفاكي وكريشنا

ماتريكا

- في الهند، ولأجيالٍ عديدةٍ، عُبدِت الإلَهة الأمّ العظيمة أيزي Isi مع طفلها أيسوارا Iswara حيث كان لها العديد من المعابد القائمة لعبادتها، كما وأيضاً عُرِفت بإسم ديفاكي Devaki مع طفلها كريشنا Chrishna، وأيضاً بإسم ماتريكا matrika الّتي مُثِّلت أيضاً مع طفل على ذراعها.

- في المكسيك، دُعِيت الإلَهة الأمّ باشاماما Pachamama ودُعي طِفلها إلَه الشَّمس أينتي Inti، عبدها شعب الإنكا قديماً (ولا يزالون) ودعوها بالأمّ الصّالحة وأعطوها لقب "أمّ الكون".

وكلَّما تَصفحنا شبكة الإنترنت نجد أنَّ لائحة أسماء الأمّ والطّفل الإلهيَّين في العالم القديم طويلةً جداً، إذ أنَّهما كانا معبودَين في كلِّ الحضارات البشريَّة الوثنيَّة الّتي سبقتنا عبر العصور، في المرور على وجه هذه الأرض.

انتقلت هذه العبادة المُزيَّفة للأمّ والطّفل من بابل وانتشرت في كلِّ أنحاء العالم بأشكالٍ وأسماءٍ مختلفة، ثمَّ تركَّزت لعدَّة قرون ليس في روما وحسب، بل في كلِّ الإمبراطوريَّة الرومانيَّة أيضاً. قال كاتبٌ مشهورٌ عن تلك الحقبة: "كانت عبادة الأمّ العظيمة إيزيس منتشرةً جداً تحت رعاية الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة، وقد أثبتت السِّجلات بإنَّ الإثنين (الأمّ والطّفل) قد نالا مجداً تأليهيّاً ليس في روما وإيطاليا وحسب، بل أيضاً في إسبانيا والبرتغال وفرنسا وألمانيا، وفي أفريقيا أيضاً".

خلال تلك الحقبة من عبادة الأمّ والطّفل، بنى الرّب يسوع المسيح كنيستهُ القائمةِ على الإيمانِ به **وحده**، والمؤسَّسةِ على الحَقِّ والبرِّ والقداسةِ، وضَمَّ إليها المُخَلَّصِين

(أعمال ٤٧:٢) المُعيَّنين للحياة الأبديَّة (أعمال٤٨:١٣). لكن في القرن الرّابع أسَّس الإمبراطور قسطنطين (سنتكلَّم عنه بالتَّفصيل في فصلٍ آخر) الدّيانة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة وأعلنها الدّيانة الوحيدة للإمبراطوريَّة الرّومانيَّة وأقام لها "كنيسة"، أدخَل فيها الوثنيّين غير المولودينَ ثانيةً بالرّوح القدس، والّذين ظَلّوا مُحتَفظين بآلهتهم وخرافاتهم وأساطيرهم وطقوسهم وعباداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم الوثنيَّة، لكنهم غيّروا بأشكالهم وبدَّلوا أسمائهم بأسماءٍ مسيحيَّةٍ اقتبسوها من الإنجيل لكي تبدو كنيستهُم المُزيَّفةُ مُشابهةٌ للكنيسةِ المسيحيَّةِ الحقيقيَّة. وَلْنَرَ كيف تمَّت مَسْحَنة الوثنيَّة وليس إلغاءها من الوجود.

عندما أقام قسطنطين أساقفةً لكنيسةِ الوثنيَّةِ المُمَسْحَنَةِ أشرَف عليهم وعلى قراراتهم شخصيّاً. وبهدف الإبقاء على الأعداد الهائلة من الوثنيّين تحت سلطتهم ابتكر هؤلاء الأساقفة طريقةً خبيثة لمَسْحَنَةِ عبادة الأمّ إيزيس والطّفل حورس داخل كنيستهم، فغيَّروا شَكلهما قليلاً وأعطوهما إسمين جديدين، فدعوا الأمّ مريم بدل إيزيس والطّفل أسموه يسوع بدل حورس فتحوَّلت بذلك العبادة الّتي كانت للأمّ والطّفل الوثنيَّين إلى عبادة "الأمّ مريم والطّفل يسوع" الكاثوليكيَّين.

أخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة في ما بعد "الأمّ مريم والطّفل يسوع" الّلذَين ابتدعتهُما، ووَزَّعتهُما على كلِّ شعوب العالم الّتي انضمَّت تحت لوائها طوعاً أو قسراً، وصَنعت لكلِّ شعبٍ منهم شكلاً ولوناً خاصَّين به ليُشبهانه. فمثلاً صنعت "الأمّ مريم والطّفل يسوع" أوروبيَّين في أوروبا، وهنديَّين في الهند، وصينيَّين في الصّين، وفيتناميَّين في

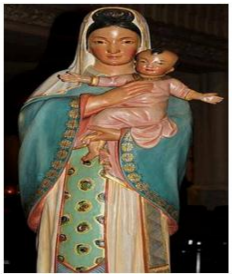

فيتنام ،وكوريَّين في كوريا ،وأفريقيَّين في أفريقيا، وبوليفيَّين في بوليفيا، وفليبنيَّين في الفليبين...إلخ. ولم تَنسَ أن تُلبِسهما ثيابَ كلّ شعب منهم، كما تُظهِر الصُّوَر المُرفَقة أعلاه.

لكن لو سلَّمنا جدلاً أنَّ هذه التّماثيل المختلفة تُمثِّلهما، فكيف يتغيَّر شَكلهما ولَونهما عند كلّ شعب؟!. إنَّنا نعرف من الإنجيل أنَّ مريم ويسوع الحقيقيَّين كانا يهوديَّين شرق أوسطيَّين سكنا النّاصرة والجليل في إسرائيل ولم يُسافرا إلاّ إلى مصر، ولذلك لم يتغيَّر لونهما أو شكلهما. فكيف تسمح الكنيسة الكاثوليكيَّة لنفسها بهكذا تغييرات تجريها عليهما، ومن أعطاها هذا السُّلطان؟ أوَضعت تَصرُّفها هذا في خانة سلطانها الّتي تزعم بأنَّ المسيح أعطاها إيّاه، لِتَحُلَّ وتَربط كلّ ما تريد أن تحلَّهُ أو تَربطهُ على الأرض؟. من المؤكَّد أنَّ هذا التِّمثال ذا الأصلُ الوثنيُّ، والّذي تَظنّ النّاس أنَّه لمريم العذراء المبارَكة ويسوع المسيح ابن الله المولود منها كإبن الإنسان، هو إهانةٌ وتحقيرٌ لهما وليس إكراماً وتقديراً كما يدّعي "أولاد مريم"، الّذين أودُّ أن أسألهم إن كانوا يَقبّلون بأن تكون "أمَّهم" تُعبد في الوثنيَّة المُمَسْحَنة أي في الكنيسة الكاثوليكيَّة بهذه الأشكالِ الغريبة الّتي رأيناها، وبالأشكالِ الوثنيَّةِ المُرعِبة الّتي سنراها تالياً.

لم تكتفِ الكنيسة الكاثوليكيَّة بتغيّير شكلَ تماثيلَ الأمّ والطِّفل المَدعُوَين "مريم والطِّفل يسوع"، بل أيضاً عَملت على تغيير لون بشرتهما من اللّون الأبيض إلى اللّون الأسْود من خلال إدخالِ تماثيلٌ سُودٌ للأُمّ والطِّفل إلى نظام عبادتها ذي الأصل الوثني، تَدُلّ على الظّلمة الرّوحيَّة الّتي تعيش وتَتَخبَّط فيها. يلاحظ الزّائر لعَددٍ كبيرٍ من المعابد الكاثوليكيَّة حول العالم بشكلٍ عام وفي أوروبا بشكلٍ خاص، وجود تماثيلَ للأمّ والطِّفل، سوداءً وقبيحةً ومُرعبةً ومُثيرةً للإشمئزاز، وغريبةً في الشَّكل والمضمون، إرتبط وجودها بأساطيرٍ ألَّفها كهنةٌ ورهبانٌ ذوو قدراتٍ عظيمةٍ على تأليف قصصٍ خُرافيةٍ وأكاذيب جهنَّميةٍ، تكلَّموا فيها عن قدراتها وأعمالها المُعجزيَّة، وأظهروها حنونةً تدافع عن أولادها في قصصٍ ومجنونةً تقتل من يريد أذيَّتها في قصصٍ أخرى، وعن مساعدتها لأولادها ألكاثوليك ضدّ البروتستانت في زمن الحروب الدينيَّة، وأحياناً ساعدت الأرثوذكس ضدّ الكاثوليك لكنَّها لم تساعد البروتستانت لمرَّةٍ واحدةٍ!. أُحرِق المئاتُ منها خلال الحروب الدّينيَّة وبقي منها حوالي الخمسَ مئةِ تمثالٍ أُخذت كلّها من الوثنيَّة ومُسْحِنَت بإلصاقِ أسماءٍ من الإنجيل وآياتٍ من الكتاب المقدَّس بها، ليُصبِح لأساطيرها الخرافيَّة الكاذبة نوعٌ من المِصداقيَّة، وأُعطيت البَرَكة والتَّتويج والتَّكريم والتَّبجيل والتَّقبيل والعبادة والسُّجود

من الباباوات والإكليروس ومن عامَّة الشَّعب أيضاً، كما وتُحمَل على الأكتاف خلال المسيرات والمهرجانات الدينيَّة، وللأسف يَدعونها بوقاحةً التَّماثيل السّود لمريم العذراء والطِّفل يسوع. والغريب في هذه القصص أنَّ عدداً قليلاً من هذه التّماثيل قد دافع عن نفسه وصَنَع معجزاتٍ خارقةٍ، بينما الكثير منها أصبح رماداً بالنّيران الحارقة!.

نحن نعرف من سفر أعمال الرّسل أنَّ رسل المسيح وتلاميذه حملوا الإنجيل فقط للعالم أجمع بحسب وصيَّتهُ لهم، لكن بحسب أساطير الكَذِب الكاثوليكيَّة الّتي سنقرأها، فقد أصبح لوقا الإنجيلي رسّاماً يرسم الصُّوَر القبيحة ونحّاتاً ينحتُ التَّماثيل المُقيتة، ليحملها بطرس ويعقوب وغيرهم من تلاميذ المسيح للعالم أجمع!!. فهل يوجد من كَذِبٍ أوقح من هذا الكَذِب؟

ولكيّ يتأكّد القارئ العزيز أنَّنا نقول الحقيقة سنذكرُ قصصٍ (مترجمةٍ باختصارٍ من مواقعَ موثوقةٍ على شبكة الإنترنت) عن بعضِ هذه التّماثيل وتاريخ وجودها وطريقة اكتشافها، ليس من البشر وحدهم، لكن من الحيوانات أيضاً!. وعن كيفيَّة بناء معابد لها يُسمّونها كنائس مسيحيَّة، بينما هي كانت وما زالت معابدَ وثنيَّةً وليس لها أيَّةُ علاقةٍ أو إرتباطٍ مع المسيحيَّة الحقيقيَّة، مع ما فيها من أسماءٍ وأشخاصٍ. ومن التّماثيل الموجودة في معابد أوروبا نبدأ، ثمَّ ننتقل إلى معابد بلدانٍ أخرى.

**- في فرنسا:**

**سيِّدة Anjony**: لاتوجدُ أيَّة معلوماتٍ عن أصل هذه السَّيدة كما لا يوجد أيُّ ذكرٍ لعجائب صنعتها .أعطاها عابدوها لقب "كرسيَّ الحكمة"، لقبٌ اقتبسوه من "سفر الحكمة"، واحدٌ من الأسفارِ المنحولةِ.

**سيِّدة LePuy 2**: خلال الحملات الصَّليبية فَضَّلَت هذه السَّيدة طريقَ السَّلام على طريقِ الحربِ، فظهرت في العام ١١٨٠ على نجّارٍ يُدعى Durand وأمرتهُ بنشرِ رسالة السَّلام وأعطتهُ صورةً للأمِّ والطِّفل مكتوبٌ عليها: "حملُ اللهِ الحاملُ خطايا العالم، يَمنحُنا السَّلام". أسَّس النّجارُ

جمعيَّةً دينيَّةً كان لها دورٌ فعّالٌ في العمل على نبذ العنف وإحلال السَّلام برعاية السَّيدة. في العام ١٨٥٦ تُوِّجت هذه السَّيدة بإسم البابا بيوس التّاسع مُمَثَّلاً بأسقف المنطقة. خلال الحرب العالميَّة الثّانية أَلبَست مجموعةٌ من الأمَّهات اللّواتي ذهب أولادهنَّ إلى الحربِ عباءةً للسيِّدةِ السَّوداءِ وضَعن تحتها صُوَر أولادهنَّ لتُحافظ عليهم من أيِّ سوءٍ. وعندما عاد الأولاد سالمين إلى أمّهاتهم أُقيمَ عيدَ شكرٍ لسيِّدة العباءة العجائبيَّة الحافظة. في الخامس عشر من شهر آب من كلِّ سنة يأتي إلى هذه السَّيدة حوالي عشرين ألف حاجٍّ للصَّلاة وحضور القداديس.

**سيِّدة الحقول في Arconsart**: بحسب القصَّة الّتي ترويها العجائز لأحفادهن فإنَّ تمثال السَّيدة هنا نُبش من الأرض، ويُعتقد بأنَّه كان تمثالاً قديماً للإلَهة الأمّ سيبل Cybele أو للإلَهة ديميتر Demeter. وُضع أوَّلاً في كُوَّةٍ فوق باب المعبد ثمَّ كُرِّس وتُوِّج ووُضِع فوق المذبح. قامت هذه السَّيدة بالكثير من عجائب الشِّفاء والمعجزات، وأظهرت قدرتها عندما أتى الثّوار لينهبوا المعبد، إذ حين أخذوا تمثالها معهم ووضعوه على عربةٍ تجرّها الثّيران، تجمَّدت الثّيران في مكانها ولم تتحرَّك. صُودِفَ مرورِ امرأةٍ في المكان فتضايقت من المشهد الّذي تراه وقامت بشتم السَّيدة السَّوداء ورفعت رجلها لترفسها، فسقطت فوراً على الأرضِ وكُسِرَت رِجْلها. قام حينها قائد الثّوار بحرق التِّمثال مع مقاعد الكنيسة لكنَّه بقي سليماً ولم يُصبه أيِّ أذىً. بعد هذه الحادثة بسنينٍ فتحت هذه السَّيدة من تحت تمثالها نبعَ ماءٍ دُعيَ "نافورة العذراء" لم يجفَّ ماؤه حتَّى يومنا الحاضر.

**سيِّدة الثّلوج في Aurillac** : يُقال بأنَّها صَنعت أعجوبتين في الخامس عشر من شهر آب، الأولى إنَّها جعلت السَّماء تُسْقِط ثلوجاً في منتصفِ شهر آب تأكيداً على تسميتها بهذا الإسم، والثّانية حين أتى أعداء الكاثوليك ليلاً لمهاجمة المنطقة، فأضاءَت ملكة السَّماء اللّيل بنورٍ أقوى من نور الشَّمس، وإستيقظ السُّكان المَحلّيون على هذا التَّحذير ودحروا الغرباء. شاهد البعض منهم ظهور صورة الأمّ العذراء حاملة طفلها على باب الكنيسة.

**سيِّدة Chastreix** : يُقال إنَّه في سنة ١٨٩٢ قام كاهنَ الرَّعيَّةِ بطلائها باللّونِ الأسوَد، لأنَّ بحسب رأيه سيأتي بهذه الطّريقة الكثير من الحجَّاج إلى كنيسته. شَفت هذه السَّيدة كلّ أنواع الأمراض وصَدَّت الأعداء.

**سيِّدة Clermont**: تُدعى سيِّدة المِيتة الصَّالحة وسيِّدة العالم السُّفلي. ولهذا السبب وُجد الكثير منها في قبورِ أساقفةٍ وملوكٍ ومَلِكاتٍ، لأنَّ الكاثوليك يؤمنون بأنَّ مريم بشكلٍ عام، والسَّيدة السَّوداء بشكلٍ خاصٍ هي، المُرشِدةُ لهم عبر العالم السُّفلي أيّ الموت ثمَّ القيامة.

**سيِّدة كلّ النِّعم في Chatillon**: أصبحت هذه السَّيدة الأكثر تأثيراً في أوروبا بسبب العجيبة الغريبة الّتي صنعتها مع الرّاهب برنارد (١٠٩٠-١١٥٣) والّتي سُمِّيَت "عجيبةُ الإرضاعِ". تبدأ القصَّة حين كان برنارد ولداً في مدرسة الدّير، وفي أحدِ الأيّام أُصيبَ بمرضٍ خطيرٍ، وبقصدِ الشِّفاء منهُ ذهب للصَّلاة أمام هذه السَّيدة. وحينما كان يقرأ صلاةٌ لملكةِ السَّماء ونجمة الصُّبح، وصل إلى مقطع "أظهِري نفسكِ أيَّتها الأمّ". فَدبَّت الحياة فجأةً في التِّمثال، وأمسكت السَّيدة صدرها وعَصرتهُ، فنزلت منهُ ثلاثة قطراتٍ من الحليب على شفتيّ برنارد. في تلك اللّحظة لم يُشفَ جسده فقط لكنَّ روحه أيضاً شُفِيت، والتَهبَ قلبهُ بحبٍّ كبيرٍ للأمّ الإلَهية دَفعه بعدما أصبح دكتوراً في اللاّهوت، لإشعالِ نيرانِ تكريمٍ عظيمٍ لها في كلِّ أنحاء أوروبا، إذ ابتدأ يُقدِّم الخُطَبِ والمواعظِ أمام النّاس عن اختباره المشهور بالرِّضاعة من العذراء، الّذين بدورهم أصبحوا يَحلَمون بأن يَرضَعوا هم أيضاً منها لخلاصِ أرواحهم، كَوْنَهم كانوا مُتأثّرين بمعتقداتٍ وثنيَّةٍ قديمةٍ تَتعلَّق بالإلَهة الأمّ المُرضِعَة الّتي تَعرُضَ صدرها الّذي تربّى عليه أولادها الوثنيون. تُظهِرالمُقارنة بين البعض من تماثيل إلَهات الرِّضاعة في وثنيَّة ما قبل المسيحيَّة الحقيقيّة، وبين الصُّوَر

الّتي رُسِمت لمريم الكاثوليكيَّة المُرضِعَة في كنيسة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة المُقارَبة القويَّة بين الإثنتين. ففي الصُّورة الأولى نرى إلَهةً فلسطينيَّةً من الألفيَّة الثّانية قبل الميلاد، وفي الصُّورة الثّانية نرى عشتروت إلَهة الخَصب المَذكورة في الكتاب المقدَّس، وفي الصُّورة الثّالثة نرى أرطاميس إلَهة الإنجاب والولادة، وهنَّ يُظهِرنَ صُدورَهنَّ كرمزٍ للرِّضاعة والخُصوبة.

أمّا في الصُّوَر التّالية فنرى مريم الكاثوليكيَّة المُرضِعَة كما رسمها رَسّامون كاثوليك فاضت التَّخيُّلات المريضة عند كلِّ واحدٍ منهم في شكلٍ معيَّنٍ، فرسمها واحدٌ مع طِفلها يَعصران صدرها لِتَسقطَ بعضاً من قطرات الحليب على ثوبها، فيما تأمل الأرواح الّتي في المطهر من تحتها وصول هذه القَطرات إليها، وآخرُ رسَمها وهي تُرضِع طفلها بينما تَخرُج نقاط حليبها كحبَّاتٍ تؤلِّف مَسبحةٍ، لأنَّ بحسب رأي هذا الرَّسام فإنَّ من الجميلِ تخيُّلَ الغذاء الّذي يناله كلُّ من يُصلّي المسبحة من الحليب الخلاصي. رسّامٌ آخرٌ رَسَم برنارد يتقاسم الرِّضاعة مع الطِّفل مُباشرةً من صَدر أمّه مريم الكاثوليكيَّة!!.

**سيِّدة Douvre La delivrande**: إنَّ هذا المكان المقدَّس المُكرَّس الآن لسيِّدة النَّجاة، كان في الأصل مكاناً مُقدَّساً ومُكرَّساً للإلَهة الأمّ الوثنيَّة عند الشَّعب السِّلتي قبل الميلاد بمئتي سنة. يوجدُ على واجهةِ المعبد رَسْمٌ يُظهِر أسقفاً يُدعى رغنوبرت، يُحطِّم تمثال ألإلَهة الوثنيَّة الّتي عُبِدَت قبلاً في هذا المكان ليَضع مكانه تمثالاً للأمِّ والطِّفل الكاثوليكيِّين. في سنة ٨٣٠ م، دَمَّر الغزاة النّورمانديون المكان وأحرقوه، فاسوَّدَ تمثال السَّيدة وطفلها بسبب الدّخان المُنبعث من النّار، فنجت من الهجوم ودُفِنت تحت الأنقاض لثلاثةِ قرونٍ متتاليةٍ. وفي سنة ١١٥٠ لاحظ أحد الرُّعاة ولأيّامٍ عديدةٍ، أنَّ واحداً من كباش قطيعه يبتعد عن القطيع إلى مكانٍ محدَّدٍ، ويضرب الأَرضَ برجلِهِ وقرنَيهِ حتَّى يتعب فيذهب إلى النّوم بدون أن يأكل، ومع هذا بقي الأسْمَن بين القطيع. أدرك الرّاعي حينها إنَّ تَصرُّف الكبش الغريب هو إشارةٌ من السَّماء، وبمساعدة الأهالي نبشوا المكان ووجدوا السَّيدة السَّوداء، فحملوها في موكبٍ مهيبٍ وبهيجٍ إلى معبد الرَّعية ووضعوها هناك، لكنّها بقيت تَظهر بشكلٍ عجائبي في المكان الَّذي وُجدت فيه، فبنوا لها معبداً في مكان ظهورها لأنَّها أصرَّت بأن تسكن فيه والّذي كان مكاناً مكرَّساً لعبادة الإلَهة الأمّ الوثنيَّة!.

**سيِّدة le Puy en Velay**: إقترنت قصَّةَ هذا المكان مع حجارةٍ مقدَّسةٍ ضخمةٍ إستخدمها الدروديون (كهنة الشَّعب السِّلتي) في ديانتهم، وكانت تُسمَّى الدولمان. أُعتُبِرت هذه الحجارة منذ القديم نيازكَ سقطت من السَّماء مَثَّلت الإلَهة الأمّ سيبيل Cybele في نزولها إلى الأرض. ويُوَضِّح الموقع الرَّسمي للكنيسة هنا قصَّة هذه الحجارة المقدَّسة الّتي بقيت لآلاف السِّنين، فيقول: أنَّه عندما احتل الرّومان هذه المنطقة في القرن الأول الميلادي بنوا هيكلاً لإلَهَتهم سيبل حول هذه الحجارة. وعندما أصبحت المسيحيَّة ديانة الإمبراطورية الرّومانية في القرن الرّابع، دُمِّر الهيكل وبَقيت الحجارة في مكانها لأنَّ إحدى الأساطير ذَكرت بأنَّ امرأةً كانت مريضةً جدّاً وصَلَّت لأجل الشِّفاء فظهرت عليها العذراء مريم واقفةً على تلك الحجارة مُحاطةً بالملائكة. فقال لها أحدهم: "اختارت ملكة السَّماء هذا المكان

**حجارة الدولمان**

لاستلام واستجابة الصَّلوات، وإنَّها تريد معبدٌ على اسمها هنا". فلمست المرأة الحجارة بقصد الشِّفاء من مرضها وللحال شُفِيَت، فدُعِيت الحجارة "حجارة الحُمَّى". سمع أسقف المنطقة بما حدث فذهب ليتحقَّق من المعجزة بنفسه، وعندما وصل إلى المكان في شهر تمّوز وجده مغطّى بالثّلوج، فقرَّر أن يبنيَ معبداً في مكان الظّهور حيث تمَّت معجزة الشِّفاء، ووضع الأشواك اليابسة كعلامة لحدود البناء المُزمع إنجازه، وفي اليوم التّالي وجد بأنَّ الأشواك اليابسة قد أفرخت. ذهب الأسقف إلى روما ليطلب الإذن ببناءِ معبدٍ في مكان المعبد الوثني ولِيُعلِن مَسْحَتَه. أُعطِيَ الإذْن وانتهى العمل في البناء في سنة ٤٣٠م وأُقيم مذبح المعبد الكاثوليكي قرب الحجارة الوثنيَّة الشّافية، الّتي وُضع تمثال السَّيدة السَّوداء مع الطِّفل عليها لتُصبِحَ "مَسيحيَّةً" أو الأصّح القول لتُصبِح مُمَسْحَنَةً.

**سيِّدة Chartres**: تُعتبر كاتدرائيتُها في أيّامنا الحاضرة أهمَّ موقعٍ للحجِّ من كلِّ أنحاء أوروبا، بسبب ما يُحكى عن تأثيرها السّاحر وقُوَّتها على التَّنقية والتَّغيير في الّذين يزورونها. يوجد في الكاتدرائية تمثالان للسيِّدة السَّوداء، واحدٌ في القبوِ وآخرٌ على عمودٍ في زاويةٍ من الكاتدرائية. قبل بنائها كان هذا المكان أهمّ مكانٍ للعبادة الوثنيَّة عند الدروديين الّذين كانوا يجتمعون فيه مرَّةً واحدةً في كلِّ عامٍ في مغارةٍ تحوي تماثيلَ آلِهَتهم، من ضِمنها كان تمثال السَّيدة السَّوداء. تتكلَّم الأسطورة المتعلِّقة بسيِّدة شارترز عن صِلةٍ مباشرةٍ لها مع كهنة الشَّعب السِّلتي (الدّروديون)، الّذين كانوا رجالاً حكماءً ولَديهم رؤيا نَبويَّة. سمع هؤلاء الكهنة في العام ٥٠ من قبل الميلاد، نُبوَّة إشعياء النَّبي عن العذراء الّتي سَتحبل وتَلِد ابناً وتدعو اسمه عمَّانوئيل، وعرفوا حينها أنَّ هذا المولود هو الإلَه الحقيقيّ الّذي ستبدو آلِهَتهم أمامهُ مُجرَّدَ أصنامٍ، فأرسلوا وفداً منهم إلى أورشليم للإستفسار إن كان المولود قد وُلِد أو أنَّه لم يولَد بعد. في هذه الأثناء أمر أمير شارترز بنحتِ تمثالٍ للأمّ والطِّفل المجهولان، ولأنَّه لا يعرف اسميهما بالضَّبط فقد أمر بكتابةِ عبارة (Virgin paritura) أيّ "العذراءُ الّتي سَتلدُ طفلاً " على قاعدة

تمثال الخشب. وُضِع التِّمثال في أحد سراديب المغارة الدُّرودية الّذي تحوَّل بعد الميلاد إلى قبوِ الكاتدرائيَّة الكاثوليكيَّة، وسُمِّي التِّمثال "تمثال العذراء مريم والطِّفل يسوع".

**سيِّدة Maymac**: هي واحدةٌ من أغرب السَّيدات السَّوداوات ومُميَّزةٌ بين نظيراتها وتُدعى "المصريَّة". ويقول الكثير من الباحثين، أنَّه يوجدُ ارتباطٌ متينٌ وواضحٌ بَين الإلَهة المصريَّة إيزيس وبَين مريم العذراء الكاثوليكيَّة الّتي ورثت الألقاب والمعابد والتَّماثيل الّتي كانت لإيزيس. مثالٌ على ذلك، فقد بقِيَ تمثالٌ لإيزيس يُعبَدُ في كنيسة سان جيرمان لقرونٍ عديدةٍ إلى أن قام الكاردينال بريكونت بتحطيمه في سنة ١٥١٤.

**سيِّدة العجائب في Orleans**: جلبها معهم مواطنون يعملون كتجَّارٍ في سوريا. إشتهرت هذه السَّيدة السَّوداء في القرن التّاسع خلال غزوات الفايكنغ (شعوب شمال أوروبا)، الّذين زرعوا الرُّعب في قلوب النّاس ودَمَّروا كلّ المدن الّتي غزوها. وحين حاصروا أورليانز إجتمع كلّ الّذين في داخلها من رجالٍ ونساءٍ وأولادٍ في معبد السَّيدة السَّوداء، وسجدوا أمامها مطالبينها بأن تَحميهم وتُبعِد الغزاة عنهم. ثمَّ أخذوا التِّمثال ووضعوه فوق بوّابة بلدتهم المُحَصَّنة. وعندما قام واحدٌ من حرّاس البوّابة برمي السِّهام على الأعداء رآه أحدهم وهدَّده قائلاً: "لن تكون قادراً على النَّجاة من الموت وهذا التِّمثال لن يدافع عنك" ورمى سهماً باتِّجاه الحارس ليقتله. فدبَّت الحياة فجأةً في تمثال السَّيدة ومَدَّت رُكبتها ليستقر فيها السَّهم القاتل، وهكذا نجا حارس البوّابة من الموت. رأى الأعداء الأعجوبة فأعلنوا بصوتٍ عالٍ بأنَّ الأمّ المقدَّسة تُدافع عن هذه البلدة وعن سكّانها، وألقوا أسلحتهم وهم خائفون وطلبوا السَّلام مُقدِّمين هدايا للسيِّدة ووعدوها بأنَّهم لن يؤذوا أهل البلدة فيما بعد. بقي السَّهم في ركبةِ تمثال السَّيدة لعدَّة قرونٍ إلى أن أُحرِق خلال الحروب الدّينيَّة في سنة ١٥٦٢، فتمَّ استبداله بتمثالٍ جديدٍ مع نفس مَيِّزات التِّمثال الأصلي مع انحناءةٍ بسيطةٍ للأمام في الرُّكبةِ، لكن بدون وجودِ سَهْمٍ فيها.

**سيِّدة Vassiviere**: يقول أهالي هذه البلدة إنَّ اسْمَ بلدتهم يأتي من إسْم معبدِ أرواحَ الماءِ السِّلتيِّ الوثنيِّ القديم الّذي كان قائماً فيها، والّذي امتلكته مريم ملكة السَّماء لاحقاً لتجعله مصدراً للحياة لكلِّ من يزورها من خلال نافورة الماء المقدَّس قُرب معبدها. أُعتُبِرت هذه السَّيدة العذراء حاميةً للمسافرين وعابري السَّبيل. تقول إحدى القصص المُتعلِّقة بها بأنَّ تاجراً مَرَّ من أمامها ورفض الإقرار بجلالها وهزأ منها، فأصبح على الفور أعمىً. نَدم التّاجر عن فعلته ووعدها بالولاء لها إن هي أعادت له بصره. لم تتأخَّر السَّيدة السَّوداء عن شفائه بعد توبته فانتشر صيتها إلى العالم أجمع، فأتى إليها الحجّاج بالآلاف فصَنعَت لهم المعجزات الكثيرة.

**سيِّدة Toulouse**: في العام ١٠٩ قبل الميلاد، ذهب قنصلٌ رومانيٌّ ليبحث عن كنزٍ من ذهبٍ مفقودٍ في النَّهر، لكنَّه وجد بدلاً منه تمثالاً عائماً على وجه الماء للسيِّدة السَّوداء مع الطِّفل. فقام بأخذه إلى أحد المعابد الوثنيَّة معتبراً إيّاه تمثالاً لإلَهَةٍ وثنيَّةٍ مجهولةٍ، فعُبِدت وبُجِّلت حتَّى سنة ٤١٥م إلى أن تمَّت تَسميتها بعد قرار الإمبراطور قسطنطين بإبطال الوثنيَّة، "العذراء مريم والطِّفل يسوع". أمرٌ مميّزٌ عند هذه السَّيدة يلاحظه الزّائر لمعبدها هو النَّقش تحت اقدام التّمثال باللّغة الفرنسيَّة بما معناه في اللّغة العربيَّة: "استلمي منّي هذا الزّنار المُبارَك والبَسيهِ كعلامةٍ لحمايتي الأموميَّة لكِ، وكوعدٍ للولادة السَّعيدة". أصبح هذا المعبد منذ العصور الوسطى مركزاً مشهوراً لحجِّ النِّساء الكاثوليكيات الحوامل إليه، ليطلبنَ وضع زنّارٍ يُقال بأنَّه مُقدَّم من مريم العذراء لَهُنَّ لتكون ولادَتهنَّ سهلةً وبدون أيَّة مشاكل. لكن تلك النِّساء قد لا يَعرِفنَ أنَّ هذه العادة كانت مُمارسة وثنيَّة قديمة اذ كانت النِّساء الحوامل في زمان ما قبل المسيحيَّة يَقُمْنَ باستعارةِ ولِبسِ زنّار الإلَهة إيزيس، أو الإلَهة هيرا للمُساعدة في الولادة السَّهلة وغير المُؤلِمة، ثمَّ تَحوَّلت هذه العادة إلى استعارة الزّنار من مريم . في يومنا الحاضر يقوم كاهن كنيسة تولوز بمباركة زنّار الولادة لتأخذه المرأة الحامل معها ليُذَكّرها وقت حملها بضرورة الصَّلاة لمريم أمُّ النِّعم، وتلاوة مسبحتها من كلِّ القلب، معَ إضاءة الشُّموع لها.

**سيِّدة المعجزات في Mauriac**: في ليلةٍ من ليالي سنة ٥٠٧، شاهدت إبنة الملك نوراً عظيماً في الغابة وتَجمُّعاً حولَ حجرٍ مقدَّسٍ، فأسرعت إلى المكان لِتجدَ تمثالاً لمريم العذراء محروساً بتِمثالَين لأسَدَين. فهمت ابنة الملك أنَّها إشارةً واضحةً من مريم العذراء بأنَّها قد أخذت مكان الإلَهة سيبل Cybele، الّتي كانت قد جَسَّدَت حضورها على الأرض من خلال الحجارة المقدَّسة مع الأسَدَين الحارِسَين لها. فقامت إبنة الملك حينئذ ببناءِ معبدٍ في المكان من حجارةٍ أخذتها من معبدٍ وثنيٍ، كما بَنَت ديراً للرهبنة البنديكتيَّة لحراسة المعبد الجديد، وطلبت من الرّاهبات إبقاء "المِصباح الأبدي" مُضاءً أمام تمثال الظّهور العجائبي. خلال الحملات الصَّليبيَّة أُسِرَ رَجُلان فرنسيان في الشَّرق وقُيِّدا بالأصفاد الحديديَّة في زنزانةٍ، وعندما ناشدوا سيِّدة المعجزات لمساعدتهم نقلتهم بلحظةٍ خلال اللّيل مع أصفادهم الحديديَّة إلى موریاك حيث لا زالت تلك الأصفاد محفوظةً إلى اليوم. في القرن الحادي عشر تَوجَّه الكثير من الحجّاج إلى معبد سيِّدة المعجزات الصَّغير فازدادت الحاجة لبناء مكانٍ أكبر. رُغم ذلك، لم يَهتم الكاهن المحلي آنذاك ببناء بيتٍ كبيرٍ للسيِّدة لأنَّه كان مُهتماً ببناء بيتٍ كبيرٍ لهُ على أرضٍ تابعةٍ للسيِّدة، وعندما ابتدأ بالبناء غَضِبت منه السَّيدة وأردته مع اثنين من عُمّاله قتلى. أسرع حينها النّاس لاسترضائها ببناءِ معبدٍ كبيرٍ لها.

**سيِّدة الفقراء في Rocamadour**: إنَّ موقع السَّيدة هنا يعود للقرن العاشر الميلادي وقد كان في العصور الوسطى مزاراً مُهمّاً للحجّاج، منهم الفقراء والقدّيسين والملوك الّذين كانوا يأتون لأخذ البَرَكة من مَلكة السَّماء. يقع الموقع المُدهش على جَرْفٍ صخريٍّ وُجِدَت بقربه في عام ١١٦٦ رُفات الناسك المُبارَك أمادور Amadour مدفونةً بجانبِ كهفٍ مُكرَّسٍ لمريم العذراء، فلهذا السَّبب دُعِي المكان Roc-Amadour. تقول الأسطورة إنَّ أمادور أصبح خادم الأمّ المبارَكة ومُربِّي المسيح في طفولته بعد أن التقى مع يوسف ومريم ويسوع أثناء هروبهم إلى مصرَ خوفاً من بطش هيرودس. حينها كان أمادور يملك حقلَ قمحٍ نَما طويلاً بشكلٍ عجائبيٍّ لإخفاء

العائلة عن عيون جنود هيرودس. وقبل أن تترك مريم العالم لتنتقل إلى السَّماء أوصَته بأن يذهب ويعيش كناسكٍ في فرنسا. عمل أمادور بما أوصته العذراء وأخذ معه التِّمثال الأسوَد للسيِّدة والطِّفل المصنوعِ بِيديَّ لوقا الإنجيلي، وعند وصوله إلى هنا قام بِمَسْحَنة المكان بوضع التِّمثال في كهفٍ مُكرَّسٍ لإلَهة وثنيَّة تُمَثَّل بثلاثة وجوه، ويوجد فيه حجرٌ مقدَّسٌ يعود لطائفة الدّروريين تحت المذبح. كما توجدُ أسطورةٌ ثانيةٌ تُضيف على الأسطورةِ الأولى، أنَّ أمادور لم يكن إلاّ زكّا العشّار الّذي إتَّبَع المسيح بعد التقائهِ بهِ، وأنَّه كان زوج فيرونيكا الّتي بحسب التَّقليد طَبعت صورة وجه المسيح على منديلٍ مَسحَت به وجهه حين كان حاملاً الصَّليب في طريقه إلى الجلجثة. في القرن الثّاني عشر نُسِبَت إلى هذه السَّيدة مئة وسِتّ وعشرون مُعجزة تتضمَّن شفاءها المجرمين المرضى والمجانين، وتهديدها لأولئك الّذين لا يحترمونها، وإقامتها لأطفالٍ رُضَّعٍ من الموت حتَّى ينالوا " سرّ المعموديَّة " لئلاّ يخسروا الدُّخول إلى السَّماء، وتحريرها للأسرى أيضاً. كما وأنَّها ساعدت النِّساء الحوامل عند ساعة الولادة وأعطت الانتصار لأتباعها من المَحاربين. تَذكر قصَّةً عن أحد أعمالها في القرن الثّاني عشر، أنَّه حين كان ثلاثة من الحجّاج في طريقهم إلى زيارة السَّيدة عابرين طريقاً وعرةً وطويلةً، هاجمهم اللّصوص وجرَّحوهم وسرقوا منهم ما يملكونه. لكن محامية كلّ البشريَّة والنَجمة المُميَّزة الّتي تُضيء العالم كلّه بتألّقها، سيِّدة Rocamadour القويَّة، أتت لمساعدة خدّامها الّذين طلبوا مساعدتها. فضربت اللّصوص بالعمى وشَلَّت أياديهم وجَمَّدتهم في مكانهم كالتَّماثيل، لكن لرَحمتها وشَفقتها عليهم تركت ألسِنتهم قابلة للحركة لكي يتوبوا ويطلبوا الرَّحمة في حال أرادوا ذلك. ثمَّ بعد توبتهم وشفاعة الحجّاج فيهم أمام السَّيدة لتُشفِق عليهم وترحمهم، أعادت السَّيدة الأحاسيس لهم وأرجعت أجسامهم لحالتها الطبيعيَّة. يجد الزّائر لمعبد السَّيدة السَّوداء في Rocamadour جرساً مُميَّزاً مُعلَّقاً في السَّقف بدون أي حبلٍ يتدلَّى منه، يقول عنه الكهنة إنَّه كان يَقرَع لوحده بطريقةٍ عجائبيةٍ في اللّحظة الّتي تُنقِذ فيها السَّيدة أحد البَحّارة من الموت في البحر. ويقولون أيضاً إنَّ البَحَّار كان يأتي بعد عدَّةَ أشهرٍ ويُخبر قصَّته للكهنة قائلاً، أنَّه حين تعرَّض لخطر الغرق والموت أثناء العواصف صَرخ إلى السَّيدة السَّوداء في Rocamadour ووعدها بأن يحِجَّ إلى معبدها إن أنقذته من الموت. حينها كان الكهنة يقولون له: "أوه، إذاً أنتَ من قُرِع الجرس لأجله، ونحن قد عرفنا حينها بأنَّ أحدهم كان في خطر الموت وأنقذته

السَّيدة، ونحن كنّا نتوَّقع وصولَك". توجد لوحةٌ على حائط الكنيسة تُشير إلى أنّ الجرس العجائبي (الّذي يَظهر في الصُّورةِ أعلاه) دَقَّ بين عامي ١٣٨٥ و ١٦١٧ بدون أيِّ تدخُّلٍ إنساني.

**- في إسبانيا:**

**سيِّدة Regla**، يقولُ تقليدٌ شفهيٌّ قديم إنَّ ملاكاً قد ظهر على القدّيس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠) في الجزائر وأمره بصنع هذا التِّمثال... مات أوغسطينوس عن عمر خمسة وسبعين عاماً من بعد ثلاثة أشهر من بدءِ حصارٍ دام لأحد عشر شهراً فرضه المخرِّبون على مدينته، وقد سقطت بعده المدينة. فحمل تلاميذه الّذين نجوا من الحِصار التّمثال وهربوا به في سفينةٍ إسبانيةٍ حيث واجهتهم عاصفةٌ قويّةٌ كادت أن تُغرِقهم، لكنّ الأمّ السَّوداء حفظتهم في العاصفة فأصبحت تُدعى سيِّدة البحّارة الإسبان الّذين أذاعوا شهرتها ليس في إسبانيا فقط لكن وصولاً إلى المكسيك والدومينيكان والفليبين وبلجيكا وكوبا. وبعد ثلاثة قرون من تَمتُّع الأمّ السَّوداء بالإكرام في صومعة ناسكٍ أوغسطينيٍّ هاجم المسلمون إسبانيا واحتلّوها، فقام الرّهبان بإخفاء التِّمثال في كهفٍ تحت الأرض قرب شجرةِ تينٍ بقي فيه خمس مئة سنة. وعندما حان وقت الخروج، ظهرت السَّيدة على كاهنٍ وأرشدته برؤيا على المكان الّذي دُفِنت فيه، وطلبت منه أن يَكشِف عنها ويُرجِعها إلى مكانها القديم. قام الكاهن المُطيع بالبحث عن الكنز المدفون، وبينما كان يرتاح تحت شجرة التّين سمع فجأةً صوتاً سماويّاً آتياً من تحت الأرض قائلاً :"هذا هو مكاني". حفر الكاهن في الأرض عميقاً حيث وجد تمثال السَّيدة السَّوداء وبجانبه مصباحِ زيتٍ مشتعلٍ وكأس. بعد هذا الإكتشاف المُدهش ابتدأ توافد الحجّاج بالآلاف لرؤيتها.

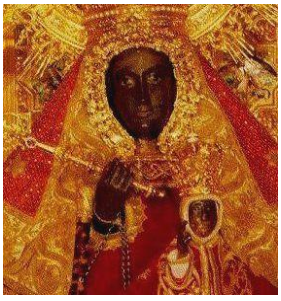

**سيِّدة الصَّمت في Caceres**: تدَّعي أسطورتها أنَّ لوقا الإنجيلي هو من صنع هذا التمثال وإنَّه قد دُفِن معه حينما مات. وفي القرن الرّابع أُحضرت رفاته مع التِّمثال المدفون معه إلى القسطنطينيَّة. ثمَّ في القرن السّادس جلب البابا غريغوريوس الكبير (٥٤٠ - ٦٠٤) التِّمثال إلى كنيسته

الخاصَّة في روما. لم تتأخر السَّيدة عن صنع المعجزات فكانت معجزتها الأولى حين تَفشَّى وباء الطّاعون في أوروبا، فحملها النّاس في موكبٍ عظيمٍ في شوارع روما بحماسةٍ دينيَّةٍ مُتأجِّجةٍ، مُطالبينها بأن توقِف العقاب عنهم، فوقف الوباء في ذلك اليوم. وبعد موت غريغوريوس أخذ أسقف مدينة إشبيليَّة التِّمثال إلى كاتدرائيته حيث بُجِّلت السَّيدة السَّوداء حتَّى بدء الإحتلال المغاربي الّذي دام من عام ٧١١ إلى عام ٧١٤. هرب حينها بعضٌ من رجال الدّين حاملين التِّمثال معهم ووضعوه في صندوقٍ حديديٍّ دفنوه تحت الأرض قرب مجرى النَّهر. بعد ستِمائة سنةٍ، وعندما أصبحت سيِّدة الصَّمت جاهزة للظّهور من جديد، وجد أحد الرُّعاة بقرته مَيِّتةً فأراد أن يَسلخ جلدها، وقبل أن يبدأ رَسَم إشارةَ صَليبٍ على وجهه، فدبَّت الحياة في البقرة المَيِّتة، وفجأة ظَهرت ملكة السَّماء على الرّاعي وخاطبته بإسْمه قائلةً : "لا تَخف، أنا أمَّ الله، مُخلِّصَة الجنس البشري. خذ بقرتك وأعِدْها للقطيع ثمَّ إذهب إلى رجال الدّين وقُل لهم إنّي أنا أرسلتُكَ، وليأتوا ليحفروا في المكان الّذي كانت بقرتك مَيِّتةً فيه وسيجدوا تمثالاً لي وعندما يُخرجونه يبنون بيتاً صغيراً يضعونهُ فيه". لم يُصَدِّق رجال الدّين قصَّته إلاّ من بعد أن رجع إلى بيته ووجد أنَّ إبنه قد مات، فتضرَّع إلى أمّ الله الّتي كلَّمته فأقامت ابْنه من الموت. صَدَّقه حينها رجال الدّين وامتَثلوا لأوامر السَّيدة وحفروا في الأرض وأخرجوا التِّمثال ومعه وثائقَ ثبوتيَّة تَكشف أُصولَهُ حُفِظت في أرشيف الدَّير.

**سيِّدة Jerez** : يوجد رأيان مختلفان هنا عن أُصول هذه السَّيدة السَّوداء وكلّ رأي له أسطورته الخاصَّة به. يقول الرأي الأوَّل بأنَّ الرّاهب بيدرو باسكوال قد أسَّس دير الرَّحمة الإلَهيَّة سنة ١٢٦٨ لأنَّ العذراء مريم كانت قد ظهرت في سنة ١٢١٨ على بيتر نولاسكو، وعَرَّفته عن نفسها كسيِّدة الرَّحمة. أمّا الرأي الثّاني المُختلِف كليّاً عن الرأي الأوَّل (ولا ندري أيَّهما نُصدِّق)، فيروي أنَّ سيِّدة الرَّحمة لم تأتِ إلى هنا قبل القرن الرّابع عشر، وبأنَّ المسيحيّين كانوا قد حَرَّروا منطقة الجاسيرة في العام ١٣٤٠ من المحتلّين الإسلاميين، وحوَّلوا مسجداً إلى معبدٍ كاثوليكيٍّ وضعوا فيه السَّيدة "عذراء النَّخلة" الّتي كانت قد اكتُشِفت بظروفٍ غامضةٍ ودعاها النّاس "السَّيدة مريم". لم تَدُم السِّيادة المسيحيَّة على المنطقة المُحرَّرة كثيراً لأنَّ المسلمين عادوا واحتلّوها فهرب السُّكان

مسرعين وكان من بينهم جندي مجهول الهويَّة عَرَف أنَّ السَّيدة ستكون في خطر، فحملها إلى مدينة Jerez حيث سلَّمها إلى رهبانِ ديرِ الرَّحمة طالباً منهم الحفاظ عليها على أمل أن يعود ليُعيدها إلى مكانها الأصلي، فوَضع الرّهبان السَّيدة السَّوداء في السِّكرَستيّا (غرفة الأواني والملابس الكنسيَّة). استيقظ الرّهبان أثناء اللّيلة الأولى على أصواتِ صراخ جيرانهم الّذين رأوا نوراً عظيماً يشعُّ من نافذة السِّكرستيّا. فظنَّ الرّهبان بأنَّ شمعةً قد أشعلت النّار فيها فأسرعوا لإطفائها، لكن عندما دخلوا وجدوا نوراً عظيماً مع رَهبةٍ يَشِعُّ من السَّيدة السَّوداء. تكرَّرت هذه الظاهرة لعِدَّة ليالٍ متتابِعةٍ فاجتمع الرّهبان و قرَّروا أنَّ ما يحدث عندهم هو إشارةٌ واضحةٌ من مريم لهم عن رغبتها في أن تُكرَّمَ عندهم، فقاموا بوضع السَّيدة السَّوداء وراء المذبح ودعوها سيِّدة الرَّحمة من بعد أن كانت تُدعى سيِّدة النَّخلة.

**سيِّدة Lord**: بحسب الأسطورة المُتداولة فإنَّ السَّيدة السَّوداء قد ظهرت على جبلها هنا في القرن العاشر، وسُجِّلت قصَّتها في العام ١٨٦٨ على الشَّكل التّالي: إستأجر أحد الرّعاة أرضاً من مالكها فيها نبعَ ماءٍ لا يَجِفّ حتَّى في أصعب أوقات الجفاف. في يوم من الأيّام لاحظ الرّاعي أنَّ أحد ثيرانه تَوجَّه إلى النَّبع وابتدأ يَجأر ويَركض حول النَّبع ويضرب الأرض في مكانٍ محدَّدٍ برجلِه وقَرنَيه. أعاد الثّور تصرُّفهُ هذا لثلاثةَ أيّامٍ مُتتاليةٍ. وحين اقترب الرّاعي من المكان الّذي يقف فيه الثور إنهارت الأرض تحت قدميه، فلاحظ وجودَ فتحةٍ تؤدِّي إلى كهفٍ دَخَله ليجد تمثالاً للعذراء بحالةٍ جيِّدةٍ بالرّغم من رطوبة الكهف. إبتهج الرّاعي بِشدَّة وركض إلى مالك الأرض ليُريه هذا الكنز، ثمَّ ذهبا معاً إلى كاهن الدَّير الّذي نظَّم موكباً احتفاليّاً ليستلم هدية السَّماء، وأقام مذبحاً عند النَّبع وضع عليه السَّيدة السَّوداء فهتف جميع الحاضرين بابتهاج.

**سيِّدة Montserrat**: تُدعى الأورشَليميَّة لأنَّه بحسب أسطورتها قام لوقا بنحت هذا التِّمثال المُشابه لمريم حين كانت جالسةٌ أمامه في بيت العائلة المقدَّسة في مدينة النّاصرة، واستعمل أدوات يوسف النّجار زَوجها لإكمال عمله هذا. لاحقاً جلب الرَّسول بطرس هذا التِّمثال معه من أورشليم إلى إسبانيا. في القرن الثّامن غزا المُسلمون

إسبانيا وحاصروا مونتسرات لثلاث سنين حتَّى أصبحت الهزيمةُ وشيكةٌ في العام ٧١٨، فأُخِذَت السَّيدة إلى الجبال القريبة وخُبِّئَت في كهفٍ ونُسِيت هناك. في العام ٨٩٠، قرَّرت السَّيدة أن تُغادر مخبأها، فرأى راعيان في إحدى الليالي نوراً غامضاً وسَمِعا غناءً ملائكيّاً في الجبال، فأخبروا الكاهن الّذي بدوره أخبر المطران وتوجّهوا جميعهم إلى مكان النّور فوجدوا كهفاً دخلوه ليجدوا الأورشَليميَّة. حاول المطران أخذها إلى كاتدرائيتهِ ولكنَّه لم يتمكّن لا هو ولا حتَّى أيَّ أحدٍ آخرٍ أن يُحرِّكها من مكانها. عندئذ قرَّر أن يبني لها مزاراً في مكانها تحوَّل لاحقاً إلى ديرٍ إنتشرت منه عبادة السَّيدة السَّوداء إلى المكسيك والبيرو والتّشيلي وكوبا، حين غزا الإسبان تلك البلدان ودعوها "السَّيدة أُمّ الأميركيتَين".

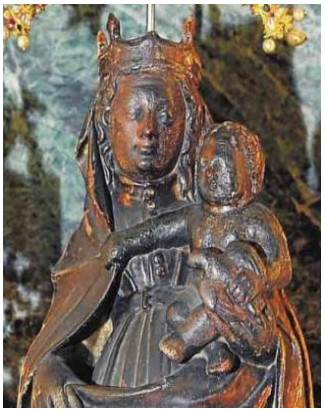

**سيِّدة العمود في Zaragoza**: تبدأ قصَّة هذه السَّيدة في سنة ٤٠م مع الرَّسول يعقوب الكبير، الّذي كان واحداً من رسل المسيح الإثني عشر، وقد أتى إلى إسبانيا بعد مدَّةٍ قليلةٍ من إرسال المسيح لتلاميذه إلى العالم أجمع ليكرزوا بالإنجيل. وضع الرَّسول يعقوب كلّ جهوده في التَّبشير فلم يأتِ إلاّ بسبعةَ أشخاصٍ فقط إلى المسيح وتلقّى تهديداتٍ كثيرةٍ بالقتل، فأُصيبَ باليأس والاكتئاب فذهب إلى ضفافِ نهرٍ ليُصلّي. فجأةً سمع هو والسَّبعة الّذين كانوا معه أصواتِ ألحانٍ سماويَّةٍ، فرفعوا أعينهم إلى الأعلى فرأوا العذراءَ مريم محاطةً بالملائكة. تبسَّمت العذراء وقالت إنَّها قد أتت للمُساعدة ثمَّ أخذت من أحد الملائكة عموداً طوله ستَّةَ أقدامٍ عليه تمثالٌ صغير للأمّ المقدَّسة، وأعطته ليعقوب مع هذا الأمر: "هذا المكان سيكون مَسكِني، وهذا التِّمثال والعمود سيكونان بجانب المذبح الّذي ستبنيه أنتَ لي". ووعدته بأنَّ تمثالها والعمود سيبقيان في هذا المكان إلى الأبد ،لكي تعمل نعمة الله العجائب وتُعطي النِّعَم لكلِّ الّذين يتضرَّعون إليها وقت إحتياجاتهم. لكنَّ الغريب في هذا الموضوع أنّ مريم حينها كانت ما تزال حيَّةً في أورشليم ممّا يعني أنَّ ما حدث معها كانت حالةٌ تُدْعَ " ثُنائيَّة الموقِع" وهي حالةٌ اختبرها البعض كهديَّةٍ من الرّوح القدس عندما نقلتهم الملائكة في لحظةٍ إلى مكانٍ بعيدٍ!. بعد هذا الظّهور للعذراء المُبارَكة بنى الرَّسول يعقوب مَعبداً مُكرَّساً لها والّذي استجابت فيه العديد من الصَّلوات ونجحت في اهتداء إسبانيا. دُمِّر المعبد فيما بعد، لكنَّ التِّمثال والعمود تَحمَّلا

وبَقيا عبر مئات السِّنين واقِفَين إلى اليوم في مكانهما حيث يأتي البابـاوات وعامَّة الشَّعب للصَّلاة والسُّجود أمامهما.

**سيِّدة Candelaria** : في قديم الزَّمان كان راعيان يعملان على إدخال قطيعهم في كهفٍ في نهاية يومٍ من الرَّعي، لكنَّ الحيوانات رفضت الدُّخول وبَدت خائفة. حاول الرّاعيان معرفة ما هو الشَّي الّذي قد أخافها إلى هذه الدَّرجة، فرأيا تمثال السَّيدة قرب مدخل الكهف على حافة الماء، فاعتقدا بأنَّها إمرأةً حيَّةً وطبيعيَّةً فطلبا منها الإبتعاد، لكنَّها لم تفعل، فقام أحدهم برمي الحجارة عليها، ففي الحال أصبحت يده مشلولة. غضب الآخر وحاول طعنها بسكّين فجرح يده بها. فهربا خائفَين ومُرتعدَين إلى قصر الملك وأخبراه بما حدث معهما. فقام الملك وذهب مع حاشيته إلى الكهف حالاً لكن لم يقترب أحدٌ من السَّيدة خوفاً منها. أمر الملك الرّاعيَّين أن يحملا السَّيدة ويجلبانها إلى قصره، فتقدَّم الرّاعيان منها بِنيَّةٍ سِلْميَّةٍ لحملِها فشَفتهما مِمّا أصابهما. فَهم الملك حينها بأنَّ هذه المرأة فائقة الطَّبيعة في عمل الخير وقرَّر حملها بنفسه. أُحضِرت السَّيدة السَّوداء إلى كهفٍ بجانب القصر وعُبِدت هناك كإلَهةٍ غيرَ معروفةٍ. بعد مُدَّة وصل شابٌ كاثوليكيٌّ إلى المنطقة وكان يَعرف إسم هذه الإلَهة، فعلَّم الملك ومملكته الإيمان الكاثوليكي وعرَّفهم على أمّ السَّماء والأرض. وفي سنة ١٨٢٦غَمر مدٌّ عالٍ المنطقة وأَغرق السَّيدة الأصليَّة في البحر ففقدها مُحِبّوها، فقاموا بوضع التِّمثال الحالي مكان الأصلي. يأتي إليها الكثير من أولادها الحجّاج في الخامس عشر من شهر آب في عيد انتقال العذراء لقضاء يومٍ كاملٍ عند أقدام أمّهم العذراء السَّوداء المحبوبَة .

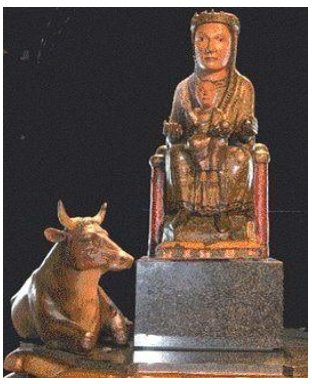

**سيِّدة الثّور في OLot** : وتُدعى أيضاً أمّ إله الثّور وتَروي الأسطورة المُتعلِّقة بها أنَّه قد تمَّ اكتشافها في سنة ٨٧٢ خارج المدينة، حين ظلَّ ثَورٌ واقفاً فوق مكانٍ معيَّنٍ ويَخور خواراً غريباً، إلى أن حَفَر النّاس وكشفوا عن هذه السَّيدة الّتي ارتبطَ اسمها بهذا الحيوان الّذي كان رمزاً للقوَّة والقُدرة والخُصوبة في الدّيانات الوثنيَّة. أمّا لماذا قد اشتهرت أساطيرَ العثورِعلى السَّيدة السَّوداء في الأرض مع ارتباطٍ وثيقٍ مع الثّيران أو

العجول وأُخْبِرَت في جميع أنحاء أوروبا؟ يأتي الجواب بأنَّ هذه القصص قد وُجِدَت لزيادة تبجيل صورة السَّيدة السَّوداء في أذهان الوثنيين بإظهار أُصولها في الوثنيَّة القديمة والمرتبطة ببركاتٍ باطنيَّةٍ سرِّيةٍ، قد تكون بدأت مع العجل الذّهبي الّذي صنعه هارون حين كان موسى على جبل سيناء، ثمَّ استمرت في الدِّيانات الوثنيَّة الّتي ظهرت خلال حقباتٍ وقرونٍ متفرِّقةٍ كما سنرى. ففي الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة، كان مُحِبّو الإلَه أتيس يغتسلون بدمِ عِجْلٍ مقدَّسٍ لكي يَشعروا بأنَّهم قد تطهَّروا من كلِّ خطيَّةٍ ووُلدوا من جديدٍ. وفي الدِّيانة الميثرائيَّة كانوا يعبدون الإله ميثرا الّذي كانت رغبتهُ الأساسيَّة مطاردةَ ثورٌ سماويٌّ، والتَّضحية به لِيَهِب الحياة لجميع الكائنات الحَيَّة، وليُعطي كلّ الّذين يُحبّونه ويَعبدونه الحياة الأبديَّة، وكان كلّ اجتماع لمجموعةٍ من أتباعه يتضمَّنَ تمثيلاً لتقديم ميثرا الثَّور كذبيحة. في مصر كان الإعتقاد بأنَّ ثيراناً مِثاليَّةً تُمَثّل الإلَه أوزيريس كانت تعيش في معابدهِ كلّ أيّام حياتها وعند نُفوقِها كان يتمُّ تحنيطها، وكان أحدها الثّور آبيس رمز التَّوالد والقوَّة المُخَصِّبة. أيضاً كانت الإلَهة إيزيس المصريَّة مُرتَبطة بالأبقار وغالباً ما كانت تُجسَّد مع قَرْني بقرة على رأسها (كما تَظهر بالصُّورة المُرفَقة). خلال الحضارة المينويَّة في جزيرة كريت، كانت الثّيران المقدَّسة ترتبط بآلِهَتِها وأماكنها المقدَّسة، وكانت تُقدَّم كذبائح لتكونَ وسيلةً لتمرير قوَّة حياة الآلِهة والأسلاف إلى الأحياء. في اليونان كان الإلَه هوميروس يَمدح الإلَهَة هيرا ويدعوها "عينُ البقرة" أو "وجهُ البقرة"، وكانت الأبقار تُعتَبر مقدَّسةً لها. ولم يَكُن الإله ديونيسيوس إله الخمر فحسب، لكنَّه كان أيضاً إله الموت والقيامة مع روابطَ قويَّةٍ مع الثور، وكثيراً ما صُوِّرَ مع قرونِ ثورٍ. لم تُذكَر الثّيران في المسيحيَّة حتَّى الوقت الّذي فيه نشَر الرّاهب فرنسيس الأسيزي (١١٨٢-١٢٢٦) والّذي كان يُعتَبر مُبجِّلاً للطّبيعة والحيوان، صورةَ الطِّفل يسوع في المذود وبجانبه ثورٌ وحمارٌ. في النِّهاية لا بدَّ من القول بأنَّ الإرتباط القوي الّذي كان للثيران مع الأرض ومع إلَهات الأزمنة الوثنيَّة، استمر هو بذاته مع مَلكة السَّماء الكاثوليكيَّة الّتي أصرَّت على الخروج من باطن الأرض بمساعدةٍ من تلك الحيوانات الّتي قدَّستها الدّيانات الوثنيَّة، والّتي أخذت دوراً مهمّاً في الدِّيانة الكاثوليكيَّة، من خلال أساطير اكتشافها للسيِّدة السَّوداء.

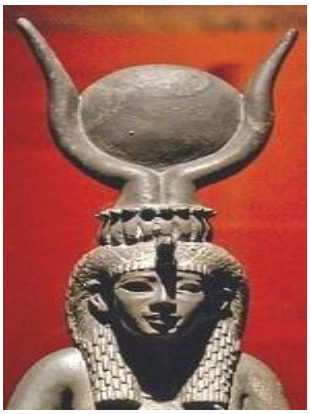

**- في إيطاليا وصَقَلية:**

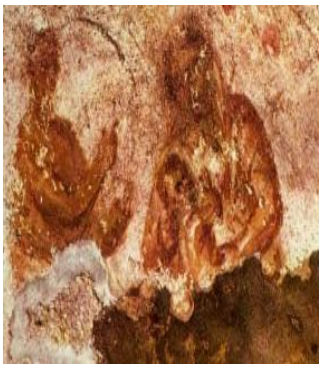

**سـيِّدة Brucoli** : مـن المـرجَّح أن تكـون صـورة العذراء في هذا المكان واحدةً من أقدم صُوَرها في العالم. تقول الأسطورة إنَّه في القرن الثّالث للميلاد، في الوقت الّذي كان فيه المسيحيّون لا يزالون تحت اضطهاد الأباطرة الرّومان، ظَهر بعض الشُّهداء الّذين كانوا قد قُتِلوا أثناء الإضطهاد على الأسقف الأوّل للمنطقة الّذي كان يُدعى أغاتون، وأرشدوه على مجموعةٍ من كهوفٍ قديمةٍ تحت الأرض استخدمها اليونانيّون في القرن التّاسع قبل الميلاد كمقابر لكي تكون ملجأً آمناً للمسيحيّين خلال الإضطهاد الرّوماني. ذهب الأسقف ومَن معه إلى تلك المقابر وحوَّلوها إلى مكانٍ سكنٍ للعيش فيه هرباً من الإضطهاد، وزيّنوا جدرانها بالتَّماثيل الجَصّية، ويُقال إنَّ الأسقف بنفسه دهن صورةَ هذه السَّيدة وأسماها "الأمّ المقدَّسة مريم أُمّ أدوناي"، أي أُمّ الرَّب في اللّغةِ العِبْريَّةِ. وعندما أنهى الملك قسطنطين الإضطهاد على المسيحيّين، غادر المسيحيّون تلك الكهوف فنُسِيت تلك الصُّورة بشكلٍ تدريجي وتَوقَّفت المعلومات عنها وأصبحت أسطورةٌ تتناقلها الأجيال. لكن في القرن السّادس عشر خرج أحد الرُّعاة ليبحث عن بقرته فوجدها واقفةً قربَ فتحةٍ عميقةٍ في الأرض، وعندما نزل فيها وجد بأنَّها توصِل إلى كهفٍ تُوجدُ فيه الصُّورة الّتي تكلَّم النّاس عنها لقرونٍ كأسطورةٍ، لكنَّه اليوم وجدها حقيقيَّةً "أُمّ أدوناي السَّوداء"، التِّمثال الجَصّي للأسقف أغاتون. أُعتُبِر هذا الإكتشاف معجزةً، وبدأ توافد الحجّاج الّذين كان من بينهم مجموعة من الفرسان الإسبان، الّذين سُحِروا بجمال المكان والنَّظرة الحِلوَة للأمّ القديمة مع الطِّفل، فقرَّروا ترك الحياة الدّنيويَّة والتَّنسك في ذلك المكان. ثمَّ في سنة ١٦٠٠ بنوا ديراً إستقطب العديد من الرّهبان.

**سيِّدة الفقراء في Foggia**: تُخبرُ إحدى الأساطير عن الكونت أريانو بأنَّه وبينما كان يصطاد الغزلان شاهد أثناء اللّيل مع الرِّجال الّذين كانوا معه ومضاتٌ ضَوئيَّةٌ غريبةٌ تَصدر من الغابة. ذَهب إلى المكان بحذرٍ ليستطلع الأمر فوجد ضوءً غريباً في وسطه امرأةٌ جميلةٌ تَشعّ بنورٍ سماويٍّ قالت له: "لا تخَف أنا أمّ الله" ثمَّ دلَّته على شجرةِ بلوطٍ كبيرةٍ

فيها تمثال للسيِّدة السَّوداء وهي جالسةٌ على العرش، وقالت له: "أريدك أن تبنيَ لي معبداً لإكرامي في هذا المكان الّذي سأجعله مكاناً ينال فيه عابديَّ النِّعم حين يأتون إليَّ بقلبٍ مُخْلصٍ وحبٍّ بَنَوي". فقام الكونت بتعليق مصباحِ زيتٍ نحاسيٍّ على شجرة البلّوط، ليكون نورهُ تقدمةً لنورِ العذراء أمّ الله الّتي بدورها بارَكت وقدَّست هذا الزَّيت فلم يَنفذ لعدَّة سنوات، مع أنَّ الكثير من الحجّاج تَدهَّنوا به ونالوا علاجات روحيَّة ونفسيَّة.

**سيِّدة Oropa**: يقول التَّقليد أنَّ لوقا الإنجيلي هو الّذي نَحت هذا التِّمثال الخشبي وقد حمله الأسقف أوسابيوس معه إلى إيطاليا، حيث وضعه في كهفٍ وثنيٍ مُكرَّسٌ للإلَه أبولو في غابةٍ مُكرَّسةٍ لإلَهَةٍ لها ثلاثة وجوه، لأنَّه أراد بهذه الطَّريقة أن يُمَسْحِن المُمارسَة الوثنيَّة. ويُضيف التَّقليد أيضاً بأنَّ حنَّة والدة مريم العذراء ظَهرت في يوم عيدها في السّادس والعشرين من شهر حزيران من عام ١٦٢٠ على إحدى الرّاهبات وأخبرتها أنَّ السَّماء ستكون مسرورةٌ إذا تُوِّج التِّمثال، فقام عددٌ من الباباوات بتتويجه في الأعوام ١٦٢٠ و١٧٢٠ و١٨٢٠ بوضع تاجٍ عليهِ مع هالةٍ مُرَصَّعةٍ بالنُّجوم.

**سيِّدة Loreto** : إنَّ الّذي جعل من هذه السَّيدة السَّوداء مشهورةٌ عالميّاً هو وجودها في البيت الّذي سكنته مريم حين كانت تعيش في النّاصرة. يقول التَّقليد أنَّ هذا البيت الّذي تَلقَّت فيه مريم البشارة من الملاك جبرائيل أصبح مكانَ حجٍّ أساسيٍّ في القرن الرّابع، حين بنى فوقه الملك قسطنطين كاتدرائيَّةً. لكن كيف انتقل هذا البيت من الناصرة إلى إيطاليا؟ يُكمِل التَّقليد القصَّة فيقول أنَّ الكاتدرائيَّة دُمِّرت مَرَّتين، مرَّةً أثناء الغزوات الإسلاميَّة للأراضي المقدَّسة، ومرَّةً أخرى وقت الحروب الصَّليبيَّة. في العام ١٢٩١ خسر الصَّليبيّون الحرب وكان من الواضح أنَّ البيت سيُهدَم، لكنَّه إختفى فجأةً من النّاصرة وظهر في أوروبا محتوياً على تمثالٍ للسيِّدة السَّوداء، لأنَّ الملائكة حملته على أجنحتها إلى أوروبا لكنَّها وجدت صعوبةً في إيجاد مكانٍ مناسبٍ وآمِنٍ في الوقت ذاته له ليستطيع الحجّاج أن يزوروه. بقي البيت لمدَّة ثلاث سنين في كرواتيا إلى أن

وصلت الغزوات الإسلاميَّة إليها، فحملته الملائكة من جديد إلى إيطاليا، ومن بعد عدَّة محاولات حَطَّ بأمانٍ في لوريتو حيث بَقي فيها إلى هذا اليوم. زار البابا بنيدكتوس السّادس عشر هذا البيت مؤخَّراً وسجد أمام تمثال هذه السَّيدة. وقد حَصَلت الكثير من المعجزات في هذا البيت تؤكِّد مصداقيتهُ وفعاليتهُ الرّوحيتَين.

**سيِّدة San Severo**: في عام ١٥٦٤ جلب الرّهبان الأوغسطينيّون هذه السَّيدة إلى هذه البلدة، بعدما رأوا كم أنَّها مُفيدةً في مناطقَ أخرى من إيطاليا وإسبانيا، ويُقال أنَّ أوغسطينوس نَحتها بنفسه كما طلب ملاكٌ منه ذلك. تَحمِل هذه السَّيدة في يدها اليمنى باقةً من الحِنطة والعنب والزَّيتون، لأنَّ مريم عندما أخذت مكان إلَهات الأرض العظيمات والقديمات حاميات الحقول والمحاصيل، أصبحت هي حاميةَ الحقولَ والمحاصيلَ الوحيدة. وكلَّما كانت محاصيلُ البلدة تَتعرَّض للخطر من الجفاف أو العواصف أو الحشرات، كانت تُحمَل السَّيدة السَّوداء في موكبٍ طَلباً لمساعدتها. تُوِّجت هذه الأمّ السَّوداء في العام ١٩٧٣ بتاجٍ يحمل شكلَ حمامةٍ كرمزٍ للرّوح القدس الّذي تُعتَبَر مريم عروسته في الكنيسة الكاثوليكيَّة.

**- في ألمانيا**:

**سيِّدة Alttoting**: يقول التَّقليد إنَّ موقع كنيسة السَّيدة السَّوداء العزيزة هذا، كان في الأصلِ أرضاً وثنيَّةً مقدَّسةً قبل أن يُمَسْحَن، إذ كانت تَسكُنَه بعض القبائل الوثنيَّة في أزمنة ما قبل زَمن المسيحيَّة، والّتي عَبَدت فيه إلَهَة الحبِّ فريا Freya، وبَجَّلت شجرة الزَّيزفون الّتي أصبحت لاحقاً صِلَة الوصل بين الزَّمانين الوثني والكاثوليكي، وكان للعذراءَ دورٌ مهمٌّ في ردم الهوَّة بين الشَّجرة الوثنيَّة والمذبح الكاثوليكي. تمثال السَّيدة هنا منحوتٌ من خشبِ شجرة زيزفون قديمة كانت تُدعى "شجرة العدالة"، لأنَّ النّاس كانت تجتمع تحتها لفَضِّ النِّزاعات بين بعضهم بالأمور القانونيَّة، على أملِ أنَّ الإلَهة فريا تُزوِّدهم بالمحبَّة والصِّدق والمُصالحة. في سنة ٧٨٠ وضع القدّيس روبرت تمثال السَّيدة

السَّوداء في هذا المكان بقصد مَسْخَنَته بتحويله من الوثنيَّة إلى الكاثوليكيَّة. في عام ١٩٨٠ زار البابا يوحنّا بولس الثّاني المنطقة وقام بزرع شجرة زيزفون دُعِيت "زيزفونة البابا" لأنَّ الكاثوليك في ألمانيا والنَّمسا يعتبرون أنَّ شجرة الزّيزفون الّتي كانت مكرَّسة للإلهة فريا قد أصبحت مُكرَّسةً لمريم. أيضا زار هذه السَّيدة البابا بندكتوس وسجد أمامها وبَخرَّها(كما يَظهر بالصُّوَرة المُرفَقة). تمتلئ جدران الكنيسة بشهاداتٍ عن معجزاتٍ حصلت كدليلٍ على قوَّةِ وشفقةِ السَّيدة الغالية وعن إيمان وامتنان مُحبّيها لها. يأتي إليها الحجّاج من كلِّ أنحاء أوروبا ويصل عددهم إلى حوالي المليون حاجٍّ سنويّاً.

**سيِّدة Heiligebrem**: معنى إسم هذه البلدة "البئر المقدَّسة" لأنَّ لها صِلَةً مع السَّيدة السَّوداء الموجودة فيها. يعود المكان هنا إلى أزمنةِ ما قبل المسيحيَّة حين كان واحدٌ من عِدَّة أماكنَ مُقدَّسةٍ وثنيَّةٍ تُقام في الطّبيعة، ثمَّ مُسْحِنت بتكريسها إلى قدّيسٍ أو قدّيسةٍ كاثوليكيَّةٍ بدلاً من إلَهٍ أو إلَهةٍ وثنيَّةٍ. مُسْحِنَ هذا المكان بوضع تمثالٍ للأمّ العذراء السَّوداء قرب البئر. في شهر أيلول من سنة ١٦٦٢ تحوَّل هذا المكان إلى مكانِ حجٍّ مشهورٍ لأنَّ فلاّحاً كان قد وَقع عن سلَّمٍ وأُصيب بضررٍ دماغيٍّ جعله صامتاً لا يتكلَّم لمدَّة أحد عشر أسبوعاً. جرت عدَّة محاولات بشريَّة لجعله يتكلَّم ثانيةً لكن من دون جدوى. ذهب الفلاح إلى البئر المقدَّسة وصلّى وشرب من الماء، فجأة ظهرت السَّيدة عليه وشَفته. انتشرت أخبار المعجزة بسرعة فابتدأ النّاس بالتَّوافد بكثرة ليشربوا من البئر الّتي باركتها العذراء، آملين بالحصول منها على شفاءٍ لأمراضِهم.

**- في بلجيكا:**

**سيِّدة Halle**: هي تُقَدِّم صدرها بيدها اليُمنى إلى الطّفل لأنَّها تُدعى "العذراءُ المُرضِعَة". هي واحدةٌ من السَّيداتِ اللَّواتي ظَهَرن في أوروبا الغربيَّة أواخرَ العصورِ الوسطى. من المعروف أنَّ تَصوير الطّفل الّذي تُرضِعه أمّه ليس من المسيحيَّة، لأنَّ جذور هذه العبادة تعود إلى

عبادة الإلَهة الوثنيَّة إيزيس المصريَّة. يُبرِّرون هذا التَّشابه في الكاثوليكيَّة بما ذُكِر في الإنجيل عن المرأة الّتي صرخت من بين الجموع وقالت للمسيح: "طوبى للبَطن الّذي حملك والثَّديين اللَّذين رضعتهما" لكنَّهم لا يَذكرون إجابة المسيح لها عندما صَحَّح مفهومها الخاطئ وأعطاها المفهوم الصَّحيح للتَّطويب: "بل طوبى للَّذين يسمعون كلام الله ويَعملون به". دعونا نعود إلى سيِّدة هال وما صنعته من المعجزات الخارقة، فبعد الإصلاح البروتستانتي إبتدأ صراعٍ عنيفٍ في بلجيكا بين الكاثوليك والبروتستانت للسَّيطرة على البلاد فحاصر البروتستانت معبدَ سيِّدة هال لأنَّه كان الأهمَّ والأقدمَ عند الكاثوليك ومركز الحشد الأكبر لديهم، بقصد تهديمه وتحطيم تمثال السَّيدة السَّوداء. ابتدأ البروتستانت بقصفِ المدينة بِكُراتٍ ناريَّةٍ من المدفعيَّةِ، لكنَّ الأسطورة تقول أنَّ ملكة السَّماء ظهرت فوق جدران المدينة وإعترضت الكُرات النّاريَّة في حضنها وأطفأتها. بعد انتهاء المعركة جَمع السُّكان الكُرات ووضعوها تحت قبَّة الجرس مُمتَنين لما فعلته العذراء معهم. ولا تزال اثنتان وثلاثون كرةٌ منهم موجودةً حتَّى اليوم. معجزاتٌ أخرى تُنسَب إلى هذه السَّيدة منها حمايةِ المدينة من حصارٍ آخرٍ وإقامة الموتى وشفاء المرضى.

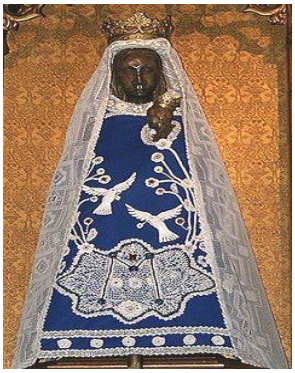

**سيِّدة walcourt**: تعود جذور هذه السَّيدة إلى القرن الرّابع حين وضع أسقف المنطقة تمثالها مكانَ تمثالِ إلَهةً وثنيَّةً لمَسْحَنَته. أمَّا أسطورتها فتقول بأنَّه في عام ١٢٢٠ أُحرِق معبدها الّتي بُنِي في عام ١٠٢٦ لكن قوَّةً غير طبيعيَّةً أنقذتها من نيران الحريق لأنَّها طارت من داخل الكنيسة وحطَّت على شجرةٍ قريبةٍ!. لكن كيف طارت السَّيدة السَّوداء إلى الشَّجرة؟ لا تَحمِل أسطورتها الإجابة عن هذا السُّؤال، لكن ظهرت روايتان واحدةً تقول أنَّ الملائكة رفعتها إلى الشَّجرة، بينما الأخرى تقول بأنَّ طيور الحمام قد حملتها إليها. جرت محاولات عديدة لإنزالها لكنَّها باءت كلَّها بالفشل، فطلب النّاس ورجال الدّين من سيِّدهم الإقطاعي المساعدة، فصلّى تحت الشَّجرة طالباً منها النُّزول ووعدها بإعادةِ بناء معبدها، وبناء ديرٍ في مكان الشَّجرة فنزلت إلى ذراعيه. يحتوي أرشيف الكنيسة حاليّاً على العديد من قصصِ معجزات هذه السَّيدة، نذكر منها قصّة طَحّانٍ أثيمٍ تجاهل وصايا الكنيسة وعَمل في يوم عيد الأمّ المُبارَكة، وبينما هو يعمل طارت رُقاقةً من حجر الطّاحونة ودخلت في عينه، ولم يستطع أيِّ طبيبٍ إخراجها، وتَورَّمت عَينهُ مسبِّبةً له آلاماً عظيمةً. أدرك الرَّجل حينها بأنَّه قد أهان السَّيدة العذراء، فقام

بالحجِّ إليها وبينما كان يُصلّي عند قدميها تائباً خرجت الرُّقاقة من عينه وسقطت على الأرض، ولا تزال هذه الرُّقاقةُ موجودةٌ في خزانة الكنيسة إلى يومنا الحاضر. قصَّةٌ أخرى تَتكلّم عن أعجوبة إقامةِ هذه السَّيدة لطفلٍ ميِّتٍ حتَّى تُعَمِّده الكنيسة لكي لا يفقد حقّه في الدُّخول إلى السَّماء. فلقد صَرفَت مجموعة من النّساء ثلاثةَ أيّامٍ أمام السَّيدة مُصلّياتٍ على الطّفل الميِّت. أخيراً وفي منتصف اللّيل رجعت الحياة إليه بشكلٍ تدريجيٍّ، فتغيَّر لونه من الأزرق الشّاحب إلى الأبيض ثمَّ إلى الأحمر الوردي، وفتح فمه وحَرَّك لسانه فتمَّ تعميده ليُصبِح مُستعِدّاً بالعِماد لدخول السَّماء. عاد الطّفل بعدها لفقدان لونه الوردي وشَحَب لونه من جديد وأسلم الرّوح. لم تبكِ النّساء عليهِ لأنَّهُنَّ عَلِمنَ أنَّ أمَّهم السَّماوية جعلت من الطّفل مُلكاً خاصّاً لها.

**- في كرواتيا:**

**سيِّدة Marijia Bistrica**: أوجدها فنانٌ مجهولٌ في سنة ١٤٩٩، وفي سنة ١٥٤٥ هدَّدت الغزوات التّركية وجودها فأخفاها كاهنٌ في حائطٍ، وبموته أخذ سِرّها معهُ إلى القبر. لكن في سنة ١٥٨٨ وفي نيَّةٍ من السَّيدة على العودة من الإختباء، جعلت لمعاناً خفيفاً يَظهر في الحائط فأكتشفها أولادها. ثمَّ في سنة ١٦٥٠ كان يجب أن تَختبئ مرَّةً أخرى من أعدائها فدفنها القرويّون في الأرض. وكما في السّابق أيضاً عادت في سنة ١٦٨٥ إلى الظّهور من جديد. مَنح البابا بنديكت الرّابع عشر في العام ١٧٥٠ صكّ غفران كامل لكلِّ الحجّاج الّذين يعترفون ويتناولون القربان في معبد هذه السَّيدة. منذ نهاية القرن الثّامن عشر تُعتبر هذه السَّيدة السَّوداء ملكة كرواتيا وقد قام رئيس أساقفة زغرب في سنة ١٩٣٥ بتتويج تمثالها وإعلانها ملكةً على كرواتيا.

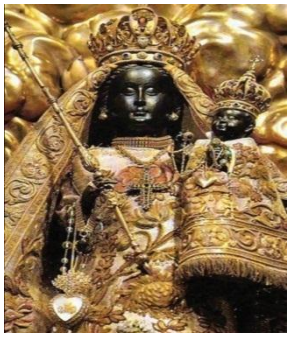

**- في سويسرا:**

**سيِّدة النّساك في Einsiedeln**: أخَذ التِّمثال الموجود حاليّاً مكانَ تمثالٍ آخرٍ احترق عام ١٤٥٦. يحمل "الطِّفل يسوع" في يده عصفوراً، يقول الكهنة أنَّه يرمز إلى إقامة يسوع لعصفورٍ من الموت عندما كان طفلاً!.

**- في بولندا:**

**السَّيدة المُعلِّمة في Czarna**: ظهرت هذه السَّيدة أواخر القرن السّادس عشر في بستانٍ من أشجار ألعَرعَر على مجموعةٍ من الحطّابين الّذين كانوا يصنعون الفحم. لم يتأخَّر القرويّون عن إقامةِ معبدٍ لها من الخشب وضعوا فيه أيقونةً رسمها فنانٌ مجهولٌ كانت نسخةً عن أيقونةٍ مشهورةٍ في روما تُدعى "خلاص شعب روما". انتشرت أخبار الظّهور الخارق والمعجزات والنِّعم الّتي رافقته. تُوِّجَت السَّيدة المعلّمة بتاجٍ باركه البابا يوحنّا بولس الثّاني في العام ١٩٩٩.

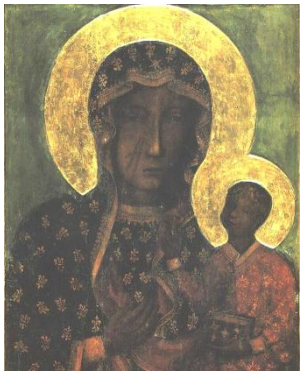

**سيِّدة Czestochowa**: يقول التَّقليد أنَّ لوقا الإنجيلي هو من رَسم هذه الأيقونة في مطبخ العائلة المُقدَّسة، حين كانت مريم تجلس أمامه حاملةً الطّفل يسوع وتُخبره بالمعلومات المختصَّة بولادة المسيح منها، والّتي وضعها في إنجيله. اختفت هذه الأيقونة وقت خَراب أورشليم في عام ٧٠م، ثمَّ إكتشفتها هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين في عام ٣٢٦م وأعطتها لابنها فبنى لها مزاراً في القسطنطينيَّة. إندلعت الحروب الدّينيَّة خلال القرن الثّامن فأمر أحد الملوك بإحراق الأيقونة، لكن أحد الأمراء نقلها إلى بولندا سِرّاً بعدما ظَهر عليه ملاكٌ وأمره بذلك، حيث تَمَّت حِراستها في دير القدّيس بولس. في العام ١٤٣٠ هاجمت مجموعة من البروتستانت من أتباع جون هسّ الدَّير لسرقة محتوياته، فأخذوا الأيقونة ووضعوها على عربةٍ تجرَّها الجياد. لكنَّ الجياد لم تَتحرَّك من مكانها فغضب المهاجمون عندما تأكَّدوا من أنَّ السَّيدة سبب ذلك. قام عندها أحدهم بِضَرب وجه السَّيدة مرَّتين بالسَّيف مُسبِّباً لها جرحين على خدِّها الأيمن، (يَظهران في الصُّورَة المُرفَقة) وعندما حاول ضربها للمرة الثّالثة أسقطته أرضاً متألِّمّاً ومنازعاً حتَّى الموت.

**- في إيرلندا:**

**سيِّدة Dublin**: مَرَّ هذا التِّمثال بمرحلةٍ قاسيةٍ أثناء الإصلاح البروتستانتي لأنَّ النّاس أحرَقته جزئيّاً، ولكنَّه أُنقذ ودُفِن في مكانٍ آمنٍ لكي لا يلقى المصير الّذي لقيَته تماثيلٌ أخرى. إشتراه كاهنٌ كَرْمَليٌّ في العام ١٨٢٤ وعمل على إصلاحه وتبرَّع بهِ إلى الكنيسة الكرمليَّة الموجودة حتَّى اليوم. يُلاحِظ من يَقترب من التّمثال وجودَ رُمّانةٍ في يدِ الطِّفل وليس الكرة الأرضيَّة كما في تماثيلٍ أخرى للأمّ والطِّفل. كان الرُّمان في الدِّيانات الوثنيَّة رمزاً للإلَهةِ المُثلَّثةَ الوجوهِ الإيجيَّة، الّتي تطوَّرت لاحقاً لتُصبِح الإلَهة اليونانيَّة هيرا الّتي نُحِتت تماثيلها في جميع معابدها في القرن السّادس قبل الميلاد وهي تحملُ صولجاناً في يدها اليُمنى وفي اليدِ اليُسرى تحملُ رُمّانةً، أمّا تاجها فكان يُصنع على شكلِ زهرةِ الرُّمانِ المفتوحةِ. حُوِّل واحدٌ من هذه المعابد في إيطاليا إلى مريم الكاثوليكيَّة وسُمِّي "كنيسة سيِّدة الرُّمان". في الأزمنة القديمة كان الرُّمان يُقدَّم كتقدماتٍ إلى الآلِهة لكي تُبارِك الأراضي وتحافظ على أرواح الموتى، كما قُدِّمَ تكريماً إلى الإلَه ديونيسيوس. وكانت النّاس أيضاً تُهدي بعضها البعض الرُّمان حين يُدشِّنون بيوتاً جديدةً لتوضعَ فيها كجالِبَةً للحظِّ السَّعيد والخُصوبة والوِفرة. أمّا في أيّامنا الحاضرة فما زال الرُّمان يَحمِل معانيَ رمزيَّةً قويَّةً عند الأرثوذكس اليونانيّين، إذ يضعونه كتقليدٍ على موائدهم يومَي عيد الميلاد وعيد العذراء، كما أنَّهم يرمون حبوب الرُّمان على نعوش الموتى خلال المَراسِم التَّأبينيَّة.

**- في أميركا الجنوبيَّة:**

**سيِّدة الملائكة في Costa Rica**: دُعيت سيِّدة الملائكة لأنَّها وُجِدت في اليوم الّذي فيه كان الرّهبان الفرنسيسكان يحتفلون بعيد سيِّدة الملائكة. أمّا قصَّة إيجادها العجائبي فتعود إلى صباح الثّامن من شهر آب من العام ١٦٣٥، حينما كانت إمرأةٌ سوداءٌ تَجمع حطباً قرب بيتها فوجدت تمثالَ السَّيدة السَّوداء على صخرةٍ فظنَّتها "دُميَةً". أخذتها

المرأة إلى بيتها ووضعتها في صندوقٍ لأنَّها لم تعرف من تكون. مَرَّت الامرأة بعد الظُّهر فوجدت على الصَّخرة نفسها "دُميَةً" فظنَّت أنَّها واحدةً أخرى، فأخذتها إلى بيتها فوجدت أنَّ الأولى قد اختفت. في اليوم التّالي أيضاً لاحظت وجودَ "الدُّمية" ذاتها فحملتها إلى بيتها لتجد أنَّ السّابقة ليست في الصُّندوق. فابتدأت تُدرك أنَّ التِّمثال ليس مجرَّد "دُميةً" لأنَّه يملك قوَّةً خارقةً ليعود إلى الصَّخرة. فأصابها خوفٌ دفعها لتُسلِّم التِّمثال إلى أقرب كاهنٍ في المنطقة والّذي بدوره وضع السَّيدة في صندوقٍ وكما في السّابق عادت إلى صخرتها. فهم النّاس حينها بأنَّ ملكة السَّماء تُريد بناءً مُكرَّساً لها فوق الصَّخرة الّتي ما زالت إلى اليوم موجودة في البازيليك المكرَّس لها.

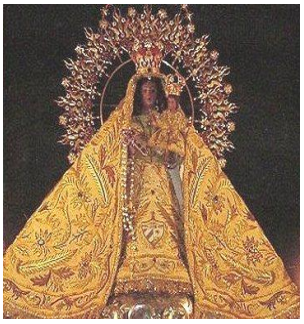

**سيِّدة المحبَّة في Cuba**: يؤمن أولاد هذه السَّيدة هنا بوجودِ علاقةٍ بينها وبين أمٍّ سوداءٍ أُخرى غير مسيحيَّة، وهي تُعبَد في الوقت ذاته كالأمّ الإلَهة مريم الكاثوليكيَّة، وكإلَهة الحبّ والمياه الحُلوة والذّهب الوثنيَّة يامايا الأفرو- كوبيَّة الّتي سبقت السَّيدة الكاثوليكيَّة في الوصول إلى كوبا من أفريقيا .لا تجد الكنيسة الكاثوليكيَّة مانعاً في هذه "التَّوفيقيَّة" ما دام أنَّها تَزيد من أعداد أتباعها من غير المسيحيّين مُزدَوِجي الإيمان والعقيدة. أمران يجمعان الإلَهَتان في كوبا، الأمر الأوَّل هو أنَّ التِّمثال الكاثوليكي يلبس ثوباً من اللّونين الأصفر والمُذَهَّب اللّذان هما لَونا السَّعادة عند الإلَّهة الأفريقيَّة، أمَّا الأمر الآخر الّذي يجمع بين مريم الكاثوليكيَّة والإلّهة الأفريقية فهو الماء، فالإثنتان لهما علاقةٌ بالماء، إذ أنَّ سيِّدة كوبا الكاثوليكيَّة وُجِدت في ماء البحر بينما الإلَهة الأفريقيَّة هي إلَهةُ الماء. تعود قصَّة إيجاد هذه السَّيدة في البحر إلى العام ١٦٠٨ حين كان ثلاثةً من الأولاد في رحلةٍ في زورقٍ، فرأوا من بعيدٍ شيئاً يطفو على لوحٍ فوقَ رغوةِ الماء فاقتربوا منه ليَعرِفوا ما هو، فوجدوا أنَّه العذراء المقدَّسة مع الطِّفل ووجدوا نقشاً على اللّوح الخشبي "أنا عذراءَ المحبَّة"، وقد تفاجأوا لأنَّ ثياب السَّيدة كانت جافَّةً تماماً. فرح الأولاد كثيراً وأخذوا التِّمثال إلى منطقةٍ لا تُريد العذراء أن تكون فيها، فكانت تختفي في اللّيل وتَظهَر في النَّهار. فَهِم النّاس حينها بأنَّ العذراء تريد مكاناً هنا حتَّى تبقى قريبةً من العبيد العاملين في المناجم. بين عامي ١٨٩٥- ١٨٩٨ وقعت حرب الإستقلال بين كوبا وإسبانيا، فصَلَّى رجال الدّين الكوبيون إلى عذراء المحبَّة واثقين من محبَّتها لهم ومن

أنَّها ستقف بجانبهم في الحرب وأسموها "العذراء الثّوريَّة". بعد الانتصار التمس الكوبيّون من الكنيسة الكاثوليكيَّة أن تَعترِف بسيِّدة المحبة كالرّاعية الوطنيَّة لكوبا لأنَّها ساعدتهم في الحصول على استقلالهم. في شهر أيلول من العام ١٩١٦ صَدَّق البابا بنديكتوس الخامس عشر هذا الطّلب وفي العام ١٩٩٨ قام البابا يوحنّا بولس الثّاني بتتويجها (يَظهر وهو يضع التاج على رأسها في الصُّورة المُرفَقة).

**- في أفريقيا:**

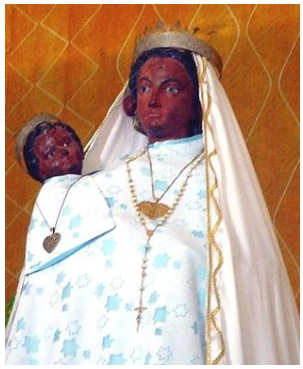

**سيِّدة النَّجاة في Popenguine**: في عام ١٨٨٧، زار الأسقف بيكاردا كهنة إرسالية الرّوح القدس الكاثوليكيَّة في السِّنغال، ليَحضُرَ عِمادة المُنتَقلين إلى الكاثوليكيَّة. تَمشَّى الأسقف مع الكَهنة على طولِ السّاحل، وحين رأى جَمال المكان قال: "هذا المكان الجميل يجب أن يكونَ مكاناً للعذراء". إبتدأ العمل في بناء معبدٍ للعذراء بعد أن تَبرَّع أحد المُهندسين البريطانيّين بالتَّصميم الهندسي الخارجي، وبتصميم تمثال السَّيدة السَّوداء الّذي وُضِع في مكانه عام ١٨٨٨ يوم عيد العنصرة. تعرَّض المكان لاحقاً للنَّكسات بسبب انهيار البناء وإصابة النّاس بالأمراض وغَرَقِ الأسقف مع ستة عشر راهباً معه في البحر. بُنِي لاحقاً معبدٌ جديدٌ زاره البابا يوحنّا بولس الثّاني الّذي يظهر في الصُّورة في العام ١٩٩٢ وتَوَّج سيِّدة النَّجاة. يأتي عشرات الآلاف من الحجّاج سنويّاً يوم عيد العنصرة ليحتفلوا بعيد السَّيدة ويقدِّموا ولاءهم لها.

وكما رافقت الخُرافات والأكاذيب ظهور تماثيل وصُوَرالسَّيدة السَّوداء مع الطِّفل في الكنيسة الكاثوليكيَّة، رافقت الخُرافات والأكاذيب ذاتها ظهور أيقونات السَّيدة

السَّوداء في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، لأنَّه كما يبدو فإنَّهما توأمٌ مُتَّحدٌ بجسدٍ واحدٍ، له خصائصَ وأهدافٍ واحدةٍ لكن برأسين. القصَّة التّالية تؤكِّد ما نقول.

**- في روسيا:**

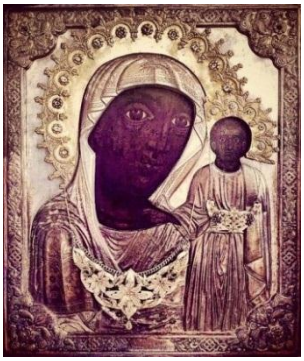

**سيِّدة Kazan**: يقول البعض أنَّ وجودها يعود إلى القرن الثّاني عشر، لكنَّ البعض الآخر يعتقد بأنَّها أيقونةً بيزنطيَّةً من القسطنطينيَّة. إحتل التَّتَر المغول المنطقة في سنة ١٢٠٩، فأختفت الأيقونة لتعود بعد ثلاثة قرون إلى الظُّهور في الوقت الّذي قام فيه القيصر إيفان الرَّهيب بتحرير المنطقة من التَّتَر. في عام ١٥٧٩ التهمت النّيران مدينة قازان وكان من ضمن بيوتها المحترقة بيتٌ لجنديٍّ اضطر لترك بيته مع عائلته إلى منطقةٍ أخرى. وبينما كانوا في الطّريق ظَهرَت السَّيدة على طفلته البالغة اثني عشر عاماً، وطلبت منها أن تُخبر النّاس بأنَّ أيقونتها مدفونةٌ تحت خَراب بيتهم العائلي المُحترِق. لم يُصدِّق النّاس أقوال الطِّفلة وظَنّوا بأنَّها لا تزال تحت تأثير الصَّدمة بسبب ما حدث معهم. ظَهرت السَّيدة مرَّةً ثانيةً في حلم للطِّفلة وطلبت منها ما طَلبته قبلاً لكنَّ الطّفلة لم تُخبِر أحداً. ثمَّ ظهرت السَّيدة مرَّةً ثالثةً على الطِّفلة وأعطتها رؤيا عن لمعانٍ يَشعُّ من الأيقونة وقالت لها مُهدِّدةً إيّاها: "إن لم تُعلِني ما أقوله لكِ سأظْهرُ في مكانٍ آخر، وسَتَحِلُّ بكِ مصيبةٌ عظيمةٌ". أسرعت الطِّفلة إلى الحاكم وإلى رئيس الأساقفة والنّاس وأخبرتهم فلم يُصدِّقوها. استنجدت الطِّفلة حينها بأمِّها لمرافقتها إلى بيتهم المحروق فَقبِلت الأمّ مُرافقتها على مَضَضٍ لتوقِف بكاءها المُستمر. ابتدأتا في الحفرِ حتَّى وصلتا إلى الصُّورَة المُقدَّسة للسَّيدة، فوجدتاها ملفوفةٌ بقماشٍ قديمٍ ولم يكن قد أصابها أيِّ ضرر. إقتنع النّاس والإكليروس حينها بالرِّسالة الّتي حَملتها الطِّفلة لهم وبالقُدرة الخارقة للأيقونة إذ صَلَّى أمامها أعميان فأعادت لهما البصر، فأنتشرت سمعتها كالأيقونة الّتي تُعطي البَصر للعميان، وأقيم لها مسيراتٍ احتفاليَّةٍ. في العام ١٦٠٥ إندلعت الحرب الرّوسيَّة البولنديَّة فاحْتَلَّ البولنديون موسكو، وأعلن الملك البولندي الكاثوليكي عدوِّ الأرثوذكسيَّة الرّوسيَّة نفسه قيصراً على روسيا. إتَّحَد الشَّعب الرّوسي ضدَّه تحت رايةِ السَّيدة والدة الإلَه في قازان، فظهرالقدِّيس سِرجيوس على الأسقف ليُخبِره بأنَّ السَّيدة سوف تتدخَّل في المعركة لصالحهم، وأنَّها قد أُرسِلَت إلى موسكو لتقود

المُقاومة ضد البولنديين. حُرِّرت المدينة بفضل شَفاعةِ وقُدرةِ السَّيدة فأُعطِيَت لقب "مُحرِّرة روسيا".

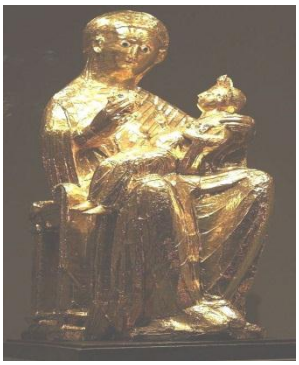

بعدما إنتهينا من موضوع الأمّ والطِّفل الأسوَدين ننتقل إلى موضوع الأمّ والطِّفل الذَّهبيّين. فقد وُجِد هذا التِّمثال في جزيرة كوكاس في المحيط الهادي، وكان جزءاً من كنزٍ كبيرٍ يتضمَّن عملاتٍ وقوالبٍ وشمعداناتٍ وصلبانٍ من ذهبٍ وفضَّةٍ، بالإضافة إلى الجواهر الثَّمينة قُدِّرت قيمته بملايين الدّولارات الأميركيَّة. يَزِن التِّمثال وحده ٨٤،٧ كيلوغرام من الذّهب الخالص. هذا الكنز كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة قد جَمَّعته في ليما حين غزتها في القرن السّادس عشر، بغطاءٍ من قوّات الجيش الإسباني الّذي هرب أثناء الثّورة عليه، فتمَّ السَّطو على الكنز من اللّصوص ونُقِل إلى جزيرة كوكاس حيث دُفن هناك، إلى أن عُثِر عليه بالصُّدفة في عام ١٩٧٨.

منذ نشأتها، قامت الكنيسة الكاثوليكيَّة بالعمل على تَسلُّطِ رجال الدّين على عقول النّاس والإمساك بطريقة تفكيرهم، من خلالِ زرعِ أفكارٍ وعقائدٍ مُهلِكةٍ في عقولهم منذ الصِّغَر، وضعتها في تقليدٍ مملوءٍ بتعاليم مُنحَرِفةٍ عن التَّعليم الصَّحيح الموجود فقط في الإنجيل، فأصبحوا لا يستطيعون إلاّ بأن يقولوا آمين دون مناقشةٍ أو اعتراضٍ على كلّ ما يقوله لهم أيّ رجلَ دينٍ، أكان صِدقاً أو كذِباً، خطأً أو صواباً، فيه الحقّ أم الباطل، الضَّلال أم الإهتداء. أكان مع الخضوع لكلمة الله أو التَّمرد عليها، مع الطّاعة لإرادة المسيح أو عصيانها. فلهذا السَّبب لا تَسأل النّاس أبداً إن كانت عبادتها للأمّ والطِّفل الوثنيَّين المُمَسْحَنان بإسْمَين مسيحيَّين هي بحسب إرادة الله وإطاعةً لمشيئته، أو هو تَمرُّدٌ يُشبه التَّمرد الّذي صنعه نمرود حين قاد شعب بابل في طريق التَّمرد على الرَّب. في الحقيقة إنَّ ما فعله نمرود في الماضي في بابل القديمة، تفعله الكنيسة الكاثوليكيَّة أي "بابل الجديدة"، من خلال قيادتها النّاس وتوجيههم إلى عبادة الأمّ

والطّفل الكاثوليكيين المدعُوَين "الأمّ مريم والطّفل يسوع" بشكلٍ عام، وبعبادتهما بالأشكال السَّوداء الغريبة والمُرعِبة الّتي رأيناها بشكلٍ خاصٍ.

إن مرَرت أيّها القارئ العزيز اليوم أو غداً، أمام تمثال الأمّ والطِّفل الّذي أصبحتَ الآن تعرفَ أصْلهُ وكيفيَّة وصوله إلى نظام عبادةٍ وثنيَّةٍ مُمَسْحَنَةٍ قد تكون أنت تُمارسها الآن، قِف وفكِّر مليّاً وخذ القرار الصّائب بتركِ هذه العبادة المُهينة أوّلاً للرَّب يسوع المسيح، وثانياً لمريم العذراء المُبارَكة الّتي وُلد منها، لأنَّهما في هذه العبادة ليسا إلاّ أمّاً كبيرةً وعظيمةً تحمل طفلاً صغيراً وضعيفاً لم ولن يكبُرَ.

سؤالٌ أخيرٌ اسأله لكلَّ عاقلٍ تخطَّى سن الطّفولة وأصبح في سِنّ الشَّباب، أو متقدِّماً في السِّن. هل تقبل بأن يأتي نحّاتٍ أو صانعَ تماثيل ويعرضَ عليك بأن يصنع تمثالاً لأمٍّ وطفلٍ، ليُمثِّلكَ به طفلاً صغيراً تحمله أمّه على ذراعها ؟ طبعاً جوابكَ سيكون **لا**، لأنَّك ستعتبر هذا التَّمثيل بمثابةِ إهانةٍ كبيرةٍ لكَ. إذاً فكيف ما لا تقبله أيُّها الإنسان على نفسك تَقبله على خالقك الّذي سَتُعطيه حساباً عمّا صنعته في حياتك أكان خيراً أو شرّاً؟ لذلك إعلم أيّها القارئ العزيز بأنَّك إن تماديت في إهانة خالقك بدون أن تتوب وترجع عن هذا الشَّر العظيم فسيضعك هذا التَّمادي في حالةٍ من الرُّعب واصْطِكاك الرُّكَب أمامه في يوم الدَّينونةِ الأكيدةِ أمامَ عرشهِ الأبيضِ العظيم، حيث لن ترى أمامك طِفلاً تحمله أمَّهُ، بل ربّاً أزليّاً يَحمل جميع الأشياء بكلمة قدرته، وإلهاً أبديّاً يملأ حضوره ومجده السَّموات والأرض، وأمامه تَسجد جميع البرايا والمخلوقات ومن ضِمنهم أنتَ، والّذي ستسمعه يقول عنك لملائكته أُربطوا يديه ورجليه واطرحوه في الظّلمة الخارجيَّة، حيث يكون البكاء وصرير الأسنان إلى أبد الآبدين.

الفصل الثَّالث

## ألإلَهَة الأُمّ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة

لَعِبَت الأمومة دوراً مُميَّزاً في تاريخ البشريَّة القديم والحديث، فكان تأثيرها واضحاً في حياة البشر الدنيويَّة والدينيَّة على حدٍّ سواءٍ، وانعكس هذا التّأثير بقوَّةٍ على مفاهيمهم وأفكارهم وتَصوُّراتهم، فابتدعوا مَن أسموها "الإلَهة الأمّ"، وآمنوا بها مع أنَّهم هم الّذين أوجدوها، وجَسَّدوها بمنحوتاتٍ ورسومٍ أُنثويَّة بأشكالٍ وثنيَّةٍ متعدِّدَةٍ، وأسموها بأسماءٍ مختلفةٍ، كلٌّ بحسَبِ لغَّتهِ، وأعطوها ألقاباً إلَهيَّةً، وبنوا لها الهياكل والمعابد ليُعظِّموها ويعبدوها. فكان لكلِّ شعبٍ وثنيٍ إلَهةً أمّ يَعبُدها وكانت تَعبُر أحياناً من شعبٍ إلى شعبٍ آخرَ، ومن حضارةٍ إلى حضارةٍ أخرى، وتُعطى إسماً آخرَ. ولكي نعرِف أين ظَهَرت الإلَهة الأمّ أوَّلاً في التَّاريخ البشري، علينا أن نعود إلى الرَّحم الّذي وُلِدت منه الوثنيَّة، أي إلى بابل القديمة، ولكي نعرف أين أصبحت عبادتها في أيَّامنا الحاضرة، علينا أن نَذهب إلى "بابل الجديدة" الّتي ذُكِرَت في الكتاب المقدَّس، وألمكتوب على جبهتها إسمٌ :"سرٌّ. بابل العظيمة أمُّ الزَّواني ورجاسات الأرضِ" (رؤيا ١٧:٥). لكن قبل أن نصل إليها دعونا نعود في التّاريخ إلى الوراء حتَّى نَعرف كيف بدأت وتَطوَّرت واستمرَّت عبادة الإلَهة الأمّ بين الشُّعوب الوثنيَّة بأسماءٍ مختلفةٍ فيما بينهم. ومن بابل القديمة نبدأ

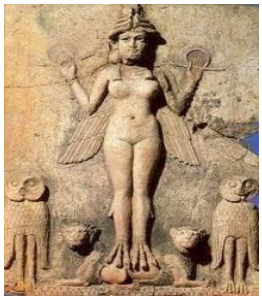

- دُعِيت الإلَهة الأمّ عشتار في بابل، وكانت إلَهة الخصب والجمال والعطاء وأُعطيت لقَبَ "ملكة السَّماء"، وكان البابليّون يعتبرونها الأمّ الحنونة عليهم. كانت عشتار من الشَّخصيات الأكثر شهرة في المجتمع الإلَهي البابلي، وأعظم الإلَهات وأسماهُنَّ منزلةً. ثمَّ أصبحت أصْلَ جميع الإلَهات الأمّ الّتي عبِدَتها الشُّعوب الوثنيَّة بأسماءٍ أخرى على مرِّ الحِقب التَّاريخيَّة اللاحقة. كانت النَّجمة ذات الثّمانيةِ أضلعٍ أحَد رموزها كما أُطلِق اسْمها على إحدى أشهر بوّابات بابل الّتي دُعِيت "بوّابة عشتار".(تَظهر في الصُّورة المُرفقة)

- دُعِيت الإلَهة الأمّ إينانا في سومَر. لقبَّها السُّومريون بملكة السَّماء ونور العالم والإبنة الأولى للقمر والرّاعية المُقدَّسة لأولادها، وعظَّموها كنَجمةَ الصُّبح والمساء. بُنيَ لها معبدٌ رئيسيٌّ في مدينتها المقدَّسة أورك، سكنتهُ كاهناتٌ مُكرَّساتٌ لعبادتها، عدا عن بناء الأضرحة والمعابد لها على طولِ نَهرَي دجلة والفرات.

- دُعِيت الإلَهة الأمّ عشتروت عند الفينيقيّين، وقد عبدوها في لبنان وسوريا ومصرَ كإلَهة الخصب والقمر، ولقبّوها بسيِّدة البحر. ثمَّ انتشرت عبادتها إلى إيطاليا وقبرص واليونان حيثُ بُنيت لها أعظم المعابد، وفُرِض على كهنتها وكاهناتها الإمتناع عن الزَّواج. كان الفينيقيّون يُكرِّمون عشتروت بتخصيص يومٍ معيَّنٍ أو أسبوعٍ معيَّنٍ في السَّنة ليحتفلوا به بعيدها بإقامة الاحتفالات الدينيَّة الّتي يتوافد النّاس لحضورها من مختلف المناطق. إنتقلت عبادتها إلى الإسرائيليّين في عهد الملك سليمان الّذي تأثَّر بطقوس عبادتها (١ملوك اصحاح ١١). لكن عندما أتى الملك يوشيّا بعده حَرَّم عبادتها تحريماً كاملاً (٢ملوك اصحاح٢٣). يجد الزَّائر إلى قلعةِ مدينة جبيل الأثريَّة، معلوماتٍ في داخلها عن الإلَهة الأمّ عشتروت الّتي عُبِدت في جبيل في أيَّام الفينيقيّين، والّتي لَعِبت دوراً مُميَّزاً في مَجمَعِ آلِهةِ جبيل، وحَملت لقَب **"السَّيدة"**. كرَّس لها ملوك جبيل معبداً ضخماً لأنَّهم كانوا يؤمنون بأنَّها تَحميهم وتَضمَن سلطتهم، وكانت النّاس تأتي من كلِّ حَدبٍ وصَوبٍ لزيارتها لتقديم الإكرام والعبادة لها طالبين شفاعتها وبركتها على حياتهم. في أيّامنا الحاضرة، يُطْلِق النّاس لقب **"السَّيدة"** على الإلَهة الأمّ الكاثوليكيَّة مريم، ويقومون بزيارة معابدها لتكريمها طالبين شفاعتها وبركتها، تماماً كما كان يفعل أسلافهم الفينيقيّون مع الإلَهة الأمّ عشتروت.

- دُعِيت الإلَهة الأمّ إيزيس في مصر، حيث كانت أقدم وأعظم إلَهات مصرَ القديمة، وقد حَمَلت ألقاب أمّ الإله، وسيِّدة البحر، وسيِّدة الحياة، وسيِّدة الأنهار، وسيِّدة الرُّعود، وسيِّدة القَدَر. حازت إيزيس على مكانةٍ مميَّزةٍ في المجتمع الإلهي المصري القديم، ومُثِّلَت حاملةً علامةَ العرشِ على رأسها وأحياناً كانت تُلَبَس تاجاً عبارةً عن قَرني بقرة يوضع

بينهما قرصٌ يرمز للشَّمس. أصبحت عبادتها عالميَّةً في الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة وانتشرت تماثيلها ومعابدها في روما واليونان وبلاد الغال (فرنسا حاليّاً)، وفي ألمانيا والمَجَر وباقي مُدن البحر الأبيض المُتوسِّط.

- دُعِيت الإلَهة الأمّ فينوس عند الرّومان الّذين بدأوا في عبادتها في الخامس عشر من شهر آب من عام ٢٩٣ قبل الميلاد، واعتبروها الأمّ الحامية لشعب روما، وسكُّوا صورتها على عملتهم، وأطلقوا اسمُها على كوكب الزَّهرة. قام الإمبراطور هادريان ببناء معبدٍ عظيمٍ وفخمٍ لها على أرض قصر نيرون الذّهبي في عام ١٣٥م. حملَت فينوس ألقابَ إلَهةَ كلّ النّاس وساكنةَ السَّماء. كانت مدينة كورنثوس المركزَ الرّئيسيُّ لعبادتها وكان اليَمام والرُّمان والأوَّز من رموزها .

- دُعِيت الإلَهة الأمّ أرطاميس عند الإغريق. وكانت بالنِّسبة لهم إلَهة الأمومة والبتوليَّة والخُصوبة والقمر وشفيعة الأرض كلِّها، كما اعتُبِرَت حاميةُ الأطفال والمُساعِدَة للحبالى في ساعة الولادة، وجُسِّدت حاملةً أثداءً كثيرةً بارزةً على جسدها في رمزٍ لخصوبتها، وأحياناً جُسِّدت مع برجٍ على رأسِها يقول البعض أنَّه يرمز إلى برج بابل. إنتشرت عبادة أرطاميس بشكلٍ كبيرٍ في آسيا الصُّغرى(تركيا حاليّاً). وممّا يُبيِّن مدى التزام الشَّعب الإغريقي بعبادتها فقد بنى لها هيكلاً في مدينة أفسس، كان يُعتبَر من إحدى العجائب السَّبع في العالم القديم. كما صَنع الصّاغة تماثيلٌ صغيرةٌ من الفضَّة تُجسِّد سُكنى هذه الإلَهة الأمّ بينهم ليبيعوها الى الحجّاج كبركةٍ من هيكلها يحملوها معهم إلى بلادهم البعيدة، لتُبارِك بيوتهم أو ليدفنوها مع موتاهم في قبورهم، وبذلك يكونون على يقينٍ تامٍ من حضورها الدّائم معهم. وعندما وصل بولس الرَّسول إلى أفسس ليُبشِّر بالإنجيل، تَواجَه مباشرةً مع هؤلاء الصّاغة الّذين كانوا يجنون الأرباح الطّائلة من بيع تماثيل أرطاميس، فامتلأوا غضباً عندما قال لهم بولس أنَّ الّتي تُصنَعُ بالأيادي ليست آلِهةً، وهيَّجوا الجَّمْع عليه. وطفقوا يصرخون عظيمةٌ هي أرطاميس الأفسُسيّين على مدى ساعتين

دون توَّقف. حذَّر بولس بعدها قسوس كنيسة أفسس من الذِّئاب الخاطفة الّتي ستدخل بينهم، والّتي لا تُشفق على الرَّعية. أكدَّت الوقائع اللاحقة كلام بولس حين احْتَضَنت أفسس في عام ٤٣١م، المجمع المسكوني الثّالث الّذي اتَّخذَ قرارَ استبدال عبادة الإلَهة الأمّ الوثنيَّة القديمة بعبادة الإلَهة الأمّ مريم الكاثوليكيَّة الجديدة. وإلى اليوم، لا يزال عابدو هذه الإلهة الأمّ الجديدة يصنعون تماثيلٍ لها يجنون منها الأرباح الطّائلة، ويَدَّعون بأنَّها تُبارِك المكان الّذي تُوضَع فيه، تماماً كما صَنع وادَّعى الّذين عبدوا أرطاميس في أفسس من قبلهم.

- دُعِيت الإلَهة الأمّ سيبَل أوَّلاً في فريجيَّة ومن ثمَّ في اليونان، ثمَّ أُخِذَت إلى روما عام ٢٠٤م. كانت عبادة سيبَل عبادةً غامضةً تتَضمَّن أسراراً وممارساتٍ غريبةٍ، يقوم خلالها الكهنة والكاهنات المُكرَّسون لها، بجرحِ أجسادهم خلال بعض الطّقوس السِّرية الّتي ترافقها الموسيقى الصّاخبة والغناء والرَّقص المَسعور. أعلن أوغسطس قيصر أنَّ الإلَهة الأمّ سيبَل هي أعلى الآلِهة في روما، أمّا عمَّهُ يوليوس قيصر فكان يميل إلى الإلَهة الأمّ العظيمة إيزيس.

هنا قد يَطرَح البعض هذا السُّؤال البديهيّ، أين أصبحت اليوم تلكَ الإلَهة الأمّ القديمة الّتي خُلِقَتْ في بابل القديمة وعبدها ملايين من البشر لاحقاً - إن كانت معَ طِفلٍ أو من دونهِ - في ديانات الوثنيَّة والمثليَّة الدينيَّة منذ فجر التّاريخ البشري بأسماءٍ مختلفةٍ قد ذكرنا البعض منها؟ الجواب هو أنَّ عشتار اضْمَحلَّت، وعشتروت زالت، وإينانا اختفت، وفينوس اندثرت، وأرطاميس انمَحَت، و كلّ الإلَهات الأمّ الباقيات فُقِدْنَ، أمّا الإلَهة الأمّ إيزيس الوثنيَّة الّتي كانت تُعَبد في روما فقد تمَّت مَسْحَنتُها بتسميتها بالإلَهة الأمّ مريم الكاثوليكيَّة، الّتي تُعْبَد اليوم في بابل الجديدة!!.

إبتدأت عبادة مريم الكاثوليكيَّة الّتي نعرفها من خلال ما كُتِبَ عنها في التَّقليد الكاثوليكي في روما بدلاً من عبادة إيزيس (كما رأينا في الفصل الثّاني في موضوع الأمّ والطّفل)، ثمَّ أُعطِيَت لقب "أمّ الله" لاحقاً في أفسس. بينما مريم الّتي نعرفها من خلال الإنجيل فقد عاشت من قبلِ ظُهور مريم الكاثوليكيَّة بمئات السِّنين، ولا يوجد أيِّ شَبَهٍ أو ارتباطٍ للإثنَتينِ مع بعضهما البعض لا من قريب ولا من بعيد. ولكي نعرف الفرق بين الإثنَتين وبهدفِ قول الحقيقة ووضع الأمور في نصابِها الصَّحيح،

سنقوم بقراءةٍ مُتأنِّيةٍ وعميقةٍ للكلمات المكتوبة في الإنجيل، نُرْفِقُها بتحليلٍ واقعيٍّ ومُعَمَّقٍ للوقائع المُعْلَنَة فيه عن مريم الحقيقيَّة ،أمّ يسوع. ومن ثمَّ ننتقل إلى الكلام عن مريم الكاثوليكيَّة ،"أمّ الله".

**مريم أمُّ يسوع في إنجيل متَّى:**

يبدأ الإنجيلي متَّى بالكلام عن مريم، فيقول بأنَّها عندما كانت مخطوبةً لرجلٍ يُدعى يوسف وُجِدَت حُبلى من الرّوح القدس من قبلِ أن يجتمعا، فقرَّرَ يوسف تركها سرّاً بدون أن يُشَهِّرها. لكن ملاك الرَّب ظهر لهُ في حلمٍ وقال له: "يا يوسف ابْنَ داود، لا تَخف أنّ تأخُذ مريم امرأتكَ. لأنَّ الّذي حُبِلَ به فيها هو من الرّوح القدس. فستَلِدُ ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأنَّه يُخلِّص شعبهُ من خطاياهم". وهذا كلَّه كان لكي يتمَّ ما قيل من الرَّب بالنَّبي القائل: "هوَذا العذراء تَحبَل وتَلِد ابناً، ويَدعون اسمه عِمَّانوئيل" الّذي تفسيره الله معنا. فلمَّا استيقظ يوسف من النّوم فعل كما أمَرهُ الملاك وأخذ مريم امرأتهُ. وعندما وَلَدَت ابنها البِكر، دعا اسمه يسوع. بعد ولادة يسوع أتى المجوس من المشرقِ يَهديهم نجمٌ في السَّماء حتّى جاء ووقف حيث رأوا الصَّبي مع مريمَ أمِّهِ. فخرّوا وسجدوا **لهُ** (وليس لهُ ولأمّه). ثمَّ فتحوا كنوزهم وقدَّموا **لهُ** (وليس له ولأمّه) هدايا: ذهباً ولُباناً ومُرّاً.

ثمَّ يَذكُر متَّى مريم في حادثةٍ لنا فيها درسٌ عميقٌ فيقول: بينما كان يسوع يُكلِّم الجموع إذا أمُّهُ وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلِّموه. فقال له واحدٌ: "هوذا أمُّكَ وإخوتكَ واقفون خارجاً طالبين أن يُكلّموك". فأجاب وقال للقائل له: "من هي أمِّي ومن هم إخوتي؟". ثمَّ مدَّ يده نحو تلاميذه وقال: "ها أمِّي وإخوتي. لأنَّ من يصنعُ مشيئةَ أبي الّذي في السَّماوات هو أخي وأختي وأمّي"!. فلو كان يسوع يريد أن يُعطي أمُّهُ مريم مكانةً رفيعةً ومُرتَفِعةً عن مكانةِ بقيَّة البشر بالنسبة لهُ، لكان قام مُسرعاً ودعاها لِتَقِفَ في وسطِ الجموع، ولَقالَ لهم: "هذه أمِّي وأمَّكم وأمّ المسكونة كُلّها". لكنَّه أعطى هنا درساً للأجيال القادمة، بأنَّ مريم أمّه هي على مستوى واحدٍ مع كلّ الّذين يصنعونَ مشيئةَ الآب السَّماويّ، كما أنَّها لا تتمتَّع بمركزٍ خاصٍ ومُميَّزٍ يُعطيها إمتيازَ الدُّخولِ إلى محضرهِ ساعةَ تشاء، وبشكلٍ يختلفُ عن بقيَّة النّاس. وقد أتت كلماته هذه تحذيراً وتوبيخاً إستباقيَّينِ لكلِّ من يريد أن يُعطيها مركزاً ليس لها.

أيضاً يذكر متّى أمراً آخر في إنجيله لنا فيه عِبرَةً مُهمَّةً. فيقول إنَّه عندما جاء يسوع إلى وطنه كان يُعلِّمُهُم في مجمعهم حتَّى بُهِتوا وقالوا: "من أين لهذا هذه الحكمة

والقوَّات؟ أليس هذا ابن النَّجار؟ أليست أمُّهُ تُدعى مريمَ وإخوتُه وأخواتُه جميعهم عندنا، فمن أين لهذا هذه كلُّها؟". فكانوا يعثرون به. أمَّا يسوعُ فقال لهم: "ليس نبيٌّ بلا كرامةٍ إلاَّ في وطنه وفي بيته"، ولم يصنع هناك قوَّاتٍ كثيرةً لعدم إيمانهم". إذاً كان يسوع وبشهادةِ أهلَ وطنهِ فريداً ومُميَّزاً بالحكمة والقّوات عن بقيَّة أفراد عائلته، ومن ضمنهم أمُّهُ. إنَّ العِبرة الّتي نأخذها ممّا قاله يسوع هنا، هي أنَّه لم يَخُصَّ أمّهُ مريم بالحكمة الّتي كان يملكها ولا بالقُوَّات الّتي كان يصنعها، وإلاَّ لكان أهلَ وطنهِ لاحظوا هذا الشّيء فيها أيضاً وتَكلَّموا عنها.

يَتضمَّن إنجيل متَّى ألفاً وتسعاً وستّين آية لم تُذكَر مريم إلاَّ في عشرين آيةً منها فقط.

**مريم أمُّ يسوع في إنجيل مرقس:**

جاء ذِكرَ مريم في إنجيل مرقس مرَّتين، المرَّة الأولى حين أتت مع إخوة يسوع ليطلبوه، والمرَّة الثَّانية حين تعجَّب النّاس من الحكمة والقوّات الّتي رأوها في يسوع. يتضمَّن إنجيل مرقس ست مئة وسبعاً وسبعين آية، سبعٌ منها فقط تتكلّم عن مريم!.

**مريم أمُّ يسوع في إنجيل لوقا**

تكلَّم لوقا الإنجيلي بإسهاب عن مريم أكثر ممّا تكلَّم بقيَّة الإنجيليّين عنها، ويُقال إنَّه أخذ المعلومات الّتي وضعها في إنجيله من مريم شخصيّاً. فيبتدئ بالكلام عن الملاك جبرائيل الّذي أرسَله الله إلى مدينة النّاصرة، إلى عذراءَ مخطوبةٍ لرجلٍ من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراءِ مريم. فدخل إليها الملاك وقال: "سلامٌ لكِ أيَّتُها المُنعَمُ عليها، الرَّبُّ معكِ. مُبارَكةٌ أنتِ في النِّساء". فلمّا رأته اضطربت من كلامه، وفكَّرت: "في ما عسى أن تكون هذه التَّحيَّة!" فقال لها الملاك: "لا تخافي يا مريمُ، لأنَّكِ قد وجدتِ نعمةً عند الله. وها أنتِ ستحبَلينَ وتَلِدين ابْناً وتُسمِّينه يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العليِّ يُدعى ويُعطيهِ الرَّبُّ الإلَه كرسيَّ داود أبيه، ويَملكُ على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكِه نهايةٌ". فقالت مريم للملاك: "كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً؟" فأجاب الملاك وقال لها: "الرّوح القدس يَحِلُّ عليكِ، وقوّة العليّ تُظَلِّلُك، فلذلك أيضاً القدُّوسُ المولودُ منك يُدعى ابْنَ الله".. فقالت مريم: "هوذا انا أمَةُ الرَّبِّ. لِيكُن لي كقولِكَ".

هنا نَودُّ أن نسألَ من يستطيع أنّ يُجيبنا بحكمةٍ وفهمٍ. ما الّذي كان سيحدث لو أنَّ مريم قالت للملاك جبرائيل: **"لا**، أنا لن أقبلَ بهذه المَهمَّة الصَّعبة وأريدُ أن أعيشَ حياتي الخاصَّة كأيِّ امرأةٍ أخرى"؟ فهل كان سيُصاب الله بالإحباط لأنَّ خطَّته الّتي وضعها منذ الأزل لخلاص بني البشر من خلال تجسُّد ابنه الحبيب من عذراءٍ قد باءت بالفشل، وبالتّالي سيهلكون جميعهم بدون أيِّ رجاءٍ لهم بالخلاص؟ وهل كانت مريم بالِنسبة إليه مركزَ الكونِ كلّهِ وعلى **"نَعَمِهَا"** يقوم خلاص الخليقة كلّها؟ وهل كان سيستحيل عليه أن يَجِد عذراءَ أخرى مؤمِنَةً من شعبه - ليس مُهمّاً ما هو اسْمها- لتَحمِل بإبنِهِ القدّوس الّذي اسمه عمَّانوئيل، الإسم الّذي لا يوجد أعظمَ منه بين كلّ أسماء بني البشر، أيّ الله معنا؟

يعتقد من يَدعُون أنفسهم **"أولاد مريم"**، بأنَّ مريم أمُّ يسوع قد أخذت من الرَّب ما لم يأخُذه أيّ إنسانٍ آخر، لأنَّها وبحسب رأيهم المُقاد بتعاليم مُعلِّميهم هي مُختلِفةٌ عن بقيَّة البشر، ومُمتلِئة بالنِّعَم، ومُبارَكَةً ببركاتٍ مُميَّزةٍ عن الآخرين. لكنَّ القارئ لكلمة الله بقلبٍ صادقٍ وبذهنٍ نقيٍّ وببصيرةٍ مُستنيرةٍ، يرى بأنَّ ما حدث مع مريم قد حدث أيضاً مع الكثيرين من الّذين عاشوا قَبلها ومع الّذين أتوا بَعدها، ولو بطرقٍ مختلفةٍ بحسبِ مشيئة الله وقيادته في الزَّمان والمكان المُناسِبَين، لتتميم مقاصدهُ الأزليَّة في حياة البشر الزَّمنيَّة. فلو دقَّقنا في الكلمات الأولى للملاك جبرائيل لمريم لوجدنا أنَّه قال لها سلامٌ لكِ، وليس السَّلام عليكِ. وقال لها أيَّتُها المُنْعَمُ عليها وليس المُمتَلئة نِعمةً كما يعتقد الكثيرون بسبب تحريف المُحرِّفين للنصِّ الحقيقيّ لغايةٍ معروفةٍ في أنفسهم. وللتّوضيح نقول إنَّ المملوء كلّ نِعمةٍ، والمُعطي كلّ نِعمةٍ، ولأجله تُعطى كلّ نعمةٍ، هو الرَّب يسوع **وحده** وليست أمّه. وهذه بعض من آيات الإنجيل الّتي تُثبِت صحَّة ما نقوله:

- في البدء كان الكلمةُ، والكلمةُ كان عند الله، وكان الكلمةُ الله... والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجدهُ مجداً كما لوحيدٍ من الآب **مملوءاً نعمة وحقّاً** ... **ومن مِلْئِهِ** نحن جميعاً أخَذنا، **ونِعمةً فوق نِعمةٍ**. لأنَّ النَّاموسَ بِموسى أُعطِيَ، أمَّا **النِّعمةُ** والحقُّ فبيسوع المسيح صارا (إنجيل يوحنّا الإصحاح الأوّل).

- يسوع المسيح ربِّنا. الّذي به، لأجلِ اسْمهِ، **قَبِلنا نِعمةً** ورسالةً... إلى جميعِ الموجودين في رومية، أحبّاء الله، مدعوِّينَ قدِّيسين: **نعمةٌ لكم** وسلامٌ من الله أبينا والرَّب يسوع المسيح (رومية١:٤).

- **نعمةُ ربِّنا يسوع المسيح** مع جميعكم (رومية١٦:٢٤).

- فإنَّكُم تَعرفون **نعمةَ ربِّنا يسوع المسيح**، أنَّه من أجلكم إفتقر وهوغنيٌّ، لكي تَستغنوا أنتم بِفَقرِه (٢كور٨:٩).

- **نعمةُ ربِّنا يسوع المسيح**، ومحبَّة الله، وشركة الرّوح القدس معكم (٢كو١٣:١٤)

- **نعمةُ ربِّنا يسوع المسيح** مع روحِكُم أيُّها الإخوةُ (غلاطية ٦:١٨).

- **نعمةٌ لكم** وسلام من الله أبينا **والرَّب يسوع المسيح** ( كانت إفتتاحية رسائل بولس إلى كنائس أفسس وفيلبِّي و كولوسي و تسالونيكي).

- فَتقوَّ أنتَ يا إبني **بالنِّعمةِ الّتي في المسيح يسوع** (٢تيمو٢:١).

- إلى السَّبع الكنائس الّتي في أسيَّا : **نعمةٌ لكم** وسلام من الكائن والّذي كان والّذي يأتي، ... **ومن يسوع المسيح** الشّاهد الأمين ...(رؤيا يوحنا١:٤).

فلو كانت مريم مُمتلئةً نِعمةً، فلماذا إذاً تكلَّم الإنجيل فقط عن نِعَم الرَّب يسوع المسيح الّتي لا تُعدَّ ولا تُحصى، ولم يتكلَّم عن نِعَمها؟!!.

قال أيضاً الملاك لمريم في النَّص الّذي قرأناه معاً: **الرّبُّ معكِ**. فظنَّ "أولاد مريم" بأنّ الرَّب لم يَكُن ولن يكون إلاَّ مع مريم. لكن بالعودةِ إلى الوحي المُقدَّس نجد بأنَّ مَعِيَّة الرَّب مع شعبه كانت منذ القديم، من قبلِ أن تُولَد مريم بآلاف السِّنين الّتي كان فيها تعبير"الرّبُّ معك" شائعاً بين شعب الله (الإسرائيليّين) في العهد القديم على الشَّكل التّالي:

- الرَّبُّ سائرٌ أمامكَ. **هو يكون معَكَ**. لا يُهمِلكَ ولا يَتركَكَ (التّثنية ٣١:٨).

- ظهر ملاك الرَّب على جدعون وقال له: **"الرَّبُّ معكَ** يا جبّارالبأس" (قضاة٦:١٢).

- وإذا ببوعز قد جاء من بيت لحم، وقال للحصّادين: **"الرَّبُّ معكم** فقالوا له يُبارِكَكَ الرّب" (راعوث٢:٤).

- فقال شاول لداود: "إذهب وليكن **الرَّبُّ معكَ"** (١صمو١٧:٣٧).

- أنَّ الملك داود قال لناثان النّبي: "أنظر إنّي ساكنٌ في بيتٍ من أرز، وتابوتُ الله ساكنٌ داخل الشُّقق. فقال ناثان للملك :"إذهب وافعل كلّ ما في قلبكَ لأنَّ **الرَّبَّ معكَ**" (٢صمو٧:٣).

- "لا تخافوا ولا ترتاعوا. غداً اخرجوا للقائهم و**الرَّبُّ معكم**" (٢اخبار٢٠:١٧).

أيضاً وردت عبارة "مُبارَكةٌ أنتِ في النِّساء" في ما قاله الملاك جبرائيل لمريم. عندما قرأ "أولاد مريم" هذه العبارة، إلتَهبَت مشاعرهم وفاضت خَوابيَ أفكار مُعلِّميهم بأفظع أنواع خمور التَّعاليم المُضَلِّلة عن مريم العذراء المُبارَكة، فأسكروهم وأهلكوهم. لكنَّ السُّؤال الّذي يَطرَح نفسه هنا، هل إنَّ مريم هي الإنسانة الوحيدة المُبارَكة بين البشر؟ يأتي الجواب من الكتاب المقدّس نفسه **لا**، لأنَّه يَذخَر بوعودٍ من الله ببركاتٍ لا تُحصى ولا تُعَدّ لكُلّ الّذين يُحبّونه ويُطيعونه ويَعملون بوصاياه وليس لمريم وحدها. تَرِد كلمة بارَك ومشتقّاتها كثيراً في الكتاب المقدّس نَذكر الّتي هي بصدد موضوعنا:

- وقال ملاك الرَّب لإبراهيم: "**أباركُكَ مبارَكةً**، وأُكثّر نسلكَ تكثيراً كنجوم السَّماء وكالرَّمل الّذي على شاطئ البحر.."(تكوين٢٢:١٧).

- فقال الله لبلعام: "لا تَذهب معهم، ولا تلعن الشَّعب لأنَّه **مبارَكٌ**"(عدد٢٢:١٢).

- "من أجل أنَّكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظونها وتعملونها ... **مُبارَكاً** تكون فوق جميع الشُّعوب" (تثنية٧:١٢).

- "وتأتي عليكَ جميع هذه البركات وتُدرِكُك، إذا سمعت لصوت الرَّب إلهك. **مبارَكاً** تكون في المدينة، **ومبارَكاً** تكون في الحقل، **ومبارَكة** ثمَّرة بطنكَ وثمَّرة أرضِكَ..." (تثنية ٢٨:٢).

- "**تُبارَكُ على النِّساء** ياعيل إمرأة حابل القينيِّ، على النِّساءِ في الخيامِ تُبارَكُ" (قضاة٥:٢٤).

- فقال بوعز لراعوث: "إنَّكِ **مُبارَكةٌ** من الرَّب، لأنَّكِ قد أحسنتِ في معروفكِ" (راعوث٣:١٠).

- "أنتم **مُبارَكونَ** للرَّب الصَّانع السَّماوات والأرض" (مزمور١١٥:١٥).

- ثمَّ يقول الملك للَّذين عن يمينه : تعالوا يا **مُبارَكي** أبي، رِثوا الملكوت المُعَدّ لكم منذ تأسيس العالم (متّى٢٥:٣٤).

وعمّا قاله الملاك جبرائيل لمريم بأنَّها قد وَجدت نعمةً عند الله، فنذكر عدَّة أشخاصٍ وجدوا النِّعمة ذاتها، إنَّما بطريقةٍ مختلفةٍ عن الطّريقة الّتي وجدتها مريم:

- وجد نوح **نِعمةً** عند الله، فقال له الله: "نهاية كلِّ بشر قد أتت أمامي ... إصْنَع لنفسك فُلكاً ... لكن أقيمُ عهدي معكَ، فتدخل الفلك أنتَ وبنوكَ وامرأتك ونساء بَنيك معكَ" (تكوين إصحاح ٦).

- وجد إبراهيم **نِعمةً** عند الله فأعطاه وعداً بولادة ابنٍ له، على الرَّغم من أنَّه كان وزوجته سارة قد أصبحا شَيخَين مُتقدِّمَين في الأيّام، وقد انقطَع لسارة عادة النِّساء (تكوين إصحاح ١٨).

- وجد لوط البار **نِعمةً** في عينّي الله، فَنجَّاه مع ابنتيهِ من الهلاك بالنَّار والكبريت في سدوم وعمورة (تكوين١٩:١٩).

- وجد موسى **نِعمةً** عند الله، فقال له: "أنَّك قد وجدتَ نعمةً في عَينيَّ وعرفتُكَ باسمكَ". فصنع الله بيد موسى عجائب وآيات عظيمة، وأخرج شعب الله من أرض العبودية مصر(خروج٣٣:١٧).

- وجد جدعون **نِعمةً** في عيني الله، فأسماه جبَّار بأس. وأرسله ليُخلِّص شعبه من يد أعدائه المديانيّين (قضاة٦:١٧).

- وجد داود النَّبي **نِعمةً** أمام الله والْتَمس أن يَجِد مسكناً لإلّه يعقوب. لكن ابنه سليمان بنى له بيتاً (أعمال الرُّسل ٧:٤٦).

وإستناداً إلى قول الملاك جبرائيل لمريم: "الرّوحُ القُدس يَحلُّ عليك"، يقول "أولاد مريم" بأنَّ مريمتهم هي "عَروسةُ الرّوح القُدس"، فيا للجهل في هذا الكلام السَّخيف. ألا يعلمون أنَّ كلامهم هذا تجديفٌ ويدُلَّ على جهلهم بشخصيَّة الرّوح القُدس الّذي هو أحدُ أقانيم الثّالوث الأقدس وهو الله؟. ألا يُدركون إنَّ إليه تُنسَبُ في الكتاب المقدَّس الصِّفات والأعمال الإلَهِيَّة مثلما تُنسَب للآب والإبن في العلمِ بكلِّ شيءٍ، والوجود في كلِّ مكانٍ، والقُدرة على كلِّ شيءٍ، والخلق والأزليَّة؟، كما أنَّه يَهَب القوَّة والحكمة والفهم والمعرفة والعلم، وهو يُعطي قلباً وروحاً جديدين لكلِّ الّذين يؤمنون بالإبن،

ويَختمِهم، ويسكُن فيهم فيصرُخوا بهِ إلى الآبِ السَّماوي: يا أبَا الآبُ، وهو أيضاً يشفع فيهم، ويُعِين ضعفاتهم، ويُذكِّرهم بكلِّ ما قاله المسيح لهم. وأيضاً هو يُبكِّت العالم على خطيَّةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ. وعندما كَتب أُناس الله القدِّيسون الكتب النَّبويِّة كانوا مَسوقينَ من الرّوح القَدس، ولم يذكر أيٍّ واحدٍ منهم أنَّ الرّوح القُدس قد أوحى إليه بأنَّه يُفتِّش عن عروسٍ له من بني البشر.

فَلِمن يَعرِف ويُظهِر نفسه أنَّه لا يعرف هذه الحقائق المكتوبة عن الرّوح القُدس في كلمة الله، أذكِّره بأنَّ حلول الرّوح القُدس على البشر لم يبدأ مع مريم ولم ينتهِ عندها، إذ إنَّه حَلَّ في العهد القديم على موسى وجدعون وشمشون ويفتاح وحزقيال وداود وجميع الأنبياء. وفي العهد الجديد امتلأ يوحنّا من الرّوح القدس من بطن أمّه، وامتلأ زكريا وأليصابات من الرّوح القدس، وكان الرّوح القدس على سمعان الشّيخ في الهيكل، وفي يوم الخمسين حَلَّ كألسِنةٍ منقسمةٍ كأنَّها من نارٍ على التَّلاميذ وجميع المجتمعين معهم فامتلأوا جميعهم منه، وكانت مريم أمّ يسوع من ضِمنهم. وإلى يومنا الحاضر لا يزال الرّوح القَدس يَحِلُّ ويسكُن في كلِّ إنسانٍ يَقْبَل الرَّب يسوع المسيح مخلِّصاً وربّاً له، فيُصبِحَ بالتّالي هيكلاً للرّوح القُدس، وليس عروساً له!.

نعود إلى الملاك جبرائيل، فقد قال لمريم قبل مغادرته لها، بأنّ نسيبتها أليصابات العاقر زوجة زكريا الكاهن حبلى في شهرها السّادس بابْنٍ في شيخوختها لأنَّ ليس شيءٌ غيرَ مُمْكنٍ لدى الله. فقامت مريم وذهبت بسرعةٍ إلى الجبال، ودخلت بيت زكريا وسَلَّمت على أليصابات. فلمَّا سمعت أليصابات سلامَ مريم ارتكَضَ الجنين في بطنها، وامتلأت من الرّوح القدس، وصَرخت بصوتٍ عظيمٍ وقالت: " مُبارَكةٌ أنتِ في النِّساء ومُبارَكةٌ هي ثمَّرة بطنكِ، فمن أين لي هذا أن تأتي أُمُّ ربِّي إليَّ؟ فهوذا حين صار صوتُ سلامكِ في أُذُنيَّ ارتكَضَ الجنين بابتهاجٍ في بطني. فطوبى للَّتي آمَنَت أن يتمَّ ما قيل لها من قِبَل الرَّب". هنا يجد من يدَّعون أنَّ مريم هي "أمَّ الله" حجَّةً قويَّةً تدعم إدِّعاءهم هذا في قول أليصابات لمريم "أمُّ ربِّي"، لأنَّهم أخذوا كلامها هذا، وحَوَّلوا مضمونه وقصده عن عظمة تَجسُّد ابن الله القدّوس، إلى تعظيم الإنسانة مريم إبنة آدم وحواء، وإعطائها لقبَ "أمّ الله" الّذي كان للإلَهةِ الأمّ الوثنيَّة. وقد قادهم جُنوحهم القاتل نحو إقامةِ إلَهةٍ أمٍّ لهم، إلى أن لا ينتبهوا إلى أنَّ كلّ الأمور الّتي تحدُثَ مع مريم وأليصابات والجنين يوحنّا في هذا المشهد، سَبَبُها وجود الجنين يسوع في وسطهم، لأنَّه إذ وهو بعدُ في بطنِ أمِّهِ مريم، إبتدأ الزَّمان والتّاريخ يَرتكِضان، لأنَّ القدّوس إله الأزل سيتجسَّد في الزَّمان وسيبدأ بتجسُّدِه تاريخٌ جديدٌ للبشريَّة جمعاء.

لا نستطيع التَّسليم بالمُعادلة الّتي ابتدعها مُعلِّمو الكنيسة الكاثوليكية، بأنَّهُ ما دام يسوع هو الله فإنَّ مريم هي "أمَّ الله" لأنَّها تخلُق أسئلةً كثيرةً مُستعصيةً على الفكرِ البشري مع أنَّ جوابها واحداً وأكيداً. فمثلاً هل أنَّ والدَي مريم هما جَدّا الله؟ وهل المذود الّذي وُلِدَ فيه يسوع في بيت لحم هو مِذود الله؟ وهل عندما خُتِن يسوع في الهيكل خُتِن الله؟ وهل الثّياب الّتي لبسها يسوع هي ثيابُ الله؟ وهل السَّريرالّذي نام عليه يسوع هو سريرُ الله؟ وهل كان جيران يسوع في النّاصرة جيران الله؟ وهل أمُّ يسوع هي أمَّ الله؟ وهل إخوة يسوع هم إخوة الله؟ وهل الجحش الّذي ركب عليه يسوع في يوم دخوله إلى أورشليم هو جحشُ الله؟ وهل عندما مات يسوع على الصَّليب مات الله؟ وهل القبر الّذي دُفِن فيه يسوع هو قبرُ الله؟. بالطبع إنَّ الجواب البديهيّ على كلِّ هذه الأسئلة هو **لا**، لأنَّنا نعرف من الكتاب المقدَّس بأنَّه كان للمسيح يسوع طبيعَتين، لا يستطيع أيُّ إنسانٍ أن يُدرِكَ أو أن يَفهَم كيفيَّة اتِّحاد الواحدة مع الأخرى ولا انفصالهما، واحدةٌ إلهيَّةٌ سَرمَديَّةٌ لا يستطيع أن يَقترِب منها أيِّ إنسانٍ لئلاّ يموت (خروج٣٣:٢٠)، وأخرى بشريَّةٌ زمنيَّةٌ قال عنها الرَّسول يوحنّا: "الّذي كان من البدءِ، الّذي سمعناه، الّذي رأيناه بعيوننا، الّذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهةِ كلمة الحياة"(١يوحنا١:١).

وَضَّحَ الإنجيل العلاقة الحقيقيَّة والواقعيَّة الّتي كانت قائمةً بين مريم ويسوع كأمٍّ وابْنها والّتي كانت مثل أيَّة علاقةٍ أخرى بين أمٍّ وابنها، والّتي يجب أن يفهمها "أولاد مريم" كما هي بدون زيادةٍ أو نقصانٍ لكي لا يَقِعوا في ما ليسَ هو بِالحِسبَان.

كانت مريمُ بدون شكّ الأمُّ الفاضلة ليسوع الإنسان الّذي وُلِد منها في المذود، لكنَّها ليست أمَّ الله الّذي ظَهر في الجسد (١تيمو٣:١٦). وكانت مريمُ أمُّ يسوع الإنسان الّذي تَعِبَ، لكنَّها ليست أمَّ الله الّذي لا يَكِلّ ولا يعيا والّذي يُعطي المعيِّيَ قدرةً ولعديم القوَّة يُكثِّر شدَّةً(إشعياء٤٠:٢٨). وكانت مريمُ أمُّ يسوع الإنسان الّذي جاع، لكنَّها ليست أمَّ الله الّذي أطعم شعبهُ المنّ والسَّلوى في البرِّية، والّذي من ثمَرِ أعماله تَشبَع الأرض كلّها(مزمور ١٠٤:١٣). وكانت مريمُ أمُّ يسوع الإنسان الّذي عَطِش، لكنَّها ليست أمَّ الله الّذي يَكيلُ بِكفِّه المياه ويُفجِّر الينابيع ويَسكُب ماءً على العطشان وسيولاً على اليابسة (إشعياء ٤٤:٣). وكانت مريمُ أمُّ يسوع الإنسان الّذي كثيراً ما نام على السَّرير أمامها، لكنَّها ليست أمَّ الله الّذي لا ينعس ولا ينام (مزمور١٢١:٤). كانت مريمُ أمُّ يسوع الإنسان الّذي جلس على الكرسيِّ أو على الأرضِ في بيتهم في النّاصرة، لكنَّها ليست أمَّ الله الّذي كُرسِيَّهُ إلى دهر الدُّهور (مزمور٤٥:٦)، وليست أمَّ

الله الجالس على كُرَةِ الأرضِ وسُكَّانها كالجُندُب(إشعياء٤٠:٢٢). لم تَعْتبِر مريم نفسها يوماً بأنَّها "أُمُّ الله"، وهذا ما أكَّدته بنفسِها عن نفسِها حين قالت لجميع الأجيال إنَّها **أَمَةَ الله**، وليس **أُمَّ الله**.

ثمَّ أجابت مريم أليصابات بنشيدٍ وقالت: "تُعظِّم نفسي الرَّب، وتَبتهجُ روحي بالله مُخلِّصي، لأنَّه نظر إلى اتِّضاع أمَتِه. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تُطَوِّبني، لأنَّ القدير صنع بي عظائم، واسمه قدّوسٌ، ورحمتهُ إلى جيلِ الأجيال للّذين يَتَّقونَه. صنع قوَّةً بذراعه. شَتَّت المُستكبرين بفكرِ قلوبهم. أنزل الأعزّاء عن الكراسي ورفع المُتَّضعين. أشبع الجياع خيراتٍ وصَرَف الأغنياءَ فارغينَ. عَضَدَ إسرائيل فتاه ليذكُرَ رحمةً، كما كلَّم آباءنا، لإبراهيم ونسلهِ إلى الأبد". فمكثت مريم عندها نَحو ثلاثة أشهرٍ، ثمَّ رجَعَت إلى بيتها.

ما أجملَ وأروعَ كلمات مريم في هذا النشيد وما أقْبَحَ تغيير معناها وقصدها. هنا تؤكِّد مريم وبالفمِ الملآن بأنَّها تَعرف نفسها بأنَّها إنسانةٌ خاطئةٌ أكثر ممّا يعرفها جميع النّاس وتعترف بأنَّها عاجزةٌ عن أن تُخلِّص نفسها، وبأنَّها محتاجةٌ لمخلِّصٍ يُقدَّم نفسه ذبيحةً عنها ليرحَمها ويَفديها ويُخلِّصها من خطاياها، لتُصبِح مُسامَحَةً ومَفْدِيَّةً ومُخلَّصَةً تماماً مثل بقيَّة الخطاة التّائبين. إنَّ كلمات مريم في نشيدها هذا تدحَض عقيدة الحَبَل بلا دَنس من أساسها والّتي ابتدعها وأعلنها البابا بيوس التّاسع في العام ١٨٤٥، والّتي تتناقض كُلِّيّاً مع عقيدة أنَّ جميع النّاس خُطاة الّتي وضعها الله وأعلنها في الكتاب المقدَّس جازماً وبدون أيِّ استثناءٍ لمريم: "أنَّه ليس بارٌّ ولا واحدٌ... الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحدٌ... اذ الجميع أخطأوا وأعْوزَهم مجدُ الله"(رومية٣:١٠). فهل نُصَدِّق الله القدّوس أم البابا بيوس؟ من الحكمةِ تصديق الله لأنَّه مكتوبٌ ليكن الله صادقاً وكلُّ إنسانٍ كاذباً (رومية ٣:٤). يَجزُم الإنجيل بأنَّ أُجرةَ الخطيَّةِ هي موتٌ، وكلّ البشر يموتون لأنَّهم خطاةٌ، فإن كانت مريم كما يزعم الكاثوليك وحدهم بأنَّها بدونِ خطيَّةٍ، لكانت بقيت حيَّةً ولم تَمُت، لكن ما دام أنَّها قد ماتت كما يَعترِفون، يكون موتها دليلاً على أنَّها كانت خاطئة. في الواقع أنَّ الوحيد الّذي وُلِدَ وعاشَ على وجهِ الأرض بدون خطيَّةٍ هو الرَّب يسوع المسيح **وحده**، ولم تُؤَثِّر الخطيَّةَ الموجودةِ في طبيعة البشر في طبيعته كقدّوس، بمن فيهم طبيعة أمّه مريم العذراء المُبارَكة الّتي وُلِد منها.

بعدما عَظَّمت مريم الرَّب، وامتلأت بروح الإبتهاج بالله مُخلّصها، قالت: "هوذا منذ الآن جميع الأجيال تُطوِّبني"، فأسْرعَ "أولاد مريم" إلى التَّمسُك بهذه الآيةِ كدليلٍ قاطعٍ على أنَّهم يجب أن يُمجِّدوا مريم ويكرِّموها، وأن يَلتجئوا إليها، وأن يُصَلّوا لها، وأن يتشفَّعوا بها أمام ابنِها، وقام مُعلِّموهم بكتابةِ مجلَّداتٍ عنها لا تُعدَّ ولا تُحصى، تحوي أكاذيبٍ وأوهامٍ أودت بهم إلى هاويةٍ لا نهايةَ لها، وغَيَّرت معنى ما قالته مريم من "جميع الأجيال تُطوِّبني"، إلى "جميع الأجيال تُؤَلِّهُني". ولكي نعرف معنى كلمة "طوبى" قُمنا بتفسيرها في قاموس معاني الكلمات، فأتى معناها "يا لسَعادة" فقط، بدون أيّ معنىً آخر. فيكون كلام مريم قد جاء على الشَّكل التَالي: "جميع الأجيال ستقول يا لسَعادتي لأنَّ القدير صنع بي عظائم واسمه قدّوس"، ولم تَقصُد أن تقول بأنَّها ستكون للأجيال كلّها أُمًّا مُمَجَّدةً ومُكرَّمةً وشفيعةً وملجأً وسامعةً للصَّلاة و...إلخ. توجد في الكتاب المقدَّس حوالي خمسٍ وسبعين كلمة "طوبى"، تحمل كلّها معنىً واحداً، نذكر بعض منها:

- **ويُطوِّبكم** كلّ الأمم، لأنَّكم تكونون أرضَ مَسرَّةٍ قال ربُّ الجنود (ملاخي٣:١٢).

- يَكونُ اسمُهُ إلى الدَّهر. قدَّام الشَّمس يمتد اسْمُهُ، ويَتبارَكون به. كلُّ أمَمِ الأرض **يُطوِّبونه** (مزمور ٧٢:١٧).

- **طوبى** للَّذي غُفِر إثمَّهُ وسُترت خطيتَّه، **طوبى** لِرجُلٍ لا يَحسِب له الرَّب خطيَّةً، ولا في روحه غشٌّ (مز٣٢:١).

- **طوبى** للأمَّةِ الّتي الربُّ إلَهُها، الشَّعب الّذي اختارَه ميراثاً لنفسه (مزمور٣٣:١٢).

- **طوبى** للمساكين بالرّوح، لأنَّ لهم ملكوت السَّموات. **طوبى** للحزانى، لأنَّهم يتعزّون. **طوبى** للودعاء، لأنَّهم يرثون الأرض. **طوبى** للجياع والعطاش إلى البرِّ، لأنَّهم يُشبَعون. **طوبى** للرُّحماء، لأنَّهم يُرحمون... إلخ (متَّى إصحاح ٥).

- **طوبى** للمَدعوِّين إلى عشاء عُرسِ الخروفِ (رؤيا١٩:٩).

عندما رفعت امرأةٌ صوتها من بين الجمع وقالت ليسوع: "طوبى للبطنِ الّذي حملك والثَّديَين اللَّذين رضِعتَهُما"، لم يتأخَّر يسوع عن تصحيح مفهومها الخاطئ عن التَّطويب بأعطائها المفهوم الصَّحيح له حين قال لها: "بل طوبى لِلَّذينَ يسمعون كلام الله ويَحفظونَهُ "، ولم يَحصُرَ الطّوبى في أمِّهِ مريم وحدها. فَيا لَيتَ الّذين يُحبّون مريم

كما يَدَّعون، يعرفون معنى شعورها بالخلاص الّذي نالته من الله مُخلِّصُها كخاطئة، الخلاص الّذي ناله الملايين من قَبلِها ومن بعدِها، فَيُمجِّدون ويُعظّمون الرَّب القدير وحده. وبَدلَ أن يتوقَّفوا ويتَحجَّروا ويتَجمَّدوا على ما قاله الملاك لمريم بسبب تأثير تعاليم البشر الخاطئة عليهم فَيهلكوا، عليهم أن يَسمعوا ويحفظوا كلام الله، ويُفكِّروا فيه فيَفهموا حينها الكلام الّذي قيل لمريم، وما قالت هي، عن الربَّ يسوع المسيح إبنُ الله الوحيد فيسمعون منه الطّوبى وينالون بهِ الخلاص والحياة الأبديَّة.

يُكمِل لوقا سرد قصَّته فيقول، إنَّه في تلكَ الأيَّام صدر أمرٌ من أوغُسطس قيصَر بأن يُكتتَبَ كلّ المسكونة، فصعد يوسف من مدينة النّاصرة إلى مدينة داود الّتي تُدعى بيتَ لحم ليُكتَتَب مع مريم امرأتهِ المَخطوبةِ وهي حُبلى. وبينما هما هناك تَمَّت أيَّامُها لِتَلِدَ، فَولَدت ابنَها البكرَ وقَمَّطتهُ وأضْجَعتهُ في المذودِ، إذ لم يكن لهما موضعٌ في المنزل. وكان في تلك الكورةِ رُعاةٌ مُتَبدِّين يحرسون قطعانهم في اللّيل، وإذا ملاكُ الرَّبِّ وقف بِهِم ومَجدُ الرَّبِّ أضاءَ حولهم. فقال لهم الملاك: "لا تخافوا، فها أنا أبشِّركم بفرحٍ عظيمٍ يكون لجميع الشَّعب، أنَّه وُلِد لكم اليوم في مدينة داود مخلِّصٌ هوالمسيحُ الرَّبُّ. وهذه لكم العلامة تجدون طِفلاً مُقمَّطاً مُضجعاً في مذودٍ". وظهر مع الملاك جمهورٌ من الجندِ السَّماوي مُسبِّحين الله وقائلين: "المجدُ لله في الأعالي، وعلى الأرضِ السَّلام، وبالنَّاس المَسرَّةُ". جاء الرُّعاة مُسرِعين إلى بيتَ لحم ووجدوا مريم ويوسف والطِّفل مُضْجَعاً في المذودِ. فلمَّا رأوه أخبروا بالكلام الّذي قيل لهم عن هذا الصَّبي، فتَعجَّبَ كلّ الّذين سمعوا ممَّا قيل لهم من الرُّعاة. وأمَّا مريمُ فكانت تحفظُ جميع هذا الكلام مُتفكِّرةً به في قلبها، ولمَّا تمَّت أيّام تطهيرِها حسب شريعة موسى، صَعدوا بالطِّفل يسوع إلى أورشليمَ ليقدِّموه للرَّبِّ بحسب ما هو مكتوبٌ في ناموس الرّبِّ.

تَهلَّلت السَّماء فأمتلأت بالتَّمجيد وابتهجت الأرض ففاضت بالتَّسبيح، لأنَّ ابن الله القدّوس قد وُلِد طِفلاً متواضِعاً في مذودٍ، فيا لَعَظمَةِ هذا المولود. لكنَّ الّذين يرفضون معرفة عظمة هذا المولود، تحوَّلوا كعادتهم إلى تمجيد وتعظيم "الأمّ العذراء" مُتأثِّرين بعبادة الإلَهة الأمُّ الّتي عبدتها الشُّعوب الوثنيَّة كعذراء، فأسهبوا في الكلام عن بقاء مريمَ عذراءَ بطريقةٍ معجزيَّةٍ أثناء ولادتها لطِفلها يسوع. فقال واحدٌ منهم: "إنَّ ابن الله خرج من أحشاء مريم كما دخلها، وقد حُفِظَت بتوليتها سالمة". وقال آخرٌ: "يا للمعجزة الرّائعة، العذراء تَصير أُمًّا وتبقى عذراء، لا البتوليَّة حالت دون الولادة ولا الولادة أزالت البتوليَّة. واحدٌ آخرٌ قال: "الدَّهشة تغمرني، كيف من هو بتول يولد من

البتول، وتبقى بعد ولادته بتولاً؟". و قال أيضاً واحدٌ آخر: "أنَّ الأمُّ العذراء كليَّة القداسة، أنجَبت ابْناً حفظ طهارةَ والدتهِ بغير فسادٍ وبلا دنسٍ" . يَدحَض الكتاب المقدَّس كلَّ هذه التَّرهات جملةً وتفصيلاً لأنَّه يقول: "أنَّه بعد أن تمَّت أيّام تطهيرها (أيّ مريم) حسب شريعة موسى، الّتي كانت تَفرُضَ على المرأةِ الّتي تَلِد ذَكراً أن تكون نجسةً سبعة أيّام، ثمَّ تُقيم ثلاثةً وثلاثينَ يوماً في دمِ تطهيرها. كلَّ شيءٍ مقدَّسٍ لا تَمَسَّ وإلى المَقدِسِ لا تَجِيء حتَّى تَكمُل أيَّام تطهيرها" (لاويين١٢:١-٤). طبَّقت مريم شريعةَ موسى فكانت ولادتها ليسوع طبيعيَّة كأيِّ ولادةٍ طبيعيَّةٍ لإمرأةٍ أخرى تَضع مولوداً. فلو كانت مريم قد وَلَدت يسوع بطريقةٍ مُعجزيَّةٍ كالطّريقة الّتي حَبلَت بها فيه، لَكانت أخبرت لوقا عنها ليُعلِنها أمام جميع الأجيال. أخيراً نسأل، لو أنَّ العذراويَّة أو البتوليَّة كما يسمّيها أصحاب بِدعة المَنعِ عن الزَّواج دليلٌ على القداسة وفَضّها دليلٌ على النَّجاسة، ألا تكون حينئذٍ كلَّ العذارى اللّواتي تَزوَّجن زواجاً مقدَّساً أمَرَ به الله، نَجِساتٍ ودَنِسات؟.

وبحسب ما أكمَل لوقا أيضاً، فإنَّه وبينما كان يوسف ومريم في الهيكل يصنعان ليسوع حسب عادة النّاموس، جاء رجلٌ بارٌّ وتقيٌّ إسْمه سمعان وكان ينتظر تعزيةَ إسرائيل، والرّوح القُدس كان عليه، فأخذ الصَّبيّ يسوع على ذراعيه وبارك الله وقال: "الآن تُطلِق عبدكَ يا سيِّدُ حسبَ قولك بسلامٍ، لأنَّ عَينيَّ قد أبصرتا خلاصكَ، الّذي أعدَدته قدَّام وجه جميع الشُّعوب. نورَ إعلانٍ للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيلَ". وقال سمعان لمريم: "وانتِ أيضاً يَجوزُ في نفسكِ سيفٌ، لتُعلَنَ أفكارٌ من قلوبٍ كثيرةٍ".

فَتح "أولاد مريم" عيونهم على كلمة السَّيفِ فقط في كلمات سمعان هذه، وأغلقوها عن بقيَّة الكلمات الّتي قالها عن خلاصِ الشُّعوب، ونورُ الأمم، والمجد الّذي لشَعب إسرائيل، وقرَّروا أنَّ السَّيف الّذي ذكره سمعان في كلامه هنا، هو الألَم الّذي شاركت مريم به يسوع في آلامِه الخلاصيَّة لخلاص البشر، وبالتّالي أصبحت شريكةً له في عمل الفداء والخلاص. لكن كيف جاءهم هذا القرار؟ هذا طبعاً من أسرارِ كنيستهم الّتي لا تَعرِف حدوداً في اختراع القِصص الخُرافيَّةِ الهادفةِ إلى حشرِ مريم مع الرَّب يسوع في كلِّ ما عَمِلهُ بهدف إخفاء مجده وإزاحته من المشهد أوّلاً، وإزالَتهُ من الوجود ثانياً، ومن ثمَّ تسليط الضَّوء على أمِّه مريم ووَضعِها في مكانهِ لتُعطى مجداً ليس لها. طبعاً هم يعملون هذه الأمور كلَّها بِحجَّة محبَّتهم لمريم "أمّهم"!. ولكي نكون فاهمين كيف أخذوا هذا القرار بشأن السَّيف نسألهم، هل بُصِق على مريم وجُلِدت ووُضِع إكليل الشَّوك على رأسها، أمْ يسوع؟ هل هي الّتي حَملَت الصَّليب بمساعدةٍ

من سمعان القيرواني، أمْ يسوع؟ وهل هي الّتي ثقبوا يدَيها ورجليها بالمسامير، أمْ يسوع؟ وهل هي الّتي نادت أنا عطشان، أمْ يسوع؟ وهل هي الّتي صرخت على الصّليب قد أُكمِل وأسلَمَت الرّوح، أمْ يسوع؟ الجواب المؤكَّد هو **لا**. لأنَّ مريم كانت واقفةً عند الصَّليب بدون شكٍّ حزينةً ومُتألِّمةً - كما كلّ الّذين أحبُّوا يسوع وآمنوا به - لكنَّها لم تشترك في آلامهِ لخلاص البشر لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ. أنا متاكِّد أنَّ مريم المُؤمنة برحمةِ الله وفدائه والمُنتظِرَة لخلاصه، وَقَفَت حينها مُطمئِنَّةً أمام المصلوب، مُدرِكةٌ أنَّه وفي هذه السّاعات العصيبة، كان يُقدِّم نَفسه أمام الله ذبيحةَ فداءٍ عنها وعن كل العالم، لأنَّهُ **وحدهُ** حَمَلُ الله الّذي يَرفَع خَطيَّة العالم.

وبعدما أكملوا كلّ شيء حسب ناموس موسى - يُكمِل لوقا سرد القصَّة – رجعوا إلى مدينتهم النّاصرة. ثمَّ لمَّا كانت ليسوع إثنتا عشرة سنة، صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. وبعد إكمال أيّام العيد، أضاع يوسف ومريم يسوع لمدّة ثلاثة أيّام، وجداه بعدها في الهيكل جالساً في وسط المُعلِّمين، يَسمَعهُم و يَسألهُم. فلمَّا أبصَراهُ اندهشا. فقالت له أمُّهُ: "يا بُنَيَّ، لماذا فعلتَ بنا هكذا؟ هوذا أبوكَ وأنا كنَّا نَطلبُك مُعذَّبَين!". فقال لهما: "لماذا كنتُما تَطلُبانِني؟ ألَمْ تعلما أنَّه ينبغي أن أكونَ في ما لأبي؟". فلم يفهما الكلام الّذي قاله لهما. ثمَّ نزل معهما إلى النّاصرة وكان خاضعاً لهما. وكانت أمُّهُ تحفظُ جميع هذه الأمور في قلبِها.

لا يقترب "أولاد مريم" من هذه الآيات أبداً، لأنَّها تُظْهِرُ مُشابَهَةِ مريمَ لبَقيَّة البشر في محدوديَّةِ الفهمِ، والنَّقصِ في المعرفة، بعكس الرَّب يسوع المُذَّخَرِ فيه جميع كنوز الحِكمةِ والعِلم (كولوسي٢:٣). الّذي وإذ كان بعد في عمرِ الثّانية عشرة أذهَل المُعلِّمين في الهيكل بفهمه ومعرفته من خلال أسئِلتَه وأجوِبَتَه لهم. لكن هذا الأمر بالتّأكيد لا يريد "أولاد مريم" أن يتكلَّموا عنه لأنَّهم يريدون أن تكون"أُمّهم" هي الأمّ الكبيرة و"يسوع" ابنها الطّفل الصَّغير، هي الأمّ العظيمة وهو ابنها العادي، هي الأمّ القديرة وهو ابنها العاجز(كما يَظهَران بالصُّورَة المُرفَقة).

ثمَّ ذكر لوقا ما كان متَّى ومرقس قد ذكراه أيضاً، عن مجيء أمّه مريم وإخوته طالبين بأن يروا يسوع، وإجابته الجواب الصّادم الّذي لا يُحِبُّ "أولاد مريم" سماعه: "أمّي وإخوتي هم الّذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها".

توجدُ في إنجيل لوقا ألفٌ ومئة وست عشرة آية، ذُكِرَت مريم في ثلاثٍ وخمسين آية منها فقط!.

**مريم أمُّ يسوع في إنجيل يوحنّا:**

يُورِد يوحنّا في إنجيله قِصَّتين، ليس لهما أيِّ ذكرٍ في الأناجيل الأخرى. القصَّة الأولى هي عن عرسٍ في قانا الجليل دوَّنها يوحنّا على الشَّكل التّالي: "في اليوم الثّالث كان عُرسٌ في قانا الجليل، وكانت أمُّ يسوع هناكَ. ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولمّا فَرغَت الخمر، قالت أمُّ يسوع له: "ليس لَهُم خمرٌ". فقال لها يسوع: "ما لي ولكِ يا امرأة ؟ لم تأتِ ساعتي بعد". قالت أمُّهُ للخدَّام: "مهما قال لكم فافعلوهُ". وكانت ستَّةُ أجرانٍ من حجارةٍ موضوعةً هناك. قال لهم يسوع: "املأوا الأجرانَ ماءً" فملأوها إلى فوق...". حوَّل يسوع الماء إلى خمرٍ جيِّدةٍ، إستقى منها الخدَّام وقَدَّموا إلى رئيس المتَّكإ، فكانت هذه بداية الآيات الّتي صنعها يسوع وأظهَر مجدهُ فآمن به تلاميذه. تُظهِر القراءة المُتأنِّية لما حَصل في هذا العرس، أنَّه كان لمريم علاقةَ قرابةٍ عائليَّةٍ مع العريس لأنَّها كانت هناك، أمَّا يسوع وتلاميذه فكانوا من المدعوِّين إلى العرس. أُصيبَت مريم بالإحباط عندما فَرغت الخمر واضْطَربت بسبب ما سيقوله المدعوون عن العريس نسيبها. تقدَّمت حينها من يسوع لتَطلُب منه بطريقةٍ غير مباشرة، أن يصنع معجزةً تُخلِّص العريس من مأزقِ نفاذ الخمر أمام مَدعوِّيه. وبرغم جوابه الصَّادم لها، إلاَّ أنَّ مريم أصرَّت عليه وبِإلحَاحٍ أن يستجيب طلبها. لم يرفض يسوع طلب أمِّهُ مريم، ونزولاً عند رغبتها، وإطاعةً لوصيَّة الله في النّاموس "أكرِم أباكَ وأمَّك"، حوَّل الماء في الأجران السِّتة إلى خمرٍ جيِّدةٍ أعجَبَت رئيس المتكإ وأفرَحَت مريم والعريس وجميع المدعوِّين. كانت هذه الآية بداية الآيات الّتي صنعها يسوع **فآمَن به** تلاميذهُ.

هذا ما حدث ببساطةٍ في عرس قانا الجليل. لكن عندما قرأ "أولاد مريم" هذه القصَّة لم يروا فيها مجدَ يسوع الّذي أظْهَرهُ، بل رأوا فيها شفاعةً وهميَّةً لمريم أمّه بهم، شفاعةٌ لم تتكلَّم عنها مريم أبداً، ولم يَقُل عنها يسوع شيئاً، ولم تَخطُرحتّى على بالِ تلاميذه الّذين رأوا في عرس قانا الجليل **مجدَ يسوع فقط** بدون أيَّة شفاعةٍ لمريم. ثمَّ أردَف معلِّمو وآباء "أولاد مريم" في التَّعاليم الّتي حَشوا بها تقليدهم، أنَّ مريم حنونةٌ عليهم بعكس يسوع الغاضبِ والديَّان، وبأنَّ مريم تَطلُب ويسوع يستجيب، ومريم تأمُر ويسوع يُنفِّذ، وهو تَقصَّد من خلال استجابته لطلب أمِّهِ في عرس قانا الجليل أن

يُعلِّمنا الثِّقة بمريم وطلب شفاعتها عنده. لكنَّ يسوع يُعلِّمنا نقيض تعاليم تقليدهم الباطل هذا إذ يقول: "إسأَلوا تُعطَوا. أُطلبوا تجِدوا. إقرعوا يُفتح لكم. لأنَّ كلَّ من يَسأل يأخذ، ومَن يَطلُب يجد، ومَن يَقرَع يُفتح لهُ... فكم بالحريِّ أبوكم الّذي في السَّماوات، يَهَبُ خيراتٍ للّذين يسألونهُ"(متَّى٧:٨). وجَّه يسوع أنظارنا إلى الآب السَّماوي وليس إلى أُمِّهِ مريم، ولم يَضَعها وسيطةً بينه وبين أحَدٍ. وإن ألقينا نظرةً باحثةً على الحقيقة في الإنجيل، فسوف نَجد فيه لائحةً طويلةً من الطِّلبات الّتي استجابها يسوع بدون أيِّ طَلبٍ أو تَدخُّلٍ من مريم أمِّهِ، والّتي ترافقت مع معجزاتٍ وعجائبٍ وآياتٍ أعظَمَ من آية تحويل الماء إلى خمرٍ، وتَخَطَّتها إلى شفاءِ عُرجٍ وعُميٍ وصُمٍّ ومفلوجين ومجانين وأمراضٍ مُستعصية، وتطهيرِ بُرصٍ، وإقامةِ الموتى. نعرض البعض من هذه الآيات والمعجزات

- دخل يسوع كفرناحوم، فجاء إليه قائدُ مئةٍ ليطلب منه شفاءَ غلامه المطروح في البيت مفلوجاً ومتعذِّباً جداً... فقال له يسوع: "اذهب وكما آمنتَ ليكن لكَ، فبرأ غلامه من تلك السّاعة"(متَّى٨:٥). أفنطلُب من قائد المئة طَلباتٍ يقدِّمها هو إلى يسوع بدلاً عنَّا؟

- جاء أبرَصُ وسجد أمام يسوع قائلاً له :"يا سيِّد إن أرَدتَ تَقدِر أن تُطهِّرَني". فمدَّ يسوع يده ولَمسَه قائلا:" أريدُ فاطْهُرْ" وللوقت طَهُرَ بَرصُهُ (متَّى٨:٢). لم يَضَع يسوع هذا الإنسان بعدما استجاب طِلبتهُ، كناقلٍ لطَلبات النّاس إليه.

- تقدَّم إلى يسوع واحدٌ من رؤساء المجمع يدعى يايرُس، وخَرَّ عند قدميه وطلب منه شفاءَ ابنتهِ الصَّغيرةِ المُحْتضِرة. لكن وهو بعد يتكلَّم، جاء من يُخبِرَه بأنَّ ابنته قد ماتت. فقال له يسوع :"لا تَخف آمن فقط". وجاء معه إلى بيته ودخل إلى حيث كانت الإبنة مُضْطَجِعةً وأمسك بيدها وأقامها من الموت (لوقا٨:٤١). أفَنُصَّلي إذاً إلى يايرُس لأنَّه طَلب من يسوع، ويسوع استجاب طلبته؟.

- أتَت امرأةٌ نازفةُ دمٍ من وراء يسوع ومَسَّت هُدبَ ثوبه لتُشفى... فقال لها يسوع: "ثِقي يا ابْنة، إيمانُكِ قد شفاكِ". فشُفِيت المرأةُ من تلك السّاعةِ (متَّى٩:٢٠). لم يقُل لها يسوع حينها (كما لم يقُل لأمّه مريم في عرس قانا الجليل) بأنَّها ستُصبِح وسيطةً بينه وبين النّاس، لأنَّه استجاب لها طِلبتها.

- فيما كان يسوع خارجاً من أريحا مع تلاميذه وجمعٍ غفيرٍ، إبتدأ بارتيماوس الأعمى بالصُّراخ طالباً منه أن يرحمهُ ويَجعله يُبصِر، فقال له يسوع: "اذهب، إيمانكَ قد شفاك". فللوقت أبصر وتَبِعَ يسوعَ في الطّريق(مرقس١٠:٤٦). أفنُسَلّم طلباتنا لبارتيماوس ليوصِلها هو بدوره إلى يسوع ؟.

- ذاع خبرُ يسوع في جميع سوريَّة. فأحضروا إليه جميعَ السُّقماءِ المُصابينَ بأمراضٍ وأوجاعٍ مختلفةٍ والمجانينَ والمَصروعينَ والمفلوجينَ، فشفاهم.(متَّى٤:٢٤). إستجاب يسوع كلّ الطّلبات الّتي طَلبها النّاس منه مباشرةً بدون أن يكون هناك حاجةٌ أو داعٍ لكي تَسمعها أمُّهُ مريم مِنهم ومن ثمَّ توصِلها إليه.

ثلاثُ نِقاطٍ مهمَّةٍ يجب أن نتوقَّف عندها لفائدتنا في قِصَّة عرس قانا الجليل. الأولى هي أنَّ يسوع لم يعطِ أمَّهُ مريم أيَّةُ قدرةٍ على صنعِ الآيات والمعجزات كما أعطى تلاميذه، وإلاّ لكانت هي بنفسها قد حَوَّلت الماء إلى خمرٍ بدون الحاجة لتتوسَّل المعونة والمساعدة منه. والنُّقطة الثّانية هي أنَّ مريم لم تَتميَّز بإيمانها بيسوع وبقدرته على صنع المعجزات عن إيمان تلاميذه وبقيَّة النّاس بِه، لأنَّها آمنت بيسوع تماماً كما آمن به بطرس ويايرس وبارتيماوس والأبرص وكلّ الّذين صنع يسوع لهم المعجزات بناء على طلبهم، فكان إيمانُها وإيمانُهم به على مستوى واحدٍ أمامه. أمّا النّقطة الثّالثة فهي أنَّ قصَّة تحويل يسوع الماء إلى خمرٍ، تُسِرُّ كثيراً معاقري الخمرة وشاربي المُسكِر من "أولاد مريم" لأنَّهم يجدون فيها تبريراً لسُكْرِهم، إذ يقولون إن كان المسيح لا يُريدنا أن نشرب الخمر، لَما كان قد حَوَّلَ الماءَ إلى خمرٍ في عرس قانا الجليل!.

أمَّا القصّة الثّانية الّتي يُوردها يوحنّا في إنجيله عن مريم، فقد جاءت في ثلاث آياتٍ كالآتي: "وكانت واقفاتٍ عند صليب يسوع، أمُّهُ، وأختُ أمِّهِ، مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدليَّة. فلما رأى يسوع أمَّهُ والتِّلميذ الّذي كان يُحبِّه واقفاً قال لأمِّهِ: "يا امْرأةُ، هوذا ابْنكِ". ثمَّ قال للتِّلميذ: "هوذا أمُّكَ". ومن تلك السَّاعة أخذها التِّلميذ إلى خاصَّتهِ".

عندما أخطأ الإنسان ضِدَّ الله في جنَّة عدنٍ، سقط سقوطاً مُريعاً ومُميتاً. لكن بسبب مَحبَّة الله للإنسان، فقد أوجَد لهُ الذَّبيحة الكفَّارية في العهد القديم والّتي تفدي الإنسان بدمائها وتُوفي عدالته حقَّها، والّتي كانت ترمز إلى ذبيحة المسيح يسوع في العهد الجديد. وعندما كان يسوع معلَّقاً على الصَّليب، كان هو تلك الذَّبيحة الكفَّارية ليفدينا

بدمائه، وليُعطينا بنعمته الخلاص والحياة الأبديَّة. أتى "أولاد مريم" إلى أمام يسوع المَصلوب، المُتألِّم والمُهان لأجلهم، لا ليأخذوا منه الخلاص والحياة الأبديَّة لأرواحهم الهالكة، لكن ليبحثوا عن أمٍّ جديدةٍ لهم تأخذ مكان الأمّ الوثنيَّة القديمة الّتي عَبدها أسلافهم من قبلهم، فسمعوا يسوع يقول لمريم عن يوحنّا: "هوذا ابنكِ"، ويقول ليوحنا: "هوذا أمّكَ". فقالوا نَعَم، ها إنَّ يوحنّا يُمثِّلنا وهو نحن، وبالتّالي فإنَّ مريم هي أُمُّنا. لم تتأخَّر مُخيَّلات أبائهم ومُعلِّميهم عن تَخيُّل تَخيُّلات لا تمُت للواقع الحقيقيّ بِصِلَةٍ، حوَّلتها أقلامهم إلى كلماتٍ مُضَلِّلَةٍ ملأت مجلَّدات كثيرة تتكلَّم عن مَحبَّةِ وسَهرِ وعَطفِ وشَفاعةِ أمٍّ أقاموها لهم يدعونها "أمَّنا مريم العذراء". مريم العذراء أمّ يسوع، هي بَراءٌ منها.

يُعلِّمنا الرَّب يسوع في الإنجيل عن الآب السَّماوي فقط، وليس عن "أمٍّ سَماويَّة". فيقول إنَّ الآب نفسه يُحبُّنا، وأنَّه يُشرِق شمسه على الأشرار والصَّالحين، ويُمطِر على الأبرار والظّالمين، وهو الّذي يُعطي الرّوح القُدس للّذين يسألونه، وهو الّذي يَجتذب الإنسان إلى المسيح ويُكرِم من يَخدُمُه، وهو الّذي نرفع إليه صلواتنا في الخفاء فيستجيبها في العلن، وهو الّذي يَسجد لهُ السّاجدون الحقيقيّون بالرّوح والحقّ ...إلخ. كانت مريم أمُّ يسوع بدون أيِّ شكٍّ، لكن أن تكونَ أمًّا للبشر فهذا أمْرٌ مشكوكٌ فيه وغيرُ صحيحٍ ويلزمه تَصحيح.

قبل أن نغادر إنجيل يوحنا لا بُدَّ أنَّنا قد لاحظنا فيه، بأنَّ يسوع لم يعطِ لمريم أمّه أيُّ إعلانٍ كما أعطى تلاميذه أو أتباعه من النّاس. فلقد أعطى نيقوديموس إعلانَ الولادةِ الجديدةِ من فوق، وأعطى المرأة السّامريَّة إعلانَ السُّجودِ الحقيقيّ للآب بالرّوح والحقّ، وأعطى مرتا إعلانَ أنَّه القيامة والحياة، وأعطى تلاميذهِ إعلاناتٍ عن وِحْدَته مع الآب، وبأنّه الكرمة الحقيقيَّة وأبوه الكرَّام، وأنَّه الرّاعي الصّالح، وأنَّه الطّريق والحقّ والحياة...إلخ. لكن لا يذكر الإنجيل مرةً واحدةً بأنَّ يسوع قد أعطى أمَّهُ مريم إعلاناً واحداً خاصّاً لها!. أمرٌ آخرٌ وَرد في إنجيل يوحنّا له دَلالاتٌ عميقةٌ لا يتوقَّف عندها أبداً "أولاد مريم"، هو أنَّ يسوع أعطى مريم المجدليَّة امتياز أن تكون أوَّل من يراه من بعد قيامته، فلو كانت مريم أمَّهُ هي أمّ البشريَّة المُميَّزة عن كلّ النّاس بالنِّسبة لهُ بحسب خُرافات آباء ومُعلِّمي "أولاد مريم" الّذين يصدِّقونَهم بدون أيّ اعتراضٍ أو مناقشةٍ، لكان يسوع توجَّه أوَّلاً ومباشرةً إلى أمِّهِ مريم لتكون أوَّل من يراه بعد قيامته من بين الأموات.

وردت في إنجيل يوحنّا ثمانُ مئةٍ وتسعٌ وسبعون آيةٍ، ذُكِرَت مريم في تسعِ آياتٍ منها فقط!.

**مريم أمّ يسوع في أعمال الرُّسل:**

من أصلِ ألفٍ وواحدٍ وخمسين آيةٍ في سفر أعمال الرُّسل ذُكِرت مريم في آيةٍ واحدةٍ فقط، وجاءت على الشَّكل التّالي: "هؤلاء (التَّلاميذ) كُلُّهم كانوا يُواظِبون بنفسٍ واحدةٍ على الصَّلاة والطِّلبة، مع النِّساء، **ومريم أمِّ يسوع**، ومع إخوَتِهِ". ماذا؟!! أمَريمُ تُصلّي مع التَّلاميذ ولا يُصلّي لها التَّلاميذ؟!! أمَريمُ ساجدةٌ مع السّاجدين؟!! أمَريمُ تنتظرُ حلول الرّوح القُدس مع المُنتظرين؟!! كيف يكون هذا؟!!. الجواب بكلِّ بساطةٍ يؤكِّد ما قلناه سابقاً ونُكرِّره الآن، وهو أنَّ مريم أمُّ يسوع ليست هي "أمّ الله" الكاثوليكيَّة، لأنَّ مريم أمّ يسوع كانت **إنسانةٌ تَعْبُدُ مع العابِدين**، بينما مريم "أمُّ الله" الكاثوليكيَّة فهي **إلَهةٌ تُعْبَدُ مِنَ العابدين**.

لقد تَقصَّد الرَّب في سفرأعمال الرُّسل، وبِوَحيٍ من الرّوح القُدس، أن تَنقطِع أخبارَ مريم أمُّ يسوع نهائيّاً من أمامِ جميع الأجيال، ليُفهِمَنا أنَّ الدَّورالّذي كان لها مع الرَّب يسوع المسيح قبل قيامته من بين الأموات، قد انتهى بعدها. لأنَّه ومن بعد القيامة وانسكاب الرّوح القُدس بحسب وعد الآب في يوم الخمسين، قد أصبح الدَّور بكامِلِهِ للرَّب يسوع المسيح **وحده**، الّذي هو الألف والياء، البداية والنِّهاية، لهُ المجد إلى أبد الآبدين، آمين.

أودُّ في نهايةِ الكلام عن مريم أمّ يسوع، أن أكتُبَ رسالةً إليها (معَ إنَّني أعرف بأنَّها لن تقرأها) لأصِفَ لها فيها مشاعري الصّادقة تجاهها لكي لا يظنَّ أحدٌ أنَّ الّذي كتبته عنها دليلٌ على إنَّني أبغضها أو أحتقرها. لأنَّني وبصدقٍ أحببتُ بأن أدافع عنها أمام الّذين أساءوا إليها كثيراً، حين قاموا بتغيير شخصيتها الحقيقيَّةِ إلى شخصيَّةٍ مزيَّفةٍ، وأبدلوا صورتها الجميلة والرّائعة إلى صورةٍ قبيحةٍ ووثنيَّةٍ لا تُشبِهُها، ولا تَمُت لها بأيَّةِ صِلةٍ.

رسالةٌ إلى مريم العذراء المبارَكة، أمُّ يسوع

أُرسِلُ رسالّتي هذه إليكِ يا مريم، مُقترِنةً بأسمى مشاعر المحبَّة والتَّقدير الّتي تستحقينها، على كلِّ ما أظهرتِ في حياتكِ من طاعةٍ وتواضعٍ تَتعلَّم منهما الأجيال، كما إنَّني لن أنسى كلَّ ما قدَّمتِ في حياتكِ من عطاءٍ للرَّب يسوع المسيح ابن الله

القدُّوس، الّذي وُلِد منكِ كإنسانٍ، الّذي أقدِّم إليه كلُّ شُكري وتَعظيمي، لأنَّ الإيمان الأقدَس الّذي أعطاكِ إيَّاه أعطاني إيَّاه أيضاً، والخلاص الثمَّين الّذي وَهبَكِ إيَّاه وهبني إيَّاه أيضاً، والحياة الأبديَّة الّتي مَنحَكِ إيَّاها منحني إيَّاها أيضاً. فَصِرنا بنعمته ورحمته - أنا وأنتِ - مُتساويَّين مع بعضنا البعض، ومعنا جميع الّذين حصلوا مثلنا على الإيمان الأقدس والخلاص الثمَّين والحياة الأبديَّة، الّذين أعطاهم لكلِّ إنسانٍ يَقبلهُ مخلِّصاً شخصيّاً لهُ، ويُملِّكَهُ ربّاً على حياتهِ إلى الأبد.

أنا اليوم أطوِّبكِ يا مريم، ليس لأنَّ الرَّب يسوع قد وُلِدَ منكِ وحَسْب مع إنَّها نِعمةً عظيمةً قد نِلتِها وَحدكِ، لكن لأنَّكِ بعيدةٌ جداً عن عالمِنا المُظلِم الغائصِ في لُجَّةِ الكذب العميقة، والّذي يَتسلَّط عليه إبليس مُسيطراً على عقول الملايين من النّاس الهالكين، الّذين استسلموا له ولرغباتهِ وشهواتهِ واقتَنعوا بأكاذيبهِ، فانقادوا بضلالِه، وأصبحوا عمياناً يعملون مشيئته. لكنَّ الخَبَر المُحزِن الّذي أجِد صعوبةً في إخبارِك إيَّاه يا مريم، هو أنَّ بعضَ النّاسِ أخذوا اسْمكِ الجميل، وسَمّوا به الإلَهَة الأمّ الوثنيَّة بدلاً من كلِّ أسمائِها القديمة مثل إيزيس وعشتار وسيبل، فصارت تُدعى مريم. وهم الآن يُصَلّون لتلك الإلَهة الأمّ، في الوقت الّذي يَظنُّون أنَّهم يُصَلُّون اليكِ، مع أنَّكِ لم تَطلبي منهم ذلك. وهم الآن أيضاً يُعلِنون محبَّتهم وبَنويتَهم لتلك الإلَهة الأمّ، في الوقت الّذي يَظنَّون إنَّهم يُعلِنون مَحبَّتهم لكِ وأمومتكِ لهم، بينما أنتِ لم تُشيري لهم بذلك. وهم الآن يعيشون في مخافةِ تلك الإلَهة الأمّ ويَعبِدونها ويُكرِّمونها، ويصنعون لها تماثيلٍ يسجدون أمامها، في الوقت الّذي يظنُّون أنَّ هذه العبادة وهذا التَّكريم مُوَجَّهان لكِ، بينما أنتِ بالتّأكيد تَكرَهين وتَرفُضين ذلك. وهم الآن مُندَهشون من ظهوراتٍ لأرواحٍ تأتي عليهم من عالم الغَيْبِ مُتَّخِذةً أشكالاً مختلفةً ترافقها أنوارٌ غريبةٌ، في الوقتِ الّذي يَظنَّون أنَّكِ أنتِ الّتي تَظْهَرين بها لتُشعريهم بوجودكِ الدَّائم معهم، بينما أنتِ بالتّأكيد ليس لكِ أيَّةُ علاقةٍ بهذا الموضوع لأنَّكِ قد ذهبتِ إلى السَّماء الّتي على بابها مكتوبٌ "ولوجٌ دون خروج" فلذلك نحن نعلم أنَّ اتّصالكِ مع عالمنا هنا مقطوع.

أخيراً أقول لكِ يا مريم، إلى اللِّقاء في سماء المجد. لنَسجُدَ هناك، أنا وأنتِ ومعنا جميع المفديين بدماء الحمل، أمام عرش الرَّب يسوع المسيح العظيم، ملك الملوك وربِّ الأرباب، الأوَّل والآخِر، لِنَهتِفَ له **وحدَه** هُتافاً أبديّاً قائلين: "مُستحِقٌّ هو الخروف المذبوح أن يأخذَ القدرة والغنى والحكمة والقوَّة والكرامة والمَجد والبَرَكة والسُّلطان إلى أبد الأبدين. آمين" (رؤيا ٥:١٢).

**- مريم الكاثوليكيَّة:**

أخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة اسْم مريم أمُّ يسوع من الإنجيل ومعه بعضاً من الأحداث والوقائع المدوَّنةَ فيه عنها، والّتي لم تَستطع أن تغيِّر شيئاً في مضمونها، لتَضعها على الإلَهة الأمِّ الوثنيَّة، فأصبحت تُدعى الإلَهة الأمّ "مريم الكاثوليكيَّة" والّتي لا تُشبِه مريم أمُّ يسوع الموجودة في الإنجيل في شيءٍ. وهذا ما سنعرفه الآن إذ سننتقل إلى الخوض في تفاصيلَ شخصيَّةِ مريم الكاثوليكيَّة، من خلال نظرةِ ورأيِ وأفكارِ وتعاليم وعقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة، الموضوعةَ في التَّقليد الأبوكريفي، والمُتعلِّقة بولادتها وطفولتها وحياتها وموتها وقيامتها وتتويجها وألقابها وظهوراتها. كما إنَّنا سنتكلَّم عن مريم الكاثوليكيَّة السَّوداء في نهاية هذا الموضوع.

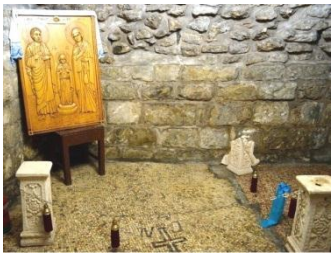

**- ولادة مريم الكاثوليكيَّة:** مع أنَّ الإنجيل لم يذكرَ أيَّةِ تفاصيلٍ عن ولادةِ مريم أمّ يسوع وطفولتها، فقد قام شخصٌ مجهولٌ بكتابةِ ما يُسمّى "إنجيل يعقوب" في القرن الثّاني الميلادي، ونَسَبهُ إلى الرَّسول يعقوب الّذي عاشَ في القرن الأوَّل الميلادي!. وبالإستنادِ إلى هذا الإنجيل المنحول، المملوء بالخُرافات والأكاذيب، يدَّعي مُعلّمو الكنيسة الكاثوليكيَّة بأنَّ والدَي مريم يُدعَيان يُواقيم وحنَّةُ، وكانا يعيشان في النّاصرة وقد عكَّرت صَفوَ سعادتهما خيبةُ أملٍ كبيرةٍ، لأنَّهما تقدَّما في الأيّام كثيراً بدون أن يكون لهما ولدٌ، لأنَّ حنَّةُ كانت عاقراً. فأصابهما اليأس والحزن، لكن بعد صلواتهما المُقترنةَ برجاءٍ أن يعمل الله معهما ما عمِلَ مع إبراهيم وسارة، استجاب الله القدير وأرسل ملاكه حاملاً النّبأ السَّعيد إلى حَنَّة أوّلاً وقال لها: "يا حَنَّة، أن الله سمع صلاتكِ وسوف تَحبلين وتلدين نسلاً يُحكى عنه في العالم كلّه". ثمَّ جاء الملاك إلى يواقيم وأخبره بأنَّ الله قد سمع صلاتَهُ وستَحبل حَنّة امرأته. عَرَفَ يواقيم حَنّة فولدت بعد تسعة أشهر ابنةً أسمياها مريم (يَظهرُ مكانَ الولادةِ المزعوم في الصُّورة المُرفَقة أعلاه). كَبُرت مريم يوماً بعد يومٍ، وعندما بلغت ستَّة أشهر وضَعتها أمُّها على الأرض فمشت سبعَ خطواتٍ وجاءت ترتمي بين ذراعَي أمَّها. وعندما بلغت عامها الأوَّل دعا يواقيم الكهنة والكتبة ومجلس الشُّيوخ وكلّ شعب إسرائيل وأحضر الطّفلة إلى الكهنة فباركوها قائلين: "يا إلَه أبائنا، بارِك هذه الطِّفلة وأعطِها إسْماً يُعَظَّمُ في كلِّ الأجيال"، فقال كلّ الشَّعب آمين.

- **الطّفلة مريم الكاثوليكيَّة**: إذاً بالاستناد إلى هذا الإنجيل المنحول، إبتدعت الكنيسة الكاثوليكيَّة مَن أسمَتها "الطِّفلة مريم" لتُكَرِّم من خلالها الطُّفولية المقدَّسة للعذراء مريم في إيطاليا وبولندا والمكسيك، وعند البعض من الكاثوليك في أميركا ومن حول العالم. ظَهرت قصَّة هذه الطِّفلة أوَّلاً في إيطاليا وأتت على الشَّكل التّالي: شكَّلَت رئيسة رهبنة أخوات كلير الفقيرات إيزابيلا فورناي (١٦٩٧-١٧٤٤) التِّمثال وصَنعتهُ من الشَّمع مع عينين زرقاوتين. وبعد مرور عشرات السِّنين وتغيُّرِ الأشخاص الّذين حافظوا عليه خلالها، وصل التِّمثال وقد أصبح لونه مائلاً إلى الأصفر والرَّمادي إلى موقعه الحالي عند راهبات المحبَّة في مدينة ميلان في عام ١٨٧٦. وفي يوم عيد ميلادها في الثّامن من شهر أيلول عام ١٨٨٤ إبتدأت "الطِّفلة مريم" في صنعِ العجائبَ لمن عنده الولاء والمحبَّة لها. فعندما كانت إحدى الرّاهبات طريحةَ الفراشِ في المستشفى بسبب شللٍ في ذراعيها وقدميها، طلبت من رئيسة الدَّير أن تَجلب لها تمثال "الطّفلة مريم" لتُبقيه معها في اللّيل. وفي اليوم التّالي أخذت رئيسة الدَّير التِّمثال في جولةٍ على كلِّ الرّاهبات المريضات، وحين وصلت إلى سريرِ إحداهنَّ والّتي كانت في حالةٍ خطرةٍ أخذت الرّاهبة التِّمثال بين ذراعيها وطلبت بحرارة من "الطّفلة مريم" بأن تَشفيها، فشُفيت في الحال بطريقةٍ معجزيَّةٍ. في عام ١٨٨٥ حصلت معجزةٌ أخرى، لكن هذه المرَّة في التِّمثال نفسه. فقد بدأت الرّاهبات برؤيةِ تَحوُّلٌ فُجائيٌّ ومُدهشٌ في لون التِّمثال من اللّونَين الأصفر والرَّمادي إلى لون اللَّحم الوردي الدافئ لتُصبِحَ ملامح وجههُ كملامحِ وجهِ طفلةٍ جميلةٍ حيَّةٍ، ولا يزال لونه الجَّديد واضحاً للعيان إلى يومنا الحاضر!. في عام ١٩٠٤ توَّج الكاردينال فيراري التِّمثال، وفي عام ١٩٠٩ قدَّم البابا بيوس العاشر صكَّ غفرانٍ للخطايا يناله كلُّ من يزور "الطّفلة مريم". تُقام لهذه "الطِّفلة" في عيد ميلادها في الثّامن من شهر أيلول من كلِّ عامٍ في مسيراتٍ مُترافقةٍ مع الموسيقى والتّراتيل والبَخور. وفي شهر تشرين الثّاني من عام ١٩٨٤، قال البابا يوحنّا بولس الثّاني لراهبات المحبَّة في ميلان خلال زيارته "للطِّفلة مريم" في ديرهِنَّ كما يظهر بالصُّورة المُرفَقة:

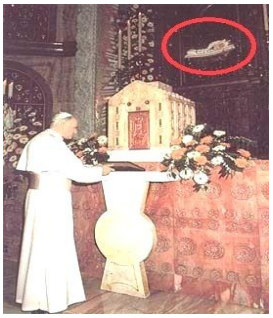

"يبدو أنَّ سرَّ طفولةِ مريم المقدَّس ليس معروفاً جيِّداً، وأنا أعتقد أنَّ لديكم واجباً كبيراً في أن تتعمَّقوا في معرفةِ وتقديرِ قيمة هذا السِّر".

أمَّا قصَّة "الطِّفلة مريم" الكاثوليكيَّة في المكسيك فهي مُنفصِلةً ومُختلِفةً عن الّتي في إيطاليا ولها قصَّتها الخاصَّة وعيناها سوداوتان. تبدأ قصَّتها في السّادس من شهر كانون الثّاني من العام ١٨٤٠، حين كانت الرّاهبة مجدلينا ساجدةً في ديرها أمام "الطِّفل يسوع" الموضوع في مذودٍ، أتَتها فكرةٌ تقول بأنَّه، ما دمنا نُكرِّم طُفولة يسوع فلماذا لا نفعل الشّيء نفسه مع أمِّهِ العزيزة؟. فجأة ظَهرت أمامها طفلةٌ صغيرةٌ تَلبس مثل أميرةً مُستلقِيةً على الهواء الرَّقيق. عَرفَت الرّاهبة فوراً أنَّ هذه الطِّفلة الصَّغيرة الّتي أمامها هي مريم العذراء وقد ظَهرت عليها على شكلِ طفلةٍ وقالت لها: "سأمنَح نِعَمٌ عظيمةٌ إلى من يُكرِّمني في طفولتي". ذهبت الرّاهبة المُندهِشَة إلى رئيسةِ الدَّير وأخبرتها عن رؤيتها وعن رغبتها بتكريم الطِّفلة مريم. فقام أحد النَّحاتين المحليين بتصميم وصُنْعِ تمثالٍ للطّفلة مريم، عمِلت الرّاهبة بعدها بنشر تكريمها بين النّاس، ونال العديد منهم عجائبَ شفاءٍ بشفاعتها. أثار هذا التَّكريم جدلاً واسعاً حول إن كانت فيه فائدةٌ أم لا، لكنَّ البابا غريغوري السّادس عشر حَسَم هذا الجدل بإعلانه ضرورةَ تكريم "الطّفلة مريم"، وقدَّم صكوك غفران للخطايا لكلِّ الّذين سيُكرِّمونها.

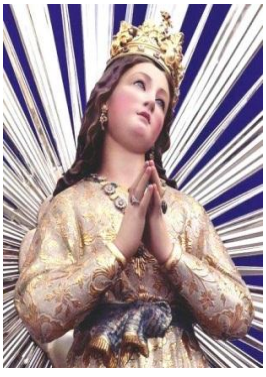

- **بلوغ الطّفلة مريم الكاثوليكيَّة**: إذا عُدنا إلى إنجيل يعقوب المنحول لنتابع قصَّة "الطِّفلة مريم" وما حدث بعدها، فسنجد أنَّه عندما بلغت عامها الثّالث أخذها أبواها إلى الهيكل ليقدِّماها للرَّب وفاءً لنذرهما له. وحين دخلوا الهيكل إستقبل الكاهن الطِّفلة وقبَّلها وقال لها: "يا مريمُ إنَّ الرَّب عظَّم اسْمكِ في جميع الأجيال، وفي آخِر الأيّام سيُظهِر الله فيكِ خلاصَ أبناء إسرائيل". فسكب الله نعمته عليها فارتعشت فرحاً وهي تَرقص برجلَيها، وقد أحبَّها كلّ بيت إسرائيل. ترك يواقيم وحنَّة مريم في الهيكل شاكرين الله بأنَّها لم تلتفت إليهما. وكانت مريم مثل اليمامة في الهيكل وكانت تتلقّى طعامها من يدِ الملائكة.

وعندما بلغت مريم الثّانية عشرة من عمرها، اجتمع الكهنة في هيكل الرَّب ليتباحثوا في ما سيفعلون بمريم، وقالوا لرئيسهم إذهب وقف أمام الرَّب وصَلِّ من أجلها، وما سيُظهِره الله سَنمْتَثِل له. دخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس لابساً رداءهُ الكهنوتيّ المُزيَّن بإثني عشر جَرساً وصلّى إلى الله من أجل مريم، وإذا بملاكِ الرَّب يَظهر له قائلاً: "يا زكريا، أُخرج واستدعِ من هم رجالٌ أراملٌ وسط الشَّعب وليأتِ كلَّ واحدٍ منهم بعصا، ومن يختاره الله بعلامةٍ يكون الزَّوج المُعطى لمريم ليحفظها. أتى الأرامل بمن فيهم يوسف وكلُّ واحدٍ حاملٌ عصاهُ واجتمعوا أمام رئيس الكهنة الّذي أخذ منهم عصِيِّهم ودخل بها إلى قدس الأقداس وصلّى، وعندما خرج وأعاد العصيّ كلُّ واحدةٍ إلى صاحبها، خرجت من عصا يوسف حمامةً غَطَّت على رأسهِ. فقال له رئيس الكهنة لقد تمَّ اختيارك من الله لتَقَبُّلِ عذراء الرَّب هذه ولتحفظها قربك مدى الحياة. قدَّم يوسف اعتراضاتٍ قائلاً: "لي أولادٌ وأنا شيخٌ وهي فتاة صغيرةٌ، وأخاف أن أكونَ عرضةً لسُخريَّةِ أبناءَ إسرائيل". فأجاب رئيس الكهنة يوسف محذِّراً: "تَذكَّر يا يوسف كيف عاقَبَ الله عصيان داثان وأبيرام وقورح وكيف انفتحت الأرض وابتلعتهم مع أولادهم أحياء، لأنَّهم تجرأوا على عصيان أوامر الله. فتَحذَّر يا يوسف لئلَّا يُصيبكَ مع بيتكَ ما أصابهم". فتقبَّل يوسف مريم مرتعباً وقال لها: "إنَّني أتقبَّلكِ من هيكلِ الرَّب. والأن سأذهب لأُزاول مهنتي كنَجّار وسأعود إليكِ وليحفظكِ الله كلّ الأيّام...".

ولننتقل الآن من هذا الإنجيل المنحول الّذي أخذوا منه الأخبار الملفَّقة، إلى تقليدهم الّذي يحتوي على أكاذيبٍ تفوق أكاذيبَ إنجيل يعقوب عدداً، وتتفوَّق عليها أسلوباً ونَهجاً وكذِباً. وإلى هذا التَّقليد ندخل لنعرف منه بقيَّة القصَّة الكاملة عن مريم الكاثوليكيَّة.

**- مريم الكاثوليكيَّة في يوم الخمسين**: لمّا حضَر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفسٍ واحدةٍ، وصار بغتةً من السَّماء صوتٌ كما من هبوبِ ريحٍ عاصفةٍ وملأَ كلَّ البيت حيث كانوا جالسين، وظَهرت لهم ألسنةٌ منقَسِمةٌ كأنَّها من نارٍ واستقرَّت على كلِّ واحدٍ منهم. وامتلأ الجميع من الرّوح القدس (أعمال الرسل٢:١). إذاً فقد اجتمع التَّلاميذ بمن فيهم مريم أمُّ يسوع مُنتظرين موعد الآب بحسب ما طلب يسوع منهم

ذلك، **فنزلت ألسِنةٌ من نارٍعليهم جميعاً** وامتلأوا من الرّوح القدس. لكن بحسب الأفكار الكاثوليكيَّة الموجودة في التقليد الّتي تَعمَد دائماً إلى تغيّير الوقائع وقلب الحقائق، فقد رُسِمَت مريم الكاثوليكيَّة في يوم الخمسين مع حمامةٍ ترفرف فوق رأسها وهي تأخذ مكاناً مركزيّاً في وسطِ التّلاميذ، لم تأخذه مريم أمُّ يسوع. لكنَّنا نعلم من الإنجيل بأنَّ الرّوح القدس نزل آتياً مثل حمامةٍ على يسوع من بعد معموديته في نهر الأردن، ولكنَّه لم ينزل بذات الطّريقة لا على مريم ولا على أيِّ شخصٍ آخر. ويقول الإنجيل بوضوحٍ كما رأينا إنَّ مريم أمَّ يسوع استقر لسانٌ من نارٍ على رأسها، كما على رأسِ كلِّ التّلاميذ الآخرين، فلذلك هذا أيضاً دليلٌ آخرٌ يؤكِّد أنَّها ليست مريم الكاثوليكيَّة الّتي تَمثَّلت مع حمامةٍ على رأسها كما كانت الإلَهة الأمّ الوثنيَّة تَتَمثَّل أحياناً مع حمامةٍ على رأسها كما في حالةِ الإلَهات جونو، وإيزيس، وسيبَل .

يوم الخمسين بحسب التّعليم الكاثوليكي

**- مريم الكاثوليكيَّة في أفسس:** بحسب الإنجيل فإنَّ أحداً لا يعرف أيّ شيئٍ عمّا حدث مع مريم أمّ يسوع بعد أن كانت في العِلِّية تُصلّي مع التّلاميذ. أمَّا بحسب التَّقليد، فإنَّ مريم الكاثوليكيَّة قد انضَمَّت إلى عائلة الرَّسول يوحنّا وسكنت في بيته في أورشليم أحدَ عشر عاماً، ثمَّ انتقلت معه إلى بيته في أفسُس (الّذي في الصُّورة المُرفَقة) حيث قضَت فيهِ بقيَّة حياتها، وهناك ساهمت بإنشاءِ كنيسةَ أفسُس وتأسيسِ كنيسةَ فيلبِّي!. ويقول التَّقليد أيضاً إنَّ لوقا قد زارها في هذا البيت حيثُ رَسَم أولى الأيقونات لها وأخذ منها أيضاً المعلومات الّتي وضعها في إنجيله!. تَمَّ اكتشاف هذا البيت سنة ١٨١٢ عن طريق رؤيا رأته فيها راهبةٌ ألمانيَّةٌ ووَصفتهُ في كافة تفاصيله، فسافر رجلَ دينٍ إلى أفسُس وقال بأنَّهُ وجد بيتاً مطابقاً لما رأته الرّاهبة. أصبح هذا البيت لاحقاً محجّاً للكاثوليك يقصدونه من مختلف بقاع الأرض، خاصَّةً من بعد أن أعلنه البابا يوحنّا بولس الثّاني كمكانِ حجٍّ لجميع الكاثوليك. في الخامس عشر من شهر آب من كلِّ عام، يُقام فيه احتفال بانتقال مريم الكاثوليكيَّة إلى السَّماء بحسب المزاعم الكاثوليكيَّة.

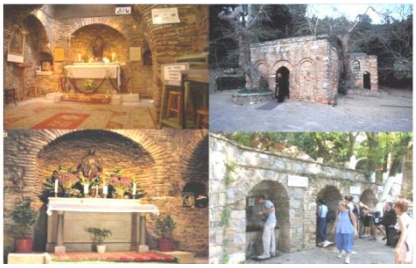

لكن لماذا تمَّ الإدعاء بأنَّ مريم الكاثوليكيَّة قد ذهبت إلى أفسُس في الوقت الّذي فيه لا يعرف أحدٌ أين ذهبت؟ الجوابُ هو أنَّ رجال الدّين الّذين مَسْحَنوا الإلَهة الأمّ إيزيس الّتي كانت تُعبَد في روما بتبديل اسمها إلى مريم، قرَّروا بأن يُمَسْحِنوا الإلَهة الأم العظيمة أرطاميس الّتي كانت تُعبَد في أفسس، بتبديل اسمها هي أيضاً إلى مريم، وبهذا القرار تكون جميع الأسماء القديمة الّتي كانت للإلهة الأمّ الوثنيَّة قد أُزيلت من الوجود ليُصبِح اسمها الجديد والوحيد **مريم**. في العام ٤٣١م أصبحت عبادة مريم الكاثوليكيَّة عقيدةً رسميَّةً مُلزِمة في مجمع أفسُس الّذي إلتَأمَ بحجَّةِ الدِّفاع عن لاهوت ابن الله المتجسِّد من العذراء مريم ضدَّ الهرطقة النسطوريَّة، لكنَّه تحوَّل بدلاً من هذا إلى ابتداع أعظم هرطقة تجديفيَّة عرفتها البشريَّة، ألا وهي الكلمة اليونانيَّة "ثيوتوكس"، أي ما ترجمته في اللّغة العربية "أمُّ الله" أو "أمُّ الإلَه".

**- موت وانتقال مريم الكاثوليكيَّة**: يحتفل الملايين من الكاثوليك من حول العالم في الخامس عشر من شهر آب من كلِّ عامٍ بما يُسمّى عيد انتقال مريم الكاثوليكيَّة إلى السَّماء. جاءَ هذا العيد إثر إعلانٍ من البابا بيوس الثّاني عشر في الأوَّل من شهر تشرين الثّاني من عام ١٩٥٠، بأنَّ مريم الكاثوليكيَّة قد انتقلت بالنَّفسِ والجسد إلى السَّماء في نهاية حياتها. وأصبح هذا الإعلان عقيدةً إيمانيَّة مفروضةً على الضّمير الكاثوليكيّ والويل لمن يعترض عليها. أمَّا كيف جاءت هذه الفكرة للبابا والّتي لا سَند لها في الإنجيل ولا يُساندها التّاريخ، فهذا طبعاً من أسرار الكاثوليكيَّة وهرطقات الباباويَّة. إذ بالعودة بالتّاريخ الى القرن الرّابع الميلادي، فإنّنا نجد بأن أبيفانوس أسقف سلاميس في قبرص (٣١٥-٤٠٣) قد نقض إعلان البابا بيوس حتّى من قبلِ أن يولد هذا البابا بقرونٍ حين قال: "إنَّ العذراء مريم لم تلبثَ مدَّةً طويلةً في بيت يوحنّا الحبيب وإنَّنا نَجهل كيف انتهت حياتها على الأرض. وإذا بدا للبعض بأنَّنا على ضلالٍ، فليبحثوا في الكتب المقدَّسة ولن يجدوا فيها شيئاً عن موتها، وإذا ماتت أو لم تمت، وإذا دُفنت أو لم تُدفَن... **في الواقع لا أحدٌ يعرف كيف كانت نهاية حياتها**". ألا يؤكِّد كلام الأسقف أبيفانوس المناقض لكلام البابا بيوس، كلامنا الدّائم عن الفَرق والاختلاف الواضِحَين بين مريم أمّ يسوع الموجودة في الإنجيل، وبين مريم الكاثوليكيَّة الموجودة في التَّقليد؟.

إنَّ واحدةً من أعظم الشُّرور الّتي يَقترِفُها الإنسان في حياته هي عندما يَكذب ويَخترع البِدع المُضلِّلَة لأجل ربح المال القبيح والسَّيطرة على عقول الآخرين، وهذا بالضَّبط ما يفعله رجال الدّين ولا يَهمّ لأيَّةِ طائفةٍ انتموا أو بأيِّ اسمٍ تَسمّوا به، لأنَّهم يَتَّسِمون بشراهةٍ عاليةٍ على الكذب وتأليف الأساطير والخُرافات، والّتي يُدخِلون أسماء الرّسل وقدّيسّي العَليّ فيها ليعطوها المصداقيَّة أمام النّاس. القصَّة التّالية هي واحدةٌ من القِصص الخُرافيَّة الّتي ألَّفها رجال الدّين هؤلاء وهي تتكلَّم على انتقال مريم الكاثوليكيَّة بالنَّفس والجسد إلى السَّماء:

"بعد مدَّةٍ من صعود المسيح إلى السَّماء (هنا تختلف الطَّوائف بين بعضها في تحديد عددَ سنيِّها) أرسل إلى أمِّهِ ملاكاً يحملُ إليها خبر انتقالها إليه، ففرحت كثيراً وطلبت منه بأن يَجمعَ إليها الرُّسل. أمرَ السَّيد المسيح أن يجتمع الرُّسل من كلِّ أنحاء العالم حيث كانوا متفرِّقين يكرزون بالإنجيل، وبأن يذهبوا إلى جثّسيماني في أورشليم (هنا تختلف الطَّوائف بين بعضها عن مكان وفاتها، فالبعض يقول في أورشليم بينما البعض الآخر يقول في أفسُس)، وبمعجزةٍ إلهيةٍ وُجِدوا جميعاً في لحظةٍ أمام السَّيدة العذراء فيما عدا توما الرَّسول الّذي كان يَكرِز في الهند، وكان عدم حضوره لحكمةٍ إلَهيَّةٍ. فَرِحت العذراء بحضورالرُّسل وقالت لهم بأنَّه قد حان وقت انتقالها من هذا العالم، ومن بعدما عزَّتهم وودَّعتهم، حَضر إليها ابْنها يسوع مع حَشدٍ من الملائكة القدّيسين فأسْلَمت روحها الطّاهرة بين يديه المُقدَّستين (هنا تختلف الطَّوائف مع بعضها في تحديد عمر مريم في يوم وفاتها). رفعها الرُّسل ووضعوها في التّابوت وهم يرتِّلون مع الملائكة غير المَنظورين ودفنوها في القبر. ظلَّ الملائكة يُرتِّلون حولها لمدة ثلاثة أيّام لم تنقطِع فيها أصواتهم خلالها، وترافقت مع هبوبِ رائحةَ بخورٍ زكيَّةٍ. لم يترك التَّلاميذ المكان إلاّ بعد انقطاع أصوات التَّسابيح ورائحة البخور. كانت مشيئة الرَّب بعدها أن يُرفَع الجسد الطّاهر إلى السَّماء محمولاً بواسطة الملائكة، وقد أُخفيَ الأمر عن أعْيُنِ التَّلاميذ ما عدا الرَّسول توما، الّذي كان يُبشِّر في الهند ولم يكن حاضراً وقت رقاد السَّيدة وانتقالها من أرضنا الفانية. إلاَّ أنَّ سحابةٌ حملتهُ لملاقاة جسد القدّيسة مريم في الهواء وسمع أحد الملائكة يقول له: "تقدَّم وتَبارَك من جسد كُلِّية الطُّهر" ففعل كما أمره الملاك. ثمَّ ارتفع الجسد إلى السَّماء وأعادت السَّحابة توما إلى الهند ليُكمِلَ خدمته وكرازته هناك. قرَّر توما بعدها بأن يذهب إلى أورشليم لمقابلة باقي الرُّسل وحين وصل أبلغه الرُّسل برقاد السَّيدة العذراء فطلبَ منهم أن يرى بنفسه الجسد قائلاً: "أنا توما الّذي لم أؤمن بقيامة المسيح إلاَّ من

بعد أن وضعتُ يديَّ في أثار المسامير". فلمّا رجعوا إلى القبر وكشفوا التّابوت لم يجدوا إلاَّ الأكفان فحزنوا جداً لأنَّهم ظنّوا بأنَّ اليهود أتوا وسرقوا الجسد لكنَّ توما طمأنهم قائلاً: "أنا رأيتُ جسد العذراء الطّاهرة محمولاً بين أيدي الملائكة". فقرَّروا جميعاً أن يصوموا لمدَّة أسبوعين وهو الصَّوم المعروف بصوم العذراء رافعين الصَّلاة والطَّلِبات للرَّب يسوع بأن يَمنحهم بركة مشاهدة هذا الصُّعود لجسدها إلى السَّماء، فحقَّق الرَّب طِلبتهم وأعلن لهم أنَّ الجسدَ محفوظٌ تحت شجرة الحياة في الفردوس. ظهر لاحقاً من القبر الّذي وُضِعت فيه العذراء لثلاثة أيّامٍ عجائبَ كثيرةٍ ذاع خبرها حول العالم، مِمّا أذهل اليهود الّذين اجتمعوا وقرّروا حرقَ الجسد الطّاهر فلمّا فتحوا القبر لم يجدوا فيه إلاَّ بخوراً عطِراً يتصاعد منه فآمن جمعٌ غفير منهم وانصَرفَ مشايخُهُم خائبين".

**- تتويج مريم الكاثوليكيَّة**: عندما يَعزم باباوات روما على إطلاق بِدعةٍ كاثوليكيَّةٍ جديدةٍ يُفتِّشون عمّا يدعمها في الكتاب المقدَّس. فلذلك اقتطع البابا بيوس الثّاني عشر آيتَين من الإصحاح الثّاني عشر من سفر الرُّؤيا ليدعم بدعته الجديدة بهما مع كونهما لا تتكلَّمان أبداً عن مريم أمّ يسوع: "وظهرت آيةٌ عظيمةٌ في السَّماء، امرأةٌ مُتسربلةٌ بالشَّمسِ، والقمرُ تحت رجليها، وعلى رأسها إكليلٌ من اثني عشر كوكباً". البدعة الجديدة هي إعلانٌ أطلقهَ البابا في العام ١٩٥٤ كملحقٍ للإعلان الّذي كان قد أطلقهُ في العام ١٩٥٠عن انتقال مريم الكاثوليكيَّة إلى السَّماء. الإعلان الجديد هو أنَّها ومن بعد انتقالها إلى السَّماء قد توَّجَها الثّالوث الأقدس كملكةِ السَّماء والأرضِ. فبِحسب هذه المزاعم فقد ترك الثّالوث الأقدس كلَّ أعماله ليتفرَّغ إلى تتويج "مَريمتهم" وليتنازل لها عن كلّ مجده، وقام الفنّانون الكاثوليك برسم الآب والأبن على صورةِ الإنسان، والرّوح القُدس بشكلِ حمامةٍ، مجتمعين حولها وهي تقف على القمر ليُتوِّجوها ملكة السَّماء والأرض، وليضعوا على رأسها إكليلاً من اثني عشر كوكباً في الوقت الّذي فيه تُنشِد الملائكة بترانيم التَّعظيم لها. لكن لماذا ربط الكاثوليك "مَريَمتهم" بالقمر كما تَظهر بالتَّماثيل والصُّوَر الّتي صنعوها لها والمُشابِهة للّتي كانت لإلَهات القمر القديمات؟ الجواب الّذي تؤكِّده الصُّوَر المُرفَقَة في الصَّفحة التّالية هو لأنَّها أوَّلاً ليست مريم أمُّ يسوع والّتي ليس لها أيَّةَ علاقةٍ بالقمر، وثانياً لأنَّها هي الإلَهة الأمّ الوثنيَّة الّتي

ارتبطت قديماً مع القمر حين كانت بأسماء عشتار أو عشتروت، وغَيرهُنَّ مثل سيبَل ولونا وسيلين وأفروديت اللّواتي عَبدَهُنَّ الإغريق والرّومان مع القمر الّذي كان رمزاً مقدَّساً عند الشُّعوب الوثنيَّة الّتي عَبَدتهُ في العالم الوثنيّ القديم.

قمر الإلهة عشتار | قمر الإلهة سيبَل | قمر الإلهة لونا | قمر الإلهة سيلين | قمر الإلَهة مريم

أيضاً يَحضَرُ سؤالٌ آخرٌ في سياق موضوعنا هنا هو، لماذا يُلقِّب الكاثوليك "مريمتهم" بملكة السَّماء؟ الجواب هو لأنَّ هذا اللَّقب كان لها حين كانت تَحمِل اسْماً آخرَ في زمن الوثنيَّة القديم، كما يُخبرنا عنه النَّبي إرميا في السِّفر الّذي كتبه من قبلِ أن تولَدَ مريم أمّ يسوع، ومن قبلِ أن تُبتدعَ مريم الكاثوليكيَّة بمئات السِّنين: "الكلمة الّتي صارت إلى إرميا من قِبَلِ الرَّب قائلاً: أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم؟ الأبناء يلتقطون حطباً والأباء يوقِدون النّار والنِّساء يعجنَّ العجين ليصْنعن كعكاً **لملكة السَّموات**"(إرميا ٧:١٧). كانت الإلَهة الأمّ الّتي ذكرنا بعضاً من أسمائها سابقاً هي ملكة السَّموات، وقد عبدها الإسرائيليون في أيّام إرميا وسكبوا السَّكائب وبخَّروا البخور ونذروا النُّذور لها، وحين وبَّخهم إرميا على أفعالهم الرَّديَّة هذه تمرَّدوا عليه وأصَرّوا على عبادتها قائلين له بأنَّهم لن يسمعوا منه الكلمة الّتي كلَّمهم بها بإسْم الرَّب، لأنَّهم بسبب عبادتهم لملكة السَّموات شَبِعوا خبزاً ولم يَروا شرّاً (إرميا ٤٤). ألا ترى بالمقارنَة أيَّها القارئ العزيز أنَّ مَلكة السَّموات في زمن إرميا النَّبي هي نفسها مَلكة السَّماء الكاثوليكيَّة في زمن الباباويَّة ، وإنَّ ما كان يفعله الإسرائيليّون في الماضي في شَعائرعبادة مَلكة السَّموات الوثنيَّة، يفعله الملايين من الكاثوليك في الحاضر في شَعائر عبادة مَلكة السَّماء الكاثوليكيَّة؟.

- **عبادة مريم الكاثوليكيَّة**: إذاً كما رأينا فإنَّ عبادة مريم الكاثوليكيَّة لم تبدأ في وقتٍ محدَّدٍ أتى من بعد الوقت الّذي ظهرت فيه الكنيسة الكاثوليكيَّة الى الوجود، لأنَّ هذه العبادة كانت أصلاً للإلَهة الأمّ الوثنيَّة والّتي كانت تَتِمُّ من خلال الشَّعائر الدّينيَّة الّتي

أُقيمت لها، والمشاعر القلبيَّة الّتي قُدِّمت لها، والأشعار الّتي نُظِّمت لها، والألقاب الّتي أُعطِيت لها، والشُّموع الّتي أُضيئت لها، والبخور الّذي أُحْرِق لها، والصَّلوات والتَّسابيح الّتي رُفِعت لها، والمزارات والمعابد الّتي خُصِّصت لها، والتَّماثيل الّتي نُحِتت لتجسيدها والصُّوَر الّتي رُسِمت لتمثيلها، واقترنت هذه كلّها مع المحبَّة والتَّبجيل والسُّجود والإكرام والتَّعظيم والتَّمجيد لها، وقد تَحوَّلت هذه جميعها إلى عبادة الإلَهة الأمّ مريم الكاثوليكيَّة داخل الكنيسة الكاثوليكيَّة. وقد عمِل باباوات وآباء ومعلِّمو هذه الكنيسة جاهدين عبر العصور من خلال ابتداع ضلالاتٍ وبدَعٍ وتعاليمَ معقَّدةٍ ومخالِفةٍ لتعاليم الإنجيل البسيطة، على الإيحاء للنّاس بأنَّ "مَريَمتهُم" هذه هي مريم العذراء المُبارَكة أمُّ يسوع، لكن وكما رأينا من الإنجيل ومن المقارنة بين الإثنتين، فإنَّه لا يوجد أيِّ شَبَهٍ أو ارتباطٍ بينهما.

تُظهِرُ الصُّوَرُ المُرفَقة أدناه الصَّلواتِ الّتي كانت تُرفَع للإلَهة الأمّ الوثنيَّة بأسمائها المختلفة، وهي تُطابق الصَّلوات الّتي تُرفع الآن للإلهة الامّ مريم الكاثوليكيَّة، وهي تؤكِّد بأنَّها وعبادتها تحوَّلتا من الوثنيَّة إلى الوثنيَّة المُمَسْحَنة، وبأنَّها ليست من المسيحيَّة الحقيقية ولا حتّى تقترب من هُدْبِ ثوبها.

أيضاً تؤكِّد الصُّور التّالية الّتي سنضعها بدون وضع أسماءٍ تحتها، أنَّ عبادة مريم الكاثوليكيَّة في الكنيسة الكاثوليكيَّة هي عبادةٌ وثنيَّةٌ لسبب تَشابه طُرق عبادتها بالكامل مع طُرقِ عبادة الآلِهة الوثنيَّة في بقيَّة أديان المِثليَّة الدينيَّة في أيّامنا الحاضرة. فالكاثوليك - ومعهم طوائفَ أخرى من الوثنيَّة المُمَسْحَنَة - يَصنعون تماثيلَ كبيرة تُجَسِّد "مَريمَتهم" ليضعوها على التِّلال كما تفعل الدّيانات الأخرى بتماثيلَ آلِهَتها،

أو ليحمِلوها في مسيرات في البَرِّ أو في البَحر،

أو ليَضَعوها في البيوت،

أو في مزارات الشَّوارع،

ولِيُصَلّوا لها، ولِيَنحنوا ويَسجدوا أمامها،

ولِيُقبِّلوها،

وليُقدِّموا لها الورد قائلين اليك الورد يا... يُهدى من أيادينا (كلٌّ واحدٍ منهم يدعو بإسْم معبوده الخاص)،

وليُبخِّروها،

وليُضيئوا لها الشُّموع،

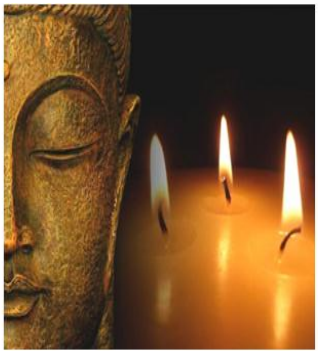

وليَلمسوها لأخذ "بركةٍ" منها كما يتوهَّمون،

وهذا ما يؤكِّد بأنَّ الوثنيَّة أتت من مصدرٍ واحدٍ كما رأينا من قبل وهو بابل، ومن ثمَّ تَشعَّبت لاحقاً حين تفرَّقت الشُّعوب والأمَم واختلفت بين بعضها البعض في اللّون واللّغة. أمرٌ آخرٌ يشترك فيه الكاثوليك مع إخوتهم في المِثليَّة الدينيَّة هو تعليقهم قلائدَ على أعناقهم تُمثّل "مَريمَتهم" مثلما يعلِّق الوثنيون قلائدَ تُمثِّل آلِهتهم على أعناقهم، لأنَّهم جميعاً يعتقدون بأنَّ وضع هذه القلائد يجلب لهم البَرَكة والحماية منهم.

**- ظهورات مريم الكاثوليكيَّة**: حَذَّرنا الرَّب يسوع المسيح في الإنجيل من أن ننقاد إلى ظواهرَ وظهوراتٍ غريبةٍ، تَدخُل في علاقتنا الرُّوحية معه والّتي لا تَمتَّ أبداً إلى الإيمان الحقيقيّ بهِ الّذي سلَّمنا إيّاه، لأنَّها تستبدله بإيمانٍ مُضلَّلٍ ومخدوعٍ. ويحذّرنا الرَّسول بولس بوحي الرّوح القُدس من إنَّ الشَّيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور، ويحذِّرنا أيضاً الرَّسول يوحنّا قائلاً: "لا تُصدِّقوا كلَّ روحٍ، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله". ولأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة اعتادت على عصيان كلام الله - كما نمرود - فلم تأخذ هذه التَّحذيرات على محمل الجدِّ ممّا أدخلها وأدخل أتباعها معها في نَفقٍ من النِّفَاق والضَّلال والظَّلام، أوصلهم إلى العَمى الرُّوحيّ وقادهم إلى اتِّباع أرواحِ شياطينٍ مجهولةٍ تأتي من عالم الغيب بأسماءَ أشخاصٍ معروفين في عالمنا،

فصاروا يتلمَّسون طريقهم كالعُمي بحثاً عن نورٍ لم ولن يجدوه إلاَّ في الرَّب يسوع المسيح **وحده**، وأصبح هلاكهم الأبدي في الظُّلمة الخارجيَّة حتميّاً لا محالة.

إذا تَصفَّحنا صفحات الكتاب المقدَّس المعدودة والصّادقة بعَهديه القديم والجديد، بحثاً عن الظُّهورات الإلَهيَّة وأسبابها وأوقاتها وكيفيَّة حدوثها، نجد بأنَّ الرَّب كان بذاته صانعها، وإظهار إرادته الصّالحة لنا مِحوَرها، وإيصال رسالته الواضحة إلينا أساسها. واللائحة التّالية تُوَضِّح قصدنا وتؤكِّد قولنا.

- ظهر الرَّب لإبراهيم عدَّة مرّات ليعطيه الوعود الزَّمنيَّة بولادة النَّسل الموعود منهُ، وليكلِّمه عن العهود الأبديَّة الّتي سيعطيها لشعبه المختار.

- ظهر الرَّب لإسحق بن ابراهيم، ومن بعده ظهر ليعقوب حفيد إبراهيم، ليُذكِّرهما وليؤكِّد لهما صدق مواعيده الّتي أعطاها لإبراهيم.

- ظهر الرَّب لموسى بلهيبِ نارٍ وسطِ عُلَّيقةٍ تتوقَّد بالنّار ولكن لم تكن تَحترق، فغطّى موسى وجهه لأنَّه خاف من أن ينظر إلى الله. أعطاهُ الله حينها وعداً بأنَّه سيُخرِج شعبه من العبوديَّة في مصر بيدٍ شديدةٍ وبذراعٍ ممدودةٍ.

- ظهر الرَّب لجدعون ووَعدَهُ بأنَّه سيكون معه، وطلب منه أن يخلِّص شعبه من يد أعدائه المديانيين.

- ظهر الرَّب لمنوح وامرأته العاقر ووَعدَهُما بأنَّها ستحبل وستلد ابناً يُخلِّص شعبهُ إسرائيل من أيدي الفلسطينيين. وُلد لهما إبنٌ أسمياه شمشون وتَمَّم ما تكلَّم به الرَّب.

- في العهد الجديد، ظَهر الرَّب يسوع المسيح بعد قيامته لمريم المجدليَّة أوَّلاً، ثمَّ ظهر لتلاميذه في العِلِّية ومن ثمَّ على بحيرة طَبريَّة، وبقيَ بعدها يظهر لهم لمدَّة أربعين يوماً ليكلِّمهم عن الأمور المُختصَّة بملكوت الله، وأعطاهم المأموريَّة العُظمى بالذِّهاب إلى العالم أجمع حاملين لهُ الإنجيل، الّذي يحتوي على رسالة المحبَّة والخلاص والفداء. ثمَّ ظهر على شاوُل الطرسوسي حين كان ذاهباً إلى دمشق ليَضطهدَ المسيحيّين وقال له: "أنا يسوع الّذي أنتَ تضطهدهُ، قُم وقِف على رجليك لأنِّي لهذا ظهرتُ لك، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيتَ وبما سأَظهَرُ لكَ بهِ...".

أمّا إذا تَصفحنا صفحات الكذب الكاثوليكيَّة غيرِ المعدودةِ والمُضَلِّلة عن ظهوراتٍ مزعومةٍ تُنسَب لمريم العذراء المُبارَكة، وأسبابها وأماكنها وأوقاتها وكيفيَّة حدوثها،

فاننا نجد أوَّلاً بأنَّ من يعرف مريم أمَّ يسوع جيِّداً من خلال الإنجيل يُدرك بأنَّها عند موتها قد أصبحت في السَّماء، ولن تعود إلى الأرض بظهوراتٍ نورانيَّةٍ متعدِّدةِ الألوانِ والأشكالِ والأسماءِ لتُضِلَّ النّاس من خلالها. ولا شكَّ بأنَّه إذا عرفت مريم بما يحدُث في عالمنا فستعرف من هو "الرّوح" الّذي يختبئ في هذه الظّهورات مُستخدِماً اسمها ليتلطَّى وراءه في سعيهِ إلى تحويل أنظار النّاس عن الرَّب يسوع المسيح وإبعادهم عنه بالضَّلال، لكي لا ينالوا بالإيمان به **وحده** الخلاص والحياة الأبديَّة.

تحوي صفحات الأكاذيب والخُرافات الكاثوليكيَّة الّتي تتوارثها الأجيال بدون أن تسأل عن أصلها ومصدرها أو عن مصداقيتها، رواياتٍ عن ظهوراتٍ لمريم الكاثوليكيَّة تُعَدُّ بالمئات، إبتدأت سنةَ أربعين ميلاديَّة مع الرَّسول يعقوب كما رأينا في الفصل الثّاني من هذا الكتاب واستمرت حتَّى القرن الواحد والعشرين الحالي. ومع أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لا تعترف إلاّ بالقليل من هذه الظُّهورات، إلاّ أنَّها تُشجِّع النّاس على الإيمان بأكثرها وتَصديقها بدلاً من تحذيرهم من مخاطرها وتَنبيههم من الدُّخول إلى عالم الأرواح الّتي لا يَعرف أحدٌ إن كانت تَنزل من أعلى السَّماء أو إن كانت تصعد من قعرِ الجحيم. ولأنَّ هذه الظُّهورات مُتشابهة وكلام الرّوح الّذي يَظهَر فيها هو نفسه مُكرَّراً سنقوم بقراءةِ ثمَّاني روايات عن الظّهورات الّتي تعترف فيها الكنيسة الكاثوليكيَّة ودراستها بعمقٍ وتأنٍّ، ثمَّ نقوم بتحليلِ ما جاء فيها لكي نكون مُدركين من هو "الرّوح" الّذي يَظهر في تلك الظُّهورات، وما هو الهدف الّذي يريدُ الوصولَ إليه، وبالتّالي نَصِلَ إلى خُلاصَةٍ نجني منها إفادةً تقود النّاس التّائهين في بحرٍ من الظّلام الرّوحيّ، تلاطِمهم فيه أمواج الجَهل إلى نور العالم الّذي هو الرَّب يسوع المسيح **وحده**.

**- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في غوادالوبي:** في سنة ١٥١٩ غزا الجنود الإسبان الكاثوليك إمبراطورية الأزتك (المكسيك حاليّاً) وقاموا بعملياتِ القتلِ والنَّهبِ والإبادةِ لشَعبها، وحولوهم قسراً أو طوعاً إلى الدِّيانة الكاثوليكيَّة بعدما دمَّروا معابدهم الوثنيَّة. أمَّا الرِّواية التّقليديَّة للظّهور في غوادالوبي فننقلها باختصارٍ على الشَّكل التّالي: في العام ١٥٢٥ اعتنق شخصٌ أزتكيٌّ الدِّيانة الكاثوليكيَّة بعدما عَمَّده مُرسَلٌ فرنسيسكانيٌّ وحصل على اسمٍ جديدٍ هو خُوان دييغو. وفي أحد الأيام من شهر كانون الأوَّل من العام

١٥٣١ وبينما كان خُوان في طريقه لحضور القدّاس، سمع موسيقىً رائعةً وصوتَ امرأةٍ تناديه من فوق تلّة تيبياك، ورأى فوق التَّلة امرأةً جميلةً تَشعُّ وهجاً عرَّفته عن نفسها بأنَّها العذراء مريم، وطلبت منه الذِّهاب إلى المطران وإطلاعه على أنّه يجب أن يُبنى لها معبداً لتمجيد اسمها في أسفل التلَّة. التلَّةُ كان مبنياً على قِمَّتِها قبل الغزو الإسباني هيكلٌ مُكرَّسٌ للإلَهة الأمّ الأزتكيَّة الوثنيَّة الّتي كانت تُدعى تيوتنانسين الّذي تفسيره "أمُّ الإلَه". ذهب خُوان وأخبر المطران بما سمع لكنَّ المطران شكَّ بالأمرِ ولم يُصدِّقهُ، فعاد خوان إلى التَّلة واعترف بفشله إلى السَّيدة العذراء فوعدته بصنعِ آيةٍ معه، وطلبت منه الصُّعود إلى قمَّةِ الجبل الجرداء لكي يلتقط الأزهار ويضعها في معطفه. تسلَّق خُوان الجبل وجمع الأزهار مُتعجِّباً لأنَّها نَبتت في طقسٍ باردٍ جداً وفي غير وقتها، وعاد بِها إليها فرتَّبتها بنفسها في المعطف وقالت له: "هذه هي الآية المنشودة، إحملها إلى المطران وأَفْرِدها أمامه وهو سينصاع لكلامي". انصرفَ خُوان شاكراً ومودِّعاً السَّيدة وكانت تلك المرَّة الأخيرة الّتي رأى فيها ظهوراً لها. وصل خُوان إلى دار المطرانيَّة وفَرد معطفه أمام المطران فسقطت الأزهارَ منهُ وظهرت على المعطفِ صورةً مطبوعةً للعذراء مريم بملامحٍ مكسيكيَّةٍ سمراء، مثلما رآها خوان على الجبل. عند ذلك المشهد العجيب انتاب المطران خوفٌ تقويٌّ وسجدَ مع الحاضرين إلى الأرض أمام الصُّورة، واسْتَغفر والدة الإلَه على قلّة إيمانه. ولا تزال صورة الظُّهور محفوظة إلى اليوم في كاتدرائية تيبياك حيث يزورها الملايين من الزُّوار سنويّاً.

غريبةٌ هذه الرِّواية الّتي دوَّنها صديق خُوان وهو نبيلٌ أزتَكي يُدعى أنطونيو فالريانو، وتَكمُن غرابتها في مُشابَهتِها لما حدث في الماضي البعيد حين أُزيلت الإلَهة الأمّ الوثنيَّة القديمة واستُبدِلت بمريم الكاثوليكيَّة، (كما تكلَّمنا في بداية هذا الفصل) ومع ما حدث في غوادالوبي المكسيكيَّة في الماضي القريب حين أُزيلت الإلَهة الأمّ الأزتكيَّة تيوتنانسين واستُبدِلت بمريم الكاثوليكيَّة (تَظهران معاً في الصُّورة المُرفَقة)، فيا لهذه المُصادفات الغريبة الّتي لا تحصل إلاَّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة، ولا ينتبه لها أو يتوقَّف عندها أحدٌ من النّاس!.

**٢- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في باريس**: بحسب الرِّواية التّقليديَّة الّتي رَوَتها الرّاهبة كاترين لابوريه عمّا حدث معها قُبَيل منتصف ليل التّاسع عشر من شهر تمّوز من عام ١٨٣٠ حين سمعت صوتاً يناديها وقد ظهر لها طِفلٌ جميلٌ في الرّابعة من عمره بلباسٍ أبيضَ يشعُّ نوراً وقال لها:"إنَّ العذراء تنتظُركِ في الكنيسة". تَبعت كاترين الطِّفل فأتى بها إلى أمامِ سيِّدةٍ فائقةِ الجمالِ محاطةٍ بنورٍ أبيضَ ظهرت جالسةً على كرسيِّ الأب المُدبِّر بجانب المذبح. ركعت كاترين أمام السَّيدة العذراء ووضعت يديها على حضنها وابتدأت الحديث معها ما يقرب السّاعتَين أخبرتها خلالها السَّيدة أنَّ ابْنَها يتمنّى أن يستخدمها في مهمَّةٍ، وأطلعتها على أحداثٍ دمويَّةٍ قادمة ستحصل في باريس وقالت لها: "تعالي إلى أقدام المذبح لأنَّه المكان الّذي ستفيض منه النِّعَم على جميع طالبيها". ثمَّ ذهبت بعدها السَّيدة واختفت كخَيالٍ يَتبدَّد.

وفي مساء السّابع والعشرين من تشرين الثّاني من العام نفسه، رأت كاترين العذراء مع ضياءٍ لامعٍ تقف على الكُرة الأرضيَّة وهي تَسحَق الحيَّة تحت رجليها، ورأت إطاراً من ذهبٍ بشكلِ أيقونةٍ بيضاويَّةٍ كُتب عليه بأحرفٍ ذهبيةٍ: "يا مريم البريئة من الخطيئة، صَلّي لأجلنا نحن المُلتجئين إليكِ". ثمَّ استدار المشهد على ذاته ورأت كاترين الوجه الآخر للأيقونة وكان عليه حرف M يعلوه صليب، وسمعت كاترين صوتاً يقول لها: "إطبعي أيقونةً على هذا الشَّكلِ وكلُّ من يُعلِّقها بعنقه بثقةٍ ينال نِعَماً غزيرةً". طُبِعت هذه الأيقونة بحسب أمر السَّيدة العذراء ووُزِّعت الملايين منها في كلِّ أنحاء العالم أجمع، حيث حدثت بفضلها العجائب والمعجزات ونَيل البركات فَلُقِّبت "بالأيقونة العجائبيَّة".

**٣- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في روما**: حسبما تقول الرِّواية الكاثوليكيَّة عن هذا الظّهور الّذي حَصل في العام ١٨٤٢ والّذي له ارتباطٌ بالظّهور الّذي حدث في باريس قبل إثنتي عشرة سنة كما سنرى، فإنَّ شخصاً يهوديّاً كان يُدعى ألفونس راتيسبون نشأ على بُغْضِ الكنيسة الكاثوليكيَّة

وكلّ ما هو كاثوليكيّ، لأنَّ أخاه الأكبر كان قد اعتنق الكاثوليكيَّة وأصبح كاهناً فيها. إلتقى ألفونس مرَّةً بكاهنٍ صديقٍ لأخيه وعَرض عليه هذا الكاهن أن يُعلِّق في رقبتهِ أيقونةَ العذراء العجائبيَّة، فاستغرب ألفونس هذا الطّلب لكنَّه قَبِلَ بهِ قائلاً: "إن لم تَنفعني، فعلى الأقل لن تضُرَّني". وطلب منه الكاهن أن يُصلّي صلاةً قصيرةً كانت معروفةً في تلك الأيام كلَّ صباحٍ ومساءٍ للسَّيدة العذراء. وفي أحد الأيّام، وبينما كان ألفونس ينتظر صديقه الكاهن في كاتدرائية (سانت أندريا) في روما لحضور جنازة أحد الأشخاص، حدث الظّهور أمامه وقد وصفه ألفونس كالتّالي: "عندما كنتُ واقفاً ونظرتُ عالياً بدا لي أنَّ الكاتدرائيَّة بكاملها قد عمَّها الظّلام ما عدا المذبح حيث تَركَّز كلّ الضوء عليه، وكنتُ أنظر باتِّجاه ذلك المكان حينما شعَّ نورٌ قويٌّ منهُ، وفوق المذبح كان هناك شخصٌ حيٌّ طويلٌ مهيبٌ وجميلٌ، لم أُدرك إن كان رجلاً أو إمرأة، لكن بعد قليل اتّضح لي أنَّها مريم العذراء لأنَّها شابهت الصُّورة الّتي على الأيقونة العجائبيَّة المُعلَّقة في عنقي". تأثَّر ألفونس بهذا الظُّهور واعتنق الإيمان الكاثوليكيّ واعتزل العالم في ديرٍ حيث أصبح كاهناً.

**٤- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في لاساليت**: تقول الرِّواية الكاثوليكيَّة بأنَّ العذراء مريم قد ظَهرت في عام ١٨٤٦ في لاساليت في فرنسا على طفلٍ يُدعى ماكسيمان (١١) سنة وطفلةٍ تُدعى ميلاني (١٥) سنة عندما كانا يرعيان القطيع في الحقول فاعترتهما فجأةً حالةٌ من الرُّعبِ لدى رؤيتهما على بعد أمتارٍ قليلةٍ منهما، كُرَةً متأجِّجةً من النّور جَلست فيها سيِّدة متألِّقة ومُشِعَّة، وكانت تَضع تاجاً على رأسها، وسلسلةً يتدلّى منها صليبٌ كبيِّر على عنقها. كانت السَّيدة تبكي بشدَّةٍ وتضع وجهها بين يديها، ثمَّ وقفت واقتربت منهما وكان وجهها حزيناً والدُّموع تنهمر قطرةً قطرةً من عينيها، وتكلَّمت معهما بالفرنسيَّة وبلهجتهما المَحليَّةِ، وممّا قالت لهما: "اقتربا مني يا طِفلَيَّ، لا تخافا، جئتُ لأطلعكما على أخبارٍ هامَّةٍ، إن لم يُطِع شعبي الله فلسوف أضطر أن أترك ذراع ابني تسقط عليه، إنَّها ثقيلةٌ وقويَّةٌ بحيث لم أعُد باستطاعتي منعها. لقد تألّمتُ كثيراً من أجلكم أيَّها البشر، فإن أردتم أن لا يتخلّى ابني عنكم توجَّب عليَّ أن استعطفه لأجلكم باستمرارٍ. إنَّ أكثر ما يُؤلم ابني هو التَّجديفُ على اسم الرَّب، وبأنَّ القليل من العجائز يذهبنَ إلى القدّاس في يوم الأحد، أمّا الباقون فإنَّهم يشتغلون في أيّام الآحاد في الصَّيف، وفي الشِّتاء يُضيِّعون

وقتهم ومالهم في ما لا يَرضى عنه ابني، وقد فَسدت محاصيل البطاطا بسببكم". وبعد أن أعربت السَّيدة العذراء عن خيبة أملها، أعطت ميلاني رسالةً سرِّيةً وطلبت منها أن تُعلنها في سنة ١٨٥٨، ثمَّ ارتفعت السَّيدة عن الأرض حوالي المتر ونصف، ثمَّ تلاشت واختفت بلمح البصر كما قال ماكسيمان لاحقاً.

أعلنت ميلاني فحوى ما قالته العذراء في الرِّسالة الّتي تَضمَّنت تهديدات للإكليروس، وبعض الأحداث والنُّبوات والأشخاص المذكورين في سفر الرّؤيا: "إنّ الكهنة، خَدَمة ابْني بسيرتهم الباطلة وعدم تقواهم عند القيام بالأسرارِ المقدَّسة، وبُحبِّهم للمالِ والمجدِ والمَلذّاتِ قد أضحوا بؤراً للنَّجاسة... الويلُ للكهنة إذ بسبب خيانتهم وحياتهم الشِّريرة فإنَّهم يَصْلِبون ابْني ثانيةً... لم يبقَ واحدٌ منهم مؤهلاً لأن يقدِّم ذبيحة القدّاس الطّاهرة للإله السَّرمدي من أجل العالم... على راعي كنيسة ابني ونائبه على الأرض البابا بيوس التّاسع أن لا يترك روما أبداً وأنا سأكون معه، وليَحْذَر نابوليون لأنَّه يريد أن يكون بابا وامبراطوراً في آنٍ واحد... في سنة ١٨٤٦ سيفلت إبليس ومعه زمرةٌ كبيرةٌ من أرواحِ الشَّياطين من جهنم، وسيضعون نهاية للإيمان الحقيقيّ، والعديد من المؤسَّسات الرَّهبانية ستَفقُد الإيمان الصَّحيح... خلال سنة ١٨٦٥ ستظهر الرَّجاسة في الأديرة وستُلطَّخ الرّهبان والرّاهبات الّذين هم ورود وأزهار الكنيسة بالخطيئة، ويُنَصِّب الشَّيطان نفسه ملكاً على القلوب، وسيكثر حبُّ الملذّات الجسديَّة في كلِّ أنحاء الأرض. في هذه الأزمنة سيولد عدو المسيح أيّ "المسيح الدَّجال" من راهبةٍ عبرانيَّةٍ، من عذراءَ مزيَّفةٍ اتَّصلت بالحيَّة القديمة، سيِّد النَّجاسة وسيكون والده مطراناً. عند ولادته سيتقيّأ بتجاديفَ وتكونَ له أسنانٌ وسيكون تجسُّداً للشَّيطان، وسيدوِّي بصراخٍ مُرعبٍ ويقوم بعجائبَ باهرةٍ، كما يكون له أخوةٌ في الثّانية عشرةَ من أعمارهم، وسيُبهرون العالم بانتصاراتهم الرّائعة وكلٌّ واحدٍ منهم سيكون على رأسِ فرقةً جهنَّميَّةً... في ضربة الرَّب الأولى بسيفه الصّاعق سترتجف الجبال والطّبيعة بأكملها رُعباً، الزَّلازل ستُزعزِع الكثير من المدن الكبيرة وستبتلعها بالكامل، وسوف يُعاني الأبرار الكثير من الأسى، وسترتفع صلواتهم وأفعال توبتهم ودموعهم إلى السَّماء، وكلّ شعب الله سيتوسَّل طالباً المغفرة والرَّحمة، مُلتمساً معونتي وشفاعتي. عندها، وبفعلٍ من عدالته ورحمته، سيأمر السَّيد يسوع المسيح ملائكته بأن يُنزِلوا الموت بأعدائهِ... أنادي أولادي المُتعبِّدين حقاً، هؤلاء قدَّموا أنفسهم لأجلي لكي أقودهم إلى إبني الإلَهيّ، أحملهم بين ذراعيَّ لأنَّهم عاشوا بحسب تعاليمي في احتقار العالم واحتقار ذواتهم، وفي الفقر والتَّواضع والطّاعة وفي الصَّلاة

والإماتات... إذهبوا وأظهروا أنفسَكم كأبنائي الأعِزّاء، أنا مَعكُم وبِكُم، حاربوا يا أولاد النّور لأنَّ نهاية العالم قد اقتربت، ونار السَّماء ستسقط والويل الويل لسكّان الأرض...".

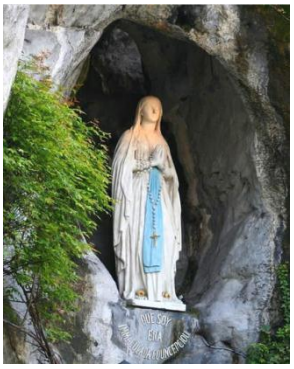

**٥- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في لورد:** لورد اسمٌ لقريةٍ تقع في جنوب فرنسا أصبحت اليوم بسبب ما يُسَمُّونَه "ظهور مريم العذراء"، مزاراً يحجُّ إليه ملايين النّاس سنويّاً طلباً للبركات، وللإغتسال بمياهه الّتي يعتبرونها مياهً عجائبيَّةً آملين الشِّفاء بها من الأمراض والإعاقات. وبحسب الرِّواية التّقليديَّة الّتي وزّعتها الكنيسة الكاثوليكيَّة وأصبحت متداولةً بين النّاس، فإنَّ العذراء مريم ظَهرت ثمَّاني عشرة مرَّةً في لورد في سنة ١٨٥٨ على برناديت سوبيرو (١٤ سنة) وأختها وصديقتها. الظُّهور الأوَّل حصل حين كنَّ يجمعنَ الحطب وَصَلنَ إلى مغارةٍ أمامها جدولِ مياهٍ فسمعت برناديت فجأةً من داخل المغارة صوتَ عَصفةِ ريحٍ قويَّةٍ، تكرَّرت مرَّتين. نظرت برناديت إلى المغارة فرأت (كما أخبرت هي لاحقاً) شُعاعاً نورانيّاً يملأ المغارة، خَرجت منه سيِّدةٌ جميلةٌ ترتدي رداءً أبيضَ، وتَحزِم وسطها بوشاحٍ أزرقَ ينسابُ إلى أسفلٍ بطولِ الرِّداء، وترتدي على رأسها طرحةً بيضاءَ تكشف قليلاً عن شعرها، وتَنزِل على ظهرها حتى أسفل وسطها. وزيَّنت زهرتان قدميها وكانت تُمسِك في يدها اليُمنى مسبحةً من خرزٍ أبيضَ ذات صليبٍ كبيرٍ ومشعٍّ، استخدمته السَّيدة الّتي في الظّهور لرَسمِ إشارة صليب. في أثناء الظُّهور ابتدأت برناديت في صَلاةِ مسبحةِ الورديَّةِ الّتي اعتادت عليها والّتي لم تكن تَعرِف صلاةً غيرها، فشاهدت السَّيدة وهي تُفلِت خرزات المسبحة الّتي في يدها الواحدة تلْوَ الأخرى، لكن دون أن تُحرِّك شفتيها. دام هذا الظّهور الّتي رأته برناديت وحدها، نحو خمس عشرة دقيقة.

في الظّهور الثّاني رَشَّت برناديت "الماء المقدَّس" باتِّجاه السَّيدة، لأنَّها كانت خائفةً من أن يكون الشَّيطان في الظُّهور، لأنَّ الرّاهبات كنَّ قد حذَّرنَها من أن يكون الظُّهور حيلةً من حِيَل الشَّيطان. وحينما كانت ترش الماء كثيراً كانت السَّيدة تبتسم أكثر فأكثر، وحينما فرغت الزُّجاجة من الماء واصلت برناديت صلاة المسبحة واختفت السَّيدة من أمامها.

في الظّهور الرّابع، ذهبت برناديت إلى المغارة حاملةً معها شمعةً مضاءةً ومعها عددٌ من النِّساء، وبعد تلاوتهنَّ السَّلام الملائكي لثلاثِ مرّاتٍ ظهرت السَّيدة على برناديت من جديد. وفي الظّهور الخامس علَّمت السَّيدة برناديت صلاة خاصَّة بها لتصلّيها كلّ يوم حتى نهاية حياتها، ولم تُطلِع برناديت عليها أحداً.

في الظّهور السّادس، ظهرت السَّيدة بعينين متلألئتين وقالت: " صلّوا لأجل الخطأة".

في الظّهور السّابع، أعطت السَّيدة برناديت سِرّاً خاصّاً بها. وطلبت منها بأن تذهب إلى الكهنة وتقول لهم، إنَّها تُريد منهم أن يبنوا لها كنيسةً قرب المغارة.

في الظّهور الثّامن، حضر إلى المغارة نحو ثلاثمَّائة شخص، ورأوا وجه برناديت والحزنُ بادٍ عليه وهي تزحف بركبتيها على الأرض وتُقبِّلها وهي تتمتم التَّوبة... التَّوبة... التَّوبة. قالت برناديت بعدها بأنَّ السَّيدة قد طلبت منها أن تفعل ذلك تكفيراً عن الخطأة.

في الظُّهور التّاسع، بدا مظهر برناديت غريباً لأنَّ السَّيدة قالت لها: "إذهبي واشربي واغتسلي من مياه النَّبع القذِرة والموحِلَة، وكُلِي العشب النّابت بجانبه". وعندما ابتدأت تفعل ما طلبته السَّيدة منها أصبح وجهها مُتَّسِخاً، فظنَّ الحاضرون بأنَّها قد أصبحت مجنونةً. لكن ما إن حفرت برناديت بيديها في المياه حتّى تدفقت مياهٌ كثيرةٌ أَطلق النّاس عليها تَسمية "المياه العجائبيَّة".

في الظُّهور العاشر، شربت برناديت من مياه النَّبع المُتدفقَّة، وأكلت من العشب النّابت بجانبه، وقالت بأنَّها تفعل ذلك من أجل التَّكفيرعن الخطأة وارتدادهم.

في الظُّهور الثّالث عشر، سَمعت برناديت السَّيدة تقول: "إذهبي واطلبي من الكهنة بناءَ كنيسةٍ. وأريد من النّاس أن يأتوا إلى الزّياح".

في الظُّهور الخامس عشر، ظلَّت برناديت داخل المغارة لمدة خمسٍ واربعين دقيقة، خرجت بعدها لتقول بأنَّ السَّيدة تريد بناءِ كنيسةٍ هنا. طلب حينها كاهن الأبرشيَّة من برناديت أن تسأل السَّيدة الّتي تظهر لها عن اسمها.

خلال الظُّهور السّادس عشر، رأت برناديت السَّيدة حالما وصلت إلى المغارة، فسألتها عن اسمها كما طَلب منها أن تفعل راعي الأبرشيَّة، فتَبسَّمت السَّيدة وقالت

لها: "أنا الّتي حُبِلَ بها بلا دَنَس". لم تفهم برناديت معنى الكلام لكنَّها نقلتهُ كما هو إلى كاهن الأبرشيَّة.

أثناء الظُّهور السّابع عشر، حملت برناديت شمعةً في يدٍ وباليد الأخرى قامت بحمايةِ شُعلةَ النّور من الرّياح. وحين دَخلت في حالة الانخطاف لمدة خمس عشرة دقيقة، إتَّجه لهب الشُّعلة إلى أصابعها لكنَّ أصابعها لم تحترق.

كان الظُّهور الثّامن عشر هو الظّهور الأخير. لم تَقُل فيه السَّيدة شيئاً إلى برناديت، لكن برناديت قالت إنَّها لم ترَ السَّيدة بهذا القدر من الجمال من قبلٍ، كما رأتهُ في هذه المَرَّة.

عادت برناديت بعد هذه الظُّهورات إلى حياتها الطّبيعيَّة، ثمَّ التَحقت بديرٍ بعيدٍ عن لورد لتُصبِح راهبةً وممرِّضةً ممتازةً فيه. لكنَّها عانت من الرَّبو وأُصيبت أيضاً بالسِّل وبسرطان العظم وامتلأ جسمها من الجروح، واجتمعت فيها المعاناة الجسديَّة مع المعاناة العقليَّة لتعيش بذلك كلّ يوم حتّى يوم مماتها في عمر الخامسة والثّلاثين، وما ذلك إلاّ تحقيقاً لطلب السَّيدة منها في لورد: "صَلّي لأجل الخطأة وكفِّري عن الخطايا".

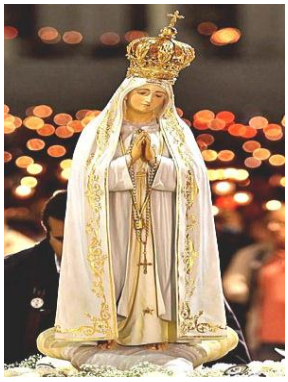

**٦- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في فاطِمة**: بحسب الرِّواية الكاثوليكيَّة فإنَّ لوسيّا (٩سنوات) وأولاد عمتها فرانسيسكو (٨سنوات) وجاستينا (٦سنوات)، قاموا في يومٍ ربيعيٍّ باردٍ من سنة ١٩١٦ بأخذ قطعان أبائهم إلى مرعىٍ في جبل قرية فاطِمة في البرتغال. بدأت السَّماء بالمطر وفجأةً ظهرت كرةٌ ضوئيةٌ بيضاءُ مُتحرِّكةٌ فوق الفضاء المفتوح. حدَّق الأطفال الثّلاثة بخوفٍ ورهبةٍ وهم يشاهدون في وسط الضَّوء شخصاً صغيراً جميلاً بثوبٍ أبيضَ مُتدلٍّ، وبدأ بالكلام قائلاً لهم بِلغتّهم: "لا تخافوا أنا ملاكُ السَّلام. صلّوا معي...". ثمَّ في منتصف الصَّيف وعندما كان الأطفالُ سويَّةً ظهر ملاكُ السَّلام نفسه ثانيةً وقال: "صلّوا صلّوا كثيراً، قلبا يسوع ومريم لهما خططَ رحمةٍ فيكم... إجعلوا كلّ شيءٍ تعملونه قرباناً وقدِّموه كعملٍ إصلاحيٍّ للخطايا الّتي تُغضِبُ الله، وكإلتماسٍ لهدايةِ الخطأة، فتجلبوا السَّلام لبلدنا بهذه الطَّريقة... أنا الملاكُ الحارسُ للبرتغال".

كانت ظهورات الملاك الحارس على الأطفال مُقدِّمةً لظهور السَّيدة العذراء عليهم. ففي شهر أيّار من العام ١٩١٧ رأوا فجأةً وميضاً من الضَّوء مرَّتين، ثمَّ شاهدوا فوق شجرةِ سنديانٍ سيِّدةً تشعُّ وهجاً أكثر من الشَّمس، مرتديةً ثوباً أبيضَ طويلاً، وغطاءً على رأسها وكتفها يصل إلى قدميها، وكانت يداها متَّحِدتين أمام صدرها، ومن يدها اليُمنى تدلَّت مسبحةٌ من اللآلئ البيضاء وقالت لهم: "لا تخافوا، لن أؤذيكم. أنا جئتُ من السَّماء وسأظلّ آتي في اليوم الثّالث عشر من الشُّهورِ السِّتةِ القادمة. ثمَّ بدأت العذراءُ بإعلامِهم بسبب مجيئها وسألتهم: "هل ستُقدِّمون أنفسَكم إلى الله لتحملوا الآلام الّتي سيعطيها لكم من أجل إصلاح الإثم وهداية الخاطئين؟". وحين أجابوها بنَعم قالت لهم: "نعمةُ الله ستكون قوَّتكم"، وفتحت يديها فخرج منهما شعاعٌ من نورٍ قويٍّ، دخل إلى صميم أرواحهم، وأرَتهم أنفسهم في الله الّذي هو النّور الّذي دَخلهم. وقد قالت لوسيّا إنَّ قوّةً داخليَّةً دفعتهم إلى الرُّكوع وترديدَ صلاةٍ علَّمهم إيّاها الملاك الحارس: "بإسم الثالوث الأقدس الآب والإبن والرّوح القدس. إنّنا نعبدكَ بعمقٍ ونقدِّم لك أعظمَ جَسدٍ ودَمِ وروحِ وأُلوهيَّةِ يسوع المسيح، المُتواجدِ في جميع أوعيةَ خبزِ القربان في العالم، من أجل إصلاح وتعويض اللامبالاة والازدراء وعدم التَّوقير، الّذي يُظهره النّاس تجاه الأشياء المقدَّسة، والّذي ضايق يسوع المسيح واعتَبَرهُ من الأثام ولأجل استحقاقات القلب المقدَّس اللانهائيَّة وقلب مريم الطّاهر، نرجو منكَ هداية الخطأة المساكين". ثمَّ قالت لهم السَّيدة: "صلّوا الورديَّة كلّ يوم لإحلال السَّلام في العالم ولإنهاء الحروب". تحرَّكت السَّيدة بعدها ببطءٍ مبتعدةً نحو الشَّرق. لَبِس الأولاد بعد هذا الظُّهور حبالاً ضيّقةً على خصورهم وجَلدوا أنفسهم بنبات القِرَّيص، وامتنعوا عن شرب الماء في الأيّام الحارة تكفيراً منهم عن الخطايا.

في الظُّهور الثّاني في شهر حزيران، قالت العذراء للوسيّا وهي تحمل قلبها محاطاً بالأشواك الخارقة له من كلّ الجوانب: "أنا سآخُذ جاستينا وفرانسيسكو إلى السَّماء، ولكنَّكِ ستبقين أنتِ في العالم لفترة أطول لتؤسِّسي (أخويَّة) لعبادة قلبي الطّاهر، وإنّي أعِد بالخلاص لكلّ الّذين ينضمون إليها.... ولأنَّ يسوع يريد أن يستخدمكِ لأكونَ أنا معروفةً ومحبوبةً أكثر".

في الظُّهور الثّالث في شهر تَمّوز، كشفت العذراء عن "سِرٍّ" ينقسم إلى ثلاثة أقسامٍ، كشفت لوسيّا لمطران المنطقة بأمرٍ منه وبطلبٍ من العذراء، على قِسمين من السِّر في سنة ١٩٤١ أيّ بعد أربعٍ وعشرين سنة من حصول الظُّهور. القسم الأوَّل كان رؤيا للجحيم الّذي أرته العذراء للأولاد مع ما فيه من شياطينَ وأرواحٍ في أشكالٍ

بشريَّةٍ تتعذَّب بصراخٍ وأنينٍ من الألمِ واليأسِ. والقسم الثّاني تنبأت فيه السَّيدة عن حربٍ عالميَّةٍ قادمةٍ على البشريَّة وعن كوارثٍ رهيبةٍ لإفنائها بطريقةٍ فظيعةٍ، وعن ضرورةِ تعميم عبادةِ قلب مريم الطّاهر وتكريس روسيا لهُ قبل سقوطها في الإلحاد، والطَّلب من النّاس تناول القربان المقدَّس كلّ يوم سبت من بداية الشَّهر لإصلاح حياتهم وتكفيراً لخطاياهم. أمّا القسم الثّالث فكتبته لوسيّا في سنة ١٩٤٤ وهو يتعلَّق برؤيا لا زالت إلى اليوم مُبهَمةٌ وقابلةٌ للعديد من التآويل والشُّروحات، كانت العذراء قد أمرت لوسيّا بأن تُكشَفَ للنّاس في سنة ١٩٦٠، لكنَّ الفاتيكان أخفاها حتّى سنة ٢٠٠٠ لأسبابٍ دبلوماسيَّةٍ منعاً لتَوتُّرِ علاقاتِ الدُّوَلِ مع بعضها بعضاً بحسب زعمه.

في الظُّهور الرّابع في شهر آب، طلبت العذراء من الأولاد الاستمرار بصلاةِ المَسبحةِ، كما طلبت من لوسيّا أن تستخدم المال الّذي يتركه النّاس للاحتفال بعيد سيِّدة الورديَّة، وببناءِ كنيسةٍ بما يتبقى منه.

في الظُّهور الخامس في شهر أيلول، كرَّرت العذراء طلبها من الأطفال الصَّلاة بالمسبحة ووعدتهم بأنَّ الحرب ستنتهي، وبأنَّ معجزةً عظيمةً ستحدث خلال ظهورها التّالي في شهر تشرين الأوَّل لكي يؤمن النّاس ويعرفوا مَن هِيَ.

في الظّهور السّادس في شهر تشرين الأوَّل، تجمَّع أكثر من سبعينَ ألفِ شخصٍ على الطرقاتِ الوعرة، مُحتشدين تحت المِظلات بسبب الأمطار الغزيرة وكانوا واقفين في الطّين حتّى رُكبهم يُصلُّون ورديّاتهم بحرارة. بعد منتصف النَّهار بقليلٍ حضَرت السَّيدة بظهورها الأخير فصرخت لوسيّا: "ها هي تأتي". دام ظهور العذراء على الأولاد حوالي إثنتي عشرة دقيقة وقد أخبرتهم فيه بأنَّها سيِّدة الورديَّة وقد جاءت لتُنبِّه النّاس ليُغيِّروا حياتهم ويتوبوا عن خطاياهم، ويجب عليهم أن يُصَلّوا الورديَّة (المسْبحَة) ويستمروا بصلاتها في كلِّ يوم. وعندما كانت على وشك المغادرة أشارت إلى الشَّمس، فتوقَّف المطر فجأةً، وتفرَّقت الغيوم وأشرقت الشَّمس، لكن ليس بإشعاعها المعتاد بل ظَهرت كقرصٍ فِضيٍّ استطاع الجميع التَّحديق به بدون أن يؤذوا عيونهم. ثمَّ فجأةً وبدفعٍ من قِوى غامضةٍ إبتدأ القرص بالدَّوران بسرعةٍ فائقةٍ في السَّماء لأكثرِ من عشر دقائق، مُطلِقاً إشعاعاتٍ كبيرةٍ من الضَّوء المتعدِّدِ الألوان غطَّت القرية ولعدّة أميال حواليها، وخاصَّة وجوه النّاس المَسحورة بما يحدث فوقها. بعدها ارتَفعت صيحةَ رُعبٍ من الحشد لأنَّ الشَّمس بدت وكأنَّها انفصلت عن السَّماء واتَّجهت مباشرةً إلى الأرضِ بحركةٍ متعرِّجةٍ، كأنَّها ستسقط على النَّاس وتسحقهم،

فخاف الجميع وسقطوا على الأرض مُصَلّين وطالبين من الله الرَّحمةَ والمغفرةِ. توقفت المعجزة عندها ورجعت الشَّمس إلى مكانها المألوف في السَّماء مُشرقةٍ بسلامٍ كما كانت دائماً. وبينما كانت تَجري معجزة الشَّمس رأى الأطفال لوحدهم دون الجموع القدّيس يوسف يَحمل في يده اليُسرى الطِّفل يسوع، وكانا يباركا الجموع برسم إشارة الصَّليب ثلاثِ مرّاتٍ عليهم، ثمَّ شاهد الأولاد العذراء في هيئةٍ ساميَةٍ مجيدةٍ، وهي ترتدي رداءً أزرقً وأبيضَ، ثمَّ رأوها بثوب سيِّدة الكَرمل متوَّجةً كَملكةِ السَّماء والأرض.

**٧- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في بورينغ** : تقع بورينغ في بلجيكا وقد ظهرت فيها العذراء بحسب المزاعم الكاثوليكيَّة في سنة ١٩٣٢، أيّ بعد خمسة عشر عاماً من ظهورها في فاطِمة، على مجموعةٍ من الأطفال هم فرناند (١٥) سنة، غيلبرت (٩) سنوات، ألبرت (١١) سنة، أندي (١٤) سنة، جيلبرت (٩) سنوات. بدأت الظُّهورات الّتي وصل عددها إلى ثلاثة وثلاثين ظهوراً، عندما كان الأطفال عائدين في إحدى اللّيالي إلى مدرسةٍ داخليَّةٍ للرّاهبات، حين ظَهرت العذراء عليهم وهي تلبس ثوباً أبيضَ طويلاً قرب شجرة الزَّعرور البرّي، وفتحت يديها لإلقاء التَّحية عليهم وابتسمت ومن ثمَّ اختفت. كرَّرت العذراء في بورينغ الرَّسائل ذاتها الّتي سبقت وأعلنتها في فاطِمة وذكَّرت فيها بأنَّها هي الّتي حُبِلَ بها بدون دَنس. ولِتُظهر قوَّتها العظيمة قالت للأطفال: "أنا والدة الإلَه، ملكة السَّماء، صَلّوا دائماً". وركَّزت على ضرورة صلاة المَسبحة وتقديم القرابين وطلب شفاعتها ووَعدت برجوع الخطأة، وطلبت بناء كنيسة لها لكي يأتي الحجّاج للتَّبرُّك من مكان ظهورها. وفي أحد ظهوراتها شاهد الأطفال قلباً ذهبيّاً في صدرها، لذلك تُدعى "عذراء القلب الذَّهبي" عندَ الّذين يؤمنون بها في بلجيكا.

**٨- ظُهور مريم الكاثوليكيَّة في أمستردام**: "سيِّدة جميع الشُّعوب" هو الاسم الّذي يُستعمل في الكنيسة الكاثوليكيَّة لوصفِ سلسلةٍ من الظّهورات المزعومة لمريم العذراء أمّ يسوع، على سيِّدة تُدعى إيدا بيردمان في أمستردام هولندا في العام ١٩٤٥، وقد دامت هذه الظُّهورات مدَّة أربعة عشر عاماً. كان أوَّل ظهور على إيدا عندما رأت نوراً عظيماً

في زاوية غرفتها، خرجت منه امرأةً تلبس ثوباً أبيضَ عرَّفتها عن نفسها بأنَّها "سيِّدة كلّ الشُّعوب" وأمرتها بأن تُكرِّر كلّ ما تسمعه منها على مسمع النّاس. وطلبت العذراء من إيدا تشييد كنيسةً لها باسْم "سيِّدة كلّ الشّعوب" في أمستردام، لتشعّ منها على كلِّ العالم. كما وطلبت بأنَّه يجب أن يُعتَرف بأنَّها شريكةٌ في الفداء، وسيطةٌ كلّ النِّعَم، ومحامية الجنس البشريّ. أيضاً طلبت العذراء من إيدا أن تَرسم لها صورةً (كما كانت قد رأتها في كلّ ظهوراتها)، وهي تلبس الأبيضَ وتقف على كرةٍ أرضيَّةٍ أمام صليبٍ، ومن يديها المفتوحتين تخرج ثلاثة أشِّعة تُسقِط نورها على الشُّعوب، وبأن توزَّع هذه الصُّورة على نطاقٍ واسعٍ.

- **ظُهورات مريم الكاثوليكيَّة المُختلفة**: أثَّرت كثيراً هذه الظُّهورات على النّاس، فَكثُرت تخيُّلاتهم وازدادت توهُّماتهم وهَلوساتهم فأصبحوا يرون مريم الكاثوليكيَّة على الأرضِ، وفي السَّماء، وعلى الأشجار، وعلى الجدران، وعلى الخبز... إلخ. كما تُظِهر الصُّوَر التّالية.

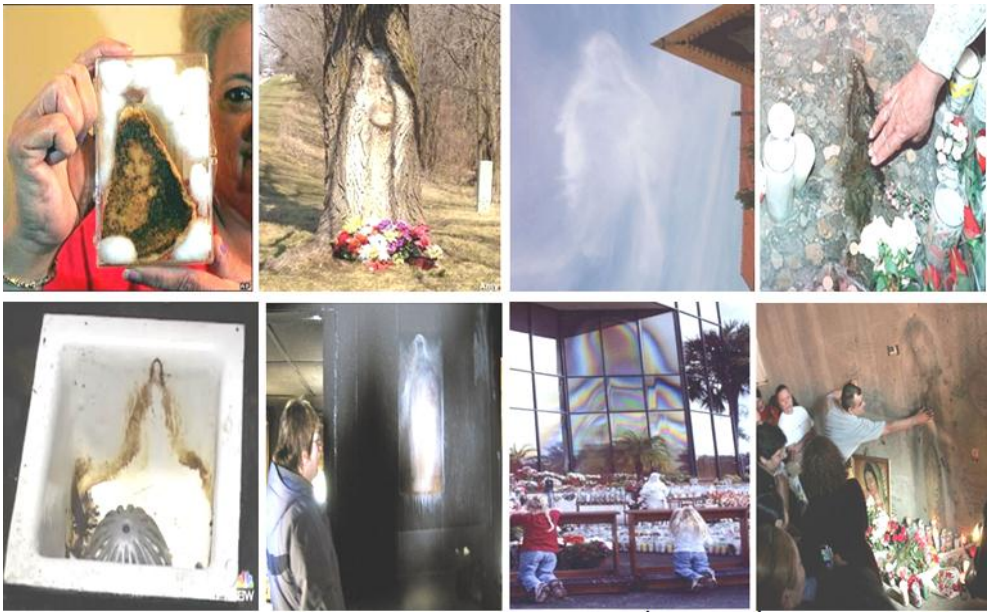

قالت مريم أمُّ يسوع وَصيَّتها هذه في الإنجيل عن الرَّب يسوع المسيح:**" مَهما قال لكم فافعلوه "**(يو:٢-٥)، ورَحلت عن أرضنا تاركةً هذه الوصيَّة للعالم كلّه وللأجيال الّتي ستأتي بعدها، لأنَّها كانت تعرف بأنَّه هو **وحده** الرَّب الأزلي المُتجسِّد في الزَّمان

والمكان، وبأنَّه هو **وحده** الطَّريقُ والحقُّ والحياة، وبأنَّه هو **وحدهُ** المخلِّص والفادي والشَّفيع. فلو كانت هي الّتي تَظهر في هذه الظُّهوراتِ المَزعومةِ بأنَّها لها، فأنَّها وبدل أن تُعطي النّاس أسراراً مُبْهَمةً وكلاماً محيِّراً وغير مفهومٍ بمعظمهِ، لكانت أخبرت من خلال ظهوراتها العالم عن إعلانات الإنجيل الواضِحةً، والّذي منه فقط يستطيع الإنسان الخاطئ معرفة محبَّة الله ونعمته ورحمته وفداءه له في المسيح يسوع **وحده**.

فكيف إذاً تعود مريم أمّ يسوع بعد أن أعطت وصيتها هذه للنّاس لتَظهر بينهم في هذه الظُّهورات الأرواحيَّة النّورانيَّة، الّتي تَنسبها الكنيسة الكاثوليكيَّة ومعها بعض الكنائس الأخرى لها لتُغيِّرَ وتنقُض ما كانت قد قالته في الإنجيل، ولكي تدعو النّاس إلى عصيان وصايا الرَّب يسوع المسيح والتَّمرد على وصايا الله؟. هل نتصوَّرُ بأنَّ مريم قامت بانقلابٍ في السَّماء وقَلَبت كلّ المفاهيمَ الإلَهيَّةِ المُعلَنة لنا من الله في الكتاب المقدَّس وابتدعت مفاهيمَ جديدةٍ عادت بها إلى الأرض لتُعلنُها للنّاس؟. وهل نَتصوَّرُ بأنَّها دخلت إلى السَّماء مسيحيَّةٍ مثلها مثل كلّ الّذين آمنوا بالمسيح، ومن ثمَّ رجعت إلى الأرضِ وثنيَّةٍ تدعو النّاس إلى العبادة الوثنيَّة وإلى المِثليَّة الدّينيَّة؟!. وهل نتصوَّرُ بأنَّها دخلت السَّماء إنسانةً ومن ثمَّ نزلت إلى الأرض إلَهةً معادلةً لله في شخصِها ومقامِها وعملِها - وحتّى أعظم منه - بحسب تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة؟. في الواقع إنَّ هذه الظُّهورات تقودنا إلى هذه التَّصوُّرات، وهذه التَّصوُّرات تقودنا إلى أن نستنتج ونتأكَّد بأنَّ "الرّوح" الّذي يظهر في هذه الظُّهورات ليس هو مريم العذراء المبارَكَة، أمّ يسوع. وفي الواقع أيضاً أنَّ من يدرس هذه الظُّهورات جيِّداً يجد بأنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر فيها بإسْم "مريم العذراء"، يعمل في إتِّجاه واحد ألا وهو تثبيت بِدعٍ وأفكارٍ وعقائدِ وتعاليمِ وشَعائرِ وأسرارِ الكنيسة الكاثوليكيَّة، كأنَّه هو من وضعها فيها وهو الّذي يعمل للمحافظة عليها ثابتةً عبر السِّنين في أذهانِ وأفكارِ النّاس، ومقيِّدةٍ لإرادتهم، ومُوجِّهةٍ لطريقة عبادتهم لكي يبقوا ثابتين على ضلالهم. والآن دعونا ندخل إلى شخصيَّة هذا "الرّوح" الّذي يَظهَر، لنرى الطَّريقة الّتي يستعملها في تزيّيف الحقيقة وتزويرها أمام النّاس، الّذين يخدعهم بشَخصيته الخَفيَّة ويُقنعهم بأقواله الكاذبة ويَسحرهم بعجائبه المُدهِشة.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهَر يعرف جيِّداً شخصيَّة الرَّب يسوع الحقيقيَّة والأزليَّة الأبديَّة، لكنَّه يريد تشويهها وتفريغها من أُلوهيتها أمام النّاس، فلا يتكلَّم عنه أبداً في ظهوراته كابن الله الّذي ظهر في الجسد، بل يُظهِره دائماً كإبنٍ صغيرٍ خاضعٍ ومطيعٍ

لأمّه العطوفة والعظيمة، والّتي يُظهرها كأنَّها هي الّتي تُمسِك بالكَوْن وتُديره حسب إرادتِها.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهَر يعرف جيِّداً أنَّ خلاص الإنسان وتبريره أمام الله يتمُّ بالنِّعمة فقط. ولكن لأنَّه يريد أن يُخفي هذه الحقيقة عن النّاس، فيَظهر عليهم لِكي يدعوهم ليقوموا بأعمال قهر النَّفس والجسد (الإماتات) الّتي لا تنفعهم بشيءٍ كتكفيرٍ عن خطاياهم وخطايا العالم، ليستغنوا بالتّالي عن عمل المسيح الخلاصي على الصَّليب لأجلهم فيهلكوا في جحيم نارٍ أبديَّةٍ لا تنطفئ إلى الأبد.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر أحياناً حاملاً مسبحةً في يدِهِ، يعرف جيِّداً بأنَّ الرّب يسوع المسيح حذَّر النّاس من تكرار كلامهم حينما يُصلّون، وأوصاهم بأن لا يتشبّهوا بالوثنيّين الّذين يظنّون أنَّهم بكثرة كلامهم تُستجاب صلواتهم، ولكنَّه يُريد من أتباعه أن يتمرَّدوا على هذه الوصيَّة وأن يعملوا بعكسها. أيضاً يعرف هذا "الرّوح" الّذي يَظهَر عن العبادة الحقيقيَّة بالرّوح والحقّ الّتي تكلّم عنها يسوع والتي يَطلبها الآب السَّماوي، والّتي تملأ قلوب العابدين الحقيقيِّين بالشُّكر والفَرح وبالسَّلام الحقيقيّ، بعكس السَّلام المُزيَّف الّذي تُعطيه صلاة المسبحة لمن يُصلّيها، ولكن لأنَّه يُريدهم أن يبقوا جُهّالاً لا يعرفون هذه العبادة الحقيقيَّة فلذلك أعطاهم بدلاً عنها مسبحةً أصلها غائرٌ في الوثنيَّة القديمة، وطلب منهم بإلحاح صلاتها كلّ يوم مكرِّرين كلمات لا تتغيَّر، تخرج من أذهانٍ مُتَبلِّدةٍ تعملُ كَآلةٍ مُبَرمَجةٍ وليس من قلوبٍ ساجدةٍ وعابدة، لكي يكونوا مُشابِهين أتباعَ بقيَّة أديّان المِثليَّة الدّينيَّة الّذين يَظهرون في الصُّوَر التّالية.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر يعرف الوصيَّة الثّانية من وصايا الله العشر جيّداً، ولكنَّه يريد أن يَحذفها من الكتاب المقدَّس، فلذلك حين يَظهر لا يَذكرها على الإطلاق والّتي تقول: "لا تَصنع لكَ تمثالاً منحوتاً، ولا صورةً ما ممّا في السَّماء من فوق، وما على الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجُد لهُنَّ ولا تعبُدهنَّ..."(خروج :٢٠-٤). بل على عكس هذه الوصيَّة الواضحة، فإنَّ "الرّوح" يُشجِّع النّاس أثناء ظُهوراته عليهم على العبادة الوثنيَّة والتَّمرد على وصيَّة الله هذه بالطّلب منهم أن يصنعوا الصُّوَر والتَّماثيل ليسجدوا أمامها، أو ليُعلِّقوا الأيقونات على صدورهم، واعداً إيَّاهم بأخذ بركاتٍ وهميَّةٍ من خلالهم. هنا يجب أن نقول بأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة قد حقَّقت رَغبة هذا "الرّوح" وحَذفت هذه الوصيَّة من الكتاب المقدَّس الّذي تُعلِّمه الآن ناقصاً، إذ إنَّها قَسمت وصيَّةَ لا تشتهِ إلى قِسمين لتعبئة الفراغ العدديّ الّذي أحدثته عملية الحذف. فهل يوجد من تنسيقٍ سِرّيٍّ أو اتّفاقٍ ضِمنيٍّ بين "الرّوح" الّذي يَظهَر والكنيسة الكاثوليكيَّة ؟!.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر يعرف جيِّداً معنى ما قالت مريم أمُّ يسوع في الإنجيل عن خلاصِها وفدائِها، لكنَّه يريد أن يُحَرِّف المعنى الحقيقي لأقوالها لغايةٍ خبيثةٍ في نفسه. مريم أمُّ يسوع عَرَّفت عن نفسها بأنَّها خاطئة وقد وُلِدت مثلها مثل كلّ الخطاة وعظَّمت الرَّب مخلِّصها وفاديها (تكلَّمنا قبلاً في هذا الموضوع). لكن حين يَظهَر "الرّوح" يقول بأنَّ مريم الكاثوليكيَّة خاليةً من الخطيَّة وبلا دنسٍ منذ أن حُبِل بها. ألا يكون إذاً هذا الأمر دليلاً دامغاً على أنَّ مريم أمّ يسوع الّتي لا تَظْهر ابداً ليست هي مريم الكاثوليكيَّة الّتي تظْهرُ دائماً؟.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر لا شكَّ بأنَّه قد سمع الله حين قال لهُ في جنَّة عدنٍ: "وأضَع عداوةً بينكِ وبينَ المرأة، وبين نسلكِ ونسلها. **هو** يسحقُ رأسَكِ، وأنتِ تسحقين عقِبَهُ". ومع أنَّ هذا الوعد واضحٌ بأنَّ المسيح **هو وحدهُ** من يسحق رأس الحيَّة (أيِّ الشَّيطان) وليس المرأة الّتي سيولد منها، إلاّ أنَّ "الرّوح" عَملَ بخبثٍ على تغيير اتِّجاه هذا الوعد فأعلن في ظُهوراته بأنَّ مريم الكاثوليكيَّة **هي** الّتي سحقت رأسَ الحيَّة وليس الرَّب يسوع المسيح.

- إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر يَعلم جيِّداً بأنَّ الله هو خالقُ وسيِّدُ الشُّعوبِ كلّها دون سواه، وبأنَّ المسيح يسوع هو مخلِّصها الوحيد، لكنَّه وبهدف إخفاء مجد الله وعمل المسيح يسوع على الصَّليب من أمام النّاس، تَظهر مريم الكاثوليكيَّة وهي تَضع الصَّليب خلفها وتَطلب من الشُّعوب إطاعتِها وتعظيمِها وتمجيدها والسُّجود أمامها.

- أخيراً إنَّ "الرّوح" الّذي يَظهر يبدو وكأنَّه لا يحترم الباباوات والكرادلة والمطارنة والكهنة والرّهبان عن قصدٍ، لأنَّه وبدلاً من أن يَظهر عليهم فإنَّه يَظهر دائماً على الأطّفال!. ألا تُعتبَر ظهوراته هذه على الأطّفال، عدم احترامٍ منه لأصحاب القداسة والنِّيافة والسِّيادة والمناصب المُتعالية على النّاس؟. أمرٌ آخرٌ يُثير العَجب والاستغراب في هذا الموضوع هو أنَّ "الرّوح" يَظهر في دُوَلٍ كاثوليكيَّةٍ عديدةٍ من حول العالم، ولكنَّه لم يظهر ولا مرَّةً في دَولةِ الفاتيكان!!.

يُعوزِنا الوقت الكثير لنعرف أكثر حقيقةَ هذا "الرّوح" الّذي يَظهر وماذا يَعمل، لكن نكتفي بهذا القَدر من الكلام في هذا الموضوع، لأنَّ لا طائلَ من إطالةِ الكلام عنه لكي لا نُعطيه قدراً وأهميَّةً واهتماماً لا يستحقها، لأنَّ الوقت الّذي يستفيد منه الإنسان هو الّذي يقضيه متفكِّراً في شخص الرَّب يسوع المسيح وفي محبته وفدائه وغفرانه وصلاحه وبركاته ومجده. فيا ليت أن يكون القارئ العزيز قد أخذ عِبرةً وإفادةً من هذا الموضوع، ليتحوَّل عن الأكاذيب والضَّلالات الّتي يزرعها "الرّوح" في الظُّهورات، وليُقبِل إلى الحقِّ الّذي هو الرَّب يسوع المسيح **وحده**.

**- مريم الكاثوليكيَّة السَّوداء:**

موضوعٌ أخيرٌ سنتطرَّق إليه في نهاية هذا الفصل هو عن مريم الكاثوليكيَّة السَّوداء، وهو يُشبِهُ إلى حدٍّ كبيرٍ ما جاء في الفصل الثّاني عن الأمّ والطّفل الأسوَدَين، لكن هذه المرَّة سنتكلم عن الأمّ مريم السَّوداء دون الطِّفل. وسنتكلَّم عن عددٍ قليلٍ من تماثيلها في عدَّة دُوَلٍ من دُول العالم الّتي تدين بالولاء بمعظمها للكنيسة الكاثوليكيَّة.

**- سيِّدة أباريسيدا السَّوداء في البرازيل:** تقول القصَّة المُتداولَة عن هذه السَّيدة إنَّه في العام ١٧١٧ أرسل حاكم ولاية ساو باولو البرازيليَّة ثلاثة صيّادين ليصطادوا له السَّمك من أحد الأنهر، لأنَّ الوقت كان زمن الانقطاع عن أكل اللّحم. حاول الصّيادون الثّلاثة عِدَّةَ مرّاتٍ رَمي

شباكهم في الماء لكن من دون جدوى، ولم يتمكّنوا من الإمساك بأيّةِ سمكةٍ. وبينما هم على وشك الإستسلام أمسكوا في شبكتهم تمثالاً بدون رأس للأمّ المُبَارَكة. وبينما هم في حيرةٍ من أمرهم رموا الشَّبكة مرَّةً أخرى فأمسكوا رأس السَّيدة، فأصبحت أمُّ الله كاملةً معهم على متن القارب، ومعها سمكٌ كثيرٌ ملأ قاربهم حتى كاد أن يغرق. آمن الصّيادون بأنَّ التِّمثال هو تمثال سيِّدة الحَبل بلا دنس ووضعوه في قريتهم، فحصلت المعجزات وفاضت البركات من خلاله، وأعطى الفرح والبهجة للنّاس في كلِّ أنحاء البلاد. زار سيِّدة أباريسيدا العديد من الباباوات عبر التّاريخ وكان آخرهم البابا فرنسيس في سنة ٢٠١٣، والّذي أقام قدّاساً في كاتدرائيَّة السَّيدة السَّوداء حضَّ خلاله النّاس على مقاومة "العبادات الزّائلة" مثل المال والسُّلطة والمُتعة على حدِّ تعبيره، ولكنَّه لم يقل لهم شيئاً عن العبادة الوثنيَّة الموجودة والمُترسِّخة في الكنيسة الّتي يترأسُّها، بل على العكس من ذلك، فإنَّه قام بتشجيع النّاس على ممارستها والحفاظ عليها، حين قام بالصَّلاة أمام التِّمثال الأسوَد الّذي هو بطول ٣٨ سنتم، ثمَّ بخَّره وحَمَله راسماً إشارة صليب به عدَّة مرّات أمام النّاس، ومن ثمَّ احتضنهُ وقبّله كما نراه في الصُّوَر التّالية!.

**هذه إلَهتكُم السّوداء أيّها الكاثوليك** **إلمِسوها واحمِلوها وقبّلوها لتتباركوا منها!**

**- سيِّدة كايسيساي السَّوداء في الفليبين:** هي سيِّدةُ الحَبلِ بلا دَنسٍ. تقولُ قصَّةَ إيجادها بأنَّ صيّاداً يُدعى جون مانينغساد التقطها في العام ١٦٠٣ في شبكته الّتي رماها في النّهر. كان التِّمثال بطولِ ٢٧ سنتم ومُشبَعاً بالماء لكنَّه كان يَشِعُّ بلمعانٍ سماويٍّ دَفع بِجون التَّقيّ ليَخشع ويُصلِّي أمامه، ومن ثمَّ حمله إلى بيته فرحاً. لا أحد يعرف الأصل الدَّقيق للتِّمثال وكيفيَّةَ وصولهِ إلى النَّهر، لكن توجد

تَكهُّناتٌ مختلفةٌ عن الموضوع لا يستطيع أحدٌ أن يُثَبِّت إحداها. انتشرت أخبار التِّمثال فأتى كاهن الأبرشيَّة مع كاهنٍ يُمثّل العرش الإسباني ليستطلعا الأمر، وعندما وصلا إلى بيت جون ورأيا التِّمثال سجدا أمامه وقاما بتبجيله.

بعد مدَّةٍ من الزَّمن أتت أرملة قاضي البلدة وأخذت التِّمثال إلى بيتها، ووضعته داخل مَزارٍ من زجاجٍ لتحتفظ به عندها. إبتدأت الأرملة تُلاحظ بأنَّ التِّمثال يختفي كلَّ ليلةٍ من المزار ثمَّ يعود إلى مكانه في الصَّباح. قَلِقَت الأرملة ممَّا يحدث أمامها فأخبرت الكاهن الّذي قام بمرافقتها إلى بيتها حيث شاهدا معاً اختفاء التِّمثال وعودته إلى مكانه. قرَّر الكاهن حينئذٍ بأن يأخذه إلى كنيسة القدّيس مارتن ليحفظه من أيِّ أذىً، إلاَّ أنَّه أيضاً كان يختفي كلَّ ليلةٍ من هناك حتّى جاء اليوم الّذي اختفى فيه ولم يَعُد إلى مكانه، ولم يستطع أحدٌ أن يجدهُ أو أن يعرفَ مكانَ وجودهِ.

لكن بعد عدَّة سنين رأت فتاتان كانتا تجمعان الحطب انعكاساً لِصورةِ تمثالٍ على مياه نبعٍ قريبٍ من المكان الّذي وجده فيه الصَّياد جون، فرفعتا عيونهما إلى الأعلى فرأتا تمثال سيِّدة كايسيساي على سفح التلَّة القريبة محاطاً بشمعتين مُضائتَين. أسرعت الفتاتان إلى الكاهن وأخبرتاه بما رأتا فاستنتج الكاهن ومعه أبناء رعيته بأنَّ للعذراءَ أمْنِيةً بالبقاء في كايسيساي، فبنوا لها معبداً مؤقتاً في المكان الّذي وُجِدت فيه. سُجِّلت بعدها سلسلة من الظُّهورات والعديد من العجائب لسيِّدة كايسيساي، وفي الثّامن من كانون الأوَّل من العام ١٩٤٥ قام الكاردينال الإسباني فرناندو كيروغا، مُمثِّلاً البابا بيوس الثّاني عشر بتتويجٍ رسميٍّ لتمثال سيِّدة كايسيساي.

**- سيِّدة جوكيلا السَّوداء في المكسيك**: تقول واحدةٌ من الحكايات المُتداولة عن وصول هذه السَّيدة إلى المكسيك بأنّ الراهب الدّومينيكي الّذي أوصل الدِّيانة الكاثوليكيَّة إلى المكسيك، قد جلب تمثالها معه من الفيليبين، وهذا ما يُفسِّر وجود شَعْرٍ شرقيٍّ مُستعارٍ على رأسها. أبقى الرّاهب التِّمثال على مذبحه الخاص إلى أن قرَّر الانتقال في العام ١٥٥٨ إلى منطقةٍ أخرى، فأعطى التّمثال إلى خادمه الهندي الّذي كان عنده وفاءٌ وحبٌّ عظيمين للسيِّدة العذراء. أخذ الخادم التِّمثال ووضعه على مذبحٍ خاصٍ في بيته فابتدأت المعجزات تحدث وانتشرت أخبارها بسرعةٍ. بعد ٧٥ سنة أيّ في العام ١٦٣٣ لاحظت السُّلطات

الكنسيَّة بأنَّ هذه العذراءُ محبوبةٌ جدّاً من الهنود فقامت ببناءِ معبدٍ كاثوليكيٍّ لها وضعتها فيه بعد أن قَبِل الخادم العجوز بأن يُنقَل تمثالها إليه من كوخه.

وفي أحد الأيّام شَبَّت نارٌ عظيمةٌ في الحقولِ بسبب الرِّياح القويَّة فلم يستطع أحدٌ من السَّيطرة عليها، فقضت على معبد السَّيدة وعلى بيوت القرية كلّها وبالكاد نجا أهلها منها. وعندما عاد السُّكان ليروا إن كان قد بقي أيُّ شيءٍ من أملاكهم وبيوتهم، اكتشفوا بأنَّ النّار قَضت على كلِّ شيئٍ إلاَّ تمثال السَّيدة العذراء الّذي بقيَ واقفاً في مكانه من دون أن يتأثَّر بشيءٍ، أو أن يلحقه أيّ ضررٍ من الحريق. ومنذ ما قبل هذه الأعجوبة وإلى أيّامنا الحاضرة لا تزال العذراء في جوكيلا تصنع المعجزات، فلذلك يأتي الحجّاج إليها بالآلاف أسبوعيّاً، والبعض منهم يمشي على ركبه العارية والنّازفة لمسافاتٍ طويلةٍ، ليضعوا أمام العذراء طِلباتهم آملين منها بأن تستجيبها.

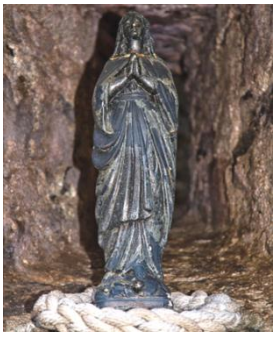

**- سيِّدة فرناذا السَّوداء في إيطاليا**: تُدعى الأفريقيَّة لأنَّ بلدتها هنا تأسَّست حوالي سنة ١٠٠٠ ميلاديَّة من قِبَل العبيد الّذين تحرَّروا من عائلة فولنتيا الرّومانية. البعض يسأل إن كانت هذه السَّيدة السَّوداء قد جُلِبت إلى فرناذا من الأراضي المقدَّسة أثناء الحروب الصَّليبيَّة، لكن لا أحد يملك الجواب الأكيد عن مصدرها. في الأحد الأوَّل من شهر آب من كلِّ سنةٍ يُقام مهرجانٌ تكريميٌّ للسيِّدة السَّوداء الأفريقيَّة.

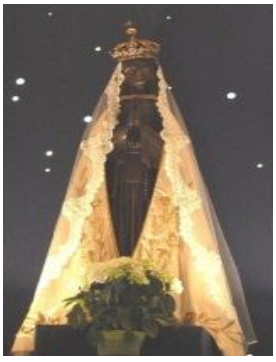

**- سيِّدة فيتشي السَّوداء في فرنسا**: تُدعى سيِّدة المرضى وتستقر في هذا المكان الّذي وبحسب ما أكَّدته الحفريات لاستكشاف الأثار، فإنَّه كان من قبلِ ظهور المسيحيَّة مكاناً مقدَّساً عُبِدَت فيه الإلَهات الأمّ إيزيس وسيبَل وفينوس، وغيرهنَّ من الآلِهة المُختلفة. يوجدُ في المكان خمسةِ ينابيعَ مياهٍ معدنيَّةٍ كانت تُعتَبر مقدَّسةً عند الوثنيّين الّذين كانوا يأتون للاستحمام بمياهها والشُّرب منها. ومن بعد ظهور المسيحيَّة آمن النّاس بوجود علاقةً لهذه المياه المقدَّسة هنا مع العجائب الّتي تصنعها سيِّدة المرضى السَّوداء من خلالها، فزارها الملوك والملكات والطَّبقة الأرستقراطيَّة الفرنسيَّة، ومن ضمنهم نابوليون الثّالث. أثناء الثَّورة الفرنسيَّة في سنة ١٧٩٣، حُطِّمَ تمثال السَّيدة السَّوداء وفُصِل رأسه عنه ونُهِبت ثيابه

وجواهره وتيجانه. لكنَّ وَلداً بعمر الحادية عشرة يُدعى كلود بافييه حَفَظَ الرّأس المفصول عنده. في العام ١٨٠١ وُضِع الرأسُ على جسمٍ جديدٍ وأُعيدت السَّيدة السَّوداء إلى مكانها كاملةً. في الخامس عشر من شهر آب من كلِّ عامٍ يُحتفل بعيد سيِّدة المرضى السَّوداء في فيتشي.

**- سيِّدة فيلنا السَّوداء في لِتوانيا:** هذه الأيقونةُ موجودةٌ الآن في كنيسة سيِّدة بَوّابةِ الفجرِ في مدينة فيلنا عاصمة لِتوانيا، أمّا قبلاً فكانت موضوعةً على بَوّابة المدينة لتَحفَظ المدينة من هجمات الغزاة ولتُبارِك العابرين تحتها. تقول أسطورتها بأنَّه في العام ١٦٥٥ أشعل الجيش الرّوسي النّار لمدَّة سبعة عشر يوماً في فيلنا، وبرغم ذلك لم تُصَب الأيقونة بأيِّ ضَررٍ، وأصبحت منذ ذلك الحين تُعتَبر رمزاً أُعجوبيّاً ويُوقِّرها الكاثوليك والأرثوذكس على حدٍّ سَواء. أيضاً في العام ١٧٠٢ عندما كانت فيلنا مُحتلَّةً من الجيش السُّويدي أتت سيِّدة بَوّابة الفجر لإنقاذ أولادها، فأسقطت بَوّابة الحديد الثَّقيلة على الجيش السُّوَيدي فمات أربعةٌ من عناصره. قام عندها الجيش اللّتواني بهجومٍ مضادٍ قرب البَوّابة وانتصر على الغزاة، فلهذا السَّبب تُدعى سيِّدة بَوّابة الفجر. بين عامي ١٦٧١ و ١٧٦١ نُسِبت إلى هذه السَّيدة سبع عشرة معجزةٍ بينها قصَّةُ لِولَدٍ سقط من الطّابق الثّاني ومات، وعندما صَلَّت أمَّهُ أمام سيِّدة بَوّابة الفجر قام الولد من الموت وعاد إلى الحياة. في القرون اللاّحقة أصبحت هذه السَّيدة جزءاً مُهمّاً من الحياة الدّينيَّة في فيلنا. في العام ١٧٧٣ قدَّم البابا كليمنت السّادس عشر صكوكِ غفرانٍ لأخويَّة حماية مريم العذراء المُبارَكة في فيلنا. وفي العام ١٩٢٧ تُوِّجت الأيقونة بشكلٍ قانوني ودُعيت أمُّ الرَّحمة المقدَّسة. وفي العام ١٩٩٣ زارها البابا يوحنّا بولس الثاني وسَجد أمامها. تُعتبر سيِّدة فيلنا مركزاً مُهمّاً للحجِّ إذ يأتي الكثير من الحجّاج إليها خاصةً من بولندا.

**- سيِّدة أفريقيا السَّوداء في الجزائر:** صُنِع هذا التّمثال في العام ١٨٣٨ خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر بطلبٍ من رئيسِ أساقفةِ باريس المونسنيور دوكالِن، وقدَّمه إلى الأسقف الأوَّل في الجزائر المونسنيور دوبوش الّذي أعلن أنَّ للسَّيدة السَّوداء دوراً مُهمّاً في صُنع السَّلام بين المسيحيّين والمُسلمين في الجزائر، فلذلك ألبسوها عباءةً

إسلاميَّةً مطرَّزةً قدَّمها لها فنّانٌ مُسْلمٌ عنده حبٌّ عميقٌ لأمِّ النَّبي العظيم السَّيد المسيح، أمّا تاجها فقد قدَّمه لها البابا بيوس التّاسع. يرى الزّائر لبازيليك سيِّدة أفريقيا تمثالها الأسود فوق المذبح وتحتهَ مصلوباً أسوَدَ معلَّقاً على صليبٍ. أمّا وراء التِّمثال فيوجد نقشٌ كبيرٌ على الحائط بالفرنسيَّة بما معناه "يا سيِّدة أفريقيا، صلّي لأجلنا ولأجل المُسلمين". كما ويلاحظ الزّائر أنَّه ليس من المُستغرب وجودِ مُسلمينٍ يُصلّون ساجدين أمام التِّمثال ليقدِّموا طِلباتهم إلى سيِّدة أفريقيا السَّوداء.

مفارقةٌ غريبةٌ جداً موجودةٌ في نظام العبادة في الكنيسة الكاثوليكيَّة هي أنَّ بعض النّاس من العِرق الأبيض، ومن ضمنهم باباوات الفاتيكان، يعبدون مريم الكاثوليكيَّة السَّوداء، بينما بعض النّاس من العِرق الأسوَد يعبدون مريم الكاثوليكيَّة البيضاء كما نرى في الصُّوَر المُرفقة أدناه. فهل يوجد من ضياعٍ روحيٍّ أكثر من هذا الضَّياع؟.

قد يَغضب البعض ممّا سأقوله لكن عندي عدَّةِ أسئلةٍ تُحيِّرني وهي، إن كانت بَشَرة مريم أمُّ يسوع بيضاء، فلماذا تُصِرّ الكنيسة الكاثوليكيَّة على تصوير "مَريمَتها" سوداء كأنَّها هي نفسها الإلَهة المصريَّة إيزيس السَّوداء، أو الإلَهَة الإغريقيَّة أرطاميس

السَّوداء، أو الإلَهة الرّومانيَّة ديانا السَّوداء؟ أليس هذا دليلاً إضافيّاً على أنَّ الإلَهَة الأمُّ الكاثوليكيَّة مريم السَّوداء ليست هي الإنسانة مريم أمُّ يسوع البيضاء؟

مريم السَّوداء

إيزيس السَّوداء

أرطاميس السَّوداء

ديانا السَّوداء

سؤالٌ آخرٌ هو، هل إنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة متأثّرة بسَواد آلِهَة أخواتها ديانات المِثليَّة الدينيَّة مثل الهندوسيَّة والبوذيَّة والجانيَّة وغيرها، والّتي هي أيضاً لديها آلِهةٌ وإلَهاتٌ سُودٌ كما تُظهِر الصُّوَر التّاليةِ أيضاً؟ مَن عنده الجواب المُقنِع والسَّديد فليتفضَّل ويُخبِرني به.

أمّا بعد، هذا السُّؤال مُوَجَّهٌ إليكم يا من تُسمُّون أنفسكم "أولاد مريم" وتَتْبعون تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، هل تقبَلون بأن تُصَوَّر "أمُّكم" بهذه الصُّورة القَبيحة وأن تُجَسَّد بهذه الأشكال المَقيتة الّتي هي موجودةٌ فقط في الكنيسة الّتي أنتم في سِجلّاتها مُسَجَّلون، ومن رعاياها تُحْسَبون، وتحت أجنحتها تَجتمِعون، ولواءها تَرفَعون، والوَلاء لها تُقدِّمون، وتعاليمَها تُطيعون؟

فيا ليتكم ومن بعد هذه الحقيقة السّاطعة الّتي رأيتمونها، أنَّ القرارَ الصّائبَ في حياتكم تأخذون بإنَّ مِنها تخرجون لكي من قيودها تتحرَّرون، وأنَّكم بالمسيح يسوع **وحده** ستؤمنون وإيّاه **وحده** ستعبدون وتتبعون، لأنَّكم به **وحده** فقط تَخْلُصون، ومن نيران العذاب الأبديّ تَنْجون، والمجد الأبديّ تَدخُلون.

في نهاية هذا الفصل نسأل، هل من عاقلٍ يريد من بعد أن عرف هذه الحقائق الدّامغة، أن يبقى على ضلالهِ تائهاً في مجاهل الجهل القاتل، وغارقاً في بِحار الظّلام، ومُقيَّداً بقيودٍ مصنوعةٍ من خُرافاتٍ اخترعها البشر، توصِلهُ إلى الهلاك بدون أن يأخذ القرار الصّائب بالخروج منها عبر منارة الإنجيل إلى نورِ المسيح العظيم؟.

الفصل الرّابع

## الآلِهَة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة

في بدءِ الخليقة خَلق اللهُ الإنسانِ على صورتهِ ومثالهِ. وعندما سقط الإنسان بالخطيَّة في جنَّةِ عَدنٍ وطُرِدَ بسببها من حضرة الله، انهارت بسقوطه علاقة اتِّحاده مع الله الواحد وابتدأت علامات ابتعاده عنه بالظُّهور من خلال ولادةِ الوثنيَّةِ بكافة تَشعبَّاتها في كيانهِ الداخلي، ومن ثم ظَهرت في حياته الخارجيَّة من خلال خَلقِهِ لآلِهةٍ على مثال تفكيرهِ وتصوُّراته الشِّريرة، وفي الطُّرُقِ الّتي ابتدعها لعبادة تلك الآلِهة، طُرُقٍ قادته أكثر وأكثر في الإبتعاد عن مبدأ "الوحدانيَّة" أي عبادة الإله الواحد وحده بالرّوح والحقّ كما هو في المسيحيَّة الحقيقيَّة، وأوصلته إلى مبدأ "التَّعدُّديَّة" أي عبادة الآلِهَة المُتعدِّدة الّتي نراها في الدِّيانة الوثنيَّة الأصليَّة، أو بالتعلُّق حتّى العبادة بالشُّفعاء والقدّيسين والملائكة الّتي نراها في الدِّيانة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة، أو بالتقرُّب حتّى العبادة من الأنبياء والأولياء والمُعلِّمين أيضاً كما نراها في بقيَّة ديانات المثلّيَّة الدينيَّة.

إذا رجعنا مرَّةً أخرى إلى الرَّحم الّذي وُلِدَت منه الوثنيَّة أي إلى بابل، فإنَّنا نجدُ أنَّ تعدُّديَّة الآلِهة في العبادة الوثنيَّة الّتي ابتدعها الإنسان قد ابتدأت هناك. فبحسب كتاب "في البدايات، الإنسان القديم وآلِهَتهِ" للمؤلف H.R،Hays فإنَّنا نقرأ التّالي: "صَلَّى النّاس في بابل لآلهةٍ عديدةٍ وكرَّموها، وقد تطوَّر النِّظام البابلي الدينيّ حينها حتّى أصبح لديه تقريباً حوالي خمسةِ آلافِ إلَهٍ وإلَهَةً ". أمّا موسوعة الأديان فتقول: "آمن البابليّون بأنَّ آلِهَتهم كانوا أبطالاً أحياءً على الأرضِ، ومن ثمَّ أصبحوا فيما بعد بمستوىً إلهيٍّ، لذلك أقاموهم كحرّاسٍ لهم ليُعطونهم حمايةً إلهيَّةً خاصَّةً، ووضعوا كلَّ يومٍ وكلِّ شهرٍ تحت حمايتهم، وبالتّالي أوجدوا إلهاً لكلِّ مُشكلةٍ، وإلهاً لكلِّ مِهنةٍ، وإلهاً لكلِّ مَرضٍ، وإلهاً لهذا وإلهً لذاك".

وكما انتشرت من بابل عبادة الإلَهة الأمُّ الوثنيَّة، انتشرت معها أيضاً مفاهيمُ تعدُّدِ الآلِهةِ الّتي تأسَّست وتطوَّرت عليها لاحقاً عقائد ديانات المثلّيَّة الدّينيَّة جميعها ومن ضمنها عقيدة الدّيانة الكاثوليكيَّة. وسنركِّز في هذا الفصل على التَّعدُّديَّةِ الموجودة في عقيدة تلك الدِّيانة فيما يَتعلَّق بكثرةِ أعداد "القدّيسين" فيها، ليس لأنَّنا نَبغض من يعتنق الإيمان الكاثوليكي، بل لأنَّنا نُحبَّه ونريده أن يعرف الإلَه الحقّ **وحده**، فيُصبح بغنى عن الرَّكض وراء آلِهَةٍ أخرى لا تَنفعه لا في حياته ولا من بعد مماته. كما سنتكلَّم في

هذا الفصل عن أصل "القدّيسين" وشفاعتهم وصلواتهم وعجائبهم وظهوراتهم ورفاتهم وذخائرهم وتماثيلهم وصُوَرهم.

**- أصلُ "القدّيسين"**: عندما غزت روما العالم كانت المعتقدات البابليَّة القديمة بشأن تعدُّدِ الآلِهةِ موجودةً داخل نظامها الدّيني كما يُظهِر العرض التّالي: كان هرقل Hercules إله اللّهو والخمر، وعطارد Mercury إله الخطباء، وكرونس Cronus إله حفظ قَسَم اليمين، وجانوس Janus إلَه الأبواب والمُفصَّلات، وبريدجيت Bridgit إلَهة الحدّادين والشِّعر، وجينو رجينا Juno Regina إلَهة الأنوثة والزَّواج، ومينرفا Minerva إلَهة الحِكمة والحِرَف والموسيقيّين، وفينوس Venus إلَهة الحبّ والولادة، وفستا Vesta إلَهة الخبّازين والنّيران المقدّسة، وسيرس Ceres إلَهة الذُرَة والقمح والنُّمو الزِّراعي...إلخ. وكانت توجدُ أيضاً آلِهةً آخرون يُشرفون على كلِّ لحظةٍ في حياة كلِّ إنسانٍ، آلِهَةٌ للبيت والحديقة، آلِهَةٌ للطَّعام والشَّراب، آلِهةٌ للصِّحة والمرض. ثم أُدْمِجَت هذه المفاهيم الّتي كانت مُتجذِّرةً في امبراطوريَّة روما الوثنيَّة عن الآلِهة المُتعدِّدة وحمايتها للبشر داخل كنيسة روما، لكي يجد المُتحوِّلون من الوثنيَّة الأصليَّة إلى الوثنيَّة المُمَسْحَنَة نُظراءَ لآلِهَتهم داخلها فلا يَعترضون على هذا التَّغيير. فَلِمن يسأل كيف حدث هذا التَّغيير؟ الجواب التّالي هو له.

عندما قام الملك قسطنطين بمَسْحَنةِ الوثنيَّة (سنتكلَّم عنه في فصلٍ آخر) سُمِّي الآلِهَة والإلَهات الوثنيّين بأسماءٍ جديدةٍ ودُعُوا "قدّيسين وقدّيسات"، فأصبح الإلَهُ الوثنيّ قدّيساً كاثوليكيّاً والإلَهَةَ الوثنيَّةِ تحوَّلت إلى قدّيسة كاثوليكيَّة مع تغييرٍ أو تعديلٍ في أسمائهم. فمثلاً تغيَّرت تَسمية الإلَه ديونيسيوس فأصبح القدّيس دينيس، والإلَه هيليوس ربطوه بإيليَّا النَبي فأصبح القدّيس إليوس أو إلياس، والإلَه مارس تحوَّل ليُصبح القدّيس مارتن، والإلَهَة فكتوريا أصبحت القدّيسة فيكتوار، والإلَهَة شيرون أصبحت القدّيسة سيرانوس، والإلَهة أرتيميس أصبحت القدّيسة أرتيميدوس، أمَّا الإلَهَة السِّلتية بريدجيد الّتي كانت ابنة إله الشَّمس والّتي كان معبدها في كيلدار في إيرلندا، حيث كانت تخدمها فيه عذارى يُشعِلنَ النّيران المقدَّسة لها، فأصبحت تُدعى القدّيسة بريجيت وأصبح معبدها ديراً وعذاراها صِرنَ راهباتٍ استمرَّينَ بإقامة طقوس النّار الّتي دُعيت "نارُ القدّيسة بريجيت". هذا من جهةٍ، أمّا من جهةٍ أخرى فكان يتم نزع تمثال الإلَه الوثني أو الإلَهَة الوثنيَّة من الفجوات الّتي تعلوها قناطر صغيرة في جدران المعابد، ليوضع مكانها تمثالِ "قدّيسٍ" أو "قدّيسةٍ" صنعته الكنيسة الكاثوليكيَّة بدلاً منها. كما هُدِمت المعابد الوثنيَّة القديمة لتُبنى مكانها ومن حجارتها معابدَ الوثنيَّة

المُمَسْحنَة الجديدة(سُمِّيت كنائس)، بقصد تغيير وتجديد المنظر الخارجي لكن الجوهر الوثني الدّاخلي بقيَ على حالهِ وعلى قِدَمِهِ.

إنَّ الهيكل الّذي يُدعى البانثيون، المحفوظَ اليوم بعنايةٍ في روما، والّذي كان في الأيام القديمة مُكرَّساً للإله جوبيتر وكلِّ الآلِهَةِ، هو يعطينا صورةً واضحةً عن كيفيَّة مَسْحَنَةِ هياكلَ الآلِهةِ الوثنيَّةِ بإزالة أوثان الآلِهة الرّومانيَّة منها ووضع تماثيل "قدّيسيٍّ" الكاثوليكيَّة مكانها، عندما كرَّسهُ البابا بونيفاس الرّابع في العام ٦٠٩ لمريم العذراء وكلّ القدّيسين.

البانثيون من الخارج

ومن الداخل

**- شفاعة "القدّيسين"**: بعدما أنهت ألكنيسة الكاثوليكيَّة مَسْحَنَة الآلِهة الوثنيَّة بتحويلهم إلى "قدّيسين"، عملت على زيادة أعدادهم تِباعاً فأصبحوا يُعَدُّون بالآلاف خلال الحِقب الزَّمنيَّة المُتتالية، على أساسِ مواصفاتٍ مُعيَّنةٍ مرتكزةٍ على تعاليمٍ بشريَّةٍ مغلوطةٍ، ومُترافِقة مع قصصٍ خُرافيَّةٍ عنهم ليَظهَروا بأنَّهم مُميَّزون بحياتهم التَّقويَّة عن بقيَّة النّاس. فبحسب التَّعليم الكاثوليكي، فإنَّ كلمة "قدّيس" تنطبق على كلّ شخصٍ بلغَ إلى مستوى خاص من القداسة وصل إليه دون سواه، من بعد أن يكون قد أمضى أيّام حياته في التَّنسكِ والزُّهدِ والصَّلوات وأعمالِ قهرٍ لجسده أوصلته لكي يكون مع المسيح في السَّماء ولكي يكون شفيعاً للنّاس عندهُ يُصلّي لهم أمامه، لكن لا المسيح ولا رسله تَكلّموا عن هكذا شفيع. هذا ما تُعلّمه الكنيسة الكاثوليكيَّة لكن إذا نظرنا إلى تعليمها هذا عن قُربٍ وقارنّاه بتعليم الإنجيل، فإنَّنا نجد أنَّه حيلةٌ مُبطَّنةٌ بالمكرِ والخداع من صُنعِ عدوِّ المسيح لضلال النّاس، لأنَّه أقنعهم بأنَّ لديهم "قدّيساً" يشفع فيهم في السَّماء شفاعته متساويةً مع شفاعة المسيح القدّوس، ومن ثم عَمِل على مَحْوِ شفاعة المسيح من أمامهم، فبقيت شفاعة الإنسان "القدّيس" وحدها ظاهرةً لهم. فلذلك لا تَسمع أحدٌ من الّذين يُسَمُّون أنفسهم "مسيحيّين" يتكلَّم عن شفاعة المسيح بل عن

شفاعة "القدّيس"، بينما لا يتكلَّم المسيحي الحقيقيّ إلاَّ عن شفاعة المسيح وحده. ومن يظنَّ أنَّه بحاجةٍ لشفيعٍ مع المسيح، فمعناه أنَّه لا يعرف المسيح!.

يَنقُضُ ويَدحضُ تعليم الإنجيل وعلى أساس قاعدتَين أساسيتين فيه هذا التَّعليم الكاثوليكي عن "القدّيس الشَّفيع"، فالقاعدة الأولى هي أنَّ الله حسم موضوع الشَّفاعة أمامه وحَصَرها في **إنسانٍ واحدٍ** هو الرَّب يسوع المسيح **وحده**، ولا يقبل أمامه شفاعةَ أيِّ إنسانٍ آخرٍ غيره كائناً من كان، مهما كانت التَّحليلات الّتي يُقدِّمها معلِّمو الوثنيَّة المُمَسْحنَة الّذين يعتنقون مبدأ الوثنيَّة الأصليَّة في تعدُّد الشُّفعاء الّذي يناقض مبدأ الوحدانيَّة في الشَّفاعة أمام الله، الّذي حدَّده في الإنجيل والموجود فقط في المسيحيَّة الحقيقيَّة: **"لأنّه يوجدُ إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بين الله والنّاس، الإنسان يسوع المسيح الّذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع"**(١تيم ٢:٥). أمّا القاعدة الثّانية فهي أنَّ الخطاة ليسوا بحاجةٍ لأن يفعلوا شيئاً ليُصبحوا قدّيسين حقيقيّين سوى أن يتوبوا عن خطاياهم، ويؤمنون بالمسيح يسوع كمُخلِّصٍ وفادٍ لهم، فيولدون ثانيةً بالرّوح القُدس ويُصبِحون من أولاد الله وهيكلُ للرّوح القُدس، والدّليل على ذلك فإنَّ كلّ الرّسائل الّتي أرسلها بولس إلى المسيحيّين الأوائل في رومية وكورنثوس وأفسُس وفيلبّي وكولوسي، أرسلها إلى **القدّيسين** الّذين كما نعرف من الإنجيل، فإنَّهم كانوا خطاةً وقد تابوا وآمنوا بالمسيح المخلِّص فأصبحوا قدّيسين.

- "إلى جميع الموجودين في رومية، أحبّاء الله، مدعوّين **قدّيسين**" ( رو١:٧).

- "إلى كنيسة الله في كورنثوس، المقدَّسين في المسيح يسوع، المدعوّين **قدّيسين** مع جميع الّذين يدعون باسْم ربّنا يسوع ..." (١كور١:٢).

- "بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، إلى **القدّيسين** الّذين في أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع" (أف١:١).

- "سلِّموا على كلّ **قدّيس** في المسيح يسوع ... يُسلِّم عليكم جميع القدّيسين ولا سِيَّما الّذين من بيت قيصر" ( في ٤:٢١).

- "بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، وتيموثاوس الأخ، إلى **القدّيسين** في كولوسي" (كو١:١).

يُمكننا أيضاً بأن نلاحظ بوضوحٍ في سفر أعمال الرُّسل في الإنجيل بأنَّ أعداد هؤلاء القدّيسين الحقيقيّين كانت بالآلاف، وكانوا موجودين من قَبلِ أن توجد الكنيسة الكاثوليكيَّة بمئات السِّنين، ولم يَحتج أيّ واحدٍ منهم لأيِّ مِنَّةٍ منها لتقديسه على مراحل لأنَّ الله كان قد قدَّسهم في لحظةِ توبتهم أمامه كما حصل مع مريم المجدليَّة، ومع اللِّص الّذي كان على الصَّليب على يمين المسيح وكثيرين غيرهم، وهذا ما يحصل اليوم مع جميع التّائبين أمام المسيح. بينما تقديس البشر للبشر في الكنيسة الكاثوليكيَّة يأخذُ بِحجَّةِ دراسةِ الموضوع وقتاً طويلاً، قد يمتد إلى عشرات أو حتّى مئات السِّنين، ويتطلَّب أيضاً ممَّن هو مرشَّحٌ لكي يكون قدّيساً بأن يُجري ولو معجزةً واحدةً من بعد موته ليتمَّ التَّأكّد بأنَّه قد أصبح في السَّماء!. ويُمكننا أن نلاحظ أيضاً في سفر أعمال الرُّسل، أنَّ القدّيسين الحقيقيّين المذكورين فيه كانوا أحياءً يجتمعون مع بعضهم بعضاً، ولم يكونوا أمواتاً تجتمع النّاس حول قبورهم للصَّلاة لهم ولطلب شفاعتهم والتَّبرك بعظامهم، فلذلك لا يُشبِه "قدّيسو" الكنيسة الكاثوليكيَّة قدّيسي الإنجيل والمسيحيَّة الحقيقيَّةِ بشيءٍ.

إن سَلَّمنا جدلاً بأنَّ عقيدة "التّقديس" في الكنيسة الكاثوليكيَّة هي عقيدةٌ صحيحةٌ فستتوارد إلى ذهننا بضعة أسئلة، نكون شاكرين لمن سيُجيبنا عنها مع أنّنا نعرف الجواب عليها سَلفاً. السُّؤال الأوّل هو أين يتواجد الشَّخص المُطوَّب الّذي ينتظر بفارغ الصَّبر بأن يُعلِن البابا قداسته في الكنيسة الكاثوليكيَّة، أفي السَّماء أم في المطهر أم في جهنَّم النار؟ فإن كان في السَّماء فلا حاجةٍ لتقديسه لأنَّ السَّماء لا يَدخُلها إلاّ القدّيسون المُغسَّلون بدماء الرَّب يسوع المسيح، وبالتّالي هو قدّيسٌ لا يحتاج لمن يقدِّسه مرَّةً أخرى. وإن كان في المطهر(مع أنَّه بدعةٌ كاثوليكيَّةٌ وغيرَ موجودٍ) فلا أحدٌ يعرف متى وكيف سيخرج منه، وإن كان في جهنَّم النّار فإنَّه من المؤكَّدِ بأنَّ لها باباً واحداً فقط للدّخول إليها، ولا يوجد لها أيّ باب للخروج منها، أيّ بما معناه أنَّه سيبقى مُحترِقاً فيها إلى الأبد.

سؤالٌ آخرٌ هو أنَّ الله أخبرنا في كلمتهِ بأنَّ كلّ البشر الّذين يَمرّون على وجه الأرض مقسومون أمامه إلى قِسمَين لا ثالث لهما. القسم الأوَّل هم القدّيسون المُخَلَّصون الّذين يدخلون السَّماء، أمّا القسم الثّاني فهم الأشرار الهالكون الّذين يُطرَحون في النّار الأبديَّة. فإن كان "القدّيس" بحسب التَّعليم الكاثوليكي هو وحده من يدخل السَّماء ليُصلّي فيها لأجل النّاس وليشفع فيهم أمام المسيح والله، فما هو إذاً

مصير بقيَّة النّاس الّذين يأتون للصَّلاة أمامه ويُعَدّون بالملايين؟، ألا يكونون حينها أشراراً هالكين لم ولن تنفعهم شفاعته المرفوضة أمام الله أصلاً كما سبق ورأينا؟

هنا يجب التَّوقف عند نقطةٍ مهمَّةٍ لنعرف الفرق الواضح بين أعداد قدّيسي الكنيسة الكاثوليكيَّة، الّذين وبحسب اعترافها **يُعدّون بالآلاف فقط**، وبين أعداد القدّيسين الحقيقيّين الّذين رآهم الرَّسول يوحنّا في السَّماء وأعطانا عددهم الحقيقي في الإصحاح السّابع من سفر الرّؤيا عندما قال: "بعد هذا نظرتُ وإذا **جمعٌ كثيرٌ لم يستطع أحدٌ أن يَعُدَّهُ**، من كلِّ الأمم والقبائل والشُّعوب والألسِنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، مُتسربلين بثيابٍ بيضٍ وفي أيديهم سَعَفُ النَّخل وهم يصرخون بصوتٍ عظيمٍ قائلين: "الخلاص لإلَهنا الجالس على العرش وللخروف". ألا يدلّ هذا الفرق الكبير بين الأعداد على التَّباين والتَّباعد والتَّناقض بين القدّيسين الحقيقيّين الّذين قدَّسهم الله وبين "القدّيسين" الّذين "طوَّبهم وقدَّسهم" البشر؟

هنا يجب أن أتوقَّف أنا شخصيّاً لأُعَبِّر أمام الملأ عن شكريَ للرَّب يسوع المسيح، الّذي حسبني أنا الخاطئ أهلاً لكي أكون من شعبهِ وقدّيساً مع قدِّيسيه، بعد أن نُبْتُ عن خطاياي وسلَّمته حياتي، فولدني ثانيةً بالرّوح القدس وأعطاني الخلاص والحياة الأبديَّة، وأنا أعيش اليوم معه في سلامٍ وفرحٍ وتعزيةٍ وسطَ عالمٍ ضريرٍ يرأسه شيطانٌ شرّيرٌ، وانتظرُ اللِّقاء المجيد معه في سماء المجد.

توجدُ مفارقةٌ غريبةٌ جداً في عقيدة شفاعة "القدّيسين" في الكنيسة الكاثوليكيَّة يجب أن نتكلّم عنها ألا وهي القِصص الخياليَّة عن "قدّيسين" وهميّين، أي الّذين لم يُولَدوا أبداً من رحمِ امرأةٍ، بل وُلدوا من رَحمِ خَيالِ مُعلِّمي الكنيسة الكاثوليكيَّة، مثل قصَّة "القدّيسة" فيرونيكا، أو كقصَّة " القدّيس" المحارب جاورجيوس الّتي أتت من أساطيرٍ وثنيَّةٍ قديمةٍ وقد مُسْحِنَت كما سنرى، وهكذا أصبحا " قدِّيسَين" حقيقيّين تُصلّي لهما النّاس بدون أن تعرِف أنَّ هويتهما مُزيَّفتان وبأنهما غير موجودَين.

يظنُّ مُعظم النّاس بأنَّ قصَّة فيرونيكا موجودةً في الإنجيل وهي شخصيَّةٌ حقيقيَّةٌ، لكنَّ في الواقع فإنَّ قصَّتها لم تَرِد في الإنجيل على الاطلاق، لأنَّ لا أحد عرفها في ذلك الزَّمان، ولم تكن موجودةً على طريق الجلجثة حينما كان يسوع يحمل صليبه، ولم تمسح وجهه بمنديلٍ لتُطْبَع عليهِ صورةَ وجههِ. ترِد قصَّة فيرونيكا في "إنجيل نيقوديموس" المنحول،

الّذي وبرغم أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لا تعترف بصدقيته، فإنَّها جعلت من فيرونيكا إحدى "قدّيساتها" ووضعت تمثالاً لها في الفاتيكان (الّذي في الصُّورة أعلاه)، ووضعت اسْمها على المرحلةِ السّادسة من مراحلِ دربِ الصَّليب الّتي تُقام يوم الجمعة العظيمة وأعطتها عنوانِ "فيرونيكا تمسح وجهَ يسوع". نَعَم صنعت الكنيسة الكاثوليكيَّة كلّ هذا لشخصيةٍ غير موجودةٍ في الوجود، ودَعت النّاس إلى الإيمان بها والصَّلاة لها، وكعادتها صدَّقت النّاس القصَّة ولبَّت الدَّعوة كما هي بدون أن تسأل عمن تكون فيرونيكا أو إن كانت موجودةً أصلاً، وأصبحت تُصلّي لها لأنَّ المُهمَّ عندها أن تُصَلّي فقط ولا يَهمّ لمن تُصَلّي.

أمّا القصَّة الثّانية الخياليَّة والخُرافيَّة فهي قصَّة "القدّيس" جاورجيوس (يُدعى أيضاً جورج أو جريس أو جرجي)، والّتي تفوح منها رائحةِ الأساطير المصريَّةِ والإغريقيَّةِ لأنَّها تُشبِه تلك الأساطير من عدَّةِ نواحٍ. بحسب ما يَذكر التَّقليد فإنَّ "القدّيس" جاورجيوس وُلِد في نهاية القرن الثّاني الميلادي من أبوين مسيحيَّين في إحدى مدن إقليم كبادوكية، وعندما كَبُرَ التَحق بسلك الجنديَّة، وترَّقى حتّى وصل إلى رتبةٍ عاليةٍ في الجيش مَكَّنتهُ من أن يُصبِح مقرَّباً من الإمبراطور دقلديانوس، حتّى الوقت الّذي قام فيه هذا الإمبراطور بإصدار أوامره باضطهاد جميع المسيحيّين في كلِّ الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة. خالف جاورجيوس أوامر الإمبراطور علانيَّةً ومزَّق منشوره، فحاول الإمبراطور أن يُثنيه عن الدّيانة المسيحيَّة ويُعيده إلى الدِّيانة الوثنيَّة إلاَّ أنَّه رفض. فعذَّبه الإمبراطور كثيراً وقد تنوَّعت هذه العذابات بين الجَلد وإجباره على ارتداء حذاءٍ من المسامير وشُرب السُّم، كما أيضاً تمَّ تعذيبه ببعض العذابات التي أسفرت عن قتله أربع مرّات مثل سحق جمجمته وإلقائه في داخلِ معصرةٍ لها أسنانٍ حديديَّةٍ، لكن الرَّب أحياه ثلاثَ مرّاتٍ واستُشهدَ في الرّابعة. ارتبط اسم هذا "القدّيس" بأسطورةِ قضائهِ على التّنين الّتي هيمنت على جميع الأيقونات الّتي رُسِمت له، أو التَّماثيل الّتي جَسَّدته في جميع أنحاء العالم وهو يقتل التّنين بحربته، إلى درجةِ أنَّه حين يُذكَر اسْمه أمام أيِّ شخصٍ يتمثَّل في مُخيَّلتهِ المنظر الشَّهير له وهو يَطعن التّنين (كما يَظهر بالصُّورة المُرفَقة أعلاه).

لكن بعيداًعمّا يقوله التَّقليد واستناداً إلى ما يذكره التّاريخ، فإنَّ الشَّكل الأوَّل لقصَّةِ جاورجيوس قد ظهرت في القرن الخامس الميلادي، ومنها انبثقت نسخٌ أخرى لها.

ومن فرط المبالغات الّتي احتوتها، أعلن البابا جيلاسيوس الأوّل في عام ٤٩٦م أنَّ قصصِ عذابات واستشهاد جاورجيوس ما هي إلاّ خُرافاتٍ ابتدعها الجَهَلة المُهرطِقون ومنَعَ تداولها في الأوساط الدينيَّة الكاثوليكيَّة.

في العام ١٢٦٠م ظَهرت قصَّة جاورجيوس من جديدٍ حين ألَّف أسقف جنوى يعقوب الفرازي كتاب "الأسطورة الذّهبيَّة" وأورد فيه روايةً عنه، وكيف أنَّه سافر إلى بلدةٍ تُدعى "سيليني" في ليبيا، والّتي كانت تُعاني من تنّينٍ شرسٍ قد بنى وِكْرهُ في الطّريق إلى عين الماء الّتي تَمدّ المدينة بالمياه العذبة، ممّا اضطر أهلها إلى أن يُقدِّموا إحدى بناتهم كأضْحيةٍ للوحش يوميّاً، وكانوا يختارون الفتاة الّتي ستُصبح أضحيةَ للتّنين عن طريق القُرعة، وذات مرَّة وقعت القُرعة على الأميرة ابنة ملك المدينة الّذي حاول إنقاذ ابنته من دون جدوى، فتمَّ اقتيادها وتقييدها ليلتهمها التَّنين. ولكن صودف مرور "القدّيس" جاورجيوس الّذي حمى نفسه بدرعه الّذي يحمل علامةِ صليبٍ، وطعن التَّنين برمحه في حلقه حتّى قتله، وأنقذ الأميرة والبلدة الّتي عبَّرت عن امتنانها لجندي المسيح الّذي أنقذها بنبذِ الوثنيَّة واعتناق المسيحيَّة.

إذاً كما سبق وذكرنا فإنَّ رائحة الأساطير الإغريقيَّة الّتي حَملت عنوان "قاتل الوحش ومُنقذ الأميرة" في العديد من أساطير أبطالها، تفوح أيضاً من قصَّة جاورجيوس الّتي تُشبه أسطورة البطل ثيسيوس الّذي قضى على المينوتاورس في مدينة كريت ليُنقذ أهل مدينته. وأيضاً تُشبه إنقاذ البطل بيرسيوس للأميرة اندروميدا من الوحش كيتوس. ويتشابه مشهد "القدّيس" جاورجيوس وهو ممتطياً حصاناً أبيضَ طاعناً التّنين من حلقه بشكلٍ كبير مع صورة البطل اليوناني باليرفون وهو ممتطياً الحصان المُجنَّح بيجاسيوس طاعناً برمحه الوحش الأسطوريّ ألخيميرا الّذي ينفث اللَّهب من فمهِ. وتُشبه قصّة جاورجيوس أيضاً القصَّة المصريَّة الّتي تتكلَّم عن قتل حورس(رمز الخير والحقّ) لِسِتْ (رمز الشَّر والباطل). الصُّوَر التّالية تؤكِّد ما نقوله

باليرفون يطعن ألخيميرا

حورس بشكل فارس يطعن ست المتَّخذ شكل التمساح

جاورجيوس يطعن التنين

تحتوي قصَّة جاورجيوس على العديد من الجوانب الرَّمزيَّة حسب بعض التَّفاسير الّتي أُعطيت لها، فالتِّنين هنا يَرمز للشَّيطان وفي نفسِ الوقت يَرمز أيضاً للوثنيَّة، و"القدّيس" يَرمز إلى الخير الّذي يسحق الشَّيطان وفي نفس الوقت هو ممثِّلِ المسيحيَّةِ الّتي سحقت الوثنيَّة تحت أقدامها، والأميرة ترمز للبشر الّذين أنقذتهم المسيحيَّة من الشرِّ والخطيئة المُتمثِّلين في الوثنيَّة. ولكن قد تكون الرُّموز وما تعنيه في قصَّة "القدّيس" جاورجيوس مُهمَّةً للبعض، لكن الأهمّ في الموضوع هو هل أنَّ جاورجيوس هو شخصيَّةٌ حقيقيَّةٌ أمّ خياليَّة؟ في الواقع وبعد أن رأينا بأنَّ قصَّته الّتي تأتي كنسخةً مشابهةً لقصصِ الأساطير الوثنيَّة، هي تؤكِّد لنا بأنَّ جاورجيوس لم يكن شخصيَّةً حقيقيّةً تاريخيَّةً، وبأنَّه لم يكن موجوداً في الوجود أبداً. فلذلك عندما ترى عزيزي القارئ صورةَ "القدّيس" جاورجيوس أو جريس (سمِّه ما شِئت) بعد الآن، عليك أن تعلم أنَّه وحصانه ورمحه وتَنِّينه الخُرافي ليسوا جميعاً إلاّ أسطورةً وثنيَّةً مُمَسْحَنَةً، وعليك أن تُدرك بأنَّ اتِّباعكَ للأساطير سَيودي بكَ إلى بئسِ المصير.

**- صلوات "القدّيسين"**: يوجدُ فرقٌ كبيرٌ بين الصَّلاة لأجلِ قدّيس والصَّلاة إلى قدّيس. فالأولى هي الصَّحيحةُ أمام الله ومقبولةٌ عنده ومسموعةٌ منه كما يُعلّمنا الكتاب المقدَّس، أمّا الثّانيةُ فهي مغلوطةٌ ومرفوضةٌ منه ولا يستمع إليها كما يُعلِّمنا الكتاب المقدّس أيضاً كما سنرى.

يُعلِّم الكاثوليك أنَّه من خلال الصَّلوات الّتي يُصلّيها القدّيسون الأموات إلى الرَّب في السَّماء يستطيعون أن ينالوا منه بركاتٍ لا يُعطيها للنّاس الأحياء على الأرضِ بطرقٍ أخرى. وقالوا في تعاليمهم الّتي تَثَبَّتَت كعقائدٍ أساسيَّةٍ في كنيستهم خلال انعقاد مجامعهم برئاسة الباباوات وحضور الكرادلة: "إنَّ على النّاس أن تَعبُد الرَّب وتُصلّي إلى مريم العذراء أوَّلاً، ومن ثمَّ إلى الرُّسل القدّيسين والشُّهداء الأبرار وكلّ القدّيسين ليكونوا لهم أصدقاءٍ يُحامون عنهم في وقت الشِّدة، وليلتمسوا المُساعدةِ لهم في ساعة الضّيق، لأنَّ الرَّب يرفض أن يقدِّم المساعدة من دون أن تَمرَّ بالشَّفيع". وقالوا أيضاً: "إنَّ القدّيسين الّذين يَملِكون مع المسيح يرفعون صلواتهم الخاصَّة إلى الرَّب، فلهذا من الجيِّد والمُفيد أن نتضرَّع إليهم ونتوسَّلهم لكي نجد استجابةً لصلواتنا عنده ومساعدةً لنا لنأخذ انعامات منه". وبسبب هذه التّعاليم المُضَلِّلَة دخل النّاس في دائرةٍ مقفلةٍ من الضَّياع ولم يعودوا يُصَلّون للرَّب لأنَّهم أضاعوا طريقَ وطريقةِ الوصول إليهِ، فلم يعد لديهم الخَيار سوى أن يُصَلّوا إلى "القدّيسين" آملين أن يُصَلّوا هم بدورهم

لهم إلى الرّب. وقد وضعت الكنيسة الكاثوليكيَّة جَدولاً باسْمِ واختصاصِ كلّ "قدّيس" أو "قدّيسة" لكي تلتجأ إليهم النّاس في كلّ حالةٍ يحتاجونهم فيها، نأتي على ذكر البعض منهم: على العواقر أن تُصلّي إلى "القدّيس" أنطوني، والعوانس إلى "القدّيس" أندريه، والحبإلى إلى "القدّيس" جيرارد، وللعثور على الأشياء الضّائعة إلى "القدّيس" أنطونيوس، وللقبض على السّارقين إلى"القدّيس" جرفايس، وللحصول على زوجةٍ إلى "القدّيسة " آن، وللحصول على زوجٍ إلى "القدّيس" يوسف،... إلخ.

أيضاً وَضعت الكنيسة الكاثوليكيَّة جدولاً بأسماءٍ أخرى من "قدّيسيها" لتلجأ إليهم النّاس عند إصابَتهِم بالأمراض التّالية: على المصابين بمرض الحُنجرة أن يُصلّوا إلى"القدّيس" بلايس، ومرضى العيون إلى "القدّيسة" لوسي، ومرضى الجِلد إلى "القدّيس" روك، ومرضى السَّرطان إلى "القدّيس" بريغرين، ومرضى الثّدي إلى "القدّيسة" أغاتا، ومرضى إلتهاب المفاصل إلى "القدّيس" يعقوب، والعميان إلى "القدّيس" رافائيل. أمّا من عضَّهُ الكلب فيجب عليه أن يُصلّي إلى "القدّيس" هيوبرت، ومن لَدغته الأفعى فليُصلّي إلى "القدّيسة " هيلاري !.

إنَّ أجمل ما في الكتاب المقدَّس هو الحقُّ الّذي يسكن بين طيّاته، الحقُّ غير الموجود في كلِّ كتبِ ديانات المِثليَّة الدينيَّة، الحقُّ الّذي يدحض الكَذِبَ والباطلِ من أساسهما. فلذلك إن أردنا معرفةَ إن كانت التَّعاليم الكاثوليكيَّة الّتي تُشجِّع النّاس على الصَّلاة إلى "القدّيسين" صحيحةً أم باطلةً علينا أن نفتّش في داخله. في الواقع وبعد البحث والتّدقيق في الكتاب المقدّس فإنَّنا لم نجد أيِّ إثباتٍ على صحة تلك التّعاليم، بل على العكس، وجدنا إثباتاً واضحاً على كِذبَها وبطلانها! والإثبات الواضح هو ما نَطق به الرَّب يسوع المسيح بنفسه في موعظته على الجبل حين قال: "وأمّا أنت فمتى صَلَّيت فادخل إلى مخدعكَ وأغلق بابك، وصلِّ إلى أبيكَ الّذي في الخفاء. فأبوكَ الّذي يرى في الخفاءِ يُجازيك علانيَةً" (متَّى٦:٦). فلذلك لا تُضيِّع وقتكَ ومالكَ أيُّها الإنسان في الرَّكضِ وراء "القدّيسين" ما دام القدّوس يدعوكَ لتختلي به وحده وتفتح له قلبك، فيفتح لك باب السَّماء على مصراعيه ويعطيكَ سؤلَ قلبكَ.

أيضاً نَعرِف من الكتاب المقدَّس بأنَّه إن أراد القدّيسون الأحياء أن يُصَلّوا لأجل قدّيسٍ، فيجب أن يكون هذا القدّيس على قيد الحياة حتّى تكون الصَّلاة لأجلهِ مُتَناسِبةً مع ما أوحاه الرّوح القُدس للرُّسل القدّيسين الّذين كتبوا رسائلهم إلى القدّيسين الّذين

كانوا أحياءً في زمانهم، وحَضّوهم على الصَّلاة لأجلِ بعضهم بعضاً، ولم يأتوا فيها على ذكرِ الصَّلاة إلى قدّيسين فارقوا الحياة :

- "لا أزال شاكراً لأجلكم، ذاكراً إيَّاكم في صَلواتي" (أف١:١٦).

- "أيُّها الإخوة صَلّوا لأجلنا" (١ تس ٥:٢٥).

- "اخيراً أيُّها الإخوة صَلّوا لأجلنا لكي تَجري كلمة الله وتتمجَّد" ( ٢ تس ٣:١).

- "وصَلّوا بعضكم لأجل بعض، لكي تُشفَوا" ( يع ٥:١٦).

أمّا إن كنّا نُريد أن نتحادث مع أشخاصٍ قد ماتوا فسيكون اتِّصالنا بهم نوعاً من مناجاة الأرواح والتَّكلم مع الموتى، وهو ما حرَّمه الله في الكتاب المقدَّس إذ يقول: "لا يوجد فيكَ من يُجيزُ ابْنهُ في النّار، ولا من يَعْرُفُ عِرافةً... **ولا من يستشير المَوتى**"(تثنية ١٨:١١). فلذلك يجب على كلِّ من يُصلّي في بيته إلى"القدّيس"، أو كلّ من يزوره في قبره أو في معبده ليُصلّي له، أن يتأكَّد أنَّه يتكلَّم مع روحِ الشَّخص نفسه الّذي يقصدهُ - مع إنَّ هذا الأمر مستحيل - قبل أن يكتشف في اليوم الّذي يُسلِّم الرّوح فيه ويُفارقَ الحياةِ، شخصيَّة "الرُّوح" الذي كان يُضِلُّه والّذي كان مخدوعاً فيه.

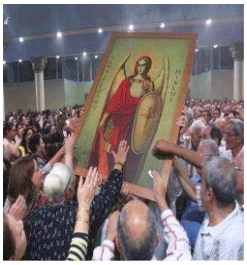

أمرٌ آخرٌ مُستغربٌ ويُثير العجَب في نظام عبادة الكنيسة الكاثوليكيَّة نَمرُّ عليه سريعاً في موضوع صلاة "القدّيسين"، ألا وهو بِدعة الصَّلاة إلى "الملائكة القدّيسين". لأنَّه وكما يبدو، فإنَّ تلك الكنيسة احتارت في من تُصلّي له، فابتدأت تُصلّي إلى الملاك ميخائيل بينما أختها الكنيسة الأرثوذكسيَّة تُصلّي إلى الملاك رافائيل!، اذ بحسب زعمهما فإنَّ الملائكة تسمع الصَّلوات من النّاس، وهي تَشفع فيهم وتُحافظ عليهم لئلاّ يُصيبهم أيِّ شرٍّ أو مكروه. لكن هذا الأمر يرفضه الإنجيل محذِّراً النّاس من سلوك هذا الطَّريق مُعتبِراً إيّاه عبادةً للملائكة وشاجباً الصَّلاة إليها إذ يقول: "لا يُخسِّركم أحدٌ الجعالةَ، راغباً في التّواضعِ و**عبادة الملائكةِ**، متداخلاً في ما لم يَنظُرهُ، منتفخاً باطلاً من قِبَلِ ذهنه الجسديِّ، وغيرَ متمسِّكٍ بالرأسِ الّذي هو المسيح ..."(كولوسي ٢:١٨).

- **عجائب "القدّيسين"**: كلَّما سألتَ النّاس إن كانت صَلواتهم الّتي يرفعونها إلى "القدّيس" مقبولةً عند الله وبحسب مشيئته، فيجيبونك فوراً وبدون أيِّ تفكيرٍ: "نعم هي كذلك، والدَّليلُ على ذلك هي العجائب الّتي يجترحها "القدّيس" استجابةً لتلك الصَّلوات، فلو لم تكن صَلواتنا مقبولةً عند الله وبحسب مشيئته لما حدثت تلك العجائب". لكن ما لا تعلمه أكثرية النّاس هو أنَّ العجائب ومن كلِّ الأنواع حدثَت وتَحدُث في جميع ديانات المِثليَّة الدّينيَّة من حول العالم بدون استثناءٍ، والغريب إنَّ كلّ تلك العجائب تحدث فيها لهدفٍ واحدٍ ألا وهو تثبيت إيمان أتباع كلِّ ديانةٍ في الّذين يؤمنون بهم. مثلاً إنّ مَن يؤمن في الدِّيانة الهندوسيَّة بالإلَه غانش ويُصلّي له ينال عجيبةً منه، ومن تؤمن في الدّيانة الهندوسيَّة بالإلَهة دورغا وتُصلّي لها تنال عجيبةً منها. ومن يؤمن في الدِّيانة البوذيَّة ببوذا الشّافي ويُصلّي له ينال عجيبةً منه، ومن يؤمنون في الدِّيانة البوذيَّة بإلَهة الرَّحمة كيوان ين ويُصلّون لها ينالون عجيبةً منها. ومن يؤمنون في الدِّيانة الإسلاميَّة بالسَّيدة زينب أو بالسَّيدة فاطمة الزَّهراء أو بالأولياء الصَّالحين ويُصلّون لهم ينالون العجائب منهم. والّذين يؤمنون في الدّيانة الكاثوليكيَّة بمريم العذراء الكاثوليكيَّة وبالقدّيسين ويُصَلّون لهم ينالون العجائب منهم أيضاً...إلخ. وهكذا نرى أنَّ العجائبَ المُتنوِّعةِ متوفِّرة بكثرةٍ في كلِّ ديانات المِثليَّة الدينيَّة لكلّ الّذين يَطلبونها ويُصلَون لنيلها ليقوى إيمانهم بمن يؤمنون بحسب ما جميعهم يتصوَّرون ويَزعمون ويُؤكِّدون!.

هنا نسأل هل إنَّ الله هو من أوجدَ ديانات المثليَّة الدينيَّة الّتي تبتعد وتتناقض بتعاليمها وشعائرها وشفعائها مع ما أعلنه هو لنا في الكتاب المقدَّس؟ الجواب الأكيد هو **لا**. وهل من بعد أن وضع الله **الشَّفيع الوحيد** بينه وبين النّاس (كما سَبق وذكرنا) يُناقضَ نَفسَهُ بنفسِهِ ويصنع المعجزات والعجائب في تلك الدِّيانات نزولاً عند رغبة أتباعها ليُثَبِّت إيمانهم في آلِهَتهم وأنبيائهم وأوليائهم وقدّيسيهم وشفعائهم المرفوضون منه ويتركهم بالتّالي فريسةً للضَّلال والهلاك؟ الجواب الأكيد أيضاً هو **لا**. إذاً فمن هو الّذي يصنع العجائب في تلك الدّيانات إن كان الله ليس هو من يصنعها؟، أولَيس للشَّيطان قدرةٌ على اجتراح العجائب بهدف ضَلال النّاس من خلالِها لكي يُدهَشوا ويَنشغلوا بها فلا يعودوا يَهتمون بعدها بخلاصهم ونوالهم الحياة الأبديَّة بالإيمان بالرَّب يسوع المسيح **وحده؟** لأنَّهم وبدل من أن يُصلّوا إلى الرَّب يسوع للتَّوبة ونوال الغفران والحياة الأبديَّة منه، يُصلّون إلى "القدّيس" للشِّفاء من أمراضهم الجسديَّة بعجيبةٍ منه قد تحصل وقد لا تحصل، لكنَّه في الحالتين لا يُعطيهم الخلاص ولا

الغفران ولا الحياة الأبديَّة، فتكون العجيبة الّتي أفادتهم لبعض الوقت في حياتهم الزّمنيَّة على الأرض، خَسَّرتهم الحياة الأبديَّة في السَّماء الّتي ينالها الإنسان فقط من خلال التَوبة والإيمان بالرَّب يسوع المسيح **وحده** دون سواه.

إنَّ الجّواب عن سؤالِ إن كان للشَّيطان قدرةً على اجتراح العجائب هو **نَعم** بالتّأكيد، والدَّليل على ذلك له شِقّان، الشَّق الأوَّل موجودٌ في الإنجيل الّذي يتكلَّم عن قدرة الشَّيطان على صنعِ الآيات والعجائب ويستطيع أيٌّ كان أن يَطَّلع عليه، أمّا الشَّق الثّاني فسنراه من خلال عجائبِ شفاءٍ حقيقيَّةٍ وواقعيَّةٍ تُشبه العجائب الّتي تَحصل في جميع الدّيانات المُختلفة، أجراها أشخاصٌ سَحرةٌ لهم علاقةٌ بالأرواح الشِّريرة، وكتبت عنها صحيفة " الدِّيار" في سنة ١٩٩٧ والّتي استقينا معلوماتنا منها. وللإختصار سنذكر قصَّتين من أصلِ قصصٍ كثيرةٍ عن تلك العجائب لعلَّها تفيد الّذين يَقصدون قبور الأموات لنوال الشِّفاء، فيستخلِصوا العِبر منها وينتبهوا إلى أنَّ ليس كلٌّ عجيبةٍ قد تحصل معهم هي من صُنع الله، وأن يُدرِكوا بأنَّ كلَّ تمرُّدٍ على وصاياه سيوقِعهم في مصْيَدة الضَّلال وجُبِّ الهلاك.

القصَّة الأولى هي عن "الدّكتور داهش" (اسْمه الحقيقي سليم العشّي)، الّذي عاش في القرن العشرين وأمضى معظم أيّام حياته في بيته في بيروت، وكان من أشهر السَّحرة والمُتعاطين مع الأرواح الشرّيرة آنذاك، وكان مَقصداً لكلِّ شخصٍ يريد الدُّخول إلى عالمِ الغيب والأرواح أيضاً. قام "الدّكتور داهش" بأعمالِ سحرٍ كثيرةٍ أدهشت العالم أجمع وجعلته مشهوراً في زمانهِ. لكن ما يَهمُّنا في عمّا فعله في موضوعنا هنا، هو أنَّه قام بعمليةِ شفاءٍ لسيِّدةٍ تُدعى مريم مزراحي من سكّان فلسطين وقد وردت قصَّة شفائها في كتاب "أضواءٌ على الدّاهشية" للدّكتور غازي براكس على الشَّكل التّالي: "كانت مريم مصابةً بمرض البَرَص المُستعصي وقد عالجها عددٌ كبيرٌ من الأطباء من دون جدوى، لأنَّ المَرض الرَّهيب اجتاح جسدها وأصاب التهرؤ أناملها وأنفها وشفتيها وأذنيها. سافرت مريم إلى لبنان وحَضرت إلى منزل الدّكتور داهش لعلَّها تحظى بالشِّفاء على يده، وكانت هيئتها مُنفِرةً ومُرعِبةً. قام الدّكتور داهش فوراً بعقدِ جلسةٍ روحانيَّةٍ أولى تجلّى فيها روح الآب المُقدَّس، أحد أنبياء العهد القديم، وأعلن أنَّ المريضة استحقت الشِّفاء وبإذن من الله تعالى سيُبرئها من عِلَّتها المُستعصية المُخيفة، وطلب روحُ النَّبي أن يُعقَد لها جلسةً ثانيةً بعد يومين يُدعى إليها عددٌ كبيرٌ من الأطباء لمعاينة المريضة وكيفيَّة شفائها. تمنَّع العديد من الأطباء عن الحضور تهيُّباً من الحضورِ الرُّوحي. حضر خمسةَ أطباءٍ فقط إلى

الجلسة، وحضر أيضاً أكثر من ثلاثين شخصاً. حضرت مريم مزراحي أيضاً ففحصها الأطباء فحصاً مُدقَّقاً وعاينها الحاضرون فتأثَّروا جدّاً من رؤيتهم وجهها وأطرافها المُهترِئة والمُشوَّهة. وسرعان ما عُقِدت الجلسة الرّوحانية الثّانية فتجلّى روح الآب المقدَّس بطرس الرَّسول في شخصِ الدّكتور داهش. وما إن لمس وجه المريضة وأطرافها حتّى اختفت آثار البَرص، وتجدَّد لحمها، وامتلأت فجواته، وكلّ عضوٍ مُصابٍ فيها عادت إليه العافية والنَّضارة بقوَّةٍ إلَهيَّةٍ. أحدثت معجزة الشِّفاء هذه تأثيراً بالغاً في نفوس الحاضرين فآمنوا أنَّهم أمام قوَّةٍ روحيَّةٍ إلهيَّةٍ، وهادٍ محبٍّ وصادق".

القصّة الثّانية من الصَّحيفة نفسها الّتي صدرت نهار الجمعة في ١٤ شباط ١٩٩٧. فلقد كتب فيها الصَّحافي حَسن حميَّة مقالةً مُطوَّلةً عن مقابلةٍ أجراها مع شخصٍ يسكن في بلدة بقاعيَّة لبنانيَّة يُدعى محمد القرصيفي المعروف بأبو عباس والّذي أخبره بنفسه أنَّه عندما كان في سنِّ العشرين سمع صوتاً حين كان نائماً يقول له: "قُم.. فلقد اخترناك وسيطاً بيننا وبين البشر... إشْفِ أمراض النّاس وعالج مشاكلهم... فسوف نكون لك عوناً وظهيراً في ذلك، طالما حفِظتَ الرَّمز السِّري، وعمِلتَ بما يُرضي الله والأنبياء". شرع بعدها أبو عباس بإجراء "عمليَّات روحانيَّة" للدّيسك، والقلب المفتوح، والشَّلل الجزئي، والمرارة والكلى والمعدة والأمعاء والصَرع ومشاكل صحيَّة أخرى، فأصبح مقصَداً لكلِّ مريضٍ ومتألّم. سمح أبو عباس لِحَسَن بمشاهدة طقوسِ إحدى العمليات الّتي كان سيُجريها لأحد المرضى، وبعد أن أقفل الأبواب والنَّوافذ قام بإطفاء الهاتف الخليوي، وطلب من حَسن عدم استعمال ضوء الكاميرا لأنَّه قد يُزعج "الرّوح" ويُفسِد العمليَّة. العمليَّة كانت لشخصٍ يعاني من ديسكٍ مزمنٍ وأوجاعٍ في الظَّهرِ، وسبق أن خضع لعملياتٍ جراحيَّةٍ في المستشفى لم تعطِ أيَّة نتيجة إيجابيَّة. وبدأت العمليَّة، فأشعل أبوعباس عوداً من البخور طالباً من مريضه الاستلقاء على كنبةٍ في زاوية الغرفة، ففعل، ثمَّ عاد أبو عباس ليتابع الحديث مع حَسَن الّذي ارتسمت علامات التَّساؤل والدَّهشة على وجهه فقال له أبو عباس: "لستُ أنا الّذي يُجري العمليَّة، وإنَّما "الرّوح" الّذي يَحضُر بناء على طلبي كلَّما لَفظتُ في أعماقي "كلمة السِّر"... ولن تستغرق عملية الدّيسك هذه أكثر من ثلاثِ دقائق ".

وبالفعل، بعد مضي الدّقائق الثَّلاث طلب أبو عباس من مريضه أن يَنهُض، فنهض هذا قائلاً أنَّه يشعر بدوخةٍ وغثيانٍ، وبوخزاتٍ في ظهره، وحين رفع قميصه بناءً

لطلب أبو عباس شاهد حَسن في أسفل ظهره معالمِ جرحٍ أفقيٍّ مُندملٍ، تبدو عليه آثار "التَّقطيب" وقال أبو عباس إنَّ هذا من إثْر العمليَّة الّتي أُجراها "الرّوح"!.

وبينما كان حَسن عند أبو عباس التقى بسيِّدةٍ أخبرته بأنَّها كانت تشكو من آلامٍ شديدةٍ في صدرها ممّا استوجب إجراءِ عمليَّةِ تمييل لها. نصحها حينها جيرانها باللّلجوء إلى أبو عباس الّذي أجرى لها عمليَّةِ "قلبٍ مفتوح". وعن العمليَّة وحالتها الصّحية بعدها قالت: "لم تستمر العمليَّة أكثر من بضع دقائق ولا يزال أثر الجُرح موجوداً في صدري، أمّا صحَّتي فقد أصبحت جيِّدة جداً ولم أعُد أشعُر بأيِّ ألَم" !.

إن قُلنا إنَّ العجائب الّتي يصنعها "قدّيسو" الكنيسة الكاثوليكيَّة حتّى ولو كان عددها بالآلاف ليست بيد الله مصنوعةً وليس له أيّ دخلٍ بها فسيؤدّي هذا إلى ردَّةِ فعلٍ إكليروسيَّةٍ غاضبةٍ ومُحتجَّةٍ على أقوالنا، لأنَّ الحقيقة تُؤلم من اعتاد أن يعيش في الخُرافات. لكن الدَّليل على إنَّ ما نقوله صحيح هو لسببين، السَّبب الأوَّل هو تشابه آثار النُّدوب أو الجِراح الّتي تتركها العجائب الّتي يصنعها "القدّيسون" الكاثوليك على أجساد المرضى مع آثار النُّدوب الّتي تتركها العجائب الّتي يصنعها السَّحَرة على أجساد المرضى أيضاً(كما رأينا)، أمّا السَّبب الثّاني فهو ربط الكنيسة الكاثوليكيَّة للعجائب الّتي تحصل فيها بالخُرافات الّتي حذَّرنا منها الرَّسول بولس في رسالته إلى تيموثاوس (٢تيم٤:٤)، الخُرافات الّتي تمتد جذورها في أعماق الوثنيَّة الأصليَّة وتمتلئ بها الوثنيَّة المُمَسْحَنَة(كما سنرى)، بينما المسيحيَّة الحقيقيَّة خاليةٌ منها كلّياً.

سنذكر قصَّتين تظهر الخُرافةُ واضحةً وفائضةً فيهما أكثر من القِصص الأخرى الّتي تملأ صفحات السِّنكسار (كتاب "سِيَر القدّيسين")، واحدةٌ قصَّة "قدّيس" وأخرى قصَّة "قدّيسة" سارا على رجليهما وهما يحملان رأسهيما المقطوعَين بين يديهما!! كيف؟ فلنقرأ قصَّتهما معاً مدعومتان بالصُّوَر التَّوضيحيَّة

"القدّيس" يدعى دينيس وقد كان مطراناً على باريس في سنة٢٥٠ كما يقولُ التَّقليد، وبأنَّه استشهد بقطع رأسه أثناء الإضطهاد، لكنَّه وبعد أن قُطِع رأسه التقطَهُ وسار به مسافة عشرةَ كيلومترات قبل أن يُسلِّم الرّوح في منطقةٍ تميَّزت أوَّلاً بمزارٍ صغيرٍ تحوَّل لاحقاً إلى بازيليكٍ كبيرٍ دُفِن فيه العديد من ملوك فرنسا. يجد الزّائر للبازيليك تمثالاً كبيراً يُجَسِّدُ دينيس وهو يحمل رأسه المقطوع. وقد جَعلت

الكنيسة الكاثوليكيَّة من "القدّيس" دينيس شفيعاً لمرضى أوجاع الرّأس أو الصُداع وخلافه، وأقامته الرّاعي المُقدَّس لباريس.

أمّا "القدّيسة" فتُدعى فاليري، لكنَّ المعلومات التّاريخيَّة قليلة بشأنها وتنقسم إلى قِصَّتين لا ندري أيٍّ واحدةٍ منهما نُصدِّق. القصَّة الأولى تقول بأنَّ أحد الحكّام أمَر بقطع رأسها، ومن بعد أن قُطِع رأسها حَملتهُ بيديها وسارت به إلى كاهنٍ يدعى مارتيل لكي يكون شاهداً على أنَّ رأسها قد قُطِعَ من أجل المسيح. قصَّةٌ أخرى تقول بأنَّ خطيبها سافر إلى مكانٍ بعيدٍ، وعندما عاد وجد بأنَّها قد أصبحت مسيحيَّةً وبأنَّها تبرَّعت بكلِّ ما لديها من مالٍ للكنيسة من ضمنه مَهْرها الكبير، فاستشاط خطيبها غضباً وأمرَ بقطع رأسها. يوجد بعضٌ من تماثيلها الّتي تُجسِّدها وهي مقطوعةَ الرّأسِ في معابدٍ كاثوليكيَّةٍ في باريس وروما وأميركا.

هل سمعتَ أيُّها القارئ العزيز بقصَّةِ ديب سينغ Deep Singh الواردة في تاريخ الدِّيانة السّيخيَّةِ؟ قصَّته الخُرافية تُشبه قِصَّتَي "قدِّيسَي" الكاثوليكيَّة دينيس وفاليري من جهةِ المشي برأسٍ مقطوعٍ، وهي دليلٌ آخرٌ على أنَّ المِثليَّة الدينيَّة الّتي نتكلَّم عنها في هذا الكتاب هي حقيقيَّةٌ وواقعيَّةٌ وليست خياليَّةً ووهميَّةً.

وُلِد ديب سينغ في سنة ١٦٨٢م في مدينة أمريتسار الهنديَّة، وهي واحدةٌ من أهمِّ المدن الأشهر قُدسِيةً بالنِّسبة إلى حوالي عشرين مليون سيخي، لأنَّه يوجد فيها المعبد الذَّهبي الّذي وبحسب المعتقدات السّيخيَّة يمنح القوَّة الرّوحيَّة والشِّفاء لزوّاره بسبب وجود الكتب المقدَّسة السّيخيَّة فيه. في سنة ١٧١٤ هاجم أعداء السّيخ المدينة بهدف احتلالها والاعتداء على المعبد الذَّهبي. هَبَّ ديب سينغ ومعه عددٌ من الرِّجال إلى نَجدةِ معبدهم المقدَّس وللدّفاع عنه. وبينما كانت تدور رحى المعركة انقَضَّ اثنان من الأعداء على ديب سينغ بسيفيهما وقطعا رأسه فوقع على الأرض. لكن حدث ما ليس بالحِسبان، إذ عندما ناداه شابٌ كان يُحاربَ معه وذَكَّرهُ بمهمَّة الدِّفاع عن المعبد الذَّهبي وقف ديب سينغ على قَدميه وأكمَل المَعركة حاملاً رأسه المقطوع بيده اليُسرى والسَّيف بيده

اليُمنى. حين رأى الأعداء هذا المشهد أمامهم أصابهم الخوف والهلع وهربوا من أرض المعركة مهزومين... أكمل ديب سينغ سيره حاملاً رأسه المقطوع إلى المعبد الذَّهبي حيث فارق الحياة، وأصبح من بعدها من أكثر الشُّهداء احتراماً في التّاريخ الدّيني السّيخي.

إذا عدنا إلى الإنجيل في ختام كلامنا عن عجائب "القدّيسين" نجد بأنَّ الرَّب يسوع المسيح اجترح العجائب والمعجزات الكثيرة، وأعطى تلاميذه وشعبه سلطانَ أن يصنعوا العجائب **باسمه فقط** دون أيّ اسمٍ سواه. وهذا ما صنعه الرَّسولان بطرس ويوحنّا حين صعدا إلى الهيكل ووجدا رجلاً أعرجَ من بطن أمِّه يُحمَلُ ويُوضعَ عند باب الهيكل ليسأل صدقةً من الّذين يدخلون الهيكل، فهذا لمّا رأى بطرس ويوحنّا سألهما ليأخذ صدقةً. قال له بطرس ليس لي لا فضَّةٌ ولا ذَهَبٌ، **باسم يسوع المسيح** النّاصري قُم وامشِ... فوثب ووقف وصار يمشي ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويُسبِّح الله (أع٣:١). من هنا نستنتج بأنَّ كلّ عجيبة لا تحدث باسم الرَّب يسوع المسيح **وحده**، بل تَحدث باسم قدّيسٍ أو شَفيعٍ أو نَبيٍّ أو وَليٍّ أوغيرهم، هي ليس مَشكوكٍ بحدوثها لأنَّها بدون شكٍّ منظورةً وملموسةً، لكن يوجد شكٌّ بمن هو الّذي يصنعها وما هو هدفه من صُنْعِها. في الواقع أنَّ من يَصنَع العجائب بين النّاس بِاسْمٍ غيرِ اسْم الرَّب يسوع المسيح، يصنعها لإخفاء هذا الاسْم العظيم عنهم وإزالته من أمامهم. لكن من المؤكَّد بأنَّ جميع محاولاته ستبوء بالفشل لأنَّ بهذا الاسْم العظيم، اسم الرَّب يسوع المسيح، ستجثو كلُّ رُكْبةٍ مِمَّن في السَّماء، ومَن على الأرض، ومَن تَحتَ الأرض...(في٢:١٠).

أخيراً سأترك للقارئ العزيز هذا السُّؤال على أملِ إنَّ جوابهِ الصَّحيح عليه يقوده إلى معرفةِ الطَّريقِ الصَّحيح. من هو الّذي يصنع العجائب الّتي تحدث في جميع ديانات المثليَّة الدينيَّة بأسْماءٍ مختلفةٍ، ويغيب عنها اسْم الرَّب يسوع المسيح؟.

**- ظهورات "القدّيسين"**: نرى في قصَّة لعازر والغني الّتي رواها المسيح ودَوَّنها لوقا في إنجيله، أنَّه أراد من خلالها أن يُعرِّفنا عمّا يوجدُ في العالم الرّوحي الأبدي واستحالة العودة منه إلى الأرض بسبب أمرين، الأمر الأوّل هو ما قاله ابراهيم للغني عن الهُوَّة العظيمة الّتي قد أُثبِتَت بين مكان العزاء أيّ السَّماء، ومكان العذاب أيّ الجحيم، وبأنَّ لا أحدٌ يستطيعَ أن يَعبر بينهما من مكانٍ إلى مكانٍ آخر. أمّا الأمر الثّاني فهو أنَّ ابراهيم ربطَ عودةَ لعازر إلى الأرض بقيامته من الأموات حرفيّاً،

أي أن يعود بجسده المادي الطَّبيعي تماماً مثلما حدث مع لعازار أخو مريم ومرتا أو مع طابيثا اللّذَين أقامهما يسوع من بين الأموات ورأتهما النّاس وعَرفَت من يكونان. فكيف إذاً في الوقت الّذي يستحيل على أحدٍ من سُكّان ذلك العالم الرّوحي الانتقال فيه من مكانٍ إلى مكانٍ آخر، يستطيع أن ينتقل منهُ الى عالمنا هنا ليَظهر للنّاس؟!.

ولأنَّ لا أحدٌ يستطيع العبور من العالم الرّوحي ليأتي ويَظهر في عالمنا المادي كما رأينا، فمن هو"الرّوح" الّذي يَظهر في "ظُهورات القدّيسين" المُختلفة الّتي نسمع عنها كثيراً والّتي سيطرت على عقول النّاس؟. تكلَّمنا مطوَّلاً في الفصل السّابق في موضوع ظهورات مريم الكاثوليكيَّة عن ظهورات "الرّوح" الّذي يأتي من العالم الرّوحي الخفي عن عيوننا إلى عالمنا المادي المنظور لإضْلال النّاس ولا داعي لتكرار ما قلناه. لكن هنا نَود أن نسأل ألا يستطيع "الرّوح" الّذي يَظهر في شكلِ امرأةٍ تلبس ثياباً بألوانٍ متعدِّدةٍ أن يَظهر في شكلِ رجلٍ يلبسُ ثوباً أسودَ مَثلاً؟. لذلك وبدل من أن يفرح النّاس بهذه الظُهورات ولو ترافقت مع عجائب، عليهم أن يشعروا بالخوف والرُّعب منها، لأنَّها تعمل على شدِّ خناق الضَّلال على رقابهم، والّذي في النِّهاية سيقودهم إلى الهلاك الأبديّ.

إنَّ ظُهور"الرّوح" الّذي يأخذ شخصيَّةَ إنسانٍ كان على قيد الحياة ومات ليس بجَديدٍ. فإذا عدنا حوالي ألفِ سنةٍ من قبل الميلاد وتحديداً إلى أيّام صموئيل النَّبي وشاول ملك الإسرائيليّين، فإنّنا نجد في الكتاب المقدَّس أنَّه ومن بعد موت النَّبي صموئيل بوقتٍ قليلٍ اجتمع الفلسطينيّون لمحاربة الإسرائيليّين. خاف شاول واضطرب قلبه جداً. فسأل من الرَّب، فلم يُجِبْهُ الرَّب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء. ذهب حينها شاول إلى امرأةٍ صاحِبَةِ جانٍّ ليستشيرها فقالت له: "من أُصعِد لكَ؟" فقال: "أصعِدي لي صموئيل". فلمّا رأت المرأة صموئيل صرخت بصوتٍ عظيمٍ وقالت: "رأيتُ آلِهةً يصعدون من الأرض". فقال لها شاول: "ما هي صورتهُ؟" فقالت: "رجلٌ شيخٌ صاعدٌ وهو مغطًّى بجبَّةٍ". فعلم شاول أنَّهُ صموئيل، فخَرَّ على وجههِ إلى الأرضِ وسجدَ. فقال صموئيل لشاول: "لماذا أقلقتني بإصعادِكَ إيَّايَ؟" فقال شاول: "قد ضاقَ بي الأمرُ جدّاً. الفلسطينيّون يحاربونني، والرَّب فارقني ولم يَعُد يُجيبُني لا بالأنبياء ولا بالأحلام. فدعوتكَ لكي تُعْلِمَني ماذا أصنعُ". فقال صموئيل: "ولماذا تسألني والرَّب قد فارقَكَ وصار عَدوَّك؟... إنتهت المحادثة بين "الرّوح" الّذي ظَهر بوعدٍ منهُ لشاول بخسارة الحرب وبأنَّه هو وبنيه سيكونون معه في اليوم التّالي. وهذا ما تمَّ فِعلاً بموت شاول وبنيه جميعاً (١صمو إصحاح ٢٨).

يظنّ بعض النّاس أنَّ "الرّوح" الّذي ظَهر بطلبٍ من العرّافة هو نفسه صموئيل النّبي، لكن بالقراءة المتعمِّقة للنَّص والمُقترنة بالمُقارنة الرّوحية مع فكرِ الله المُعلَن لنا في الكتاب المقدَّس نستطيع أن نرى الصُّورةَ الكاملة والواضحة أمامنا عمّا حدث في ذلك اليوم، وهي تُعطينا ثلاثة أسبابٍ تؤكِّد لنا أنَّ "الرّوح" الّذي ظَهرعند العَرافة متَّخِذاً شخصيَّةَ صموئيل النَّبي، لم يكن صموئيل النَّبي الّذي لم يكن له أيَّة علاقة في هذا الظّهور. السَّبب الأوَّل هو لو أنَّ الرَّب كان يريد أن يُجيب شاول عن سؤاله لكان أجابه بالطُّرق الّتي وضعها هو ليتواصل شَعبه معه بها، وهي الّتي حاول شاول أن يستخدمها أوَّلاً لكنَّ محاولته باءت بالفشل لأنَّ الرَّب كان قد رفضه. السَّبب الثّاني هو أنَّ الرَّب لن يُغيِّر رأيه ويُشجِّع أيّاً كان ولأيِّ سببٍ كان على تغييرِ وصاياه الّتي أعطاها بنفسهِ لشعبهِ ونَهاهُم فيها عن التَّواصل مع أرواحِ الجَانِّ والتَّوابع، ومن ثمَّ يغيِّر رأيه ويناقِض نفسَهُ بنفسِهِ نزولاً عند رغبة شاول الشِّريرة. نذكر وصيَّتين من الوصايا الّتي أعطاها الرَّب لشعبه لتأكيد ما نقول. الوصيَّة الأولى هي: "لا تلتفتوا إلى الجانِّ ولا تطلبوا التَّوابع، فتتنجسوا بهم. أنا الرَّب إلهَكم"(لاويين١٩:٣١). أمّا الوصيَّة الثّانية وهي الّتي عندما عصاها شاول عجَّلت في القضاءِ عليه: "والنَّفس الّتي تلتفت إلى الجانِّ والتَّوابع لتزني وراءهم، أجعلُ وجهي ضدَّ تلك النَّفس وأقطعها من شعبها. فتتقدَّسون وتكونون قدّيسين، لأنّي أنا الرَّب إلهَكم" (لاويين٢٠:٦). أمّا السَّبب الثّالث فهو أنَّ امرأةِ الجانِّ تستطيع أن تأتي بالجانِّ فقط، ولكنّها لا تستطيع أن تأتي بنبيّ الله ولا بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

السُّؤال البديهي الّذي يَطرحُ نفسه هنا هو، ألا يستطيع "الرّوح" نفسه الّذي ظَهر بِاسْمِ وشَكلِ النّبي صموئيل في الأيَّام القديمة أن يَظهر في أيَّامنا الحاضرة متَّخِذاً اسْمَ وشكلَ أيّ شخصيَّةٍ يريدها أكانت رجلاً أو امرأةً، وبأن يَظهر بها في أيِّ مكانٍ يريدهُ أكان بيتاً أو قبراً أو ديراً؟.

نريد هنا أن نَلفت نظر القارئ العزيز إلى أنّ الظُّهورات - كما العجائب - تحدث في جميع ديانات المِثليَّة الدينيَّة في العالم أجمع، فإن سألتَ المُسلمين عن إن كانت تحدث في ديانتهم ظهوراتٌ لأوليائهم وسيِّداتهم سيجيبونك بِنَعَم، وإن سألت الهندوس عن ظهوراتٍ لآلهتهم الّتي تُعَدُّ بالآلاف سيخبرونك عن آلافِ الظُّهوراتِ لهم، وإن سألت البوذيّين عن ظُهوراتٍ للإلَهة الأمّ كيوان ين بينهم سيخبرونك عن الكثير من قصص ظهوراتها لهم ...إلخ. فلذلك نستطيع بأن نستنتج بأنَّ "روحاً" واحداً يَظهرُ في أشكالٍ مختلفةٍ في جميع ديانات المِثليَّة الدينيَّة الّتي فيها تَركت النّاس الحقّ الّذي هو

الرَّب يسوع المسيح، واتَّبعَت الشَّيطان صانع الكَذِب والضَّلال، فلذلك لن تخلو عباداتهم المغلوطة من ظُهوراتِ ذاك "الرّوح" بأشكالٍ وأسماءٍ عديدةٍ عليهم.

- **ذخائر"القدّيسين"**: عندما تجسَّد الرَّب يسوع المسيح في عالمنا من العذراء المُبارَكَة مريم أخذ منها جسداً يُشبِه جسدنا، ثمَّ مات على الصَّليب ليفدينا، ودُفِن في القبر ثلاثةَ أيّامٍ وثلاثَ ليالٍ قام بعدها منتصراً على الموت والشَّيطان، وصَعد إلى السَّماء تاركاً وراءه قبراً فارغاً لا توجدُ فيه أيَّةِ عَظْمةٍ أو شعْرةٍ أو نقطةَ دمٍ أو حتّى أيَّةَ خليَّةٍ واحدةٍ من جسده لتكون بحسب الفكر الوثني مصدرَ "بركةٍ" للنّاس الّذين سيؤمنون به، أو لتُصبح "ذخائرُ مقدّسةٌ" في يدِ رجال الدّين المرائين، يستغلونها في كسب المال بطرقٍ ملتويةٍ من النّاس البسطاء، بدون أن يشعروا بأيِّ وازعٍ من ضميرٍ عندهم.

وأيضاً قال الرَّب يسوع: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظُّلمةِ بل يكون له نورُ الحياةِ". أمّا الشَّيطان، ولأنَّه إله الظُّلمة ولا يعيش إلاّ فيها، فلقد وجدَ بأنَّ ظلمة القبور والأضرحة عند كلّ ديانات المِثليَّة الدينيَّة هي المكان المُناسب لإقامته مُتخفِّياً بأسماء الأموات الموجودين فيها، وليصنعَ في مكانِ تواجدِ أجسادهم البالية والرَّميمةِ عجائبَ مُختلفةٍ تُبهِر النّاس وتَجذبها إلى تلك القبور طلباً منها للمزيد من العجائب الّتي تُقوِّي إيمان كلّ من يؤمن منهم بما يوجد في ديانته.

ولأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لا تُعطي أهميَّةً حقيقيَّةً لتعاليم الإنجيل ولا تُطيعها، وتعتبر بأنَّ تعاليمها الخاصَّة أهمُّ من تعاليمه، فقد امتلأت تعاليمها بالخُرافات مثلما رأينا في موضوع عجائب "القدّيسين"، وكما سنرى الآن في موضوع رُفاتِهم، لأنَّ الخُرافات كانت - وما زالت - الأساس الواهي الّذي بَنَت عليه الكنيسة الكاثوليكيَّة مفاهيم الخداع وتعاليم الضَّلال اللَّذَين جعلانها تتخبَّط فيهما منذ نشأتها ومعها كلّ الّذين ساروا برُكب تعاليمها من أفرادٍ وكنائسٍ وما زال هذا التَّخبُّط مستمرّاً فيها إلى يومنا الحاضر وإلى انْتهاءِ الدَّهرِ.

إنَّ أكثرَ ما تُشدِّد وتَستَند إليه الكنيسة الكاثوليكيَّة في موضوعِ رُفات "قدّيسيها" هو ما تُسمّيه "الإعجاز الإلَهيّ" في بقاءِ أجسادهم بدون انحلالٍ بعد موتهم كدليلٍ أمام النّاس على قُدسِيَّة "القدّيس" وتَميُّزِهِ عنهم، وليقوى إيمانهم بشفاعته بهم أمام الله. لكن هنا نسألها عن أيِّ إعجازٍ إلَهيٍّ تتكلَّم ما دامت الأجساد غير المتحلِّلة موجودةٌ أيضاً في قبور ديانات المثليَّة الدينيَّة الأخرى كالبوذيَّة وغيرها كما نراهم بالصُّوَر التّالية؟

أهو أيضاً إعجازٌ إلهيٌّ في تلك الدّيانات لكي يقوى إيمان أتباعها بمن يؤمنون ويعبدون من آلِهَةٍ وشفعاءٍ وأنبياءٍ؟ الجواب البديهيِّ هو إنَّ ما يحصل من حفظٍ لأجساد الموتى وعدم انحلالها في الدّيانات الوثنيَّة ومن ضمنهم الدّيانة الكاثوليكيَّة ليس هو إعجازاً ولا حتّى تدخُّلاً إلهيّاً لأنَّ الله الّذي هو ربُّ الحياة ومُعطيها، هو إلهَ أحياءٍ وليس إلَهَ أمواتٍ (متى٢٢:٣٢)، فلذلك **لا، ولم، ولن** يُشجِّع النّاس أتباعِ أيِّ ديانةٍ كانوا على عبادةِ الموتى وزيارة قبورٍ مُظْلمةٍ مَملُوَّةٍ بالهياكل العظميَّة البالية ويسكنها الشَّيطان، ليأخذوا بركاتٍ وهميَّةٍ من خلال سجودهم أمامها.

يقول ألكسندر هيسلوب في كتابه "البابليتان" عن الدِّيانة المصريَّة الغامضة القديمة: "تَغطّت أرضُ مصرَ بقبور "الإلَه الشَّهيد" الّتي كانت تُعرَض فيها عظامُ الأذرع والأرجل والجماجم لتكريمها خلال إقامة الطُّقوس الدينيَّة، وكان يُعتبر المكان الّذي دُفِنت فيه عَظْمةً من عظامِ إلَههم مكانٌ مُقدّسٌ ومُكرَّسٌ". أيضاً تُعطينا الصُّورةُ المأخوذة عن مُجسَّمٍ للإلَهة عشتار البابليَّة وهي تقف على عددٍ من الجماجم، فكرةً عن المكان الّذي ابتدأ فيه تكريم وعبادة عظام الموتى بالشَّكل الّذي نراه في أيّامنا الحاضرة.

إذاً أصبح من الواضح أمامنا أنَّ استعمال رفات الأموات كذخائرَ مقدَّسةٍ كانت ممارسةً وثنيَّةً قديمةً جدّاً سبقت المسيحيَّة ولم تبدأ معها. وهذا ما تؤكِّده الموسوعة الكاثوليكيَّة لأنَّها تقول الصِّدق في هذا الموضوع: "إنَّ استعمال قطعةً من الجسد أو من ثيابِ قدّيسٍ كتذكارٍ كانت مُمارسةً موجودةً من قبل انتشار المسيحيَّة... وفي الواقع، فإنَّ تكريم الرُّفات والذَّخائر هو امتدادٌ لغريزةٍ قديمةٍ ظَهرت في معتقدات دياناتٍ عديدةٍ أخرى من قبل ظهور المسيحيَّة".

أصبح استعمال وتكريم الرُّفات والذَّخائر في الكنيسة الكاثوليكيَّة أمراً شرعيّاً ومُلزِماً بعد أن صدر قرارٌ عن مجمع ترنت (١٥٤٥- ١٥٦٣) أدان فيه أولئك الّذين لا يؤمنون بها ولا يكرِّمونها وقد جاء على الشَّكل التّالي: "ينبغي تكريم الأجساد المقدَّسة للشُّهداء القدّيسين بإيمانٍ كاملٍ، لأنَّه من خلالها مُنِحت الكثير من الإنعامات من الله

على النّاس. فلذلك إنَّ الّذين يقولون أنَّ التَّكريم لا يجوز لرُفات القدّيسين قد أدانتهم الكنيسة من قبل وهي تَدينهم الآن". صَدر هذا الأمر عن الكنيسة الكاثوليكيَّة من بعد عدَّة قرون كان النّاس فيها يذهبون بالآلاف إلى قبور "الشُّهداء القدّيسين"، البعض ليرى المعجزات، والبعض الآخر طالباً الغفران عن خطاياه، إلى أن أصبح هذا الأمرَ فريضةً في نظام العبادة الكاثوليكيَّة، والّذي لعب فيه رجالُ دينٍ جشعين دوراً مهمّاً في تَشجيع الناس على ممارستها مُستغلّين بذلك سخاءهم وجَهلهم!.

عندما حوَّل البابا بونيفاس الرّابع في سنة في ٦٠٩ معبد البانثيوم الوثني في روما إلى معبدٍ كاثوليكيٍّ، قامت ثماني وعشرون عربةٍ بنقلِ عظامِ الأموات الّتي كانت موجودةً في الكاتاكمبوس (قبور الشُّهداء)، وقد تمَّ وضعها في حوضٍ تحت المذبح الكبير أُقيم فيه بهدف تقديس الأرض والبناء. وفي سنة ٧٨٧م صدر مرسومٌ عن مجمع نيقية الثّاني، يُهدِّد الأساقفة بالحِرمان الكنسي إن هم خَصَّصوا أيِّ مكانٍ للعبادة ولم يضعوا تحته رفات.

توجد في كنيسة "القدّيسة" براكسيدا في روما بلاطةٌ رخاميَّةٌ مدوَّنٌ عليها: "إنَّ البابا باسكال الأوّل امتلك في سنة ٨١٧ ألفان وثلاثماية رفات تعود لشُهداءٍ نُقِلت من المقابر إلى هذه الكنيسة". أمّا في سنة ٧٥٠ فكانت تأتي العربات بصفوفٍ طويلةٍ وباستمرارٍ إلى روما محمَّلةٍ بكمِّياتٍ هائلةٍ من الجماجم والهياكل العظميَّة حيث كانت تُصَنَّف ويوضع عليها بطاقاتٍ خاصَّةٍ ليبيعها الباباوات لعامَّة الشَّعب، وتمَّ وضع حرّاسٍ مُسلَّحين على المعابد الكاثوليكيَّة لئلاّ تُسرَق العظام الموجودة داخلها. قال المؤرِّخ الألماني المعروف فرديناند غريغوروفيوس عن تلك الأيّام: "أصبحت روما مقبرةً عَفِنَةً إذ كانت النّاس فيها تعوي كالذِّئاب وتتقاتل كالضِّباع وهي تحفر بطمعٍ وراء التَّفتيش عن الجُثث". وبسبب التَّعاليم الّتي ادَّعت فيها الكنيسة الكاثوليكيَّة بأنَّ "إنعاماتٍ كثيرةٍ" تأتي من خلال عظام الموتى أضحت مبيعات أجسادِ وعظامِ الموتى على مرِّ العصور تجارةً عظيمةً!.

تمتلك الكنيسة الكاثوليكيَّة في أيّامنا الحاضرة أطناناً من الهياكل العظميَّة الكاملة المدفونةِ في القبورِ أو الموضوعة في توابيت زجاجيَّة ، أو المُعلَّقة على الجدران لتراها النّاس كما يَظهرون بالصُّور في الصَّفحةِ التّالية،

وأيضاً تمتلك تلك الكنيسة أعضاءً مُتفرِّقةً إقتلعتها من أجساد "قدّيسيها" الأموات مثل الجماجم الفارغة أو الّتي زيَّنتها بالجواهر،أو مثل عظام الأيدي والأصابع والأذرع والأرجل والأضلع،

يوحنا فم الذهب أوليفر كاترين جمجمة مقدّسة

إصبع يد ذراع رِجل ضلع

ولدى تلك الكنيسة أيضاً أعضاءً "مُقدَّدةً" مثل القلب والعَين واللِّسان، كما وأنَّها سَحبت الدِّماء وقَلعَت الأضراس ونَتفَت الشَّعْر،

قلب عين لسان دماء ضرس شَعر

لتحملها أمام النّاس الّذين يأتون بأعدادٍ كبيرةٍ لكي يسيروا بمواكبٍ خلفَها، وليُصَلُّوا لها، ويَسجدوا أمامها، ولِيَلمسوها ويُقبِّلوها ليتباركوا بها كما يَتوهَّمون. وسسنترك الكلام للصُّوَر التّالية

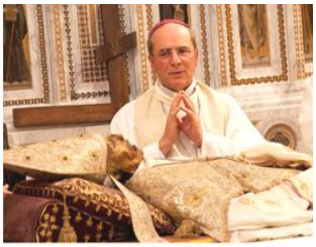

صلاة إلى الهيكل العظمي، فهل يستجيبها؟

صلوات إلى الرّفات، فهل تسمعها؟

صلاة حارّة من القلب إلى " القلب "

وبدل الصّلاة والسّجود أمام رب السّماء والأرض، يُصلّون ويسجدون أمام رفات الأموات ويُقبّلونها... أليس هذا هو الضّلال بعينه؟

إنَّ أكثر ما يدعو للعجب والاستغراب ويُثير العديد من التَّساؤلات ليس استعمال الكنيسة الكاثوليكيَّة لعظام الموتى في نظام عبادتها الخاص وحَسْب، لكنَّه أيضاً في كيفيَّة إيجاد تلك الكنيسة (كما تدَّعي) لمواقع القبور التي تحتوي على عظامِ أشخاصٍ عاشوا وماتوا من قبلِ أن توجد هي بقرونٍ، مثل يوحنّا المعمدان، ومريم المجدليَّة، والرُّسل والمسيحيّين الأوَّلين.

جمجمة يوحنا المعمدان !

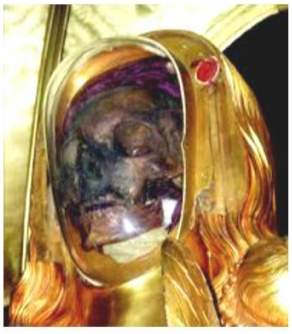

جمجمة مريم المجدلية وقطعة من عظمة ساقها!

وأيضاً كيف عرفت الكنيسة الكاثوليكيَّة لمن تعود تلك العظام، أمِنْ خلال فحص الحمض النَّوَوي أوَّلاً؟ هذا الأمر مُستبعد لأنَّه لم يكن موجوداً حينها، وحتّى لو كان موجوداً لما كانت أقدَمت عليهِ لئلاّ يُكشَفَ كِذبَها وخِداعها كما في حالةِ ما يُسمّونها "رفات القدّيس بطرس" الّتي يعرضها ويحملها البابا فرنسيس في الصُّوَر التّالية

رفات الرّسول بطرس المزعومة الّتي عرضها البابا فرنسيس في العام ٢٠١٣ في روما !

وأخيراً هل عَرفَت الكنيسة الكاثوليكيَّة وحَدَّدت أصحاب تلك العِظام من خلال التَّنجيم أم من خلال الجنون؟ من المؤكَّد بأنَّها من خلال الجنون، الجنون الدّينيّ المُغلَّف بالكَذِب والمُغطّى بطبقةٍ رقيقةٍ من التّقوى والوَرَع المُزَيَّفَين، والّذي بسببه تقوم الكنيسة الكاثوليكيَّة بطقوسٍ مُظلمةٍ ومُرعِبةٍ تَقشَعرُّ لها الأبدان، بعيدةً عن نورِ وتعاليم الإنجيل، بهدف تقريب النّاس من "الرَّب وقدّيسيه" كما تدَّعي، لكنَّ الصُّوَر الّتي رأيناها تؤكِّد أنَّ ربَّ السَّماء وقدّيسيه الحقيقيّين مصابون بالغثيان بسبب تَصرُّفاتٍ مجنونةٍ لرجالِ دينٍ يَحيون في ظلامِ القبور والقلوب، ولا أحدٌ يعلمَ إن كانوا يدرون أو لا يدرون ماذا يفعلون!.

إذا سافرَ أحدٌ ما إلى المكسيك فسيشاهد هناك "قدّيسة الموت" مويرتا Muerta المُجسَّدةِ كهيكلٍ عظميّ في ثيابِ عروسٍ كما تَظهَر بالصُّوَرة. يَعبدها البعض من الكاثوليك هناك كما يعبدون عذراء غوادالوبي. لكن المفارقة الغريبة هي أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة تُدين هذه العبادة وتصِفها بأنَّها عبادة للشَّيطان وتقول أنَّ الصَّلاة لتلك "القدّيسة" هي خطيَّةٌ!. عجباً، ألا ترى أيَّها القارئ العزيز حَجم التَّخبط الموجود في الكنيسة الكاثوليكيَّة المليئة معابدها وشعائرها بعظام الموتى؟. فهل تعتقد تلك الكنيسة أنَّ الجماجم والهياكل العظميَّة الّتي تُعبَد وتُكرَّم

ويُسجَد لها داخلها هي ممارسةً مسيحيَّةً، وأمّا الهيكل العظمي الّذي يُكرِّمه ويَعبُدَه ويسجُد له الكاثوليك من أتباع "القدّيسة" مويرتا في المكسيك هي ممارسةٌ شيطانيَّةٌ؟ وألا يعلم رجال الدّين في الكنيسة الكاثوليكيَّة أنَّ استعمال الجماجم أمرٌ شائعٌ أيضاً عند السَّحرة وعبدة الشَّيطان الّذين يمارسون السِّحر الأسود واستحضار الأرواح الشِّريرة؟. في الواقع إنَّ كلّ أنواع اقتناء وتكريم وعبادة ذخائر ورفات الموتى هي عبادةٌ وثنيَّةٌ وممارسةٌ شيطانيَّةٌ، كائنٌ من كان يقوم بها، حتّى ولو إدَّعى بأنَّه يُمثِّل المسيح على الأرض.

ما الفرق بين الجمجمة التي يستعملها السَّحرة وعبدة الشَّيطان، وبين الجمجمة التي يستعملها كهنة الكنيسة الكاثوليكيَّة ؟

إذا أردنا أن نعرف إن كان اقتناءَ رفاتِ الأمواتِ واستعمالها في العبادة أمراً مقبولاً لدى الله وهل أنَّه يوصينا به، علينا أن نعود إلى الكتاب المقدَّس لنعرف رأيه في هذا الموضوع. فعندما أتت ساعة موت النَّبي موسى قال له الرَّب أن يَصعد إلى جبل نَبُو وأراه من هناك الأرض الّتي أعطاها لنسل إبراهيم. مات موسى على الجبل ودفنه الرَّب في أرضِ موآب ولم يعرفْ إنسانٌ قبرهُ إلى هذا اليوم (تثنية ٣٤:٥). فلو أراد الرَّب أن يَبقى جسد موسى عند شَعبهِ، لكان تركهُ يموت بين أهله، ولكان الشَّعب أخذ جسده وقطَّعه قطعاً متفرِّقةً ووزَّعها ليتبارَك بها كلّ من يلمسها بحسب الطَّريقة الوثنيَّة الّتي كانت سائدةً في الدِّيانة المصريَّة القديمة. لكن ولتعليمنا درساً مُهِمّاً قام الرَّب بحكمةٍ منه بإخفاء جسد موسى من بعد موته لكي لا يعرف أحدٌ أين دُفِن، ولكي لا تُؤخَذ عظامهِ للعَرضِ، ولكي لا تُنَظَّم رحلاتِ حجٍّ إلى قبره. ثمَّة ما يَلفت نظرنا في سياق موضوعنا هنا هو ما ذكره الرَّسول يهوذا في رسالته بوحيٍ من الرّوح القدس عن جسدِ موسى إذ قال: "وأمّا ميخائيل رئيس الملائكة، فلمّا خاصمَ إبليس محاجّاً عن جسدِ موسى، لم يَجسُر أن يورِد حكمَ افتراءٍ، بل قال لينتهرك الرَّب (يهوذا:٩). ما حدث هنا بين الملاك ميخائيل وإبليس يؤكِّد لنا إنَّ إبليس الّذي كان يريد أخذ جسد

موسى من بعد موته ليعطيه للشَّعب "كرُفاتٍ مقدَّسةٍ"، هو نفسه الآن وراءَ كلِّ تكريمٍ أو عبادةٍ لما تُسمّى "رفات القدّيسين المقدَّسة".

خذوا "البَرَكة" من الحذاء

تدَّعي الكنيسة الكاثوليكيَّة أيضاً بأنَّها تمتلك بالإضافة إلى الذَّخائر المؤلَّفةِ من أجسادٍ وعظامٍ للموتى ذخائرٍ من أنواعٍ أخرى مختلفةٍ ومتنوِّعةٍ، ارتبط البعض منها مع المسيح أثناء تَجسُّده على الأرض على حدِّ زعمها، والبعض الآخر كانت أشياءً أو أدواتٍ استعملها "القدّيسون" أو ثيابٍ لبسوها أو أحذيةٍ انتعلوها. وقد عَمدت تلك الكنيسة على عرضِ تلك الذَّخائر كاملةً أو مُقطَّعةً إلى قطعٍ صغيرةٍ بهدف بيعها للنّاس المساكين الّذين يظنّون أنَّهم من خلالها سيحصلون على "بَرَكةٍ" أقنعهم بالحصول عليها رجال دينٍ دجّالون همَّهم الأوَّل والأخير أن يملأوا جيوبهم وخزائنهم بالأموال الطّائلة. ويستطيع أيِّ شخصٍ كان أن يدخل إلى شبكة الإنترنت ويشتري من تلك الذّخائر المعروضة للبيع على مواقع مُتخصِّصةً في الخداع الدّيني، والّتي قد تصل أسعارها إلى آلاف الدّولارات. نرجو من القارئ أن لا يفهمنا هنا بأنَّنا نشجِّعهُ على شِرائها، بل لنحذِّرهُ من مغبَّة وقوعه في الفخ الخادع الّذي أعدَّه بائعٍ مخادع!.

قد تكون ما تُسمّى "ذخائرُ عود الصَّليب الحقيقيّ"، من أولى الذَّخائر الّتي عمِلت الكنيسة الكاثوليكيَّة على توزيعها على النّاس على اعتبار بأنَّها ذخيرةً حقيقيّةً مأخوذةً من الصَّليب الّذي صُلِب عليه المسيح على تلَّةِ الجلجثة. لكن بالرُّجوع إلى الإنجيل والتّاريخ يتَّضِح لنا بأنَّها ليست من خشب الصَّليب المذكور لأنَّه لم يعرف أحدٌ عنه شيئاً بعد حادثة الصَّلب، ولم يعرفَ أحدٌ كم من شخصٍ صُلِب عليه من بَعدهِ، أو إن كان أحدٌ قد أخذه وجعل منه دعامةً لسقف بيته، أو أنَّه قد يكون أُحرِقَ بحسب القانون اليهودي الّذي كان معمولاً به آنذاك.

ظهرت قصَّةِ ما سُمِّيَ اكتشاف "الصَّليب الحقيقي" تاريخيّاً في العام ٤٤٠ مع والدة الإمبراطور قسطنطين الّتي تُدعى "القدّيسة هيلانة". وتقول القصَّة بأنَّها قامت عندما كانت في الثَّمانين من العمر في العام ٣٢٦، برحلةِ حجٍّ إلى أورشليم حيث وَجدت بالتَّنقيب ثلاثة صلبانٍ كانت مدفونةً لحوالي ثلاثمائة سنة على تلَّةِ الجلجثة، واحدٌ كان صليب المسيح والآخَران صليبَي اللِّصَّين اللَّذَين صُلِبا معه. وقد عُرِفَ صليب المسيح

من غيره لأنَّه أقام مَيِّتاً وعمل معجزاتٍ وعجائبَ شفاءٍ، بينما لم يعمل الصّليبان الآخَران أيَّةِ معجزةٍ. أمَّا لماذا ظهرت قصَّة الاكتشاف المزعوم للصَّليب بعد مرور مئات السِّنين على حادثة الصَّلب فلا أحدٌ يعرف الجواب غير الّذي اخترع هذه القصَّة الخُرافيَّة، وقد فاته أنَّ بقاء قطعةٍ من الخشب لحوالي ثلاثَ مئة سنةٍ مدفونةً في الأرضِ بدون أن تهترأ وتَتفتَّت من بعد أن تَتَعفَّن، هو محضُ كَذِبٍ ودجلٍ ليس إلاَّ.

يستطيع أيٌّ كان أن يعرف من كمِّيات الخشب الّتي وزعتها الكنيسة الكاثوليكيَّة عبر مئات السِّنين، عمق مُحيط الكَذِب الّذي أغرقت فيه تلك الكنيسة النّاس حين أقنعتهم بأنَّ القِطَع الّتي تُوزِّعها عليهم، مُقتطَعةٌ من صليب الخشب نفسه الّذي صُلِب عليه المسيح والتي سَمَّتها "ذَخيرة عود الصَّليب"(تَظهر قطعة منها في الدائرة الحمراء في الصُّورة). والعجيب في هذا الموضوع هو إنَّ كمِّيات الخشبِ المُوَزَّع وصلت إلى حجمِ شِحنةِ سفينةٍ كبيرةٍ طولها عشرات الأمتار، بينما كان طول الصَّليب الّذي صُلِب عليه المسيح حوالي المترين فقط لا غير!. إذاً فمن أين أتت كلّ تلك الكمِّيات الكبيرة الّتي وُزِّعت عبر مئات السِّنين على النّاس الّذين اقتنعوا بسبب جهلهم، بأنَّهم يحملون قطعةً مقطوعةً من خشب الصَّليب الّذي عُلِّق عليه يسوع وعلَّقوها على أجسادهم لتحفظهم من الويلات والموت؟. الجواب المُبْدِع لكن غير المُقْنِع موجودٌ فقط عند معلِّمي الكنيسة الكاثوليكيَّة الّذين يُعلِّمون النّاس بأنَّ القِطَع الّتي أُخِذت من صليب المسيح، تكاثرت بطريقةٍ عجائبيَّةٍ تماماً كما حدث للخمسةِ أرغفةٍ والسَّمكتين، حين أطعم المسيح منها خمسةِ آلافِ رجلٍ ما عدا النِّساء والأولاد!.

وَصَف المُصْلِح الشَّهير جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤) التَّناقض الكبير المَمزوج بالكَذِب الكثير الّذي عاشت فيه الكنائس في عصره حين إدَّعت بامتلاكها وعرضِها لذخائرَ مختلفةٍ، فيقول: "لقد ادَّعت كنائسٍ متعدِّدَةٍ بأنَّها تملك إكليل الشَّوك الّذي وُضِع على رأس المسيح وقت الصَّلب، بينما ادَّعت كنائس أخرى بأنَّ لديها جِرار الماء الّتي حوَّل فيها يسوع الماء إلى خمرٍ في عرسِ قانا الجليل. وأمّا كنيسة القدّيسة مريم في روما فكانت تَعرضُ في عيد الميلاد من كلِّ سنةٍ مذودَ يسوع، وادَّعت كنائس أخرى بأنَّها تملك ثياب طفولته. وعَرَضت كنيسةُ القدّيس يعقوب في روما مذبحاً قيل إنَّه كان قد وُضِع عليه يسوع عندما قُدِّم في الهيكل. وأيضاً عَرض رهبانُ أحد الأديرة في فرنسا قِلَفَةَ خِتانٍ نسبوها إلى "الطِّفل يسوع" مُدَّعين بأنَّها ما زالت تَرشح دماً لأنَّها

الأصليَّة". أمَّا فيما يتعلَّق بعرضِ إحدى الكنائس لقطعة من السَّمك المشوي مُدَّعِيَّةً بأنَّها من السَّمك الّذي قدَّمه يسوع لبطرس فقد قال كالفن عنها: "إنَّها يجب أن تكون مُملَّحةً كثيراً لكي تُحْفَظَ على مدى سلسلةٍ من الأجيالِ المتعاقِبة". ولا يزال العديد من هذه الذَّخائر موجوداً حتّى اليوم كما تُظهِر الصُّوَر التّالية.

إكليل الشوك | المذود | عامود الجلد | القلفة

أمَّا الواعظ والكاتب المعروف جون بنيان (١٦٢٨- ١٦٨٨) فقد ذَكر في كتابه "الجانب الآخَر لروما" أنَّ الكنائس في عصره عرضت ذخائر تتضمَّن أدوات يوسف النَّجار، والهيكل العظمي للجحش الّذي ركب يسوع عليه حين دخل إلى أورشليم، والكأس الّتي استُعمِلت في العشاء الأخير، وكيس الدَّراهم الفارغ الّذي يخصّ يهوَّذا، وطِسْت بيلاطس الّذي غسَل يديه فوقه، والرِّداء القرمزيّ الّذي وضعه الجنود الهازئين على يسوع، والعَمود الّذي جلدوه عليه، والمسامير الّتي سمَّروه بها، والإسفنجة الّتي قَدَّموها إليه مع الخلّ. وبضع شُعَيراتٍ من شعرِ مريم العذراء وفساتينها وخاتم زواجها وأحذيتها، وحتّى قنّينة الحليب الّتي رَضع يسوع منها!.

وما دمنا نتكلَّم عن الحليب الّذي رضِعه يسوع فلا بدَّ من أن نتكلَّم عن مغارة الحليب الموجودة في مدينة بيتَ لحم والمُحاذية لكنيسة المهد. فبحسب المؤرِّخ عزَّت اندراوس الّذي يكتب في موقع "تاريخ أقباط مصر" فإنَّ هذه المغارة كانت بيتاً لمريم العذراء من بعد ولادتها ليسوع، وفي أثناء إرضاعها له سقطت بضع قطراتٍ من حليبها على أرضِ هذه المغارة، وبمعجزةٍ إلَهيَّةٍ صَبَغت هذه القَطرات صخورها باللّون الأبيض، فابيضَّت جميعِ صخورِ المغارة!. تزور النِّساء

هذه المغارة بشكلٍ دائمٍ ليأخذنَ من ترابها الشَّبيه بالحليب، ليَضعنه بالماء ثمَّ يَشربنه لزيادة خصوبتهنَّ ولشفائهنَّ من الأمراض.

أيضاً ما دمنا نتكلَّم عن فساتين مريم فيجب أن نذكر قصَّةً خرافيَّةً تصدِّقها النّاس وتعتبرها قصَّةً حقيقيةً (ذكرناها في الفصل السّابق) والّتي تتعلَّق بما يُسمّى "زنّار مريم". يُعتبَر هذا الزّنار اليوم واحداً من أهمّ الذَّخائر المعروضة في بعض الكنائس الّتي تدَّعي اقتناءه. فبحسب الخُرافات الدّينيَّة المتناقلة عبر الأجيال، فإنَّ مريم وحين كانت مُنتقِلةً بالنَّفس والجسد إلى السَّماء، أعطت زنّارها إلى الرَّسول توما وهو عائدٌ من رحلةٍ تبشيريَّةٍ في الهند ليُريه للرُّسل الآخرين كدليلٍ على انتقالها. بقي الزّنار مع توما حتّى وفاته، فحُفِظ الزّنار مع رفاته طوال أربعةِ قرونٍ حتّى تمّ نقله بعدها من الهند. تدَّعي اليوم عدَّة كنائس بأنَّها تملك الزّنار الحقيقيّ، لكنَّنا لا نستطيع أن نصدِّق أيّةِ واحدةٍ منها لأنَّها تبني قصَّة اقتنائها له على كِذبةٍ تُكذِّب نفسَها بنفسِها لسبب أنَّ مريم - بحسب القصَّة - كانت قد أعطت توما زنّاراً واحداً في مكانٍ واحدٍ، فكيف أصبح إذاً عِدَّة زنانير في عِدَّةِ أماكن؟ أيضاً تَكاثرَ كما تَكاثرت القِطَع الّتي أُخِذَت من "الصَّليب الحقيقي" بحسب الكِذبَة الّتي أسموها "ذخائر عود الصَّليب"؟. سنذكر هنا ثلاث كنائس من الكنائس الّتي تدَّعي الآن بامتلاك الزّنار الحقيقيّ، الأولى هي كنيسة أمُّ الزّنار في حمص في سوريا والّتي وصل اليها الزّنار بحسب المزاعم الرّهبانيَّة من بعد أربعةِ قرونٍ من موتِ توما!. والكنيسة الثّانية موجودةٌ في مدينة براتو في إيطاليا وقد وَجَد الزّنار طريقه إليها أيضاً بحسب المزاعم الرّهبانيَّة في القرن الرّابع عشر، حيث يُعتَبَر الآن كذخيرةٍ مقدَّسةٍ من مريم العذراء، وقد أُقيمَ له معبدٌ خاصٌ ليوضَع فيه حيث يُعرَض في عيدَي الميلاد والفصح، وفي الأوَّل من شهر أيّار، وفي الخامس عشر من شهر آب، وفي الثّامن من أيلول. أمّا الكنيسة الثّالثة فموجودةٌ في جبل أثوس في اليونان عند الأرثوذكس الّذين يُسمّون الزّنار "زنّار والدة الإلَه" وتؤمن النِّساء هناك بأنَّ لديه قوَّةً عجائبيَّةً تساعِدهنَّ على الحَملِ والإنجاب.

" زنّار مريم " في حُمص

" زنّار مريم " في براتو

" زنّار والدة الإله " في جبل أثوس

في نهاية هذا الموضوع أطرح هذا السُّؤال عليك أيُّها القارئ العزيز، الا زِلتَ تُصدِّق كلَّ هذه الأكاذيب والخُرافات "الذَّخائريَّة" الموجودة ليس في الكنيسة الكاثوليكيَّة فقط لكن أيضاً في العديد من ديانات المِثليَّة الدينيَّة؟ من الأفضل لك أن لا تصدِّقها، لأنَّك إن صدَّقتها تكون بذلك حكمتَ على نفسك بأن تكونَ ضحيَّةً أبديَّةً لأكاذيبٍ جُهنَّميَّةٍ ستجعلك تخسر السَّماء والحياة الأبديَّة.

**- تماثيل وصُوَر "القدّيسين"**: كنّا قد بدأنا هذا الفصل في الكلام عن مبدأ الوحدانيَّة الّذي وضعه الله في وجدان الإنسان حين خلقه ليَعبُدهُ وحدهَ، وكيف أنَّ الإنسان استبدله بعد سقوطه ودخول الوثنيَّة إلى كيانه بمبدأ "تَعدُّدية الآلِهَة". أيضاً مبدأٌ آخرُ وضعه الإنسان من نتاج الوثنيَّة الّتي أفرخت في قلبه والّذي أدخله في نظام عبادته ألا وهو المبدأ القائل **"إصنع إلَهَك واعبُدهُ"** من خلال تجسيد الإلَه المعبود أو الشَّفيع المُعتَمد بأشكالٍ بشريَّةٍ أو غيرُ بشريَّةٍ قد تكون منحوتةً من الحجر، أو محفورةً من الخشب، أو مسبوكةً من المعدن، أو مرسومةً على الورق.

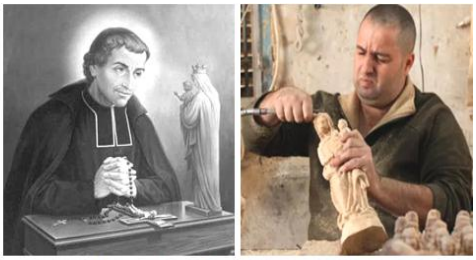

اصنع إلهك واعبده في الكاثوليكيّة

اصنع إلهك واعبده في الهندوسيّة

لكن المبدأ الّذي وضعه الله في الوصيَّة الثّانية من وصاياه العشر يتعارضُ ويرفضُ ويدينُ بشدَّةٍ المبدأ الّذي وضعه الإنسان، حتّى ولو أرفق معه التَّبريرات لأعماله الشِّريرة، لأنَّ الله يعلم إنَّ الهدف من وراء صناعةِ الإنسان للتِّمثال هو لعبادتهِ. فلهذا السَّبب أعطى الله واحدةً من أهمِّ وأوضحِ وصاياه بما يتعلَّق بصنع الآلِهة المُجسَّدة المتنوِّعة الأشكال والّتي تقول: **"لا تَصنع** لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورةً ما ممّا في السَّماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجُد لهنَّ **ولا تعبدُهنَّ**، لأنّي أنا الرَّب إلهكَ إلهٌ غيور..."(خروج٢٠:٤). فلذلك لن يتبرَّأ الإنسان من ذنبٍ يقترفهُ حتّى ولو أنكر بأنَّه يفعلهُ، لأنَّ الله لن يُبرِّأ في يوم الدَّينونة كلَّ الّذين تمرَّدوا على وصيته تلك وصنعوا الأوثان والأصنام والتَّماثيل (ثلاثتهم لهم معنى واحد) ورسموا الأيقونات، وقالوا نحن لا نعبدها.

لكن مهلاً، لماذا لا يعرف الكثير من النّاس هذه الوصيَّة وخاصَّة المُسَمِّين مسيحيّين منهم، والّذين يتفاجأون بوجودها حين تذكرها أمامهم؟ الجواب هو بكلِّ بساطةٍ لأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة الّتي تدَّعي بأنَّها تحمل رايةَ الصِّدق والتَّعليم الصَّحيح، ولكي لا يسألها أتباعها عن التَّماثيل والصُّوَر الّتي صنعتها ورسمتها على الطَّريقة الوثنيَّة لتُمَثّل "قدّيسيها" والّتي وضعتهم أمامهم ليكرِّموها ويعبدوها، تجرَّأت بوقاحةٍ موصوفةٍ وحذفت تلك الوصيَّة من تعاليمها لكيما تُعطي للوثنيَّة وللصَّنميَّة المُعَشْعَشتين داخلها مصداقيَّةً كاذبةً، صَدَّقها الّذين جَهلوا كَلمة الله، ولم يُصدِّقها الّذين عَرَفوها. وسنضع أمام القارئ لائحتَين، الاولى موجودةٌ في الكتاب المقدس تُظهِر الوصايا العشر الّتي أعطاها الله لموسى، والثانية تُبيِّن الوصايا العشر الّتي تُعلّمها الكنيسة الكاثوليكيَّة لأتباعها، بعدما حَذفَت منها الوصيَّة الثّانية واستَبْدلَتها بِقسم الوصيَّة العاشرة لا تشتهِ إلى قِسمين، حتّى يبقى عدد الوصايا عشراً من دون أن ينتبهَ أحدٌ إلى عمليَّة الحذف هذه!.

| وصايا الله في الكتاب المقدّس | وصايا الله في الكنيسة الكاثوليكيَّة |
|---|---|
| ١- لا يكن لك آلهة أخرى أمامي | ١- انا الرَّب إلهكَ لا يكن لكَ إلهٌ غيري |
| ٢- لا تصنع لكَ تمثالاً أو صورةَ | ٢- لا تحلف باسْم الله في الباطل |
| ٣- لا تنطق باسْم الرَّب إلهكَ باطلاً | ٣- احفظ يوم الرَّب |
| ٤- اذكر يوم السَّبت لتقدّسهُ | ٤- أكرم أباك وأمَّكَ |
| ٥- أكرم أباك وأمَّكَ | ٥- لا تقتل |
| ٦- لا تقتل | ٦- لا تزنِ |
| ٧- لا تَزنِ | ٧- لا تسرق |
| ٨- لا تسرق | ٨- لا تشهد بالزّور |
| ٩- لا تشهد بالزّور | ٩- لا تشته امرأة قريبك |
| ١٠- لا تشته بيت قريبك ولا امرأتهُ... | ١٠- لا تشته مقتنى غيرك |

لكن إن كان الله قد رفض وأدان أصنام وأوثان الوثنيَّة، أفيقبَل بتماثيل كنيسة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة الّتي تدَّعي بأنَّها الكنيسة المسيحيَّة الحقيقيَّة؟ أيقبل بتماثيلها كرمى لعيون البابا السّاكن في الفاتيكان، أو خضوعاً لإرادة الطُّغمة الإكليروسيَّة الحاكمة معه، أو نزولاً عند رغبةِ أناسٍ تمرَّدوا على وصاياه ورفضوا تعاليمه واتَّبعوا تعاليمَ البشر؟ الجواب هو **لا**، لأنَّه لن يقبل لا بهذا ولا بذاكَ ولا بهؤلاء، لأنَّهم جميعاً عَصوا وصيّته الثّانية وسَيدينهم مثلما سَيَدين كلّ عبدة الأصنام والأوثان الآخرين من أتباع ديانات المثليَّة الدّينيَّة الأخرى، والآية التّالية هي الدَّليل على صدقِ ما نقول: "وأمَّا الخائفون وغيرُ المؤمنين والرَّجِسون والقاتلون والزُّناة والسَّحَرة و**عبدة الأوثان** وجميع الكَذبة، **فنصيبهم في البُحيرةِ المتَّقدِة بنارٍ وكبريت**، الّذي هو الموت الثّاني"(رؤيا٢١:٨).

وبالإضافة إلى الوصيَّة الثّانية الّتي ذكرناها يمتلِئ الكتاب المقدَّس بوصايا مشابهةٌ لها أعطاها الله على مرِّ العصور للبشر جميعاً بشكلٍ عامٍ ولشعبه بشكلٍ خاصٍ لكي يُنْهيهُم فيها عن صُنع الأوثان والأصنام والتَّماثيل، ويُنَبِّهَهُم على الشرِّ العظيم الّذي سَيُصيبهم إن هم عصوها، وسنستفيد نحن إن ذكرنا القليل من هذه الوصايا وأطَعْناها وعَمِلنا بها.

- **لا تصنعوا** لكم أوثاناً، ولا تُقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نَصباً، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مُصوَّراً لتسجدوا لهُ، لأنَّي أنا الرَّب إلَهكم (لاويين٢٦:١).

- احترزوا من أن تنسوا عهد الرَّب إلهِكُم الّذي قطعه معكم، و**تصنعوا** لأنفسكم تمثالاً منحوتاً، صورةَ كلِّ ما نَهاك عنه الرَّب إلَهكَ...(تثنية٤:٢٣).

- ملعونٌ الإنسان الّذي **يصنع** تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً، رِجْساً لدى الرَّب عمل يديْ نحّات، ويضعه في الخفاء...(تثنية٢٧:١٥).

وأيضاً حَذّر ونبَّه الله في الكتاب المقدَّس صانعي التَّماثيل واستهزأ أيضاً بهم وبأوثانهم، وشَبَّههم بالأصنام الّتي يصنعونها: "أصنامهم فضَّةٌ وذهبٌ، عملُ أيدي النّاس. لها أفواهٌ ولا تتكلَّم. لها أعينٌ ولا تُبصِر. لها آذانٌ ولا تسمع. لها مَناخرُ ولا تَشُمُّ. لها أيدٍ ولا تلمِسُ. لها أرجلٌ ولا تمشي، ولا تنطق بحناجرها. مثلها يكون صانعوها، بل كلُّ من يتُّكِلُ عليها (مز١١٥:٤). وأيضاً سَخَر الله مِن كلِّ مَن يصنع صَنماً خاصّاً له فيقول: "الّذين يُفرغون الذَّهب من الكيس، والفضَّةَ بالميزان يَزِنون. يستأجرون صائغاً ليصنَعها إلهاً، يَخرّون ويَسجدون! يرفعونه على الكتف. يحملونه ويضعونه في مكانه ليَقِفَ. من موضعه لا يَبرحُ. يَزعقُ أحدٌ إليه فلا يُجيب (كما تَفعل المرأة الّتي في الصُّورة على اليسار). من شِدَّته لا يُخلِّصهُ (إشعياء٤٦:٦).

إذاً كما رأينا فإنَّ الغاية من صنع الإنسان للتَّماثيل وللأوثان هي حُكْماً لعبادتها في ديانات المثلِيَّة الدينيَّة الّتي ابتدعها، في طرقٍ متنوِّعةٍ كالصَّلاةِ والسُّجودِ أمامها، ومناجاتها، وحملها في المسيرات الدينيَّة، ولمسها وتبخيرها وإضاءةِ الشُّموع لها، وقد تكلَّمنا في الفصل السّابق عن هذا الموضوع ولا ضَيْر من إعادة الكلام عنه الآن باختصارٍ، لأنَّنا نأمل بأن يكون في الإعادة إفادة من ناحية التَّنبيه والتَّحذير والتَّذكير، لعلَّ النُّفوس النّائمة في سريرِ الجهلِ والظّلمة تستفيق من سُباتها العميق والمُميت، فتَتْرُكَ ظلام ديانات المثلِيَّة الدينيَّة وتَتْبَع المسيح يسوع، لأنَّه هو **وحده** نور العالم.

كثيراً ما نَسمع ونُشاهد النّاس وهي تتكلَّمُ مُندهِشة من ما تسميها عجائب رَشْح الزَّيت أو الدَّم من التَّماثيل أو الصُّوَر الّتي يُصَلّون أمامها في الوثنيَّة المُمَسْحَنة وينسبونها إلى "القدّيس" الّذي يعمل بحسب زَعمهم من خلال تلك العجائب على تَقوية إيمانهم. لكن عن أيِّ إيمانٍ يتكلَّمون؟ إن كان عن إيمانهم بالله، فالله كما ذكرنا وأثبتنا يرفض ويَمنع صُنْعَ التَّماثيل والصُّوَر لاستخدامها في العبادة ويَدين أيضاً من يَصنعها، فكيف يناقض نفسه إذاً ويعود ويصنع العجائب فيها؟ وإن كان الله لا يصنع تلك العجائب في التَّماثيل والصُّوَر فمن هو إذاً الّذي يصنعها ؟ الجوابُ الأكيد هو أنَّ من يصنعها هو "الرّوح" الذي وكما إنَّه يستطيع أن يصنع عجائبه في أجساد المَرْضَى كما رأينا آنفاً في عجائب "القدّيسين"، هكذا أيضاً يستطيع أن يصنع عجائبه في صُوَر وتماثيل "القدّيسين" ليُثبِتَ للنّاس بأنَّ إيمانهم بها هو إيمانٌ صحيح. ولكن من لا يَعلَم نُعلِمَه بأنّ "الرّوح" لا يَصنع هذه العجائب فقط في تماثيل وصُوَر الكاثوليكيَّة فقط، لكنَّهُ أيضاً يَصنعها في تماثيل وأصنام ديانات المثلِيَّة الدينيَّة الأخرى، كما تُظهِر الصُّور المُرفَقة أدناه.

ثَمَّةَ خمسةِ أمورٍ سنعرضها في معرضِ بحثنا هنا تؤكِّد ما قلناه من قبل بأنَّ جميع ديانات المثلثَّة الدينيَّة هي ديانةٌ واحدةٌ في الجوهر الدّاخلي، لكن لها اختلافاتٌ بسيطةٌ في الشَّكل الخارجي فقط. فالأمر الأوَّل هو أنَّه لا يوجد أيّ فرقٍ بين اقتراب الوثني من وَثَنِهِ وبين اقتراب من يُسمّيَ نفسه "مسيحيّ"



اللمسة واحدة لكن الأشكال مختلفة

من تِمثالِهِ، لكنّه يوجد فرقٌ كبيرٌ جداً بينهما وبين المسيحي الحقيقي الّذي لا يعيش في ديانة المثلثّة الدينيَّة. فعادةً يأتي الوثني إلى أمام وَثنهِ ليأخذ "بركةً" منه حسب اعتقاده، فيلمسهُ ثمَّ يضع يده على صدره ومن ثم يُقبِّلها، وبهذه الحركة يَظنُّ بأنَّه نال بركةً من وثنهِ. أمّا الّذي يُسمّي نفسه "مسيحيّاً" فيأتي كعادته إلى أمام تمثاله ليأخذ "بركةً" منه حسب إيمانهِ فيلمسهُ، ومن ثمَّ يرسم إشارةَ صليبٍ بيده على وجههِ وصدرهِ ثمَّ يُقبِّلها، وبهذه الحركة هو أيضاً يَظنُّ أنَّه قد نال بركةً من تمثالهِ. أمَّا المسيحيّ الحقيقيّ فلا يأتي لا إلى أمامِ وثنٍ ولا إلى أمامِ صَنمٍ ولا إلى أمامِ تمثالٍ أو أيقونةٍ، لأنَّه في الَّلحظة الّتي اختبرَ فيها بعمل الرّوح القدس الولادة الجديدة من فوق، أصبح لديه علاقةٌ بَنَويَّةٌ روحيَّةٌ عميقةٌ مع الآب والابن، وهي عَلاقةٌ تعلو جداً فوق مفاهيم البشر الآخرين الّذين لا يفهمونها، ولن يستطيعوا أن يُدرِكوا مكنوناتها.

أمّا الأمرُ الثّاني فهو استعمال البَخور لتبخير التَّماثيل والأصنام في ديانات المثلثَّة الدينيَّة. يعتقد البعض اعتقاداً خاطئاً بأنَّ استعمال البخور في معابد الوثنيَّة المُمَسْحَنة يأتي كتَكمِلةٍ لاستعماله عند اليهود في العهد القديم (الصُّورة الّتي على اليمين) لأنَّه كما كان معروفاً فإنَّ



الرَّب طلب من النّبي موسى أن يصنع بخوراً بمكوِّناتٍ محدَّدةٍ ليحرقه الكهنة فقط على مذبح البخور أمام قدس الأقداس. اسْتمرَّ حرقُ البخور في الهيكل اليهودي إلى

أن جاء الرَّب يسوع المسيح وأبطل بمجيئه مُعظم فرائض العهد القديم ومن ضمنها صُنع واسْتعمال البخور، لأنَّه لا توجد فائدةٌ مَرجُوَّةٌ منه في عبادته كالرَّب والمُخَلِّص في العهد الجديد. ومع أنَّ هذا الموضوع واضحٌ في الإنجيل إلاَّ أنَّ كنائس الوثنيَّة المُمَسْحنَة تُصِرُّ على استعمال البخور في تبخير تماثيل "قدّيسيها" (الصُّورة الّتي على اليسار) ليس كتَكمِلةً لما كان يفعل الكهنة في الهيكل اليهودي في العهد القديم، لكن كتَكمِلةٍ لما كان يفعله كهنةِ الدّياناتِ الوثنيَّةِ في تبخير أوثانِ وأصنامِ آلِهَتها عبر العصور. ولأنَّ الله أمَرَ بعدم صُنع التّماثيل فإنَّه ليس لبخورِها هذا الّذي تقدِّمه لتماثيلها أيَّةِ علاقةٍ مع البخور الكثير الّذي قدَّمه الملاك مع صلوات القدّيسين أمام الله في سفر الرُّؤيا (إصحاح ٨:٣).

أمَّا الأمرُ الثّالثُ فهو إضاءةُ الشُّموع ووضعِها أمام تماثيل وأصنام ديانات المثليَّة الدينيَّة. تأتي هذه العادة من شعائرِ"النّار المقدَّسةِ" الّتي كانت وما زالت موجودةً في دياناتٍ وثنيَّةٍ متعدِّدَةٍ، فلذلك يقدِّم معلِّمو الكنيسة الكاثوليكيَّة في هذا الموضوع الكثير من الاجتهادات والتَّبريرات ليُقنعوا النّاس أوَّلاً بأنَّ هذه العادة هي عادةٌ مسيحيَّةٌ بينما هي في الواقعِ عادةٌ وثنيَّةٌ مُمَسْحنَةٌ ولا تمت للمسيحيَّة الحقيقيَّة بأيّةِ صِلةٍ، وثانياً لكي يُشجِّعوهم على شراء الشُّموع وإضاءَتها أمام التَّماثيل الكاثوليكيَّة مثلما يفعل أتباع ديانات المثليَّة الدينيَّة الأخرى أمام أصنامهم. من الواضح إنَّ الهدف من استعمال الشُّموع في الدِّيانة الكاثوليكيَّة هو للمحافظة على الإرث الّذي ورثته من الدّيانة الوثنيَّة فلذلك لن ينتفع مَن يُضيء الشُّموع على نِيَّةِ أيِّ أحدٍ، أو لأيِّ أمرٍ، بأيَّ شيءٍ.

شموع كاثوليكيّة

شموع بوذيّة

شموع هندوسيّة

شموع جانيّة

أمّا الأمرُ الرّابعُ فهو الهالة أيِّ القرصِ المُستديرِ الّذي يرمز إلى الشَّمس، والّتي تشترك جميع ديانات المثليَّة الدينيَّة في وضعها حول رؤوس آلِهتها أو قدّيسيها

أومُعلِّميها كما تُظهِر الصُّوَر التّالية. وقد كان من المعروف قديماً بإنَّ الهالة كانت توضع حول رؤوس الآلِهة في الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة الوثنيَّة لاظهار أُلوهِيَتهم أمام النّاس، وقد أخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة تلك الهالة الوثنيَّة ووضعتها حول رؤوس "قدّيسيها" لإظهار تمايُزَهُم عن بقيَّة النّاس.

أمّا الأمر الخامس المُلفِت للنَّظر فهو المُشابهةُ الغريبة بين ما يُسمّى "القلب الأقدس" الموجودِ في تماثيل وصُوَر الكنيسة الكاثوليكيَّة، وبين "القلب المقدَّس" الّذي كان لإلَه الحياة والموت الأزتكي كويتزالكوتل في ديانة الأزتيك في المكسيك قديماً (الّذي يَظهر في الصُّورة التي على اليَسار)، والّذي كان أيضاً موجوداً في شعائر عبادة قلوب الآلِهة، بِلْ البابليُّ وأوزيريس المصريّ وفيشنو الهنديّ.

إذا سألتَ رجال الدّين الّذين يُسَمُّون أنفسهم "مسيحيّين" إن كانت تعاليمهم الّتي يعلِّمونها للنّاس عن ضرورة الإيمان بشفاعةِ وعجائبِ وظهوراتِ "القدّيس" هي تعاليمٌ صحيحةٌ ومُستندةٌ إلى الحقِّ الموجود في الإنجيل؟ فوراً يَتَحَجَّجون بالعجائب الّتي سبق أن تكلَّمنا عنها ويَتَبَجَّحون بأعدادِ الجموع الكبيرة الّتي تأتي لزيارة "القدّيس" قائلين: "انظروا إلى تلك الأعداد الكبيرة الّتي هي الدّليل على إنَّنا على حقٍّ في تعاليمنا عنه وإيماننا به"، لكنهم لا ينتبهوا أو أنّهم لا يريدون أن ينتبهوا إلى أنَّ كل ديانات المثليَّة الدينيَّة تحشد الألوف والملايين أمام تماثيل آلِهتها، وفي ساحات شفعائها، وفي ميادين أوليائها. فإن كانت الأعداد البشريَّة الّتي يَتَبَجَّحون بها - مع أنَّها قد تكون في أكثر الأحيان أقلَّ بكثير مِمّا تحشد دياناتٍ أخرى - هي الدَّليل على أنَّهم على حقٍّ في عباداتهم، فليعرفوا بأنَّهم على خطأٍ وضلالٍ، لأنَّ الله لا تخدعه المظاهر

ولا تَهُمَّه أعداد الحشود الكبيرة ومن يحشدها، بل تَهُمَّه توبةُ إنسانٍ واحدٍ خاطئٍ على وجه الأرض وقبوله للرَّب يسوع المسيح كربٍّ ومخلِّصٍ في حياته، لتُصبح السَّماء والحشود العظيمة الّتي فيها في فرحٍ أبديٍّ عظيمٍ.

حشود كاثوليكيّة | حشود إسلاميّة | حشود سيخيّة | حشود هندوسيّة

إن رجع الرَّسولان بطرس وبولس مرَّةً أخرى إلى الأرض في أيّامنا الحاضرة ليقوما بجولةٍ تَفقُّديَّةٍ لأحوال الكنائس الّتي أسساها منذ ألفي عام، فسيظنّان للوهلة الأولى بأنَّهما قد رجعا إلى العالم الوثني القديم الّذي عاشا فيه من قبل، وسيُدهِشهما التَّغيير الّذي صار فيه من ناحيَة التَّقدمَين العلمي والتكنولوجي، ولكنَّهما لن يَشعرا بأيِّ تغييرٍ فيه من النّاحية الدينيَّة لأنَّهما سيلاحظان وجود تماثيل الوثنيَّة المُمَسْحَنة فيه، والتي تُشبِه أوثان الوثنيَّة التي كانت على أيّامهما، لكن بأسماءٍ وأشكالٍ وألوانٍ أخرى، والّتي يُقدَّر عددها بمئات الآلاف، موضوعة في المعابد الّتي تُشبه معابد الوثنيَّة القديمة في الشَّكل والمضمون، وعلى قِمم التِّلال، وأمام وداخل البيوت، وفي كلِّ زاويةِ شارعٍ، تَحملها النّاس في مسيرات يُسمّونها زيّاحات، ويقبِّلونها، ويُصلّون لها، ويسجُدون أمامها، ويُبخِّرونها، ويضيئون الشُّموع لها. لكن المفاجأة العظيمة الّتي ستُصيبهما بالحَيرة والدَّهشة والصَّدمة هي حين سيعلمان أنَّهما في زمن الوثنيَّة المُمَسْحَنة الّتي تدَّعي بأنَّها تجلس على كرسيِّ بطرس مع أنَّ بطرس لم يصنع كرسيّاً ليجلس عليه أحدٌ من بعده، والّتي أيضاً تدَّعي بأنَّها تَتَّبع تعاليم بولس بينما هي في الواقع تعيش وتعلِّم بعكس تعاليم بولس. أنا أتصوَّر بأنَّ الرَّسولين سَتَحْتَد فيهما روحَهُما، وسَيوبِّخا بشدَّةٍ وغضبٍ قادةَ الوثنيَّةِ المُمَسْحَنَةِ على حالةِ الارتدادِ العظيمة عن الله الّتي يعيشون فيها، وعلى حالة التَّمرد على وصاياه الّتي يقودون فيها أتباعهم، وسيرجعا بأقصى سرعةٍ إلى السَّماء مَصْدومَين مِمّا شاهدا على الأرض، وسيُخبِرا الرَّسول يوحنّا بأنَّهما قد رأيا بأمِّ العين "بابل الزّانية"، الّتي كان قد رأها وكَتب عنها في سفر الرّؤيا من قبل مئات السِنين.

في نهاية هذا الفصل أودُّ أن أطلب منك أيُّها القارئ العزيز قبل أن تُصلّي إلى "القدّيس"، أن تسأل نفسكَ هذه الأسئِلة لِعلَّها تكون سبباً لإيقاظك من سباتٍ مهلكٍ أوقعك فيه مُعلِّمون امتهنوا الكَذِب سبيلاً للوصول إلى السُّلطة والمال. هل لدى "القدّيس" القُدرة اللامحدودة الّتي لدى الله لكي يسمعك عندما تُصلّي له وفي الوقت نفسه يكون سامعاً للمئات وللألوف غيرك؟ وهل لدى"القدّيس" القدرة اللامحدودة الّتي لدى الله وحده في معرفة ما في قلوب البشر وسَماع أنّات قلوبهم لكي يعرف ما في قلبك؟ وهل لدى "القدّيس" القدرة اللامحدودة الّتي لدى الله وحده في التَّواجد في كلِ مكانٍ وزمانٍ ليكون هو أيضاً في كلِّ مكانٍ في الوقت ذاته ليُنجِدَ كلَّ من يطلب مساعدته؟ فإن كان جوابك عن هذه الأسئلة هو **لا** فمعناه أنَّ كلِّ تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة عن شفاعات وقدرات وعجائب "القدّيسين" هي مُجرَّدُ أكاذيبٌ وأضاليلٌ وهرطقاتٌ. وإن كان جوابك هو **نعم** فمعناه أنَّ "القدّيس" قد أصبح بالنسبة لك هو الله رقم ٢، وحاشا أن يكون جوابك هذا صحيحاً لأنَّه سيكون حينها جواباً فيه الكثير من الهذيان والتَّخريف والتَّجديف.

أخيراً لا بدَّ من القولِ بأنَّ الخطايا مثل القتل والزِّنى والسَّرِقةِ وغيرها هي خطايا عظيمة، لكن مساواة الخالق بالمخلوق في التَّعاليم والمُمارسات الّتي تُعظِّم "القدّيسين" وتَضعهم في مساواةٍ مع الله في المكانةِ والشَّفاعة في الكنيسة الكاثوليكيَّة أو في الكنائس الأخرى الّتي تسير على خُطاها في طريق التَّمرُد والضَّلال والهلاك، فهي الخطيَّةُ الأعظم.

الفصل الخامس

## الرُّموز الوثنيَّة المُمَسْحَنَة

لم يَصنع الإنسان بعد سقوطه في الخطيَّةِ الّتي أوصلته إلى الوثنيَّةِ كما رأينا في الفصل السّابق، تماثيلَ وأصناماً لآلِهته وحَسْب، لكنَّه صنع أيضاً معها أشياءً ورموزاً كثيرةً حملت دَلالاتٍ ومعانيَ دينيَّةً غامضةً، وكانت جزءًا مهمّاً من العبادة الوثنيَّة الّتي ابتدعها لنفسه، وقد بقيت حتّى اليوم مُعظم الأسباب والغايات والأهداف من صُنعِها مجهولةً. وسنقوم في هذا الفصل بعرضِ أحدَ عشر رمزاً من هذه الرُّموز، الّتي نراها في أيّامنا الحاضرة والّتي يَظنُّ الكثير من النّاس بأنَّها رموزٌ مسيحيَّةٌ جديدةٌ، بينما هي في الواقع لا تَمت بصلِةٍ إلى المسيحيَّة الحقيقيَّة لأنَّها كانت رموزاً وثنيَّةً قديمةً، وقد مَسْحَنَتها الكنيسة الكاثوليكيَّة ووضَعتها داخل كيانها الدينيّ .

- الرّمز الأوَّل المُمَسْحَن هو الصَّليب. قد يُسبِّب كلامنا عن الصَّليب في هذا الكتاب صدمةً لكثيرين قد تدفعهم للاستهجان والاعتراض.ولكن لكي نوضِّح ونبيِّن المقصود من كلامنا هنا عنه بدون الإساءة لمشاعر الآخرين، علينا أن نعرف أنَّ لكلمة الصَّليب معنيَين مُتباعِدَين يجب أن نفرِّق بينهما. فالمعنى الأوَّل والحقيقي للصَّليب، هو "العَمل" الّذي أكمله المسيح على الصَّليب حين قال "قد أُكْمِل" (يوحنا١٩:٣٠)، وهو ما تؤمن وتَعترف به وتُعْلِنَه المسيحيَّة الحقيقيَّة. أمّا المعنى الثّاني للصَّليب فهو مُجرَّدَ "شيءٍ" صُنِعَ بأشكالٍ مختلفةٍ، وكان رمزاً من أهمِّ الرّموزِ الدينيَّة في ديانات الوثنيَّة القديمة، وهو الّذي يؤمنون به ويَحملونه الآن في الوثنيَّةِ المُمَسْحَنةِ ويوقِّرونه حتّى العبادة.

وسنبدأ بالكلام عن المعنى الأوَّل للصَّليب، والّذي يقودنا تلقائيّاً إلى أيّام بدء الخليقة المذكورة في سفر التَّكوين، حين أخطأ آدم وحواء ضدَّ الله وسقطا في الخطيَّة في جنَّة عَدنٍ. تَجلّى المعنى الحقيقي للصَّليب حينها عندما قَدَّم الله ذبيحةً تكفيريَّةً عنهما لا نعرف تفاصيلٍ عنها سوى أنَّه ألبسهما أقمصةٍ من جلدها، ومن ثمَّ اسْتمر معنى الصَّليب هذا في كلِّ ذبيحةٍ كان يُقدمها كلّ من يخطئ على المذابح في العهد القديم والّتي كانت كلّها تُشير إلى حَمَلِ الله، أي المسيح يسوع، الّذي كان سيقدِّم نفسهُ ذبيحةً في ملء الزَّمان أمام الله الآب لغفران الخطايا.

إذاً كما رأينا فإنَّ الصَّليب ليس هو رمزاً جامداً خالياً من الحياة، بل هو عملٌ عظيمٌ لم ولن ترى الخليقة مثيلاً له على الإطلاق، لأنَّه من خلال ذلك العمل أظهر الله محبَّته للعالم أجمع عندما بذل ابنه الوحيد لكي لا يَهلكَ كلّ من يؤمن به بل لتكون له الحياة الأبديَّة (يو٣:١٦). ومعنى الصَّليب أيضاً، أنَّ الله كان في المسيح مصالِحاً العالم لنفسه... لأنَّه جَعَل الّذي لم يعرف خطيَّةً، خطيَّةً لأجلنا لنصير نحن بِرَّ الله فيه (٢كو٥:١٩). ومعنى الصَّليب أخيراً وليس آخِراً هو أنَّ المسيح يسوع، اذ كان في صورة الله، لم يَحسِب خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنَّه أخلى نفسه آخِذاً صورةَ عبدٍ، صائراً في شبه النّاس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ، وَضَع نفسه وأطاع حتّى الموتَ موتَ الصّليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كلِّ اسمٍ، لكي تجثو بِاسْمِ يسوع كلُّ ركبةٍ مِمَّن في السَّماء، ومَن على الأرض...(فيلّبي٢:٦).

وبالإضافة إلى ما تقدَّم، فإنَّ الرَّسول بولس يُعطينا صورةً واضحةً عن المعنى الحقيقي للصَّليب في المسيحيَّة الحقيقيَّة، أيِّ "العمل" الّذي أكمله المسيح على الصَّليب كما قُلنا، وليس الصَّليب المادي (الشّيء) الّذي مات عليه. وهذه بعضٌ من الآيات الّتي دوَّنها بولس بهذا الخُصوص:

- لأنَّ المسيح لم يُرسِلني لأُعمِّد بل لأبشِّر، لا بحكمةِ كلامٍ لئلاّ يتعطَّل صليب المسيح. فإنَّ كلمة الصَّليب عند الهالكين جهالةٌ، أمّا عندنا نحن المُخَلَّصين فهي قوَّة الله (١كور١:١٧). فهل يتكلَّم بولس هنا عن تَعطُّل الصَّليب الخشبي الّذي صُلِب عليه المسيح (مع أنَّه ليس صليباً ميكانيكيّاً ليتعطَّل) أم أنَّه كان يتكلَّم عن عمل الفداء الّذي عمله المسيح على الصَّليب؟.

- وأمّا من جهتي، فحاشا لي أن أفتخرَ إلاّ بصليبِ ربِّنا يسوع المسيح، الّذي به قد صُلِب العالم لي وأنا للعالم (غلا٦:١٤). فهل كان بولس هنا يفتخر بالصَّليب الخشبي، أم أنَّه كان يفتخر بالخلاص الّذي عَمِله الرَّب يسوع المسيح على الصَّليب؟.

- لأنَّ كثيرين ممّن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الّذين نهايتهم الهلاك...(فيلبي٣:١٨). فهل كان بولس يبكي على أُناسٍ عَمِلوا على معاداةِ الصَّليب الخشبيِّ الّذي مات عليه المسيح، أم إنَّه كان يبكي عليهم لأنَّهم أصبحوا أعداءَ المسيح الّذي مات على الصَّليب، فاستحقوا بذلك الهلاك الأبدي؟.

رسم لرؤيا الصّليب المزعومة

ظلَّت هذه الفكرة الصَّحيحة عن الصَّليب سائدةً عند المسيحيّين الأوائل حتّى القرن الرّابع، حين ابتدع الإمبراطور قسطنطين فكرةً شيطانيَّةً جهنميَّةً، خَلقَ على أساسها ديانة الوثنيَّة المُمَسْحنَة ووضع الصَّليب "الشّيء" الوثني رمزاً لها بعد أن مَسْحَنهُ من خلال اختراعه كِذبةٍ عن ظهورِ صليبٍ عليه والّتي أسماها "رؤيا الصَّليب"، والّتي كان الهدف المَخفي منها إزالة المعنى الحقيقي للصَّليب الّذي ذكرناه آنفاً من تفكير النّاس، ووَضْعِ الصَّليب (الشَّيئ) الوثني المُمَسْحَن بدلاً عنه أمامهم. وقد جاءت كِذبة الظُّهورعلى الشَّكل التّالي:

عندما كان قسطنطين وجنوده يقتربون من روما ليواجهوا ما عُرِفَ بمعركة جسر ميليفان، دعا العرّافين ليعطوه نصيحةً لأنَّه كان يتوقَّع الهزيمة في المعركة. لكن في رؤيا أو حلمٍ كما روى هو لاحقاً، ظهر له صليبٌ كبيرٌ في السَّماء وتحتهُ هذه الكلمات "بهذه العلامة تنتصِر". قام قسطنطين في اليوم التّالي الموافق في ٢٨ تشرين الأوَّل من عام ٣١٢ بمهاجمةِ أعدائه تحت رايةٍ رُسِمَ عليها صليبٌ، فانتصر على أعدائه في المعركة وأعلن اعتناقه المسيحيَّة كعرفانٍ جميلٍ وشكرٍ للمسيح !.

لا شكَّ بأنَّ قصَّة الظُّهور هذه قد أصاب قسطنطين بها عصفورين بحجرٍ واحدٍ كما يُقال، لأنَّها أوَّلاً أعجبت الوثنيّين المُمَسْحَنين المُتَعلِّقين أصلاً بالصَّليب فقط كمجرَّد "شيءٍ" فازداد إيمانهم فيه وبقوَّتِه، وثانياً أنَّها أعطت لصليبهم اسماً جديداً هو "صليب المسيح". لكن هنا نسأل إن كان قسطنطين قد رأى بالحقيقة هكذا رؤيا، فهل نصدِّق أنَّ مَن أعطاه إيّاها هو الرَّب يسوع المسيح الّذي مات على الصَّليب ليفديَ العالم الّذي أحَبَّهُ؟، وهل من المعقول أنَّ رئيس السَّلام يأمر امبراطوراً وثنيّاً أن يَصنَعَ رايةً عليها علامةَ الصَّليب الوثني لكي يذهب ويَقتل أعداءه تحتها؟.

الجوابُ الأكيدُ على هذه الأسئلة هو **لا** لسبَبين أساسِيَّين، السَّبب الأوَّل هو أنَّ المسيح الّذي أظهر محبَّة الله للعالم بموته على صليبٍ ودعا النّاس إلى محبَّةِ بعضهم بعضاً، لن يَظهر على أيٍّ كان ليدعوه لإظهار بُغضه وحِقده على النّاس وليُشجِّعهُ على قتلهم تحت رايةٍ عليها صليب. أمّا السَّبب الثّاني فهو إنّ ما سُمّيَ اعتناق قسطنطين المسيحيَّة ليس معناه بأنَّه قد أصبح مسيحيّاً حقيقيّاً، لأنَّ تعبير اعتناق المسيحيَّةِ الّذي

نسمعه كثيراً يختلف كلّياً عن اختبار الولادة الرّوحية الجديدة من فوق، والّتي يحصل عليها الإنسان بعملِ الرّوح القدس، ومن خلالها فقط يُصبِح مسيحيّاً حقيقيّاً. لم يحصل قسطنطين على هذا الإختبار لأنَّه ومن بعد إعلانه قصَّة الظُّهور تلك وادِّعائه بأنَّه أصبح مسيحيًّا قام بجرائم قتلٍ متعدِّدةٍ (سنتكلَّم عنها في فصلٍ آخرٍ) لا تدلُّ على أنَّه قد أصبح مسيحيّاً حقيقيّاً.

أيضاً ظهرت إلى الوجود قصَّةٌ أخرى من بعد قصَّة الظُّهور لقسطنطين وقد تكلَّمنا عنها في الفصل السّابق، ألا وهي قصَّة اكتشاف هيلانة والدة قسطنطين لما سُمِّي بالصَّليب الحقيقي الّذي مات عليه المسيح، فاجتمعت القصَّتين معاً لتُكَوِّنا دافعاً قويّاً لاستمرار العبادة الوثنيَّة للصَّليب في الوثنيَّة المُمَسْحنَة. في الواقع إنَّنا نرى عجباً في كيفيَّةِ اختراعِ وتركيبِ هذه القِصص وكأنَّها من صُنعِ مهندسٍ خبيرٍ مُحنَّكٍ وشرّيرٍ، يعمل لهدفٍ وحيد هو إبعاد النّاس عن الحقِّ واسقاطهم في الضَّلال. فمن يكون هذا المُهندس يا ترى؟. الجوابُ متروكٌ لك أيَّها القارئ العزيز.

ننتقل الآن إلى الكلام عن معنى الصَّليب "الشَّيء" الّذي كان في شكلٍ أو بآخرٍ رمزاً وثنيّاً مقدَّساً في الدِّيانات الوثنيَّة القديمة في كلِّ الأرض، من قبلِ أن يموت يسوع على صليبٍ بآلافِ السِّنين!. فاستناداً إلى ما جاء في دائرة المعارف البريطانيَّة فإنَّ الشَّكل الكنسي المعروف للصَّليب حاليّاً قد نَشأ عند البابليّين في بابل قديماً، واستُخدِمَ كَرمزٍ للحرف الأوَّل من إسم الإلَه تمُّوز **Tammuz**. انتَشَر شكلَ هذا الصَّليب من بابل إلى أراضٍ مجاورةٍ بما فيها مصرَ وإلى أقصى الأرض. وهذه بعضٌ من البلدان الّتي كانت شعوبها تكرِّمَ وتَعبُدَ فيها صليباً.

- في مصر اعتبره الفراعنة مفتاح الحياة والخلود وكان يُصوَّر محمولاً في يدِ آلِهتهم كما تُظهِر الصُّورَة. قال أحد المؤرِّخين في تعليقٍ له على صليبِ مصرَ: "وجدنا من خلال النُّقوش الهيروغليفيَّة المقدَّسة، الصَّليب بأشكالٍ متعدِّدَةٍ ... لكن يوجد شكلٌ واحدٌ يُدعى "صليبَ مصرَ" على شكلِ الحرف **T** عليه حلقةٍ بيضاويَّةِ الشَّكل للإمساك به. وكان هذا الشَّكل الغامض مُوقَّراً ليس في مصر وحدها لكن أيضاً بين الكلدانيّين والفينيقيّين والمكسيكيّين وبين كلِّ شعوبِ الأمم القديمة". يتكلَّم المؤرِّخ بورتشللي عن مصرَ أيضاً فيقول: "رُسِمَت

الإلَهة المصريَّة إيزيس مع صليبٍ على جبهتها وكان كهنتها يحملون صلباناً خلال مواكب عبادتهم لها". من المُلفِت للنَّظر في أيّامنا هو أنَّ ما يُسمّى "صليب مصرَ" موجودٌ حاليّاً في الفاتيكان حيث تُوضع في الحلقة البيضاويَّة الّتي يُمسَك بها قربانةٌ وتقام أمامه الشَّعائر الدّينيَّة من سجودٍ وصلواتٍ وتراتيلٍ. ويستطيع أيّ كان بأن يشاهده على محطة الفاتيكان التّلفزيونيَّة.

صليب الأتروسكان

- في أوروبا آمن الأتروسكان القدماء (الإيطاليون حاليّاً) بالصَّليب كرمزٍ ديني في أزمنةِ ما قبل زمن الميلاد بحوالي تِسعة قرون، واعتبروه كحاميٍ لهم ووضعوه على القبور. وكانت العذارى خادمات الإلَهة فستا في روما الوثنيَّة يَلبسْن على اعناقهنَّ عقوداً تتدلّى منها صُلبانٌ. وقد وُجِدت عملاتٌ معدنيَّةٌ يَظهَر عليها الإله جوبيتر وهو يحمل صولجاناً طويلاً ينتهي طرفه بصليبٍ.

- كان الصَّليب أيضاً رمزاً دينيّاً مقدَّساً عند شعوب أميركا الجنوبيَّة الّذين كانوا يضعون أطفالهم المولودين حديثاً تحت حمايته من الأرواح الشِّريرة. وقد وَجد المُستكشف فوتان في مدينة بالينك المكسيكيَّة في القرن التّاسع قبل الميلاد، معبداً وثنيّاً يُدعى "معبد الصَّليب"، ووجَدَ في داخله بلاطةَ مذبحٍ نُقِشَ عليها صليباً طوله احدى عشرة قدماً وعرضه ستَّة أقدام. صورةُ هذا الصَّليب موجودةٌ في الموسوعة الكاثوليكيَّة تحت عنوان "صليبُ ما قبلَ المسيحيَّة في بالينك". وعندما نزل الإسبان لأوَّل مرَّةٍ إلى اليابسة في المكسيك، لم يستطيعوا أن يُخفوا دهشتهم عندما شاهدوا الرَّمزِ المقدَّس في إيمانهم الكاثوليكيّ مرفوعاً كرمزٍ يُعبَدَ في معبد "اناهواك" الوثنيِّ، لأنَّهم لم يكونوا يُدركون حينها أنَّ الصَّليب كان رمزاً تَعبده الأمم الوثنيَّة الّتي لم ترَ أبداً نور المسيحيَّة. أما في البيرو فقد وُجِدت أوانٍ فخّاريَّةٌ قديمةٌ رُسِم عليها صلبانٍ كرموزٍ دينيَّةٍ.

صليب بالينك

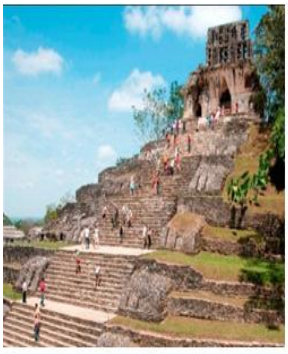
معبد الصّليب فى المكسيك

- أيضاً كان الصَّليب رمزاً مقدَّساً لقرونٍ عديدةٍ في الهند عند غير المسيحيّين الّذين كانوا يضعونه كعلامةٍ على الأجران الّتي يملأونها من نهر الغانج المقدَّس بالنِّسبة إليهم. أمّا في أفريقيا فكانت نساء القبائل تضعُ وشَماً على شكلِ صليبٍ على جباههنَّ مع إنَّهنَّ لم يكنَّ مسيحيّات. وتعترف الموسوعة الكاثوليكيَّة بما يلي: "إنَّ علامة الصَّليب بالشَّكل المعروف في الشَّرق والغرب، سبقت المسيحيَّة، وتعود إلى عصرٍ بعيدٍ جدّاً من الحضارة الإنسانيَّةِ".

إذاً كما رأينا فإنَّ اعتبار الصَّليب "الشَّيء" كرمزٍ مُقدَّسٍ ومُقدِّساً لم يبدأ إلاّ من بعد ظهور الملك قسطنطين كما رأينا آنفاً ، حيث أصبح هذا الصَّليب من حينها يُعبد أحياناً مع مصلوبٍ معلَّقٍ عليه وأحياناً من دونه من الوثنيين المُنضوين تحت راية الوثنيَّة المُمَسْحَنَة والذين دُعُوا "مسيحيّين" بالإسم فقط، والّذين قاموا بوضعه على قببِ معابدهم، ووشموه على أجسادهم، وعلَّقوه على أعناقهم وعلى جدران بيوتهم ليؤمِّن لهم الحماية، وآمنوا بأنَّه مصدرَ قوّةٍ يستعيذون بهِ عند إصابتهم بخوفٍ مفاجئٍ، وبأنَّه تعويذةٌ تقيهم شرورَ الحياةِ وتقلُّباتها، كما واستخدموه في طرد الأرواح الشِّريرة، وعند قيامهم بشعائرهم الدينيَّة يظنّون أنَّهُ حين يُحرِكَّه رجال الدّين في الهواء صعوداً ونزولاً يميناً ويساراً، تَخرج منه "بركةٌ" وتأتي إليهِم. اليوم تسجُد النّاس في الوثنيَّة المُمَسْحَنة أمام الصَّليب "الشّيء"(كما يَظهرون في الصُّورالتّالية) بسبب جهلهم القاتل، ويُصَلّون لهُ ويناجونه ويستعطِفونه كأنَّه يسمعهم، بدلاً من السُّجود والصَّلاة **بالإيمان** أمام من صُلِبَ على الصَّليب لأجلهم، ليُنجّيهم من ويلاتِ مصيرٍ أبديٍّ مُرعبٍ ينتظرهم فيه الكثير من البكاء وصرير الأسنان.

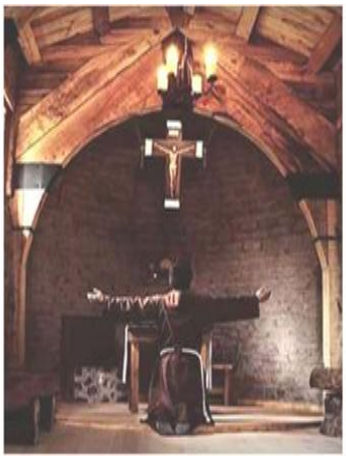
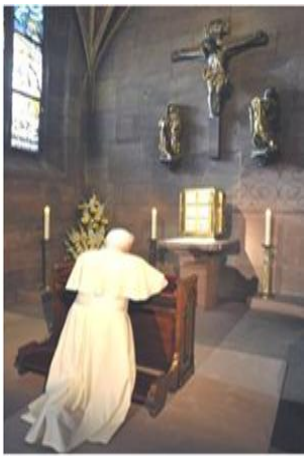

مات المسيح على صليبٍ من الخشب له شكلٌ واحدٌ، فلماذا إذاً تستعمل الكنيسة الكاثوليكيَّة أشكالاً عديدةً للصَّليب جميعها من الذَّهب؟ وإن كان استعمال الصَّليب في الكنيسة الكاثوليكيَّة قد ابتدأ مع الشَّكل الوحيد للصَّليب الّذي صُلِب عليه المسيح فلماذا إذاً هذا الاختلاف الكبير بين أشكال الصُّلبان الموجودة فيها والّتي من ضمنها الصَّليب المقلوب الّذي يستخدمه عبدة الشَّيطان وصليب الإله بعل؟!.

الصّليب المقلوب فى كنيسة الشيطان

الصّليب المقلوب في الكنيسة الكاثوليكية

أخيراً نسأل، ماذا ينتفع الإنسان لو حَمل صليباً على عنقه أو قبَّلَهُ، وحتى لو طَحَنهُ وأكَلهُ، ولكنَّه لم يَقْبَل المسيح الّذي مات عنه على الصَّليب كربٍّ ومُخلِّصٍ له؟ ألا يكون بذلك قد اقترفَ أعظمَ خطأٍ في حياته سيُحرَم بسببه من نَيل الحياة الأبديَّة، ويوصِله إلى الهلاك في النّار الأبديَّة؟.

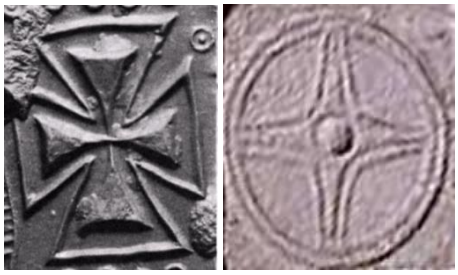

- الرّمزُ الثّاني المُمَسْحَن هو صليب الإلَه بعل (الصُّورة التي على اليمين). وُجِدَ هذا الرَّمز الوثني في شمال إسرائيل ويعود تاريخه إلى حوالي سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد، ويختلف شكلهُ عن شكلِ "صليبَ مصرَ"، ويُشبه إلى حدٍّ كبيرٍ الصَّليب البابلي (الصّورَة الّتي على اليسار) الّذي كان يَضَعه إلَه الشَّمس شَمْش البابلي على ثيابه قديماً، والّذي يضعه باباوات روما على ثيابهم حاليّاً، فَيا للمصادفة الغريبة. وها هو صليب الإله بعل نفسه موجوداً الآن على الثّياب والمذابح والجدران وأماكن مختلفة

ليس فقط في الكنيسة الكاثوليكيَّة، لكن في كنائسَ أخرى أيضاً.(الصُّوَر التّالية تُعطينا الصُّورة الكاملة عن الموضوع)

- الرَّمزُ الثّالث المُمَسْحَن هو نَجمةُ الإلّهة عِشتار ذات الثّمانيةِ أضلع. كنّا قد ذكرنا في الفصل الثّالث بأنَّ هذه النَّجمة كانت رمزاً للإلَهة الأمّ عِشتار، ويعتقد البعض بأنَّها قد زالت من الوجود يوم أُزيلَت عِشتار، لكنَّ الصُّوَر التَّالية تؤكِّد لنا أنَّ تلك النَجمة لا زالت موجودةً، وقد مُسْحِنَت ووُضِعَت كعلامةٍ واضحةٍ على عدَّةِ أماكنٍ في الوثنية المُمَسْحَنة منها الشِّعار الباباوي والتَّماثيل المعبودة وجدران وأسقف وأرضية الفاتيكان.

- الرّمزُ الرّابع المُمَسْحَن هو عَجَلَة إلَه الشَّمس. من يدخُل ما تُسمّى "ساحة القدّيس بطرس" في الفاتيكان سيراً على الأقدام، سيلاحظَ وجودِ خطوطٍ عريضةٍ بيضاءَ على أرضها، لكنَّه لن يعرف ما هي وما تُمثِّل إلاَّ اذا طار عالياً في الجوِّ فوقها، لأنَّه حينها سيرى هذا الرَّمز كاملاً على شكلِ عَجَلَةٍ لها ثمانيةِ أضلعٍ على أرضِ ساحةِ الوثنيَّة المُمَسْحنَة كما تُرى في الصُّورة المُرفَقة. كانت هذه العَجَلة تُمثِّل إلَه الشَّمس الّذي كان يُسافر في السَّماء

على عَربةٍ عظيمةٍ بحسب الأساطير في ديانة بابل القديمة، كما كانت واحدةً من رموزِ الإلَهة سيبل في ديانة روما الوثنيَّة. وبالإضافة إلى الدِّيانة الكاثوليكيَّة، فإنَّ تلك العَجَلة موجودةٌ الآن أيضاً في ديانات أخرى من ديانات المثلَّيَّة الدينيَّة مثل الهندوسيَّة والبوذيَّة.

- الرّمزُ الخامس المُمَسْحَن هو المسلَّةُ أو السَّاريةُ. إستولت على عقولِ الشُّعوب الوثنيَّة القديمة أفكارٌ غريبةٌ جَسَّدوها بأشكالٍ غريبةٍ. احدى هذه التَّجسيدات كانت المسلَّة الّتي اعتبروها إشارةً للعضو الذَّكري رمزَ الحياة والتَّكاثر، وأوقفوها في شكلِ انتصابٍ عاموديٍّ باتِّجاه الشَّمس أمام معابدهم، لتكون من ضمنِ شعائر عبادتهم لها، لأنَّها كانت تُعطيهم ولمزروعاتهم الحياة العظيمة كما كانوا يؤمنون. على النَّسَقِ ذاته توجدُ اليوم مسلَّةٌ منتصبةٌ أمام المعبد الكاثوليكي في منتصفِ ساحةِ عَجَلَة إلَه الشَّمس الوثنيَّة والّتي يُسَمّونها "ساحة القدّيس بطرس". لكن من المؤكَّد فإنَّ القدّيس بطرس براءٌ من كلّ هذا الهراء، ومن كلِّ ما يوجدُ في هذا المكان.

المسلة أمام المعبد الفرعوني

المسلة أمام المعبد الكاثوليكي... هل هي مُصادَفة ؟

كانت مصرَ القديمة من أكثر البلدان الّتي احتوت بكثرةٍ على المسلاّت وقد وُضِع الكثير منها أمام المعابد الفرعونيَّة القديمة، وصُدِّرَ العديد منها إلى بلدانٍ أخرى مثل بريطانيا وأميركا وإيطاليا. ليست المسلَّة المُنتَصِبة في ساحة الفاتيكان نسخةً عن مسلَّةٍ مصريَّةٍ، بل هي نفسها كانت مُنتصِبةً في مصرَ في الأزمنة الغابرة وقد أحضرها الإمبراطور كاليغولا من الهليوبوليس (مدينة بيت شمس) في مصرَ إلى تلَّة الفاتيكان.

يمتلئُ بعضٌ من أسفار العهد القديم في الكتاب المقدَّس بالأخبار والحوادث المُتعلِّقة بالمسلَّة الّتي يُسمّيها السّارية وعن ارتباطها بناحيةٍ من نواحي العبادة بين الشُّعوب الوثنيَّة القديمة، وحتّى في أحيانٍ كثيرةٍ أدخلها شعب الله في العهد القديم أيِّ الشَّعب الإسرائيلي في شعائر عبادته. وهذه الأخبار والحوادث تُعطينا فكرةً واضحةً عن رفض الله رفضاً قاطعاً للمسلَّة وإعلانه الدَّينونة على كلِّ من يوقِفها حتّى ولو كان من شعبه الخاص، وهذه بعضَ الآياتِ والأحداثِ الواردة في الكتاب المقدَّس عن هذا الموضوع.

- احترزوا من أن تقطعوا عهداً مع سكّان الأرض لئلاّ يصيروا فخّاً في وسطكم، بل تَهدِمون مذابحهُم، وتُكسِّرون أنصابهُم، **وتَقطَعون سواريَهُم** (خر٣٤:١٢).

- **لا تَنصُب لنفسكَ سارية**ً من شجرةٍ ما... ولا تُقِم لنفسك نَصَباً. الشَّيءَ الّذي يُبغضه الرَّب إلهكَ (تثنية١٦:٢١).

- اهدم مذبح البَعل **واقْطع السَّارية** الّتي عندهُ، وابني مذبحاً للرَّب إلهكَ... وأصعِد محرقةً على حطبِ السّارية الّتي تَقطعها (قض٦:٢٥).

- ملك حزقيّا الملك على مملكة يهوذا وعمل المستقيم في عيني الرَّب. هو أزال المرتفعات، وكسَّر التَّماثيل، **وقَطَّع السَّواري**...(٢مل١٨:٤)

- ملك مَنَسىَّ الملك على مملكة يهوذا وعمل الشَّر في عيني الرَّب... أقام مذابح للبَعل، وعمل سارية ً كما عَمِل آخاب ملك اسرائيل... ووضع تمثال السّارية الّتي عَمل في بيت الرَّب...(٢مل٢١:٣). من بعد هذا العمل الشِّرير الّذي عمله مَنسَّى تكلَّم الرَّب عن يدِ عبيدهِ الأنبياء قائلاً: " من أجلِ أنّ منسّى ملك يهوذا قد عمِل هذه الأرجاس وجعل يهوذا يُخطئ بأصنامه، لذلك هكذا قال الرَّب إله اسرائيل: هأنذا جالبٌ شرّاً على أورشليم ويهوذا حتّى إنَّ كلَّ مَن سَمِع به تطِنُّ أذناه (٢مل٢١:١٢).

مَلكَ يوشيّا الملك من بعد موت الملك منسّى بِسَنتين على يهوذا وكان أوَّل عملٍ قام به هو إخراج جميع الآنية الّتي كانت مصنوعةً للبَعل وللسَّارية ولكلِّ أجناد السَّماء وأحرقها خارج أورشليم. ومن ثمَّ أخرج السّارية من بيت الرَّب وأحرقها في وادي قدرون، ودقَّها إلى أن صارت غباراً...(٢ملوك الاصحاح ٢٣).

بالعودة إلى مسلَّة ساحة الفاتيكان، فإنَّ تلك المسلَّة لم تصِل إلى مكانها الحالي في وسطِ السّاحة إلاّ بعد أن طلب البابا سكستوس الخامس نَقلها إليها مع إنَّه كان يعرف أصلها ومَن صَنَعها وإلى ماذا تَرمز!. ولأنَّ طول المسلَّة كان خمسةً وعشرون متراً ووزنها ثلاث مئة وعشرون طِنّاً، رفض الكثيرون من العاملين في قطاع النَّقل هذه المهمّة الصَّعبة وخاصَّةٍ بعد أن أعلن البابا عقوبةَ الموتِ في حالِ وقوع المسلَّة وانكسارها!. أخيراً قَبِل بالمهمَّة رجلٌ اسمه دومنيكو فونتانا، ومع خمس وأربعين رافعةً ومئة وستين حصاناً وفريقٍ من ثماني مئةٍ عاملٍ ابتدأت مُهمَّة النَّقل في تاريخ العاشر من شهر أيلول من سنة ١٥٨٦. وقف النّاس حينها بأعدادهم الكبيرة بصمتٍ ووجومٍ مُترقّبين ما سيحدث، ولكن أخيراً انتصبت المسلَّة الّتي كانت منصوبةً أمام هيكل الوثنيَّة في مصرَ أمام هيكل الوثنيَّة المُمَسْحنَة في روما. فابتدأت الأجراس تقرع والمدافع تدوي والهتافات تعلو من الحشود المُبْتهِجة. ولكي تُمَسْحَن المسلَّة وُضِعَ صليبٍ على رأسها قيل بأنَّه يحتوي على قطعةٍ من خشبة الصَّليب الأصلي، ووُضِعَت نجمة عشتار المُمَسْحَنة تحته!. كما أمر البابا سكستوس بنقشِ هذه الكلمات على قاعدة المسلَّة، والّتي أصبحت نشيداً في الكنيسة الكاثوليكيَّة: "يحيا يسوع، يملك يسوع، ليتسلّط يسوع". ثمَّ أُقيمَ قدّاسٌ إحتفاليٌّ، وأعلن البابا سكستوس بركتهُ على المسلَّة، وعلى النّاس، وعلى العمّال وجيادهم أيضاً.

لكن من هو يسوع الّذي أمر البابا سكستوس بنقشِ اسمه على المسلَّة الوثنيَّة؟ لأنَّنا إذا جزَّأنا كلامه نجد بأنَّه كان يُخبِر الجموع بحماسةٍ شديدةٍ ليس عن الرَّب يسوع المسيح ابن الله الوحيد الأزلي الّذي له كلَّ المجد والسُّلطان، بل عن مُجرَّد "يسوعٍ" مُفرَّغٌ من أيِّ لاهوتٍ ومجدٍ وسلطانٍ، ومصنوعٌ بحسب أهواء الكنيسة الكاثوليكيَّة.

يحيا يسوع؟! ومن هو "يسوع" هذا الّذي يدعو له البابا بالحياة على طريقةِ يحيا هتلر أو يحيا موسوليني؟ إن كان يَقصد بكلامه يسوع ابن الله الوحيد فإنَّه بذلك يكون على خطأٍ كبيرٍ لأنَّ بيسوع ابن الله وحده الحياة (يو١:٤)، وهو الحيُّ إلى أبد الآبدين (رؤ٤:٩)، ولا يحتاج لمن يدعو له بالحياة على رموزٍ يستعملها الأموات بالذنوب والخطايا.

يملك يسوع؟! وعلى ماذا سيملك "يسوع" البابا؟ إن كان يقصد البابا يسوع ابن الله فليَطمئن لأنَّه مَلِك الملوك وربُّ الأرباب (رؤ١٩:١٦)، وهو ربُّ الكلّ (أع ١٠:٣٦)، وبالتّالي فهو يَرفض أن يتمنّى له أحدٌ المُلكَ الأبديّ على وثنٍ حجريّ.

ليتسلَّط يسوع؟! وعلى من سيتسلَّط "يسوع" المسلَّة الفاتيكانيَّة؟ إن كان البابا يقصد يسوع ابن الله فليكُن مستريح البال لأنَّ له سلطاناً أبدياً لَتتعبَّد لهُ كلّ الشُّعوب والأمم والألسنة، وسلطانه لن يزول وملكوته لن ينقرض (دا٧:١٤). فلذلك لن يقبل من أحدٍ بأن يدعو له بالسُّلطان على رموزٍ من الأوثان.

بعد دراسةِ موضوع المسلات أو السَّواري في الكتاب المقدَّس، والمقارنة على أساسها بين ما فعله البابا سكستوس وما فعله ملوك يهوذا، نجد أنَّ البابا بنَصْبِه للرَّمز الوثني في أهمِّ معابدِ الكاثوليكيَّة، يكون قد سار على خُطى ملوك يهوذا الأشرار الّذين أغاظوا الرَّب حين أوقفوا السَّواري في معابدهم كما رأينا آنفاً، بدلَ من أن يسيرَ على خُطى الملوك أصحاب القلوبِ المُستقيمةِ أمام الله كيوشيّا الّذين أحرقوا وأبادوا الرَّمز الوثني البَغيضِ والمقيت.

- الرّمزُ السّادس المُمَسْحَن هو زهرة الزَّنبق. إتُّخِذَت هذه الزَّهرة منذ القديم كرمزٍ للخصوبةِ وارتبطت مع الآلِهة الوثنيَّة القديمة في بابل ومصرَ والمكسيك، ومع الآلِهة الوثنيَّة في ديانات المثلية الدينية مثل البوذيَّة والهندوسيَّة والجانيَّة، بحيث وُضِعَت على تماثيلهم. أمّا في الوثنيَّة المُمَسْحَنَة فقد أصبحت زهرة الزَّنبق رمزاً لمريم العذراء الكاثوليكيَّة، ووُضِعت على المعابد والتَّماثيل والرُّموز الكاثوليكيَّة المُختلِفة.

- الرَّمزُ السّابع المُمَسْحَن هو الصَّدفَة. آمن الرّومان في الأزمنة الوثنيَّة القديمة بأنَّ إلَهَة البحر والحب فينوس قد وُلِدت في البحر وأتت إلى الشّاطئ على صَدفةٍ، فجعلوا من الصَّدفَةِ رمزاً مقدَّساً لها، وأصْبحت تُمَثَّلُ فيما بينهم مع صَدفَةٍ. وقد وضَع الرّومان الصَّدفَةَ في معابد آلِهَتهم للدّلالة على المكانة المُمَيَّزة الّتي كانت لفينوس عندهم. البعض من هذه المعابد موجودٌ في قلعةِ مدينة بعلبك اللّبنانيَّة حيث يجد زائر تلك القلعة الأثريَّة، بقايا هياكل الآلِهة الوثنيَّة المُختلفة، وتبدو الصَّدفَة واضحةً للعيان في أماكنَ كثيرةٍ منها. وعندما أصبحت الإلَهة الأمّ فينوس مريم الكاثوليكيَّة كما رأينا في الفصل الثّالث، تحوَّلت الصَّدَفَة تلقائيّاً لتُصبِحَ رمزاً لها ولتُصبِحَ أيضاً رمزاً مُهمّاً وظاهراً في الكنيسة الكاثوليكيَّة، من خلال وضعِها على عرش البابا وعلى ثيابه، وفوق تماثيل الكاثوليكيَّة، وعلى شِعار الباباويَّة، كما ليوضع فيها "الماء المُصَلَّى عَليه" على مداخل المعابد الكاثوليكيَّة كما تُظهِر الصُّوَر التَالية.

- الرّمزُ الثّامن المُمَسْحَن هو "عَين حورَس". يدعوها البعض عينُ الله الّتي ترى كلّ شيء، لكن بالعودةِ إلى أصولها الوثنيَّة واستعمالها من الوثنيين الّذين لا يعرفون الله، نجد أنَّها بالتّأكيد عين الشّيطان وحاشا أن تكون عين الله. تعود جذورها إلى العصر البابلي الوثني في بابل القديمة لكنَّها تاريخيّاً عُرِفَت كعين الإلَه حورَس أو عين الإلَه أوزيريس عند المصريين القدماء في مصر، الّذين استعملوها لتأمين حمايةَ آلِهتهم لهم من الحَسَدِ ومن الأرواح الشّريرة ومن كلِّ ما يَضُرُّهم، وعلّقوها في شكلِ قلادةٍ في أعناقهم، ووضعوها على صدر مومياء فرعون لتَحميه في القبر. مُسحِنَت هذه العين الوثنيَّة

بعد أن أوجدوا لها فتوىً بأنَّها عين الله الّتي ترى كلّ شيءٍ ووضعوها على معابد الوثنيَّة المُمَسحَنة وفي مزاراتها وعلى ملابس كهنتها وعلى الصّلبان الّتي "يُباركون" بها الناس. في أيّامنا الحاضرة يستعمل "عين الشَّيطان" هذه محاطة باللّون الأزرق بعض النّاس الّذين يَدْعون أنفسهم "مسيحيّين" لكنَّهم في الواقع يعيشون بدون المسيح، لأنَّهم لو عرفوا المسيح القادر على حمايتهم من كلّ أذىً، لما كانوا قد علَّقوا هذه العين الوثنيَّة على مداخل بيوتهم وفي أعناقهم كتعويذةٍ لتَحميهم من ما يُسمّونه "صَيبة العين الشِّريرة"، تماماً كما كان يفعل أسلافهم الوثنيّون في مصرَ قديماً!.

- الرَّمزُ التّاسع المُمَسْحَن هو كوزُ الصَّنَوبرِ الّذي لَفَتَ تَفتُّحَه وخروجِ حبّاتِهِ منه بطريقةٍ عجيبةٍ نظر الوثنيّين قديماً، فجعلوا منه رمزاً للخُصوبة والحياة والانبعاث من جديدٍ، وأعطوه القُدسيَّة والتَّقدير في شعائر الدِّيانات الوثنيَّة القديمة، حيث ظهر على مُجسَّماتٍ قديمةٍ تعود لآلِهة أو كهنة في بابل، وهم يحملونه في يدهم اليُمنى ليرشّوا به ما كان يُسمّونه "الماء المقدَّس" الموجود في دلوٍ يحملونه في يدهم اليسرى. في أيّامنا الحاضرة، يُجَسِّدُ امامنا كهنة الكنيسة الكاثوليكيَّة الّذين يحمِلون دَلْواً فيه ما يُسَمُّونه "الماء المُقدَّس" ليَرشّوه على كلِّ إنسانٍ أكان حيّاً أو مَيِّتاً، وعلى كلِّ شيءٍ يريدون "تَقديسه"، ما كان يفعله كهنة الدِّيانة البابليَّة في قديم الأيّام. المُقارنة بين الصُّوَر التّالية تؤكِّد ما نقول

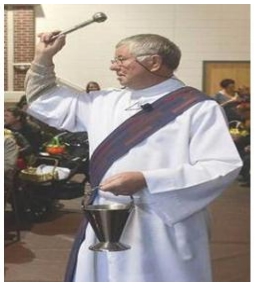
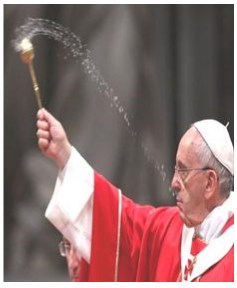

ولِمَا كان لهذا الرَّمز من قُدسيَّةٍ وتقديرٍ بين الشُّعوب الوثنيَّة، وُضِع على عصا الإلَه أوزيريس المصري، وعلى عصا الإلَه ديونيسيوس الإغريقي، وعلى عصا الإلَه باخوس الرّوماني، وعلى تمثال الإلَه شيكومكاوتل المكسيكي. كما يُرى كوز الصَّنوبر أيضاً على رأس بوذا في الدِّيانة البوذيَّة.

ويبدو أنَّ القُدسيَّة والتَّقدير اللَّذَين كانا لكوز الصَّنوبر في الوثنيَّة قديماً قد استمرا في الكنيسة الكاثوليكيَّة التي وضعته على العصا الّتي يحملها البابا، وعلى وضعه كأكبرِ مُجَسَّمٍ لكوزِ صَنوبر في العالم بعلوِ أربعة أمتار في الفاتيكان!.

يظنُّ معظم النّاس في العالم المُسمّى "مسيحيّ"، بأنَّ عادةَ رشِّ "الماء المقدَّس" في المناسبات والشَّعائر الدينيَّة هو عادةٌ مسيحيَّةٌ مُسْتَحْدَثَةٌ بدأت من بعد الميلاد، لكن وكما رأينا فإنَّها كانت عادةً وثنيَّةً بابليَّةً قديمةً من قبلِ أن تُمسْحَن في الوثنيَّة المُمَسْحَنة. فلذلك عندما ترى أيَّها القارئ العزيز يوماً كاهناً يَرُشُّ "الماء المقدَّس" بِمرشَّةٍ من حديدٍ، إسألهُ إن كان يعرف أنَّ ما يعمله هو الآن، كان يعمله كهنة الوثنيَّة قديماً بكوزِ الصَّنوبر والّذي استُبدِلَ بمرشَّةٍ حديديَّةٍ "مسيحيَّةٍ" في ظاهرها، لكنَها بقيت تحمل في جوهرها الرَّمزية الوثنيَّة القديمة لكوزِ الصَّنوبر.

- الرَّمزُ العاشر المُمَسْحَن هو المُثَلَّث. أن يكون هذا الرَّمز ومعانيه في الوثنيَّة فهذا أمرٌ طبيعيٌّ، لكن أن يؤخذ ويوضَع مع ما يَحمل من معانٍ داخل الكنيسة الكاثوليكيَّة، فهذا أمرٌ مُستَغرَبٌ. لماذا الاستغراب؟ لأنَّ الغاية من صنع هذا الرَّمز في الوثنيَّة كانت لوَصفِ الإتحاد بين الذَّكر والأنثى بحيث يُشير بِخَطَّيه المُتعرِّجين إلى الأنثى المُرتبِطة بالحيَّةِ، بينما يشير بخطِّه المستقيم إلى العضو التناسلي عند الذَّكر. وقد أخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة هذا الرَّمز الوثني ووضعته على من يُفتَرض بأن يكونوا من "أقدس قدّيسيها"، وعلى ما يُعْتبَر من " أقدس" رموزها الدينيَّة!. وسنقدِّم الصُّوَر التّالية للقارئ لكي يُقارن بينها وبين صورة الرَّمز ويحكم هو بنفسهِ على الموضوع.

- الرَّمزُ الحادي عشر المُمَسْحَن هو "يد سابازيوس" كان هذا الرَّمز يدَ إلَهِ السَّماء والنَّباتات سابازيوس، الّذي نشأت عبادته في فريجيَّة في القرن الخامس قبل الميلاد، ومن ثمَّ أصبحت شَعبيَّةً في كلِّ الامبراطوريَّة الرّومانيَّة. سُمِّيَ هذا الرَّمز "يد الألغاز القُدْسِيَّة" لأنَّه صُمِّم على شكلِ يدٍ تَحمِل سابازيوس ومعه رموزاً وثنيَّةً مختلفةً وغامضةً منها الحيوانيَّة كالضِّفدع والحيَّة، والنَّباتية ككوزِ الصَّنوبرِ، والموسيقيَّة كالصَّنج. يعتقد العلماء بأنَّ يَدَ سابازيوس هذه كانت توضع في الأضرحة والمزارات وتُحمَل في المسيرات الدينيَّة. أيضاً تُعطينا تماثيل سابازيوس المُجَسَّدة على يدهِ كما يَظهَر بالصُّورة، فكرةً واضحةً عن حركة يَده الّتي تبدو وكأنَّه يُبارِك بها النّاس. اختفى

سابازيوس واندثرت عبادته لكن يَده استمرت في حركتها بأيادي رجال الدّين في الوثنيَّةِ المُمَسْحَنةِ الّذين ومع أنَّهم مَسْحَنوها بتَسميتها "يد الله المُبارِكة"، وبتحريكها على شكلِ صليبٍ كلَّما أرادوا أن "يُبارِكوا" النّاس، إلاّ أنَّها بقيت تحمل شكلَ ومكنوناتِ يدِ الإلَه سابازيوس الوثنيَّة.

أخيراً نسأل، هل من المُمكن بأن يكون تواجُدَ وتداخُلَ وتجمُّعَ كلّ هذه الرُّموز الوثنيَّة مع بعضها بعضاً بهذا الشَّكل الظّاهر في الكنيسة الكاثوليكيَّة، هو مجردُ صُدْفَةٍ، أمّ أنَّه دليلٌ آخرٌ واضحٌ كالشَّمس على أنَّ الوثنيَّة المُمَسْحنَة الّتي نتكلَّم عنها في هذا الكتاب هي حقيقيّةٌ وواقعيّةٌ؟.

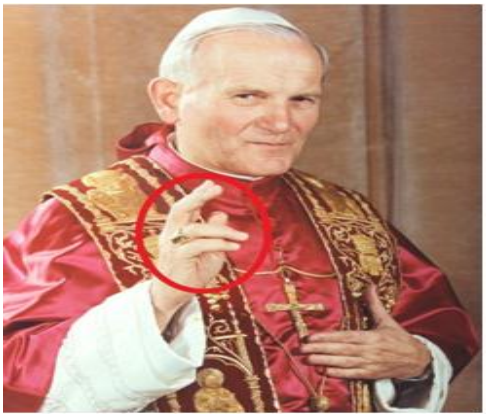

الفصل السَّادس

## المناصِب الوثنيَّة المُمَسْحَنَة

يترأس الكنيسة الكاثوليكيَّة بابا روما، وهذا الرَّجل - مهما كان اسمُهُ - وفقاً للعقيدة الكاثوليكيَّة فهو نائبُ المسيح على الأرضِ وخليفةَ الرَّسول بطرس. وبحسبِ هذه العقيدةِ أيضاً، فإنَّ بطرس قد ذهب إلى روما بعد أن عيَّنه المسيح كأوَّل بابا على كنيسته، حيث خَدَم هناك بهذا المنصب العظيم والمُميَّز لمدَّة خمسٍ وعشرين سنة، ثم استشهد فيها مصلوباً رأساً على عَقِب. وتدَّعي الكنيسة الكاثوليكيَّة أيضاً أنَّ سلالةً من الباباوات ابتدأت ببطرس وما زالت متواصلةً إلى يومنا الحاضر. لكن هل يُعلِّم الإنجيل بأنَّ المسيح قد عيَّن بطرس ليكون خليفته، وليكون فوق كلّ الآخرين في كنيستهِ؟ وهل نَجد فيه أيِّ وجودٍ لمنصب البابا أو الحبر الأعظم، أم أنَّه منصباً وثنيّاً وقد تَمَّت مَسْحَنَتهُ؟ وهل اعتبر المسيحيّون الأوَّلون بطرس كأنَّه أوَّل بابا؟ وهل ذهب بطرس إلى روما؟. سَنُجيب عن هذه الأسئلة وغيرها في هذا الفصل، وسنُفَصِّل الحقائق ونعرض الوقائع كما هي بقصد التَّوضيح وليس التَّجريح، البنيان وليس الهَدم، الإفادة وليس الضَّرر.

في الواقع إنَّ ما يُعَلِّمه الإنجيل يُخالف ويُناقض تماماً تعاليم وادِّعائات الكنيسة الكاثوليكيَّة تلك، إذ يُرينا بوضوحٍ أنَّه توجد مساواةٌ بين جميع أعضاء كنيسة المسيح، وأنَّ المسيح هو **وحده** رأسُ الكنيسةِ في السَّماء وعلى الأرض، وليسَ أيّ كائنٍ آخرٍ، كائناً من كان.

يذكر لوقا ومرقس حادثتين تُظهِران أنَّ فكرة التّسلُّط على الآخرين لم تكن بعيدةً عن فكر التَّلاميذ، والّتي رفضها المسيح بحزمٍ وأزالها من أفكارهم. ففي إنجيل لوقا نقرأ أنَّ مشاجرةً حصلت بين التَّلاميذ بسبب مَن مِنهم يُظَنُّ أنَّه أكْبَرَ، ويُخبرنا مرقس أيضاً أنَّ يعقوب ويوحنّا تقدَّما إلى الرَّب يسوع طالبَين منه أن يُجلِس واحداً منهما عن يمينه والآخر عن يساره في مجده، وحين سمع التَّلاميذ الباقون طَلَب يعقوب ويوحنّا ابتدأوا يغتاظون. فدعاهم يسوع وقال لهم: "أنتم تعلمون أنَّ الّذينَ يُحسبون رؤساءَ الأممِ **يَسودونهم**، وأنَّ عظماءهم **يَتسلَّطون** عليهِم، **فلا يكون هكذا فيكم**. بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً، يكونُ لكم خادماً، ومن أراد أن يصير فيكم أوَّلاً، يكون للجميع عبداً. لأنَّ ابنَ الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخْدَمَ بل ليَخْدِمَ..."(مرقس ١٠:٣٥-٤٥). فلو كان الادِّعاء الكاثوليكي صحيحاً، لكان قال يسوع للتَّلاميذ بأنَّ بطرس هو الأكبر بينهم

وقد أعطاه المكان الّذي على يمينه، ولا حاجةً ليجلس شخصٌ آخرٌ على يساره!. لكنَّه أوضح في كلامه هذا أنَّه لا يوجد عندهَ مكانٌ أو مكانةٌ لبطرس مُميَّزَان عن بقيَّة التَّلاميذ وإنَّ جميعهم متساوون بالنِّسبة إليهِ.

شدَّد الرَّب يسوع أيضاً على مفهوم المساواة ليس بين تلاميذه وحسب لكن بين كلّ الّذين سيؤمنون به على مرِّ الأيّام، فقال محذِّراً إيّاهم من استعمال ألقاب التَّعظيم والتَّفخيم لأيٍّ كان منهم، لئلاّ يتشبّهوا بالكتبة والفرّيسيين المرائين: "وأمّا أنتم فلا **تُدْعَوْا سَيِّدي**، لأنَّ مُعلّمَكم واحدٌ المسيح، **وأنتم جميعاً أخوةٌ**. ولا تَدْعُوا لكم **أباً** على الأرض، لأنَّ أباكم واحدٌ الّذي في السَّماوات..."(متّى٢٣:٨-١٢). لم يُميِّز المسيح أحداً منهم بمركزٍ عالٍ خاصٍ به، فلذلك يكون العمل على إعلاء أيِّ واحدٍ منهم في كنيسته إلى منصبٍ أعلى من الآخرين، يكون تَصرُّفاً متمرِّداً، ومناقِضاً ومخالِفاً لإرادته العُليا في إدارة كنيسته الّتي أحبَّها وأسلم نفسه لأجلها.

وإذا بحثنا في كتابات بطرس لنعرف رأيه في موضوعنا هذا، فانَّنا نجد أمراً أساسيّاً حدَّده هو بنفسه عن نفسه لا يلتفت إليه أبداً الّذين يدَّعون خلافته، لأنَّه يُعاكس أقوالهم ورغباتهم ويفضح ادِّعائاتهم، لأنَّه يُظهِره كخادمٍ مماثلٍ لبقيَّة خدّام المسيح الآخرين، وبأنَّه لا يملك منصباً مميَّزاً عنهم أو مكانةً أعلى منهم: "أطلبُ إلى **الشُّيوخ** الّذين بينكم، **أنا الشَّيخ رفيقهُم**،..."(١بط٥:١). فلو كان بطرس حينها البابا الأوَّل وفي منصبٍ يعلو على الآخرين لكان قال لهم: "أطلب إلى الشُّيوخ الّذين بينكم، أنا البابا رأسهُم وسيِّدهُم" وليس رفيقهُم، ولكان أعلن لهم مركزه الأعلى وسلطانه الأسمى اللّذين أعطاه إيّاهما المسيح عليهم. لكن على العكس تماماً، فانَّنا نقرأ في سفر أعمال الرُّسل بأنَّه عندما سمع الرُّسل الّذين في أورشليم أنَّ السَّامرة قد قبِلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنّا، اللّذَينِ لمّا نزلا صَلّيا لأجلهم...(أع ٨:١٤-١٥). من الواضح أنَّ الحقيقة الّتي قالها بطرس عن نفسه وعن مساواته بالآخرين وخِدمته معهم بدون أيِّ تمايُزٍ عنهم، تنقض ما تقوله الإدِّعاءات الكاثوليكيَّة عن أنَّه كان أوَّل بابا، أعلى وأعظم من الآخرين.

واذا أخذنا "البابا" إلى داخل الإنجيل وقارنّاه مع من يدَّعي خلافته، أي بطرس، فإنَّنا نرى عدم التَّشابه والتّناقض والاختلاف الكبير بينهما، إلاّ في ناحيةٍ وحيدةٍ فقط. كيف؟ الجواب هو التّالي:

- يُفرَض على "البابا" أن يكون **عازباً** لم يتزوَّج في حياته قط. لكنَّ بطرس كان **متزوِّجاً**، إذ يُخبرنا متّى في إنجيله أنَّ حماةَ بطرس كانت مطروحةً ومحمومةً (متّى٨:١٤)، فبالتَّالي إن كان لبطرس حماةٌ فمن الطبيعي بأن يكون عنده زوجةٌ !. فلماذا اذاً يترك البابا نفسه بدون زوجة؟!.

- يَقبَل "البابا" سجود النّاس له، وحتى انبطاحهم على وجوههم أمامه كأنَّه إله، كما يَظهر بالصُّوَر المُرفَقَة أدناه، لكنَّ بطرس رفض هذا السُّجود رفضاً قاطعاً لأنَّه عندما أتى إلى بيت كرنيليوس وسجدَ له هذا الأخير واقعاً على قدميه. **أقامه بطرس** قائلاً: **"قُم**، أنا أيضاً إنسانٌ"(أعمال١٠:٢٤-٢٧). إنَّ ما فعله بطرس مع كرنيليوس يبدو مناقِضاً لقبول البابا بأن تَسجد النّاس أمامه.

- يَلبس "البابا" تاجاً على رأسه، لكنَّ بطرس لم يضع تاجاً على رأسه ولو لمرَّةٍ واحدةٍ في حياته. كان بطرس وبحسب ما كَتَب في رسالته الأولى أنَّه يتطلَّع فقط إلى أن ينال **إكليل المجد** الّذي لا يبلى متى ظَهر رئيس الرُّعاة مرَّةً ثانيَةً (١بط٥:٤).

- يَطلب "البابا" من النّاس بأن يصنعوا التَّماثيل ليعبدوها من خلال الصَّلاة والسُّجود لها ( كما رأينا في فصولٍ سابقةٍ)، لكنَّ بطرس وصفَ في رسالته الأولى هذا النَّوع من العبادة بالعبادةِ المُحرَّمةِ قائلاً: "لأنَّ زمان الحياة الّذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدَّعارة والشَّهوات، وإدمان الخمر، و**عبادة الأوثان المُحرَّمة"** (١بط٤:٣).

- يدَّعي "البابا" بأنَّه معصومٌ عن الخطأ لكنَّه بهذا الإدِّعاء يُظهِر نفسه أنَّه بعكس بطرس الّذي كان ملوماً كما يقول عنه بولس الرّسول: "ولكن لمّا أتى بطرس إلى أنطاكِيَة قاومتهُ مواجهةً، لأنَّه كان **ملوماً**"(غلا٢:١١).

- لم نسمع أبداً أنَّ "البابا" قد أقام ميِّتاً أو أنَّه شفى أعرجَ أو مفلوجاً أو مريضاً بينما اجترح الرَّسول بطرس - كما بقيَّة الرُّسل- باسْم يسوع المسيح النّاصري وبِسُلطانٍ خاص منه لهم، العديد من العجائب والمعجزات، كإقامة الموتى وإخراج الأرواح الشِّريرة وشفاء كلّ أنواع المرض والإعاقة الجسديَّة.

أمّا النّاحية الوحيدة الّتي يُشبه فيها "البابا" الرَّسول بطرس والّتي كانت نقطةً سوداءَ في تاريخ بطرس فهي مقسومةٌ إلى قسمين، القسم الأوَّل هو المساومةُ على الحقّ، والقسم الثّاني هو المُراءاة. فبحسب ما جاء في رسالة بولس الرَّسول إلى أهل غلاطية فإنَّ بطرس كان يُرائي ويُساوم على الحقِّ أمام اليهود، وراءى معه باقي اليهود حتّى إنَّ برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم، مِمّا اضطر بولس لأن يوبِّخَ بطرس علانيَةً أمام الجميع (غلا٢:١٢-١٣). أمّا من ناحية "البابا" فإنَّ المُساومة والمُراءاة تَظهران واضحتين في إقامة باباوات الكنيسة الكاثوليكيَّة علاقاتٍ مع بقيَّة أديان المثلّيَّة الدينيَّة ليس لإظهار الحقّ الّذي هو الرَّب يسوع المسيح أمامها، لكن لإظهار تقديرهم وإعجابهم بتعاليمها، وقبولِ طُقوسها، وتقبيل كُتبها والصَّلاة معها، وتبجيل ذخائرها، (كما يَظهرون بالصُّوَر أدناه) بدلاً من تقديم إنجيل المسيح مُخَلِّص العالم لها.

طقوس وثنيّة لتبخير "البابا"

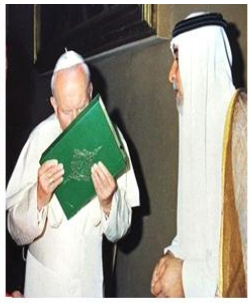
"البابا" يقبّل القرآن

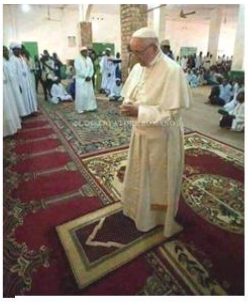
"البابا" يصلّي في المسجد

"البابا" يُبَجِّل ذخائر بوذا

فكيف إذاً يكون "البابا" خليفةَ بطرس وهو يُعلِّم عكس تعاليمه ولا يعمل مثل أعماله ولا يملك سلطانه؟. وألا يدلّ هذا الأمر أيضاً على أنَّ خليفة بطرس ليس له وجودٌ في الوجودِ مُطلقاً؟.

بالاختصار يُمكن القول إنَّ بطرس لم يتصرَّف، ولم يَلبس، ولم يَتكلَّم، ولم يَكتب كبابا!، والعكس أيضاً صحيح إذ إنَّ "البابا" لا يتصرَّف، ولا يَلبس، ولا يتكلَّم، ولا يكتب كبطرس!.

يَستطيع أيٌّ كان أن يطَّلِع على لائحةٍ تَضُمُّ ٢٦٣ اسماً موجودةٌ على شبكة الإنترنت، وهي أسماءُ باباواتِ السُّلالة البابويَّة الّتي اخترعتها الكنيسة الكاثوليكيَّة، لتُثْبِتَ صِدقَ وصِحَّة عقيدتها في الخِلافة البُطرسيَّة، لكن يَظْهر بأنَّها لم تَنتبه إلى أنَّ بطرس وبِحسِّهِ الرّوحي وبإرشادِ الرّوح القدس قد أبطل لائحتها تلك من قبلِ أن تخترعها، حين قال لأساقفةِ الكنيسة المسيحيَّة الحقيقيَّة: "ارعَوا رعيَّة الله الّتي بينكم **نُظَّاراً**،... **ولا كَمَن يسود على المناصب**، بل صائرين أمثلةً للرَّعيَّةِ" (١بط٥:٢-٣). طبعاً تبتدئ اللائحة المزعومة ببطرس الرَّسول الّذي كان أوَّل بابا في روما من سنة ٣٣م إلى سنة ٧٦م ثمّ تبعه لينوس ثمَّ كليتوس ثمَّ أكليمنضوس ثمَّ أفريستوس ثمَّ اسكندر الأوَّل ثمَّ سكستوس الأوَّل ثمَّ تيليسفورس ثمَّ هيجينوس ثمَّ بيوس الأوَّل، وهؤلاء جميعهم لا تَعلَم الكنيسة الكاثوليكيَّة عنهم شيئاً باستثناء أسمائهم مع أنَّهم كانوا "باباواتها" لحوالي مئتَي سنة!، ثم تتوإلى بعدهم الأسماء ومعها أخبارٌ عنهم وعن أعمالهم وصولاً إلى اسم البابا فرنسيس الحالي. في الواقع أنَّ تلك اللائحة مُرَكَّبةٌ بإتْقانٍ لكن يعوزها القدرة على الإقناع، ليس إقناع الجُهّال المُقتنعين فيها أصلاً، لكنَّ إقناع من يعرف من الإنجيل والتّاريخ بأنَّها مُفَبْرَكةٌ وتُعْوِزها المصداقيَّة، لأنَّ الكنيسة الّتي وضعتها خبيرةٌ جداً في خَلقِ الضَّلالات واختلاق الأكاذيب، لأنَّها لا تتكلَّمَ فيها عن كيفيَّة استلام باباواتها الأوَّلين هؤلاء لمناصبهم، أو إن كان أحدٌ قد انتخبهم أو أقامهم، فهي فقط تضع الأسماء وعلى النّاس البسطاء أن تُصدِّقها. هنا نسأل هذين السُّؤالين، إن كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة قد اخترعت "قدّيسين" وهميين (كما رأينا في فصلٍ سابقٍ) فهل يَعصى عليها اختراعِ باباواتٍ وهميين أيضاً؟ وبما أنَّ بطرس الرَّسول لم يكن يوماً "بابا" في حياته بل كان إنساناً عادياً مثلهُ مثل كلّ الرُّسل كما رأينا، وبأنَّه لم يذهب يوماً إلى روما في كلِّ حياته كما سنرى، ألا تكون الكنيسة الكاثوليكيَّة حينئذٍ هي من فَبْرَكت هذه السُّلالة البابويَّة المزعومة؟

يدَّعي الكاثوليك أيضاً أنَّ بطرس أُعطِيَ مركزاً مُهمّاً ومُميَّزاً، وأنَّ كنيسة المسيح الحقيقيَّة قد بُنيَت عليه! وكعادتهم في تزوير الحقائق، فقد اقتطعوا آيةً واحدةً فقط من سياق حديث الرَّب يسوع مع بطرس والتَّلاميذ، لتَدعم ادِّعاءهم هذا ولتَخدم مخطَّطاتهم ومَصالحهم الخاصَّة وبنوا عليها كنيسةً أرضيَّةً رأسها البابا في روما

وتركوا الآيات الأخرى: وأنا أقول لكَ أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصَّخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.(متّى١٦:١٨). لكنَّنا إذا أخذنا هذه الآية كما جاءت في سياق الحديث نَتيقَّن إنَّ الكنيسة الحقيقيَّة لم تُبنَ على بطرس بل على المسيح. ففي الآية الّتي سبقتها مباشرةً، سأل الرَّب يسوع التَّلاميذ هذا السُّؤال: "مَن يقول النّاس إنّي أنا ابنُ الإنسان؟". فقالوا: "قومٌ يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون إرميا أو واحدٌ من الأنبياء". قال لهم: "وأنتم من تقولون إنّي أنا؟". فأجاب سمعان بطرس وقال: "أنتَ هو المسيح ابنُ الله الحيِّ!". فأجاب يسوع وقال له: "طوبى لكَ يا سمعان بن يونا، إنَّ لحماً ودماً لم يُعْلِن لكَ، لكنَّ أبي الّذي في السَّموات..."(متّى١٦:١٣-٢٠). إذاً من الواضح أنَّه لو أراد المسيح أن يكون بطرس هو الصَّخرة الّتي سيبني عليها كنيسته، لكان قال له بصراحةٍ ووضوح: "أنتَ بطرس وعليك سأبني كنيستي". لكن جاء كلامه على الشَّكل التّالي: "أنتَ بطرس (بتروس- حجر) وعلى هذه الصَّخرة (بترا- صخرةٌ كبيرةٌ) سأبني كنيستي"، ممّا يؤكِّد لنا أنَّ **"الصَّخرة"** الّتي بُنِيَت عليها الكنيسة هي المسيح ابنُ الله الحيِّ، وليست الإنسان بطرس الّذي يموت.

وبعيداً عن السَّطْحيَّةِ والانتقائيَّةِ في اختيار الآيات وتقطيعها حسب رغبةِ رجالِ دينٍ يُضْمِرون عكسَ ما يُظْهِرون لكي إلى أهدافهم المُبَيَّتة يَصِلون، ولكي نَفهم معنى وعُمقَ ما قاله الرَّب يسوع لبطرس، علينا أن نعرف أنَّه قصدَ من كلامه هذا مع تلاميذه أن يُعرِّفَهم وبإعلانٍ مباشرٍ من الآب السَّماوي، بأنَّ **"الصَّخرة"** الّتي ذُكِرت منذ قديم الأيّام في الكتاب المقدَّس والّتي كانت مع شعب الله في العهد القديم من قبلِ أن يولد الرَّسول بطرس بآلاف السِّنين، هي الآن مُتَجَسِّدةٌ أمامهم وموجودةٌ معهم وعليها ستُبنى كنيسة العهد الجديد. فعندما وقف موسى أمام الله على الجبل وطلب منه أن يُريه مجده قال له: "لا تَقدر أن ترى وجهي وتَعيش لكن هوذا عندي مكانٌ، فتقف على **الصَّخرة**، ويكون متى اجتازَ مجدي، أنّي أضعُكَ في نقرةٍ من **الصَّخرة** وأستُركَ بيدي حتى أجتاز..."(خر٣٣:١٨-٢٣). أيضاً نجد تلك الصَّخرة في ترنيمة حَنَّة أمّ صموئيل النّبي حين قالت: "ليس قدّوس مثل الرّب، لأنَّه ليس غيركَ، وليس **صخرةٌ** مثل إلَهِنا"(١صمو٢:٢). أيضاً داود النَّبي يتكلَّم عنها حين يَسأل في سفر المزامير: "لأنَّهُ من هو إلهٌ غير الرَّب؟ ومن هو **صخرةٌ** سِوى إلَهنا؟"(مز١٨:١٣)، وأيضاً حين يصرخ من كلِّ قلبه هاتفاً: "حيٌّ هو الرَّب، ومباركٌ **صخرتي**...(٢صمو٢٢:٤٧). ثمَّ تكلَّم عنها الرَّسول بولس في العهد الجديد بكلِّ وضوح على الشَّكل التّالي: "فإنّي لستُ

أريدُ أيُّها الإخوةُ أن تجهلوا أنَّ أباءنا جميعهم كانوا تحت السَّحابة وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السَّحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحيّاً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحيّاً، لأنَّهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيَّةٍ تابِعَتهم، **والصَّخرة كانت المسيح**...(١كو١٠:١-٤). فمن إذاً يكون **"الصَّخرة"** ألمسيح أم بطرس؟، وإذا سألنا بطرس هذا السُّؤال فماذا تعتقدون أنَّ جوابه سيكون؟

يُجيب الرَّسول بطرس عن سؤالنا مؤكِّداً في رسالته الأولى الّتي كتبها إلى المؤمنين بالمسيح بأنَّ المسيح هو **الصَّخرة** الّتي يبني عليها كنيسته وليس له أيَّة علاقةٍ بهذا الموضوع: "الّذي إذ تأتون إليهِ، حجراً حيّاً مرفوضاً من النّاس، لكن مختارٌ من الله كريمٌ،... لذلك يُتضَمَّن أيضاً في الكتاب: "هأنذا أضع في صهيون حجرَ زاويةٍ مختاراً كريماً، والّذي يؤمن به لن يُخزى". فلكم أنتم الّذين تؤمنون الكرامة، وأمّا للَّذين لا يُطيعون، فالحجر الّذي رفضه البنّاؤون، هو قد صار رأسَ الزّاويةِ وحَجرَ صَدمةٍ **وصَخرة** عَثرةٍ، الّذين يعثرون غير طائعين..(١بط٢:٤- ٨). فلو كان بطرس هو **"الصَّخرة"** كما يدَّعي من أقاموا أنفسهم خلفاءً مزعومينَ له، لكان قال وبالفمِ الملآن: "أنا هو **الصَّخرة** الّتي يبني المسيح كنيسته عليها".

قال الرَّب يسوع مرَّةً لبطرس: "سمعان، سمعان، هوَذا الشَّيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة، **ولكنّي طلبتُ** من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنتَ متى رجعت **ثبِّت** إخوتَكَ" (لو٢٢:٣١-٣٢). يَتَّخذ مُعلِّمو الكاثوليكيَّة الشطر الآخير من سياق كلام المسيح هنا، كسَندٍ يدعم ادِّعاءهم بأنَّ بطرس هو رأس الرُّسل وضمانتهم، لأنَّ المسيح قال له ثبِّت إخوتك، لكنَّهم يتغاضون عمداً عن أنَّه قال له **ثبِّت** إخوتَكَ وليس **تَسيَّد** على إخوتَكَ. هذا من جِهةٍ، أمّا من جِهةٍ أخرى وهي الأهم في كلام الرَّب يسوع هنا، هي أنَّه أكَّد لبطرس إنَّ **طِلْبَتهُ** أمام الآب السَّماوي هي الضَّمانة الوحيدة والكاملة ليس لإيمانه وحسب، لكن لإيمانِ جميع التَّلاميذ الآخرين، وإيمانِ كلِّ الّذين سيؤمنون به عبرَ كلّ العصور الّتي ستأتي.

إن أردنا أن نفعل الشَّيء نفسه الّذي يفعله معلِّمو الكاثوليكيَّة في تقطيعِ أجزاءٍ من آيات الإنجيل بحسب أهوائهم، والتَّشديد على حَرفيتها من دون الأخذ بالإعتبار بما سبقها أو بما تلاها من آياتٍ أخرى، نفهم حينئذٍ بأنَّ بطرس ليس هو الصَّخرة وحسب لكنَّه أيضاً كان شيطاناً!.لا يتعجَّب أحدٌ من هذا الكلام، أفلم يَقل له المسيح: "اذهَب عنّي يا **شيطان** أنتَ معثرةٌ لي، لأنَّك لا تهتم بما لله لكن بما للنّاس"(متّى١٦:٢٢).

فلذلك إنَّ من يقرأ الإنجيل راغباً في فهمهِ بطريقةٍ صحيحةٍ، فسَيفهمهُ وسيصِل إلى الحياة الأبديَّة، لكن من يقرأه راغباً في تقطيعهِ لتَحريفه، فسَيفهمهُ بطريقةٍ عكسيَّةٍ ستودي به إلى المرارة الأبديَّة.

يُركِّز الّذين يَدَّعون بأنَّهم خلفاء بطرس كثيراً على أنَّه كان التِّلميذ الأوَّل من بين تلاميذ المسيح، فاسْمُهُ يأتي دائماً في الصَّدارة في قوائمِ أسماءِ التَّلاميذ المُدوَّنة في أناجيل متّى ومرقس ولوقا، وبأنَّه كان أكثرهم حماسةً وشَجاعةً وقوَّةً، لكنَّهم يُركِّزون قليلاً على أنَّه ارتكب الكثير من الأخطاء والخطايا وكان فيه الكثير من العيوب الّتي تَقصَّد الرّوح القدس ذِكْرَها في الإنجيل، مثل توبيخ المسيح له على قلَّةِ إيمانه، وخوفه من جاريَةٍ، وإنكاره المسيح ثلاث مرّات قبل أن يصيح الدّيك، وحِلفانه ولَعناته، ولكنَّهم لا يُركِّزون أبداً على خوفه من اليهود الّذي دفعه للمراءاة، حتّى من بعد انسكاب الرّوح القدس في يوم الخمسين. كما أنَّهم لا يأتون على ذكر مساواته مع الرُّسل الآخرين في الخِدمة والكرازة واجتراح المعجزات، فهو بالنِّسبة لهم رأس الرُّسل وأنَّ المسيح قد تنازل له عن مركزه الخاص في رئاسة كنيسته فأصبح هو أوَّل بابا وهم خلفاءه، ولا يوجدُ من داعٍ للمناقشة والحوار معهم في هذا الموضوع .

لا شكَّ بأنَّ بطرس حازَ الصَّدارة - وليس السِّيادة - بين التّلاميذ لفترةٍ طويلةٍ من الوقت، إلاّ أنَّ نجمهُ ابتدأ بالأُفول في ذلك اليوم الّذي ظهر فيه الرَّب يسوع المسيح على شاول الطرسوسي المُضْطَهِد لكنيسته وألقاه أرضاً عن صَهْوَةِ حصانهِ وقِمَّةِ كبريائه، ليُقيمهُ بعدها بِاسْمِ بولس، الإناء الّذي اخْتارَهُ ليَحمِلَ اسمه أمام أمَمٍ وملوك وبني اسرائيل (أعمال ٩:١٥). بعد هذا الظّهور، ابتدأ الإنجيل بتسليط أضواءه على بولس وخدمته ورسائله، ومن ثم أطفأ أضوائه الّتي كانت مُسلَّطة على بطرس فجأةً، وأخفاه من أمام عيوننا ليُعرِّفنا وليؤكِّد لنا بأنَّه ليس هو **"الصَّخرة"**، وليس هو أوَّلُ بابا. وبالتّالي فإن لم يكن بطرس هو البابا الأوَّل فمعناه أنَّه لا يأتي بعده لا بابا ثانٍ ولا بابا ثالث ولا سُلالة من الباباوات.

تَفوَّق بولس لاحقاً على بطرس في نواحٍ كثيرةٍ من الخدمة المسيحيَّة، إن كانت من خلال الرِّحلات التَّبشيريَّة الّتي قام بها لآلاف الكيلومترات بين الشَّرق والغرب ليبشِّر الأمم الوثنيَّة بينما بقي بطرس في منطقة الشَّرق الأوسط ليُبشِّر اليهود، أو إن كانت من خلال الأعداد الكبيرة للكنائس الّتي أسَّسها، بينما لا يذكر الإنجيل شيئاً عن أعداد الكنائس الّتي أسَّسها بطرس، أو إن كانت في كتابتهِ للعديد من الرَّسائل المُحمَّلة

بالتّعاليم والمبادئ والأُسُس، الّتي يجب أن تُبنى وتسير عليها كنيسة المسيح، بينما كتبَ بطرس رسالَتين فقط خاليتَين من الكثير مما تَضَمَّنته رسائل بولس. أيضاً يذكر الإنجيل بأنَّ بولس تجرَّأ ووَبَّخ بطرس على ريائهِ أمام اليهود، فكيف يُمكن أن يَتجرّأ بولس على توبيخ "الحبر الأعظم، البابا بطرس"؟!.

الأمر المُهمّ في موضوعنا هنا هو أنَّ بولس أكَّد في رسائله ما أكَّده بطرس أيضاً، وهو إنَّ الرَّب يسوع المسيح هو **وحده** رأسُ الكنيسة وليس بطرس.

- "فإنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يضعَ أساساً آخرَ غيرَ الّذي وُضِعَ، الّذي هو يسوع المسيح" (١كو٣:١١).

- "لأنَّ الرَّجلَ هو رأسُ المرأةِ كما أنَّ المسيح هو رأس الكنيسةِ، وهو مُخلِّصُ الجسدِ" (أف ٥:٢٣).

- "الّذي فيه خُلِقَ الكلُّ (المسيح)... الّذي هو قبلَ كلِّ شيء، وفيه يقوم الكلُّ، وهو رأسُ الجسدِ، الكنيسةِ." (كو١:١٦- ١٨).

ثَمَّةَ أمرٌ آخرُ يسترعي انتباهنا في الإنجيل، هو أنَّ بولس تكلَّم عن بطرس ويعقوب ويوحنّا كأعمِدةٍ في كنيسة المسيح، وقال بأنَّه لم يَنقُص هو شيئاً عن بقيَّة الرُّسل (٢كور١٢:١١). فلو كان الرُّسل حينها يَعْتبِرون أنَّ بطرس هو **"الصَّخرة"**، ويدعونه البابا، الحبر الأعظم، لكان قال بولس إنَّه وبقيَّة الرُّسل يأتون وراءهُ ويُطيعون أوامرهُ.

بعد كلِّ ما تقدَّم، أصبحنا الآن متأكِّدين بأنَّ الرَّسول بطرس ليس هو رأس كنيسة المسيح الأرضيَّة ولا هو **"الصَّخرة"** الّذي بُنِيت عليه، وبالتّالي أصبحنا أيضاً متأكِّدين بأنَّه ليس هو البابا الأوَّل الرّوماني، الحبر الأعظم رأس الكنيسة الكاثوليكيَّة.

وإذا فتَّشنا في الإنجيل لنعرِفَ منه إن كان بطرس قد ذهب إلى روما أم لا، فانَّنا سنجده من جهةٍ يُخبرنا بأنَّه قد ذهب إلى أنطاكية والسّامرة ويافا وقيصريَّة، ومن جهةٍ أخرى يؤكِّد لنا بأنَّه لم يذهب إلى روما ولم يطأ عتبتها قط، لسببٍ بسيطٍ يذكره عن قصدٍ وحكمةٍ، هو أنَّ كلوديوس قيصر حينها كان قد نفى كلّ اليهود منها ومَنعَهم من دخولها(أع ١٨:٢).

تُشير فَقرة "بطرس" في الموسوعة الكاثوليكيَّة، إلى أنَّ تَقليداً قد ظهر في بداية القرن الثّالث يَدّعي أنَّ الرَّسول بطرس كان أسقفاً لروما لمُدَّة ٢٥ سنة، وهذه السِّنين

(بحسب مُعتقد جيروم) كانت من سنة ٤٢م إلى سنة ٦٧م. لكن وجهة النَّظر هذه تشوبها شوائبَ كثيرةً بارزةً، لأنَّه حوالي سنة ٤٤م كان بطرس في مجمع أورشليم(أع:١٥)، وحوالي سنة ٥٣م إنضم بولس إليه في أنطاكية (غلا٢:١١)، وحوالي سنة ٥٨م كتب الرَّسول بولس رسالته إلى المسيحيَين في روما، وفيها أرسل سلاماته إلى سبعةٍ وعشرين شخصٍ لكنَّه لم يَذكر فيها اسم بطرس على الإطلاق. فهل يُعقَل إنَّ رسولاً يكتب إلى كنيسةٍ ويُسلِّم على عددٍ كبيرٍ من أعضائها بأسمائهم ولكنَّه لا يذكر أبداً اسم راعيها؟!. وهل يُعقل أيضاً أن يُرسِلَ الرَّسول بولس رسالةً تعليميَّةً تَتضمَّن ستَّة عشر إصحاحاً إلى كنيسةِ روما، متخطّياً بذلكَ وجودِ "البابا الأوَّل بطرس" كمُعلِّمٍ فيها، ولا يُوجِّه إليه تحيَّةِ تقديرٍ واحترامٍ على اعتبار أنَّه "الحبر الأعظم"؟. ألا يدلُّ كلُّ هذا على أنَّه لم يكن لبطرس أيَّة علاقةٍ لا بروما ولا بكنيستها لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ؟.

أيضاً وبحسب الإصحاح الأخير من سفر أعمال الرُّسل فإنّ بولس الرَّسول وصل إلى روما (يذكر قاموس الكتاب المقدَّس بأنَّه وصل إليها في العام ٦١م) وأقام فيها سنتين كاملتين في بيتٍ استأجره لنفسه. وكان يَقْبَل جميع الّذين يدخلون إليه، كارزاً بملكوت الله، ومُعلِّماً بأمرِ الرَّب يسوع المسيح بكلّ مجاهرةٍ (أع ٢٨:٣٠-٣١). أيضاً يذكر القاموس نفسه أنَّ بولس كتب رسائله من روما إلى أهل كولوسي وأفسُس وفيلبي وإلى فليمون. فهل من المُمكن أن يكون "البابا بطرس" في روما حينها ولا يذكره بولس لا في رسائله إلى الكنائس الأخرى ولا أمام ضيوفه؟!. أوليس هذا دليلاً دامغاً يُضاف على الأدِلَّة الأخرى الّتي قد سَبقَت، والّتي جميعها تؤكِّد لنا أنَّ بطرس لم يذهب أبداً إلى روما؟.

ثمَّةَ أسئلةً نطرحها أحياناً بهدف إيجاد أجوبةٍ لها، لكنَّها وبدلاً من أن تُعطينا أجوبةً نجدها تأتي لنا بأسئلةٍ أخرى. فمثلاً إن كان بطرس لم يذهب إلى روما ولم يكُن يوماً في حياته في منصب "الحبر الأعظم"، فمن أين يكون إذاً قد أتى باباوات روما بهذا المنصب ليُصبحوا "الحبرالأعظم الكاثوليكي"؟. هنا بيت القصيد، هنا يجب أن نَعرف كيف وأين أفرخ الأصْل الوثني لهذا المَنصب، لأنَّنا بهذه المعرفة ستنكشف أمامنا كلّ الحقيقة الّتي نبحث عنها، فلذلك سنرجع في التّاريخ إلى الوراء وتحديداً إلى بابل القديمة لأنَّ فيها كانت بداية حِياكة الحِكاية، ومن ثمَّ نعود إلى يومنا الحاضر لنرى بأنَّ تلك الحِكاية قد اكتمَلت حياكتها بمهارةٍ وبدقَّةٍ متناهيةٍ في بابل الجديدة، أمُّ الزَّواني ورجاسات الأرض.

إن أرادَ أحدٌ أن يزور مدينةَ بابلَ القديمة في العراق حاليّاً فإنَّه سيجدها أطلالاً مهجورةً لا يسكنها أحدٌ، يأتي إليها السُّياح من حول العالم فقط لمشاهدة الأثار الباقية منها. وبرغم أنَّ تلك المدينة قد دُمِّرت بالكامل فإنَّ المفاهيم الّتي كانت جزءًا من ديانتها لا تزال حيَّةً في أيّامنا الحاضرة كما سنرى!.

لم يكن نمرود ملكَ ومؤسِّسَ بابل في مركز قائدها السِّياسي فقط، لكنَّه كان قائدها الدّيني أيضاً اذ كان في منصبِ ملكٍ - كاهنٍ، أي "الحبرالأعظم". ومنه انحَدر خطٌّ من ملوكٍ - كهنةٍ وقف كلِّ واحدٍ منهم على رأس ديانة بابل. وقد استمر هذا الخطّ منحدراً إلى أيّام الملك بلطشاصر الّذي نقرأ عنه في سفر النَّبي دانيال في الكتاب المقدَّس، أنَّه حين أقام وليمةً لعظمائه ظهرت أصابعُ يدِ إنسانٍ وكتبت على الحائط نهايته ونهاية مُلكه. وقد لا ينتبه البعض إلى أنَّ تلك الوليمة لم تكن مُجرَّدَ حفلةٍ اجتماعيَّةٍ بل كانت اجتماعاً دينيّاً للإحتفال بالأسرار البابليَّة حين كان بلطشاصر على رأسها: "كانوا يشربون الخمرَ ويُسبِّحون آلهةَ الذَّهبِ والفضَّةِ والنُّحاسِ والحديدِ والخشبِ والحجرِ"(دانيال٥:٤). وفي زيادةٍ منهم على احتقار الرَّب، فإنَّهم شربوا خمرهم في الكؤوس الّتي كانوا قد نهبوها من هيكلِ الرَّب في أورشليم، في محاولةٍ منهم لدمجِ ما هو مقدَّسٌ مع ما هو نجس.

وعندما ظهرت الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة إلى الوجود إندمجت المفاهيم الوثنيَّة الّتي انطلقت من بابل فيها وتطوَّرت لتُصبِح لاحقاً داخل نظامها الدّيني، كما في أنظمةِ دياناتِ شعوبٍ أخرى. واحدٌ من تلك المفاهيم الوثنيَّة كان منصب "الحبر الأعظم" الّذي تأسَّس في الأصل مع نمرود في بابل، ثمَّ ظهر في روما مع يوليوس قيصر الّذي كان أوَّل إمبراطورٍ يتوَّلى هذا المنصب رسميّاً في العام ٦٣ قبل الميلاد، وأصبح بذلك أوَّل حبرٍ أعظمٍ للدّيانة الوثنيَّة الرّومانيَّة، ومنه انحَدرت سُلالةً من الأباطرة الّذين كانوا يُعتَبرون في منصب "الملك، الحبر الأعظم". وبعد زوال الإمبراطوريَّة الرومانيَّة الدُّنيويَّة، انتقل المفهوم ذاته إلى داخل الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة الدينيَّة حين أصبح أسقف روما في منصب "البابا، الحبر الأعظم". فلمن يسأل كيف حدث هذا الانتقال، سيأتيه الجواب في العرض التّالي.

في سنة ٣٠٦ استلم الملك قسطنطين بعد موتِ والدهِ عرشَ الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة الوثنيَّة وجلس عليه كملكٍ وكحبرٍ أعظم أيضاً. أدرك قسطنطين حينها بما كان لديه من حنكةٍ سياسيَّةٍ، بأنَّ الإضطهاد الّذي قام به أسلافه على المسيحيّين قد قسَّمَ

تمثال الملك قسطنطين

وأضعف إمبراطوريته، لكنَّه لم يستطع تحطيمهم وتدمير إيمانهم بمَسيحِهم وإلَهِهم، فلذلك لن يستطيع أبداً إجراء أيِّ تغييرٍ في المسيحيَّة أو إضعافِ قوَّتها وإيقافِ زخمها وزحفها. وأدرك أيضاً إنَّه وبصفته الحبر الأعظم الوثني يستطيع التَّغيير في شكلِ الوثنيَّة الخارجي لكن من دون أن يَمَسَّ جوهرها أو أن يُزيلها من الوجود. فلذلك قام بوضع خطّةٍ مُحْكَمَةٍ صاعدةٍ من قعر الجحيم، فيها الكثير من المكرِ والنِّفاق، اتَّخذ فيها خطواتٍ سريعةٍ بهدف إدماجِ الدّيانتين في ديانةٍ واحدةٍ، فتُصبِحان متَّحِدتينِ، وبذلك يضمن سلامةَ سلطتهِ واستمراريَّةِ إمبراطوريته.

ابتدأ قسطنطين بتنفيذ خطّته التَّغييريَّة تلك من خلال اتِّجاهين، الإتِّجاه الأوَّل كان ادِّعاؤه في سنة ٣١٢ بأنَّه قد رأى قبل أن يهاجم أعداءه على جسر ميليفان صليباً في السَّماء مكتوب تحته "بهذه العلامة تنتصر". انتصر قسطنطين في المعركة وكعرفان بالجميل منه للمسيح الّذي ساعده في الإنتصار إعتنق المسيحيَّة (تكلَّمنا عن هذا الموضوع في الفصل السّابق). أمّا الإتّجاه الثّاني فقد ظهر في العام ٣١٣ حين أصدر قسطنطين مرسوم ميلانو الشَّهير مُعلِناً فيه أنَّ الدّيانة المسيحيَّة هي الدِّيانة الوحيدة للإمبراطوريَّة الرّومانيَّة، وإنَّ العقوبات المفروضة على المسيحيين وكلّ من يريد أن يعتنق المسيحيَّة هي مُلغاة، مُنهياً بذلك فترة الإضطهاد الوحشي الّذي دام لحوالي قرنين ونصف من الزَّمان على المسيحيّين.

قد يظنّ البعض للوهلة الأولى أنَّ ما قام به قسطنطين كان لخيرِ المسيحيّين وسعادتهم، لكن بالنَّظر عميقاً إلى ما صَنع، نجد أنَّه وبمحاولة الدَّمج الّتي قام بها، قد خلق ديانةً جديدةً باطنها وثنيٌّ وظاهرها مسيحيٌّ دُعِيت "مسيحيَّة قسطنطين"، لكنَّها في الواقع كانت ديانةً مسيحيَّةً مُزيَّفةً لا تُشبه "مسيحيَّة المسيح" الحقيقيَّة بشيءٍ، ولم تؤثِّر فيها، ولم تَندمج معها، بل بالعكس كانت مُخالِفةً ومضادَّةً لها حتى إنَّنا نستطيع أن ندعوها **"الوثنيَّة المُمَسْحَنَة"**.

وطَّد قسطنطين دعائم "مسيحيته" الجديدة أيّ الوثنيَّة المُمَسْحنَة من خلال استبداله أسماءَ آلِهَةِ الوثنيَّةِ (كما رأينا في فصلٍ سابقٍ) وأعيادها وشعائرها وطقوسها بأسماءٍ مسيحيَّةٍ، وبإقامته لها ما يُسمّى بالكرسيّ الباباويُّ، ومن ثمّ أمَر بإنشاء "المجمع المقدَّس" الّذي ترأسَّه هو شخصيّاً لكي يَنتخِب بحسب إرادتهِ وتحت إشرافهِ المباشر

أسقف روما حينها سلفستروس كأوَّل بابا يجلس رسميّاً على كرسي باباويَّة الوثنيَّة المُمَسْحَنة، لكن من دون أن يتخطّى بمركزه مركز الإمبراطور. تسيَّد قسطنطين على "المسيحيَّة" الّتي أوجدها، من خلال إقامةِ أساقفةٍ لكنائسها وتعيينهم كمساعدين سياسيّين له، وَوَضْعِهم في مراكزٍ عاليةٍ في الإمبراطوريَّة مع رواتبٍ وشهرةٍ وثروةٍ، فأُصيبَ الكثيرون منهم - كما تقول الموسوعة الكاثوليكيَّة - "بالعمى الرّوحي بسبب فخامة البلاط الإمبراطوري، وذهبوا بعيداً في اعتبار الإمبراطور كملاكٍ من الله، وله مقامٌ مقدَّسٌ، وينطق بِوحْيٍ إلهيٍ كابن الله، ويحكم في السَّماء". أُعْطِيَ قسطنطين من هؤلاء الأساقفة الّذين كانَ يستدعيهم ويترأسَّ اجتماعاتهم والّذين كانوا مستفيدين معنويّاً وماديّاً من تَحوُّلهِ المزعوم ألقاباً مثل "الرَّسول الثَالث عشر" و"المقدِّس السَّماوي للرُّسل" و"القدّيس" وغيرها، وجعلوه مع أمِّه هيلانة من أعظم "قدّيسيِّ المسيحيَّة" الّتي اختلقها. وأصبحت الكنائس الّتي يرعاها هؤلاء الأساقفة في كلِّ مكانٍ بمثابةِ دعمٍ قويٍّ لقسطنطين، استطاع من خلاله بلوغ أهدافه السِّياسيَّة والدينيَّة بتوحيد النّاس وراءه في ديانة "الوثنيَّة المُمَسْحَنَة" الجديدة، الجامِعة والعالميَّة.

لكن ما يهمُّنا في قسطنطين هو هل إنَّه أصبح مسيحيّاً حقيقيّاً ليُصبح بالتّالي مؤهَّلاً لإقامةِ كنيسةٍ مسيحيَّةٍ حقيقيَّةٍ؟ الجواب بالتَّأكيد هو **لا**، لأنَّ ما فعله قسطنطين لاحقاً يدلُّ على أنَّه كان كذّاباً ومرائيّاً وليس مسيحيّاً حقيقيّاً. ومن أبرز الدَّلائل الّتي تؤكِّد إنّ ما نقوله صحيح هي الجرائم المُرعبة والعديدة الّتي اقترفها والتي لا يقترفها أيُّ مسيحيٍّ حقيقيٍّ. فلقد قام في العام ٣٢٦ - أيّ من بعد أن ترأس مجمع نيقية بعام واحدٍ- بقتل ابنه كريسبس بوشايةٍ من زوجته فوستا، ثم خنق فوستا في حمّامٍ حارٍّ بتحريضٍ من أمِّهِ "القدّيسة" هيلانة، وفي نفس الوقت قَتل ابن اخته وشنق زوج اخته ليسينيوس، مع أنَّه كان قد وعده بأنَّه سيحافظ على حياته. فلذلك يَصفه البعض من المؤرِّخين بأنَّه "ملطَّخٌ بالدَّمِ، وموصومٌ بأعمالٍ شائنةٍ لا تُحصى، ومملوءٌ خداعاً، ومستبدٌ رهيبٌ، ومذنِبٌ بارتكاب جرائم مُروِّعةٍ".

ثمَّة دلائل أخرى أيضاً تدلّ على إنَّ قسطنطين كان يدَّعي ويتظاهر بأنَّه مسيحيٌّ، لكن تصرُّفاته كانت تؤكِّد بأنَّه بقي وثنيّاً في قلبهِ وفكرهِ وبأنَّه لم يُصبح مسيحيّاً حقيقيّاً على الإطلاق، إذ إنَّه أزال تمثاله من المعابد الوثنيَّة وتخلّى عن تقديم الذّبائح له شخصيّاً، إلاّ أنَّ النّاس ظلَّت تعتبره إلَهاً، وبقيَ هو في كلِّ حياته يَعبُد الإلَه الوثني ميثرا، كما استمر بعبادة الشَّمس الّتي أبقى صورتها على قطعة النُّقود المعدنيَّة الّتي تعود له. أيضاً في العام ٣٣٠ أقام احتفالاً لتكريس القسطنطينيَّة حيث كانت "الوثنيَّة

المُمَسْحَنَة" التي ابتدعها متجلِّيةً بكلِّ وضوحٍ فيه من خلال وضعهِ لمركبةِ إلَه الشَّمس الوثني في وسط السّاحة، مع وضعِ صليبٍ عليها بهدف مَسْحَنتِها (مثلما مُسْحِنَت المَسلَّة الوثنيَّة لاحقاً في ساحة الفاتيكان)، كما سَكَّ قسطنطين قطعاً نقديَّةً تحمل صورة الإلَه مارس وصليبٍ، واستمر بالإيمان في الوصفات السِّحريَّة الوثنيَّة لشِفاء الأمراض البشريَّة ولحماية المحاصيل الزِّراعيَّة. وقبل يومٍ من وفاته في العام ٣٣٧ صَنع أمرين مُختلِفَين ومُتناقِضَين، يَدلّان على إنَّ مجاهرته بأنَّه أصبح مسيحيّاً كانت مجردَ تمثيليَّةٍ فيها الكثير من الخداع الّذي كان من صُلب حياته وتفكيره، إذ إنَّه وبصفته الحبر الأعظم للدِّيانة الوثنيَّة قدَّم ذبيحةً للإله زيوس، ومن ثمَّ اعتمد بالماء ليموت "مسيحيّاً" حسب زعمه، أو الأصدق القول ليموت مُمَسْحَناً!. ولا زالت الكنيسة الكاثوليكيَّة تَعتمد إلى اليوم طريقةِ قسطنطين مؤسِّسها في "مَسْحَنَة" النّاس من خلال تعميدهم بالماء فقط، وليس بقيادتهم إلى التَّوبة والولادة الثّانية بالماءِ والرّوح ليصيروا مسيحيّين حقيقيّين.

استمر الأباطرة الرّومان من بعد قسطنطين بتَولّي منصب الحبر الأعظم إلى أن رفضه غراتيان الّذي كان يميل إلى المبادئ المسيحيَّةِ، وقرَّرَ مَحْوهُ عن اسْمهِ في سنة ٣٧٦ لأنَّه كان قد اعتبره منصَباً وثنيّاً وتجديفيّاً. لم يتأخَّر أسقف روما حينها البابا داماسيوس الأوَّل عن تَلقُّف منصب "الحبر الأعظم" الوثني بسرعةٍ ليُصبِحَ هو بنفسه في سنة ٣٧٨ أوَّل حبرٍ أعظمٍ لديانة الوثنيَّة المُمَسْحَنَة في روما. قد يقول البعض أرِنا الدَّليل على صدق ما تقول. حسناً، إنَّ الدَّليل الّذي تطلبونه هو الصُّوَر المُرفقة أدناه الّتي تُظهِر إحدى مسكوكات أباطرة روما الوثنيَّة وهي تحملُ صورةَ أغسطس قيصر مع لقبِ الحبر الأعظم (Pontifex Maximus) ومسكوكات تُظهر باباوات روما الكاثوليكيَّة حاملين اللّقب نفسه أيضاً. فهل يوجد من دليلٍ مقنعٍ آخرٍ أقوى من هذا

الدّليل، على إنّ منصب الحبر الأعظم الوثني قد مُسْحِنَ واسْتُخدِمَ في الوثنيَّة المُمَسْحَنة أيّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة الرّومانيَّة؟. ثم عند بناء الفاتيكان في السِّنين الّتي تَلَت،

نُقِشَ لقب "الحبر الأعظم" فوق مدخل بازيليك الفاتيكان، وفوق ما يُسمّى "تمثال القدّيس بطرس"، وفي القبَّة، وفوق باب ألسَّنةِ المقدَّسة.. إلخ.

من بعدِ كلّ ما تقدَّم في هذا الفصل، أصبَحنا متأكِّدين بأنَّه كان للكنيسة الكاثوليكيَّة مقدرةٌ عظيمةٌ في مَسْحَنةِ منصب الحبر الأعظم الوثني، من خلال ربطه بالرَّسول بطرس وبآياتٍ من الإنجيل. وأمّا الآن فإنّنا سنتكلَّم عن الرُّموز والثّياب والعادات الّتي رافقت هذا المنصب الوثني وكيف أنَّها مُسْحِنَت هي أيضاً معه.

- **المفاتيح**: ارتبطت المفاتيح منذ أيّام بابل القديمة بالآلهَة الوثنيَّة، وتُظهِر الصَّورة الّتي على اليمين الإلَه الأسد البابلي حاملاً لها، بينما يَظهر في الصُّورة التي على اليَسار إلَه البدايات وحارس البوّابات جانوس صاحب الوَجْهين حاملاً المفاتيح السِّرية الّتي آمن بها شعب روما لحواليَ ألْفِ سنةٍ. وأيضاً كان إلَه الشَّمس في الدِّيانة الميثرانيَّة يُجَسَّدَ حاملاً مفتاحين في يده. وعندما أصبح الأباطرة آلِهَةٌ وفي منصب الحبر الأعظم للأسرار الوثنيَّة، أصبحت المفاتيح رمزاً لسلطتهم، وحينما أصبح "بابا روما" من بعدهم هو الحبر الأعظم، أصبح تلقائيّاً مالكاً للمفاتيح الوثنيَّة. لكن كيف استطاع أن يُمَسْحِنُها ويُبرِّر وجودها في ديانة الوثنيَّة المُمَسحَنة الّتي يترأسُّها؟ وجد الفرصةَ سانحةً أمامه لإدخال بطرس الرَّسول في هذه القصَّة، أفلم يَقُل المسيح له: "سأُعطيك مفاتيح ملكوت السَّموات..."؟(متّى١٦:١٩). ادّعى البابا حينها لتأكيد خلافته للرَّسول بطرس أنَّ المفاتيح الوثنيَّة الّتي يملكها، هي مفاتيح السُّلطة الّتي أعطاها المسيح لبطرس!. ولأنَّ الكثير من النّاس الّذين انتقلوا من الوثنيَّةِ إلى الوثنيَّةِ المُمَسْحَنةِ كانوا متأثّرينَ بالإلَه جانوس حارس البوّابات، لم يفهموا المعنى الصَّحيح للمفاتيح في المسيحيَّة الحقيقيَّة، فلذلك أصبح شائعاً بينهم تصوير بطرس الرَّسول حاملاً في يده المفاتيح الوثنيَّة - كما يَظهَر بالصُّورة المُرفَقة - وواقفاً كحارسٍ لباب السَّماء يُقرِّر من يدخل إليها ومن لا يدخُل!.

لكن من يعرف الإنجيل جيِّداً يعلم أنَّ المفاتيح الّتي أعطاها المسيح لبطرس - ولكلّ التّلاميذ الآخرين - لا تُشير إلى سلطةٍ استنسابية قائمةٍ على الحلِّ والرَّبطِ بحسب الميول والأهواء والأفكار البشريَّة - كما تصرَّفت الباباويَّةُ عبرالعصور- بل هي مأموريةٌ عُظمى أعطاها المسيح لرسلهِ، ولكلِّ الّذين سيؤمنون به حين قال: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا **بالإنجيل** للخليقة كلّها. من آمن واعتمد خَلَصَ، ومن لم يؤمن يُدَنْ" (مر١٦:١٥-١٦). إذاً وبكلِّ بساطةٍ فإنَّ المفاتيح هي **رسالةُ الإنجيل**.

خرج الرُّسل من بعد انسكاب الرّوح القدس عليهم في يوم الخمسين ليفتحوا العالم بالمفاتيح الّتي أعطاهم إيّاها المسيح، ففتَحَت المفاتيح في أماكنٍ بسبب القبول ولم تفتَح في أماكنٍ أخرى بسبب عدم القبول كما سنرى. فعندما وعظ بطرس اليهود الّذين في أورشليم بالإنجيل **قبِلوا** كلامه بفرحٍ، واعتمدوا، وانضم في ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفسٍ(أع٢:٤١). وأيضاً عندما نزل فيلُبُّس إلى مدينةٍ من السَّامرة وكان يكرز بالإنجيل لسُكّانها، صدَّقوه **وقبِلوا** كلامه المُختص بملكوت الله، واعتمدوا رجالاً ونساءً، فكان فرحٌ عظيمٌ في تلك المدينة"(أعمال ٨). وأيضاً يُخبرنا لوقا في سِفر أعمال الرُّسل، أنَّ الرَّسول بولس ذهب في عدَّةِ رحلاتٍ تبشيريَّةٍ إلى الأمم، وكرزَ لهم بالإنجيل, **فَقَبِلَ** الكثيرون منهم كلامه بفرحٍ واعتمدوا. واحدةٌ من هؤلاء "كانت امرأةٌ اسْمها ليديَّة، بيّاعة أرجوان في ثياتيرا، مُتعبِّدة لله، **ففتح** الرَّب قلبها لتُصغي إلى ما كان يقوله بولس وآمنت واعتمدت هي وأهل بيتها."(أع ١٦:١٣-١٥).

أمّا عدم القبول الّذي يُعطِّل عمل المفاتيح ويوصِل السّامع إلى الهلاك، فيرتبط مع ردَّة فعلٍ عنيفةٍ كالأذِيَّة والقتل أو يترافق مع اللامبالاة أوالاستهزاء، وللأسف فإنَّ الّذين لا يَقبَلون الإنجيل هم أكثر من الّذين يَقبَلونه، وسنذكر البعض منهم. وقف الرُّسل أمام مجمع اليهود ورئيس الكهنة وأخبروهم بالإنجيل، فلمّا سَمع هؤلاء حَنِقوا، وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم... ودَعَوْا الرُّسل وجلَدوهم وأوصوهم أن لا يتكلَّموا باسْمِ يسوع، ثمَّ أطلقوهم (أع٥:١٧-٤٢). في لِستِرة لم يَقبَل أهلها الإنجيل عندما أخبرهم بولس به، بل رجموه وجَرّوه خارج المدينة ظانّين أنَّه قد مات (أع١٤:٨) . وقف بولس في وسط أريوس باغوس وأخبر الفلاسفة اليونانيين بالإنجيل، فلمّا سمعوا كان البعض يستهزئون... وهكذا خرج بولس من وسطهم (أع١٧:٣٢-٣٣).

إذاً كما رأينا فإنَّ المفاتيح المُرتبِطة بالحلِّ والرَّبطِ تدلُّ على إيصالِ رسالةِ إنجيلِ المسيح إلى العالم أجمع، وعلى أساس قبول النَاس لها تُحَلّ خطاياهم وتزول عنهم

فيدخلون الملكوت السَّماوي، أو رفضهم لها فتبقى خطاياهم مربوطةً فيهم فيُلقَون في النّار الأبديَّة، وبالتّالي يتَحدَّد مصير الإنسان الأبدي بحسب إرادتهِ الخاصَّة وقرارهِ الشَّخصيّ.

- **الأثواب الفَضفاضة**: قد يقول قائل وما علاقةُ الثّياب الّتي يلبسها الباباوات حاليّاً بالوثنيَّة؟ في الواقع إنَّ الأثواب المُزخرفة بالذَّهب والباهظة الثّمن الّتي يرتديها الباباوات الآن، هي نسخةٌ طبق الأصل عن ثياب أباطرة الوثنيَّة الرّومان، والّتي لم يلبس مثلها المسيح، ولم يَرتدِ مثلها رسله الّذين عاشوا وماتوا فقراء، لأنَّ رجاءهم لم يكن في الأرضِ بل في السَّماء.

- **دِرع التّثبيت**: يُعرِّف "القاموس الكامل" هذا الدّرع الّذي يَظهر بالصُّورة، بأنَّه كالّذي كان يلبسه رجال الدّين الوثنيّون في اليونان وروما قديماً من قبل التّاريخ المسيحيّ. مُسْحِنَ هذا الدّرع بوضعِ صلبانٍ عليه ودُعِيَ بالباليوم في الوثنيَّة المُمَسْحنَة. يُصنَع الباليوم حاليّاً في الكنيسة الكاثوليكيَّة من الصّوف الأبيض المأخوذ من حَمَلَينِ "يُبَارَكا" خلالِ طقوسٍ مُعيَّنةٍ تُقام في عيد "القدّيسة " أغنس في روما. ومن بعد أن يوضع الباليوم الجديد على القبر المزعوم لبطرس الرِّسول في الفاتيكان لِلَيلةٍ كاملةٍ يَلبسه البابا على كتِفَيْهِ في المناسبات الدينيَّة.

- **التّاج**: لا يضع باباوات روما أبداً اكليلاً من الشَّوك على رؤوسهم لئلاَّ يشعروا بالألم الّذي أحسَّ به يسوع في يوم صلبه، بل يستعملون نوعَين مُريحَين من التّيجان الوثنيَّة بعد أن مَسحَنوهما بوضع صليبٍ عليهما. النَّوع الأوَّل الّذي يظهر بالصُّورة مُثلَّث الطّبقات مشابهٌ للتّاج الموجود على مُجسَّمات لآلِهة بابليَّةٍ وأشوريَّةٍ قديمةٍ، ومُرصَّعٌ بأغلى أنواع المجوهرات وقد قلَّد الباباوات من استعماله إبتداءً من القرن العشرين، أمّا النَّوع الثّاني فيُشبه فَمَّ السَّمكةِ المفتوح ويستعمله حاليّاً بالإضافة

إلى البابا‌وات أصحاب "النِّيافة والسِّيادة" في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وكان من المعروف قديماً أنَّ هذا الشَّكل من التّيجان كان تاج الإلَهَة سيبَل (الّتي تَظهر في وسط الصُّورة)، وتاج الإلَه داجون (الإلَه - السَّمكة) المذكور في الكتاب المقدَّس (١صمو٥:٤)، وكان يلبس تاج داجون أيضاً كبارَ كهنتهِ لتكريمهِ. يَظهر داجون على يسار الصُّورة المُرفَقة في الطَّريقة الّتي جُسِّد بها في بلاد ما بين النَّهرين، وقد أعطى عالم الآثار هنري لايارد في كتابه "بابل ونينوى" تفسيراً له على الشَّكل التّالي: "تَشكَّل رأس السَّمكة كتاجٍ على رأس الرَّجُلِ بينما تَدلَّت حراشفها مع الذّيل كعباءةٍ وراءه تاركةً رجليهِ وقدميهِ مَكشوفَةٌ". ومن بعد تطوُّر وتَغيُّر المفاهيم عبر العصور، أُزيلَ جسم السَّمكة عن رأسها وبقيت القطعة العليا كتاجٍ للرّأس مع فَكَّين مفتوحَين قليلاً. وقد ظهر تاجُ رأسِ السَّمكةِ وحدهُ من بعدما أزيلَ جسمها بالكامل عنه على مسكوكاتٍ مالطيَّةٍ وثنيَّةٍ قديمةٍ نُقِشَ عليها إلَهٌ يُشبه الإلَه أوزيريس.

**- الخاتم**: يضع البابا في إصبعه خاتماً مُذهَّباً يُدعى في الكاثوليكيَّة "خاتم الصَّياد" يُقبِّله كلّ من يزور البابا رسميّاً إن كان رئيساً لدولةٍ أو في منصبٍ آخر. يعود أصل هذا الخاتم إلى رئيس كهنة داجون بحسب الكاتب ودكتور اللاّهوت هاري أيرونسايد الَذي يقول: "إنَّ الخاتم الّذي يضعه البابا الآن في إصبعه، كان يَضع مثله الكاهن الأعلى للأسرار البابليَّة، خادم داجون (الإلَه - السَّمكة)". ولأنَّ بطرس كان صيّاداً للسَّمك فقد تمَّت مَسْحنَةُ هذا الخاتم في الكنيسة الكاثوليكيَّة بنقشِ بطرس عليه وهو يسحب الشَّبكة من الماء بالإضافة إلى نقشِ اسم البابا الّذي يحمله أيضاً.

**- المواكب ومراوح الرّيش**: ظهرت هذه المراوح في أيّام الفراعنة في مصر القديمة ليس لتحريك الهواء وحَسب، لكنَّ أيضاً كجزءٍ من الشَّعائرِ الدينيَّةِ الوثنيَّة الّتي كان فيها يُحْمَل الملك - الكاهن على الاكتاف في مواكبٍ تُقامُ لتعظيمه وتمجيده. على النسقِ ذاته، حُمِلَ البابا‌وات في روما على الأكتاف في مواكب لتعظيمهم وتمجيدهم ووُضِعت بجانبهم المراوح الوثنيَّة على الطّريقة الفرعونيَّة المصريَّة!. وفي مقارنةٍ بسيطةٍ ما بين صُوَرة المواكب والمراوح الوثنيَّة المصريَّة، وصُورة المواكب

والمراوح الكاثوليكيَّة الرّومانيَّة، يتبيَّن لنا بدون أدنى شكّ أنَّ الثّانية هي نسخةٌ طبقُ الأصلِ عن الأولى.

- **الصَّولجان**: على العكسِ من المسيح ورُسله، فقد حمل آلِهَة وملوك وسلاطين الأرض الوثنيّين الصَّولجان كرمزٍ لقوَّتِهم وسلطانِهم وتسلُّطِهم على أتباعهم أو عبيدهم من النّاس. الصَّولجانُ كنايةٌ عن عصاً مستقيمةٍ يوضع على قِمَّتها رمزٌ من الرُّموز العائدة للشَّخص الّذي يحملها، أو قد تكون أحياناً معقوفة الرّأس. كان الصَّولجان معروفاً لدى الفراعنة في مصر منذ القِدم ويُسمّى صولجان الإله آمون، وقد حَمَله الآلِهَة والملوك والملكات والكهنة المصريون. وتَدلُّ بعض الرُّسومات القديمة بأنَّ الآلِهة اليونانيين كانوا يحملونه أيضاً. في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة حَمَل الأباطرة الرّومان الصَّولجان بعدما وضعوا على قمَّتهِ نسراً ذهبيّاً. مُسْحِنَ الصَّولجان في الوثنيَّة المُمَسحنَة بوضعِ صليبٍ على قمَّتهِ وبتسميتهِ "عصا الرّاعي"، وأصبح يُحمَل من البابا وكبار أساقفتها تَشبُّهاً بالأباطرة الرّومان وكدليلٍ على تَسلُّطهم وسيادتهم على أتباعهم من النّاس، مع أنَّ هذا النّوع من التَّسلُّطِ كان قد رفضه المسيح واعتَبرهُ من أشنع الخطايا. تُظهر الصُّوَر التّالية صَولجان الإله آمون الفرعوني، وصَولجان أغسطس قيصر الرّومانيّ، وصَولجان "البابا" الكاثوليكيّ.

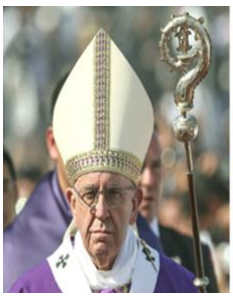

قال الرَّب يسوع في عظته على الجبل وهو الوازن الحكيم لكلماته الّتي تَتعلّم منها الأجيال: "احترزوا من الأنبياءِ الكَذبةِ الّذين يأتونكم بثياب الحُملانِ، لكنَّهم من داخل ذئابٌ خاطفةٌ! **من ثمارهِم تَعرِفونَهُم**... هكذا كلُّ شجرةٍ جيِّدةٍ تصنع أثماراً جيِّدةً، **وأمّا الشَّجرةُ الرَّديَّةُ فتصنع أثماراً رديَّةً** (متّى٧:١٥-١٧). واذا قارَنَّا كلماته هنا مع شخصياتِ وأخلاقِ وسلوكِ وأعمالِ العديد من باباوات الكنيسة الكاثوليكيَّة الفاسدين، نجد بأنَّها تنطبق عليهم وعلى ثمارهِم الرَّديَّةِ. وسنضع أمام القارئ بعضاً من هؤلاء الباباوات الّذين أفسدوا في الأرض بأعمالهم الرَّديَّة بسبب الخطايا الّتي اقترفوها مثل قتلِ بعضهم بعضاً، وقتلِ الأفراد والجماعات، والزِّنى والشُّذوذ الجِنسي والاغتصاب وسفاح القربى، والسُّكْر وممارسة السِّحر والسّيمونيَّة (شراء المناصب الدينيَّة بالمال)، لدرجةِ أنَّ النّاس غير المتديّنين كانوا خَجلين منهم. وإذا ربطنا هذه الخطايا مع كلِّ شخصٍ ادّعى بأنَّه "خليفة بطرس" أو "نائب المسيح" على الأرض يكون الرَّبط مثيراً للاشمئزاز.

- امتلك البابا سرجيوس الثّالث (٩٠٤-٩١١) المنصب البابويّ بعد أن قَتل سَلِفَيْه، وتُخبِر سجلّات الكنيسة الكاثوليكيَّة عن خطيئته الفاضحة مع عشيقته ماروزيا الّتي يُلقِّبها المؤرِّخون بعاهرة الباباوات، والّتي وَلَدَت له عدَّة أولاد غير شرعيين. وصفَ بعض الكتّاب سرجيوس بالوحشِ والمُجرم المُرعب، وكتَب عنه أحد المؤرِّخين ما يلي: "احتلَّ هذا الرَّجل كرسيّ بطرس على مدى سبع سنينٍ برفقةِ خليلته وأمّها تيودورا اللَّتينِ تَحكَّمتا بالمركز البابويّ لعدَّة سنين لاحقة حيث كانت الكلمة الأولى لهما في اختيار الباباوات. ابتدأ مع حكم هذا البابا ما عُرِف بعصرِ "حكم العاهرات" الّذي دام من سنة ٩٠٤ إلى سنة ٩٦٣ بسبب أنَّ تيودورا شغلت كرسي البابا مع أولادها غير الشرعيين وحوّلوا القصر الباباوي إلى وكرٍ يسكنه اللّصوص".

- كان البابا يوحنّا العاشر (٩١٤- ٩٢٨) رئيسَ أساقفةٍ حين أتت به تيودورا من مدينة رافينا وعيَّنته في المنصب الباباوي لكي تُغطّي علاقتها غير المشروعة معه. لكن لم تدُم مدَّة حكمه طويلاً لأنَّ ماروزيا قتلته خنقاً لأنَّها أرادته خارج الطّريق ليُصبح الابن الشَّرعي لسرجيوس الثّالث، البابا ليو السّادس، لمدَّةِ سنةٍ واحدةٍ فقط، لأنَّ ماروزيا أيضاً قتلته حين علمت بأنَّه قد أعطى قلبه لإمرأةٍ ساقطةٍ أكثر منها!.

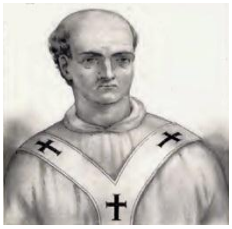

- عندما كان حفيد ماروزيا بعمر الثّمانية عشر أصبح البابا يوحنّا الثّاني عشر (٩٥٥-٩٦٤)، وقد وَصَف مجمع اللاتران حياة هذا البابا كماخورٍ مملوءٍ بالفساد اللاأخلاقي. انعقد مجمعٌ كنسيٌّ مؤلَّفٌ من خمسين أسقفاً إيطاليّاً وألمانيّاً في المقرِّ الباباوي واتَّهموا يوحنّا بتدنيس المُقدَّسات والسّيمونيَّة والحَنث باليمين والقتل والزِّنى وسفاح القربى. وكردَّة فعلٍ على اتِّهامهم له ومحاولتهم انتخابِ بابا آخرَ غيره، أعلن الحَرم الكنسي ضدَّهم وانتقم منهم دمويّاً. ويكتب عنه المؤرِّخ الكاثوليكي الأسقف ليوتبراند الّذي عاش في ذلك العصر التّالي: "لم تتجرأ أيَّةِ امرأةٍ شريفةٍ أن تُظهِر نفسها في الأماكن العامَّة، لأنَّ البابا يوحنّا كان لا يحترم الفتيات العازبات ولا النِّساء المتزوِّجات أو الأرامل، وكنَّ يعرِفنَ أنَّه سيعتدي عَليهُنَّ ويُدَنِسَهُنَّ ولو على قبر الرَّسولين بطرس وبولس". وفي سنة ٩٦٤ قُتِلَ يوحنّا الثّاني عشر وهو يغتصب إحدى السَّيدات في ضواحي روما، وكان القاتل زوجها!.

- حافظ البابا بونيفايس السّابع (٩٨٤-٩٨٥) على منصبه الباباوي عبر توزيعٍ مُسرفٍ للأموال المسروقة، وقد وصفه أسقف أورلييانز(ومعه البابا يوحنّا الثّاني عشر والبابا ليو الثّامن) بأنَّهم وُحوشَ القتلِ والإجرامِ، وتفوح منهم رائحةَ الدَّم والقذارة، ويُشبِهون المسيح الكذّاب الجالس في هيكل الله. وتقول الموسوعة الكاثوليكيَّة عنه: "أنَّه قَبض في سنة ٩٨٤ على سَلفهِ يوحنّا الرّابع عشر ووضعه داخل زنزانات سان أنجلو حيث مات بعد أربعة أشهر بسبب الجوع. ومن بعدما احتملت روما لأكثر من سنةٍ هذا الوحش الّذي سفك دم أسلافه، قُتِلَ وجُرَّت جُثَّته في الشَّوارع لإهانته، ثم رُمِيَت عاريَةً ومشوَّهةً تحت تمثال ماركوس أوريليوس".

- جاء البابا بندكتوس التّاسع (١٠٣٣-١٠٤٤) بواسطةِ صفقةٍ ماليَّةٍ مع العائلات وهو في سنِّ الخامسة عشرة. إقترف بندكتوس جرائم القتل والزِّنى واللّواط في وضح النَّهار، وسرق الحجّاج على قبور الشُّهداء بطريقةٍ شائنةٍ، مِمّا دفع بالنّاس بأن تُجبره على ترك روما. تقول عنه الموسوعة الكاثوليكيَّة: "كان شيطاناً بثيابِ كاهنٍ, ووصمةَ عارٍ على كرسيِّ بطرس".

- وُجِّهَت كثرةً من التُّهم إلى البابا بونيفايس الثّامن(١٢٩٤-١٣٠٣)، وتقول عنه الموسوعة الكاثوليكيَّة ما يلي: "نادراً ما أُهمِلَت إحدى جرائمه من الخيانة والبدعة والزِّنى والسّيمونيَّة والفجور واللاأخلاقية والسِّحر وقتلِ سلفه سالستينوس". (من الجدير ذكره هنا أنَّ سالستينوس مات قتلاً بدقِّ مسمارٍ في رأسه - يَظهر أثَرهُ في جمجمته بالصُّورةِ المُرفَقة-). أيضاً يعترف الكتّاب الكاثوليك بما أسموه بإنفجار العُنف والأسلوب الهجومي في شخصيَّة بونيفايس من خلال إعلاناته، لأنَّه أعلن مرَّة بإنَّ استمتاعه بالإضطجاع مع إمرأةٍ أو حتّى مع أولادٍ ليس بخطيَّةٍ، وإعلانه في مناسباتٍ أخرى بأنَّه مُلحِداً واصفاً المسيح بالمُنافق!. خلال مدَّة حكم بونيفايس الثّامن زار الشّاعر المعروف دانتي أليغيري روما ووصَف الفاتيكان بأنَّه "بالوعة الفساد"، كما وَصفَ بونيفايس مع اثنين آخَرين من الباباوات كأدنى دركاتِ الجحيم.

- خلال مجمع كونستانس، كان ثلاثة أو أربعة باباوات يشتمون بعضهم بعضاً كلّ صباح، بتعابيرٍ مثل عدوِّ المسيح، والشَّيطان، وزانٍ، وسادومي، وعدوِّ الله والإنسان. وكان أحد هؤلاء الباباوات يوحنّا الثّالث والعشرين (١٤١٠- ١٤١٥) الّذي أُدين بشهادةِ ٣٧ شاهداً (معظمهم من الأساقفة والكَهنة) بالفسق، والزِّنى، وسفاح القربى، والسّادوميَّة، والسّيمونيَّة، والسَّرِقة والقتل. وقد تَثبَّت من الشَّهود بأنَّه أغوى واغتصب ثلاث مئةِ راهبةٍ.

- كان البابا بيوس الثّاني (١٤٥٨-١٤٦٤) أباً للعديد من الأولاد غير الشَّرعيين، وكان يتكلَّم بصراحةٍ أمام الشَّباب عن الطُّرق الّتي يستخدمها لإغواءِ النِّساء ليُعلِّمهم طُرق الإنغماس في الشَّهوانيَّة. ثم خَلَفه البابا بولس الثّاني (١٤٦٤-١٤٧١) الّذي كان ينام في النَّهار أمّا في اللّيل فكان يُمارس الشُّذوذ الجنسي مع خِلّانه في غرف الفاتيكان الفاخرة وقد فاقت قيمة وزن تاجه الباباوي المُثلَّث قيمة قصرٍ كبيرٍ.

- كان البابا إينوسنت الثّامن (١٤٨٤-١٤٩٢) والداً لستَّة عشر ولداً من عدَّة نساء!. ضاعف إينوسنت المراكز الكنسيَّة وباعها بمبالغَ ماليَّةٍ ضخمةٍ وسَمح برياضة مصارعة الثّيران في ساحة الفاتيكان.

- إمتَلكَ البابا اسكندر السّادس (١٤٩٢-١٥٠٣) منصبه بعد أن قدَّم رشوةً كبيرةً للكرادلة لينتخبوه. عندما كان اسكندر كاردينالاً ورئيسَ أساقفةٍ عاش في الخطيَّة مع سيِّدةٍ رومانيَّةٍ تُدعى فانوزا كاتاني ومع ابنتها روزا الّتي أنجب منها خمسةَ أولادٍ. يَعتبِر الكثيرون أنَّ اسكندر السّادس هو المُفسد الأسوأ للنَّهضة الباباويَّة لأنَّه عاش في علاقة سفاح القربى مع أختَيهِ ومع ابنته لوكريتيا الّتي أنجبت منه ولداً. في الواحد والثّلاثين من شهر تشرين الأوَّل من عام ١٥٠١ أقام اسكندر طقوسِ عربدةٍ جنسيَّةٍ في الفاتيكان لدرجة إنَّ انحرافه المُرعِب لم يُدوَّن مثله في سِجلّات التّاريخ الإنساني.

- وُلِد البابا ليون العاشر (١٥١٣-١٥٢١) في سنة ١٤٧٥، وفي سِنِّ الثّامنة عُيِّن رئيسَ دير، وفي سِنِّ الثّالثة عشرة كاردينالاً. كان البابا ليون شاذّاً جنسيّاً منذ صغره لأنَّه تَنقَّل منذ طفولته بين أديارٍ كان فيها الكثير من الشُّذوذ الجنسي، وكان يُعاني من القروح الشَّرجيَّة بسبب ممارساته الجنسيَّة الشّاذة. ولكي تُلَطِّف الموسوعة الكاثوليكيَّة فظاعة تَصرُّفاته قالت عنه: "إنّ البابا ليون لم يَكُن يملك القُدرةَ على كبحِ جماح نهمه للألعاب والتَّسليات الّتي كان يُعدِّها بإسرافٍ وكَثرةٍ، وقد أقام الكثير من المآدِب الباذخةِ المُترافقةِ مع العربدةِ والإسرافِ في شربِ الخمر".

عندما كان مارتن لوثر لم يزل كاهناً في الكنيسة الكاثوليكيَّة سافر مرَّةً إلى روما، وعندما لَمحَ المدينة المَبنيَّة على سبعِ تلالٍ من بعيدٍ، شعر بالرَّهبة وسقط على الأرض وقال: "روما المقدَّسة، أنا أُحَيّيكِ". لكنَّه لم يُمضِ فترةً طويلةً فيها، حتّى رأى أنَّ روما هي كلّ شيءٍ ما عدا مدينةً مُقدَّسةً. فلقد رأى أنَّ الشُّرور والآثام كانت موجودةً عند كلّ درجات الإكليروس، ومِنها أنَّ الكهنة كانوا يتكلَّمون بالنِّكات البَذيئة حتّى خلال القدّاس، وكانت توجد في القصر البابابوي إثنتا عشرة فتاةً عارياتٍ لخدمة

المائدة. فقال لوثر حينئذٍ : "إنَّ من سَمِعَ ليس كَمَن رأى، وإن كان الجحيمَ موجوداً، فإنَّ روما قد بُنِيت عليهِ".

بعدما تكلَّمنا عن فجورِ الباباويَّة سنتكلَّم الآن عن إجرامها ووحشيتها اللّذَين تجلَّيا في أبشع طريقتين اتَّبعتهما خلال تاريخها الدَّموي، الّذي دام حوالي سِتِّ مئةِ سنةٍ. الطّريقة الأولى كانت ما سُمِّيَت بمحاكم التَّفتيش الّتي ابتكرتها بقصدِ هَتْكِ عَرضْ وتعذيب وسحق وحرق وقتل من سَمَّتهم "الهراطقة" (أي المؤمنين الحقيقيّين بالمسيح الّذين لم يوافقوا على تعاليمها المُضادَّة لتعاليم الإنجيل) الَّذين اضطهدتهم بعنفٍ بكلِّ أنواع التَّعذيب والتَّنكيل بأوامرَ مباشرةٍ من الباباوات المُفْترَض فيهم - كما يَدَّعون- أن يكونوا نوّاباً ومُمثِّلين للمسيح يسوع إله المحبَّة والمُسامحة والسَّلام، والّذي دعا إلى محبَّةِ الآخرين والعيش بسلامٍ معهم. أمَّا الطّريقة الثّانية فكانت الحروب الصَّليبيَّة الّتي تمَّ فيها الهجوم على "الهراطقة" لإبادتهم، وأيضاً تمَّت دعوةِ الملوكِ والأمراءِ إلى حشدِ النّاسِ وقيادتِهم تحت راياتٍ رُسِم عليها صليب (كما فَعل قسطنطين من قبل) ليقتلوا الأرثوذكسيّين غير الخاضِعين للباباويَّة الرّومانيَّة في الشَّرق، كما لقتل المُسْلِمين بحجَّةِ استرداد ما سمّوها "الأراضي المُقدَّسة" منهم.

تَفنَّنت الكنيسة الكاثوليكيَّة في محاكم التَّفتيش في استعمالِ أدواتٍ وأساليبِ التَّعذيب لكي تُسبِّب الألم الرَّهيب الّذي يفوق كلّ تَصوُّرٍ للّذين يُراد تَعذيبهم ثم قتلهم من الّذين اعتبرتهم "هراطقة". ولضيقِ المجال، سنذكر عدداً قليلاً من تلك الأدوات ومن أساليب التعذيب، ولكُم أن تَتخيَّلوا كم سبَّبَت من معاناةٍ فاقت كلّ التَّصورات لمئات الآلاف من الضَّحايا المساكين.

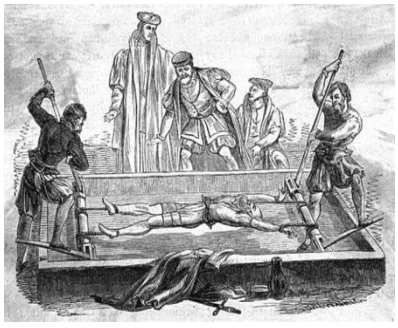

**- المُخَلِّعَةُ**: جرى تصميم هذه الأداة بغرضِ خَلع وتَمزيق كلّ جزءٍ من جسد الضَّحية الّذي كان يتم ربطه - أو ربطها- من المَعصمين والكاحلين ثمَّ تَتمّ إدارة البَكرات الموجودة عند طرف المخلِّعة في اتِّجاه معاكسٍ وببطءٍ، ممّا يؤدّي إلى شدِّ الجسم وتمديده لدرجةٍ فظيعةٍ حتى تَتقطّع الأوصال وتتمزَّق العضلات وتنفجر الأوعية الدَّموية، مُسبِّبَةً للآلام الرَّهيبة.

- **العذراءُ الحديديَّة**: كانت أداةً مُجوَّفةً على شكلِ امرأةٍ كما تُرى بالصُّورة، وتحتوي في داخلها على مساميرٍ طويلةٍ، وعند إغلاقها على الضَّحية الموجود في داخلها، يتمزَّق جسده بسبب معانقتها القاتلة. وكانت أداة التَّعذيب هذه مرشوشةً "بالماء المقدَّس" ومنقوشٌ عليها باللاتينيَّة "المجد للرَّب وحده"!.

- **ساحقةُ الرأس**: تُعرَف هذه الأداة من اسْمِها إذ كان يوضع رأس الضَّحية تحت اللّولبِ الّذي يُديره الجلّاد ببطءٍ بهدف الضَّغط تدريجيّاً على الرأس ليتحطَّم الفكّ والأسنان أولاً، ثمَّ محاجرِ العيون والجمجمة، وكثيراً ما كانت العيون تقفز من محاجرها على الطّاولة أثناء جلسات التَّعذيب.

- **كرسي الإعتراف**: هي عبارةٌ عن كرسيٍّ من الحديد وُزِّعَت المسامير الكبيرة على كامل أجزائه لتَنْغرز في جسمِ الشَّخص الجالس عليه بعد أن يتمَّ شدُّهُ عليها بواسطة الأحزمة، وفي كثيرٍ من الأحيان كان يتمَّ تَحْمِية الكرسي بالنّار لتُحدث ألماً وضرراً أكبرَ بالضَّحية الجالس عليه.

- **مقلاع الثّدي**: كان يتمّ توثيق المرأة إلى الكرسيِّ، ثم تُغَرز هذه الأداة بإحكامٍ في ثديها، ويتمّ شدَّها بقوَّةٍ وقسوةٍ حتّى يتمزَّق الثّدي ويُقتَلع من مكانه وتَبرز عظام القفص الصَّدري.

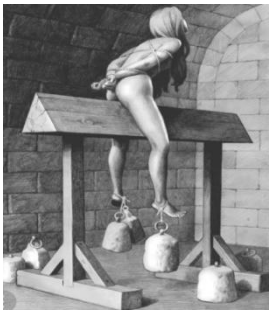

- **الحمار الإسباني**: قد يظنّ البعض من اسمه أنَّه حمارٌ يُستعمَل للنَّقل، لكنَّه في الواقع كان أداةً تُستخدَم للقَتل. كان هذا "الحمار" عبارةً عن قطعة حديدٍ على شكل **V** بالمقلوب وهي حادّةٌ جداً وقاطعةٌ. وبعد أن يَمتطيه الضَّحية تُربط الأثقال أسفل قدميه حتى تَشُدَّه إلى الأسفل، ويبقى على هذه

الحال حتّى ينشطر إلى قِسمَينِ، وقد يستغرقُ الأمرُ أكثر من أسبوعٍ نظراً لأنَّ الأمرَ كان يَتمّ ببطئٍ شديدٍ.

- **الشَّوكة**: لم تكن هذه الشَّوكة لتَذَوُّق الطّعام بل لتَذوُّق أقسى أنواع الآلام، إذ كان يُغرَز الطّرف الأوَّل لهذه الأداة تحت الذّقن، بينما يُغرَز الطّرف الثّاني أعلى القفص الصَّدري ويُربَط الحزام الجِلدي حول الرَّقبة بإحكام, وذلك حتّى يُشَلّ رأس الضَّحية عن الحركة ويبقى لساعات يَئنَّ تحت وطأة الألم الشَّديد.

أيضاً من أساليب التَّعذيب الّتي ابتكرها الّذين قرَّروا إبادة كلّ من يعارض تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة كانت أن يَتمَّ الإمساك بالمُعارضين، وبعد تعريتهم بالكامل تُربَط أيديهم وراء ظهورهم بحبلٍ، وتُعلَّق أثقال في أرجلهم، ثم بواسطةِ رافعةٍ يُرفَعون في الهواء ويُنْزَلون بحركةٍ سريعةٍ ومتكرِّرةٍ ممّا يُسبِّب التَّخلُّعُ في أوصال أجسادهم. وعندما كان يُمارَسُ هذا النَّوع من التَّعذيب، كان الكهنة يقفون حاملين صلباناً في أياديهم ويَدْعون "الهراطقة" للتَّخلّي عن معتقداتهم.

أيضاً سُكِب الرَّصاص المَصهور في آذانِ وأفواهِ الّذين عارضوا تعاليم الباباويَّة، وقُلِعت أعينهم من محاجرها، ونُزِعَت أظافرهم بالكمَّاشة، وكُسِّرَت أصابعهم بما تُسمّى "كسَّارة الأصابع"، وحُطِّمت أقدامهم بما تُدعى "الأحذية الإسبانيَّة"، وجُلِدوا بطرقٍ وحشيَّةٍ، ونُشِروا بالمنشار نُصفَين بعد أن عُلِّقوا بأرجلهم كما نرى في الصُّوَرة التَّوضيحيَّة المُرفَقة. دُفِع البعضُ منهم من أماكنَ عاليةٍ ليسقطوا على مساميرَ مُثبَّتةٍ في الأسفل تُسبِّب لهم الإرتعاشَ من الألم ثم الموت البطيء. أمّا في اللّيل فكانت تُربط ضحايا محاكم التَّفتيش على الأرضِ عاريةٍ وتُدهَن أعضاؤها التناسليَّة بمادةٍ مُثيرةٍ لشهيِّةِ الجرذان الّتي تَسكن حُجرات التَّعذيب... طبعاً الباقي معروفٌ ولا داعي لإكمال الوصف.

في العام ١٥٥٤ إعتُقِلَ فرنسيس غامبا اللّومباردي وحُكِم عليه بالموتِ في محكمةِ ميلان بسبب إيمانه المسيحي وقناعاته الإنجيليَّة. وفي مكان الإعدام قدَّمَ إليهِ أحدُ الرّهبان صليباً فقال له غامبا: "إنَّ قلبي ملآنٌ من محبةِ وفضائلِ وصلاحِ المسيح، ولا أحتاجُ إلى قطعةٍ من خشبٍ لتُذكِّرني بهِ". ولأنَّهُ قال هذا الكلام، قُطِع لسانه وأحرِقَ حتّى الموت. لم يكن غامبا هو الشَّخص الوحيد الّذي أحرقته الباباويَّة، لأنَّ عشرات الألوفِ من قبلهِ ومن بعدهِ كان مصيرهم الموت حرقاً بقراراتٍ من الباباوات.

لم يكتفِ باباوات روما بقتل "الهراطقة" كأفرادٍ بعد تعذيبهم، لكنَّهم قرَّروا أيضاً إبادتهم كجماعاتٍ، فأرسلوا عليهم حملاتٍ صليبيَّةً مُتتاليةً عبر السِّنين، مؤلَّفةً من أفرادٍ يحملون صكوكَ غفران للخطايا تُجنِّبُهم عذاب المطهر وتَعِدُهم بدخول السَّماء. فقام الصَّليبيون على إثرها بالتَّنقل من بلدةٍ إلى بلدةٍ ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ، أقدموا خلالها على ارتكاب مجازرَ وحشيَّةٍ جَماعيَّةٍ، نذكر منها مجزرة بيزييه الفرنسيَّة الّتي أمر بها البابا إينوسنت الثّالث في سنة ١٢٠٩، والّتي قُتِل فيها بالسَّيف أكثر من عشرين ألفَ شخصٍ من الكِبار والصِّغار في يومٍ واحدٍ، حتّى تدفَّق الدَّم في كلِّ شوارعها. في سنة ١٢١١ شَنق الصَّليبيون الحاكم في مدينة لافور ورموا زوجته في بئرٍ وسحقوها بالحجارة، كما أحرقوا أربع مئةِ شخصٍ أحياء، وفي صباحِ اليومِ التّالي حضَروا قدّاساً احتفاليّاً أكملوا بعده احتلالَ مدنٍ أخرى ليُسقِطوا مئة ألف قتيل من الألبيجيّين في يومٍ واحدٍ، ثمَّ كدَّسوا جثثهم بعضها فوق بعضٍ وأحرقوها. أثناء مذبحةِ الولدنسيين في مدينة ميريندول شمال إيطاليا، سَجن الصَّليبيون خمس مئةِ إمرأةٍ في مخزنٍ بعد اغتصابهنَّ بدون رحمةٍ، وأشعلوا النّيران تَحتهُنَّ، وكانت إذا قفزت إحداهنَّ من النّافذة تقعُ على رماحٍ موضوعةٍ في الأسفل. كما قتلوا الأولاد أمام أعين والديهم الّذين لم يكن لديهم القدرة لحمايتهم، وقذفوا البعض من النّاس من على الجُرُفِ، والبعض الآخر عرّوهم من ثيابهم وجرّوهم في الشَّوارع. استُعِملت الأساليب ذاتها في مذبحة أورانج في سنة ١٥٦٢ اذ أُرسِل الجيش الإيطالي بأمرٍ من البابا بيوس الرّابع ليَذبَح الرِّجال والنِّساء والأطفال، فنُفِّذ الأمرُ بوحشيَّةٍ رهيبةٍ اذ تَعرَّض النّاس للعارِ والتَّعذيب والقتلِ بصورةٍ تفوق كلَّ وصفٍ وتَصوُّرٍ. وفي سنة ١٥٧٢ قُتِل عشرات الآلاف من بروتستانت فرنسا بحدِّ السَّيف خلال المذبحة الدَّمويَّة في باريس في عيد "القدّيس" بارتلماوس، فتلقّى المقر الباباوي هذا الخبر بفرحٍ عظيمٍ، وأمر البابا غريغوريوس الثّالث عشر بإطلاق المدافع ابتهاجاً، وذهبَ في موكبٍ عظيمٍ إلى "كنيسة القدّيس لويس" ليُقيم قدّاس الشُّكر!!.

مات النّاس بالملايين بسبب محاكم التَّفتيش والحَملات الصَّليبيَّة الّتي أمر بها باباوات الكنيسة الكاثوليكيَّة عبر العصور، فلذلك يعمل الباباوات الحاليّون جاهدين على إزالتها من الذّاكرة الإنسانيَّة من خلال الإعتذار وطلب الغفران عنها من الكنائس الّذين كان أسلافهم من ضحاياها، أو من الدِّيانات الّذين كان أتباعهم من قتلاها. لكن حتّى ولو استطاع البابوات الحاليّون أن يمحوا ذِكرى جرائم أسلافهم من الذّاكرة الإنسانيَّة، لكنَّهم لن يستطيعوا مَحوها من الذّاكرة الإلهيَّة، لأنَّ لا شيءَ مِمّا يفعله الإنسان في حياته على الأرض أكان خيراً أم شرّاً، سَيُمحى من أمام الله الدَّيان، بل سيُحاسَبَ عليه، أكان سيِّداً آمِراً أو عبداً مأموراً. فلذلك لا يظنَّ أحدٌ بأنَّ تلك الحقبةِ السَّوداء من تاريخ الباباويَّة هي صفحةٌ وانْطَوت، أوخطيَّةٌ وغُفِرَت، أو خطأ نُسِيَ وإنمحى، لأنَّ ذكراها ستبقى خالدةً في الجحيم الأبدي في ذاكرةِ الّذين أمَروا بها كما في ذاكرةِ الّذين نَفذّوها.

رسمٌ يُمثّل محاكمة البابا الميّت فورموزا

قبل أن ننتقل في موضوعنا هذا إلى مكانٍ آخر، نتوقَّفُ عند واقعةٍ غريبةٍ جداً حصلت في باباويَّة روما لم يُسمَع عن مثيلٍ لها في كلِّ التّاريخ البشري. هذه الواقعة تستحق أن نتوقَّف عندها لأنَّها تُري الدَّرْك الّذي انحدرت إليه الباباويَّة، وتُظهِر مستوى الحِقد والكراهيَة والجُنون الّذي وصل إليه البعض من باباوات الكنيسة الكاثوليكيَّة.

من المعروف في المَحاكم الدُّنيويَّة في كلِّ العالم أنَّها تُحاكِم وتدين الأحياء، لكنَّ المحكمة الدينيَّة الّتي أنشأها وترأسَّها البابا اسطفان السّادس في سنة ٨٦٩، حاكَمَت وأدانت بطريقةٍ مُرعِبةٍ سَلَفه البابا فورموزا، الّذي كان قد مات منذ ما قبل إنشاء هذه المحكمة بثمانيةِ أشهُرٍ!. وفي تفاصيل ما جرى، فإنَّ جثمان فورموزا اسْتُخرِج من القبرِ بحسب أوامر البابا اسطفان، وأُلْبِسَ الحُلَّةَ الباباويَّةِ، وأُجْلِسَ على العرش الباباوي، ووُضِع التّاج الباباوي على جمجمته والصَّولجان الباباوي في يده اليمنى. ابتدأت المحاكمة في وقتٍ كانت رائحةَ الجثمان النَتِنة تفوح في قاعة المحكمة، فقام البابا اسطفان باستجواب البابا المَيِّت الّذي ولأنَّه لم يُعطِ أيَّة إجاباتٍ عن التُّهم المُوَجَّهة إليهِ، وُجِد مذنباً كما اتُّهِمَ. فمزّقوا الثّياب الفاخرة عنه، ونزعوا التّاج عن جمجمته، وقطعوا ثلاثة من أصابع يده اليمنى الّتي كان يستعملها ليُعطي "البَركة البابويَّة".

ثمَّ سُلِّمَت جُثّته إلى جماعةٍ من الأوباش، فَجَرّوها وراءَ عربةِ خيلٍ في شوارع روما، ورموها أخيراً في نهر التّيبر.

تكلَّمنا عن أعمال الباباويَّة الّتي فاقت كلَّ تصوُّرٍ والآن سنتكلَّم عن ثرواتها الّتي تفوقُ كلَّ خيالٍ، وهي تشمل ليس كلّ البلدان وحسب لكن كلَّ القارات أيضاً. فمثلاً يَدخل إلى الفاتيكان أكثر من عشرةِ ملايين سائحٍ وحاجٍّ سنويّاً، يدفع كلُّ واحدٍ منهم حوالي ثلاثين يورو كرسمِ دخولٍ لمُشاهدتهِ من الداخل. فإذا قمنا بعمليَّةٍ حسابيَّةٍ بسيطةٍ يكون مدخول الفاتيكان السَّنوي من على أبوابه فقط ثلاث مئة مليون يورو!!. عندما طُلِبَ مرَّةً من أحدِ المسؤولين في الفاتيكان أن يُعْطيَ ولو تقديراً نسبيًّا لثروات الكنيسة الكاثوليكيَّة الّتي لا تُحَدَّ، ردَّ بجوابٍ مُقتَضبٍ لكن مُعَبِّرٍ جداً: "الله وحده مَنْ يَعلَم ذلك". كلام هذا المسؤول جاء واقعيّاً لأنَّه بالفعل لا البابا ولا أيِّ شخصٍ آخرٍ يستطيع أن يعرف المقدار الحقيقي لثروات الكنيسة الكاثوليكيَّة الّتي كدَّستها عبر العصورِ بكافة الطُّرق، لأنَّها تَتحرَّك بسرعةٍ صعوداً ونزولاً في استثمارات ضخمةٍ وسِرِّيةٍ في كافة المجالات التِّجاريَّة والصِّناعيَّة والماليَّة العالميَّة، والّتي تَتَضمَّن البورصات والمصارف والمعامل والشَّركات والعقارات والمباني، عدا عن امتلاكها لكمِّياتٍ كبيرةٍ من الكنوز، وعملاتٍ وسبائكَ من الذّهب الصَّافي، يُضاف إليها الأموال المُجمَّدة في البنوك الّتي يستطيع أيٌّ كان أن يَطَّلِع على الضَّئيل من تفاصيلِ أرقامها المُعلَن عنها على شبكة الإنترنت، هذا في الوقت الّذي يتكلَّم فيه الباباوات وكلّ طبقات الإكليروس التّابعين لهم عن ضرورةِ العيش في نَذْرِ الفقر ونكرانِ الذّات ورفضِ المَلذّات!!. وعلى الرُّغم من أنَّ الرَّسول بطرس لم يذهب إلى روما في حياته كلّها كما رأينا، فقد بَنَت الكنيسة الكاثوليكيَّة فيها كاتدرائيَّةٌ ضخمةٌ تفوق بعظمتها أغلى قصور قياصرة الأرض أسمتها "كاتدرائيَّة القدّيس بطرس"، وأقامت أمامها ساحةً كبيرةً تسع لآلاف الأشخاص أسمتها "ساحةَ القدّيس بطرس"، ووضعت فيها عرشاً أسمته "كرسيّ القدّيس بطرس" يتفوَّق بأبَّهتِه على أبَّهةِ كلِّ عروشِ ملوكَ الأرض، وحفرت فيها قبراً أسمتهُ "قبرُ القدّيس بطرس" زعمت أنَّهُ يحتوي على رفاتِ الرَّسول بطرس، كما وأجْلَست فيها تمثالاً أسوداً أسمته "تمثال القدّيس بطرس" تأتي اليه النّاس لِتَلمِس رِجْله الّتي ذابت لِكثرةِ لَمسِها بهدفِ أخْذِ "بَركَة القدّيس بطرس"!.

" كاتدرائية القدّيس بطرس " من الخارج والداخل

" تمثال القدّيس بطرس"

" كرسي القدّيس بطرس"

" قبر القدّيس بطرس"

لكن هنا نسأل ما هو الهَدَف من كلِّ هذا التَّرَف؟ أليسَ للأبَّهَة والعظمة أمام النّاس ولِجَني الأموال منهم فقط؟، وأين الرَّسول بطرس من كلِّ هذا الذَّهب ومن كلِّ هذا الغِنى، ومن كلِّ هذه العَظَمةِ المُزيَّفةِ والفانيةِ ؟ الجواب هو التّالي:

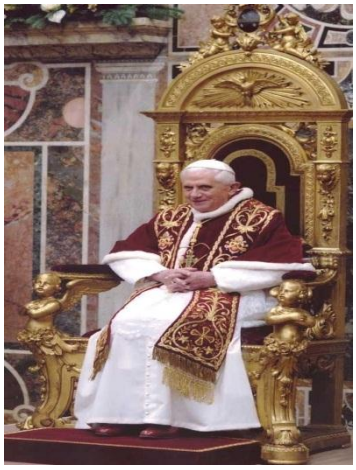

عندما رأى الأعرج الّذي كان يستعطي عند باب الهيكل الرَّسولين بطرس ويوحنّا سأل ليأخذَ صَدقَةً. تفرَّس فيه بطرس وقال له: "ليس لي فضَّةٌ ولا ذَهَبٌ..."(أعمال٣:٦). فكم يبدو الفارق بعيداً والواقعِ غيرَ مُتطابقٍ، بين بطرس الفقير الّذي كان خُبزه كفافَ يومه والّذي كان كُرسيَّه من خشبٍ، وبين السُّلالة الفاحشة الثّراء الّتي تدَّعي خِلافَته وتجلس على كراسٍ من ذهبٍ!. وكم يبدو الفارق كبيراً جدّاً بين ابن الإنسان الّذي لم يَكُن له مكانٌ ليسند رأسهُ(متّى٨:٢٠) وبين باباوات يدَّعون بأنَّهم نُوّابه

على الأرض وينامون على أسِرَّةٍ من ذَهبٍ!. ألا يدلّ هذا الفارق على أنَّ إدِّعاء الباباويَّة "بالخِلافة والنِّيابة" هو مجرَّدِ كَذبٍ وخداعٍ، وبعيداً جداً عن الواقع والحقيقة؟ لأنَّ الحقيقة هي أنَّ الرَّب يسوع المسيح افتقر وهو غَنيٌّ، ليُغنينا بشخصهِ وخلاصهِ وصلاحهِ، وليعطينا مجدهُ وسماءه، وليس ليَغمَرنا بذهبِ ومالِ أرضٍ فانيةٍ سَتحترِق بالنّار.

تَدَّعي السُّلالةَ الباباويَّةِ بأنَّها خليفة سمعان بطرس الّذي كان تلميذاً للمسيح، لكنَّها في الوقت ذاته تَعيش وتُعلِّم بعكسِ حياته وتعاليمه. أفيمكن إذاً أن تكون مُخطِئةً في إدِّعائها هذا وبالتّالي تكون خليفةَ سمعانَ آخرٌ مثلاً ؟ ولكي نعرف الجواب من المُهمِّ أن نشير إلى أنَّ سمعان الّذي دُعِيَ في سفر أعمال الرُّسل باسْمِ سيمون، (يَظهر في الصُّورة التّوضيحيَّة المُرفَقة بلباسٍ أسودَ وهو يحاول شِراءَ موهَبةِ الله بالمالِ من بطرس) والّذي بعدما كان يقوم بأعمال السِّحر والشَّعوذة أمام أهل السّامرة الّذين كانوا يَدعونه "قوَّة الله العظيمة"(أع ٨:٩-١٠)، ذهب إلى روما في القرن الأوَّل الميلادي حيث أوجد هناك ديانةً مسيحيَّةً مُزيَّفةً أصبح هو رأسها ورئيسها!. ولأنَّ ما نقوله قد يبدو شاذّاً وغريباً للكثيرين، ولكي نجعله واضحاً بدون أيّ تحاملٍ على أحدٍ من جِهتنا نَقتبِس ما يلي - وهو صوابٌ - من الموسوعة الكاثوليكيَّة بخصوص سمعان هذا: "إنَّ جوستين مارتير وغيره من الكتّاب الأوائل يُخبرونَنا بأنَّه ذهب من بعد السّامرة إلى روما حيث صَنع هناك عجائبَ بقوَّةِ الشَّياطين، وأخذ مجداً تأليهيّاً مثلَ المجدِ الّذي كان له في بلاده أيضاً... ومن المُحتمل وجود ترابطٍ واقعيٍّ بخصوص التّقرير المُعطى من جوستين وقد قبِلَهُ يوسابيوس، بأنَّ سمعان المجوسي (السّاحر) قد أوجد بدون شكٍّ نوعاً من الدِّيانة المسيحيَّة المُزَّيفة الّتي إدّعى فيها بأنَّه في مَنصِبهِ هوالمسيح على الأرض".

من بعد كلِّ ما تقدَّم في هذا الكتاب، أصبحنا نعلم أنَّ للكنيسة الكاثوليكيَّة مقدرةٌ عظيمةٌ في جمع أفكارٍ وتقاليدَ مختلفةٍ ومزجِها مع بعضها داخل نظامها الدّيني، لأنَّها هي بالفعل كما تُسمّي نفسها "الكنيسة الجامعة". فإن كان الرَّسول سمعان بطرس لم يذهب إلى روما كما رأينا بل كان الّذي ذهب إليها هو سمعان المجوسي، وبأنَّه هو الّذي أخذ فيها مجداً تأليهيّاً، وأوجد ديانةً مزيَّفةً لَعِبَ فيها دوراً مشابهاً للمسيح، أفليس

من المُمكن اذاً أنّ يكون لهذه الأفكار التَّأثير المباشر على ظهورِ تقاليدَ أخرى؟، بمعنى أوضح، أفليس من المُمكن بأن يكون سمعان المجوسي هذا، هو الّذي أصبح "سمعان بطرس" الّذي بُنِيَت عليهِ السُّلالة الباباويَّة وانحدرت منه؟ لأنَّنا نرى بوضوحٍ أنَّه كما ادّعى سمعان المجوسي في روما أنَّه في منصبِه هو المسيح على الأرض، هكذا فَعل ويَفعل باباوات الكاثوليكيَّة الرّومانيَّة على مرِّ العصور، بينما في المقابل لا نقرأ أبداً في الإنجيل أنَّ الرَّسول بطرس قد إدَّعى ولو لمرَّةٍ واحدةٍ أنَّه في منصب المسيح على الأرض، بل على العكس فإنَّه قال عن نفسه بأنُّه فقط عبدٌ ورسولٌ ليسوع المسيح (٢بط١:١).

في نهاية هذا الفصل ليَسمح لنا القارئ العزيز أن نسأله هذا السُّؤال. على وجه الأرض توجد كنيستان فقط لا غير، كنيسةٌ خَلَقها الرَّب يسوع المسيح بالرّوح القدس والولادة الثّانية، وافتداها بدمه الّذي أُرِيقَ منه على الصَّليب، وبناها على شخصِه **"الصَّخرة"**، وِجْهَتها إلى السَّماء وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وكنيسةٌ أخرى إختلَقها الملك قسطنطين بالمكرِ والدَّهاء وبناها على الكَذبِ والخِداع والنِّفاق، وِجْهَتها إلى الهلاك لأنَّ أبواب الجحيم سَتبتلِعها. **فبأيِّ كنيسةٍ أنتَ أو أنتِ ؟**.

الفصل السَّابع

## الشَّعائر الوثنيَّة المُمَسْحَنَة

رأينا في فصلٍ سابقٍ كيف أنَّ الإنسان ومن بعد سقوطه في الخطيَّة صنعَ لنفسهِ آلِهةً وثنيَّةً مُتعدِّدةً ليعبدها بدلاً من عبادةِ الله خالقهِ، أمَّا في هذا الفصل فسنرى كيف أنَّه ومن بعد سقوطهِ صنع أيضاً شعائرَ دينيَّةً وثنيَّةً مختلفةً، مُنطلقةٍ من مشاعر قلبه الفاسد وتَصَوُّرات وتخيُّلات ذهنه الجَسدي، ومؤسَّسَةٍ على ما تراه عيناه وتَلمسه يداه، ومرتكزةٍ إلى ما يقوم به من فرائضٍ وطقوسٍ وحركاتٍ مُحدَّدَةٍ، ومُستَندةٍ إلى كلماتٍ وصلواتٍ مُكرَّرةٍ في "ليتورجيا" العبادة الوثنيَّة الّتي ابتكرها، لكي تكون بديلاً عن العلاقة الإيمانية الّتي يطلبها منه خالقه الّذي بدون الإيمان لا يُمكن إرضاؤه (عبر١١:٦).

ديانات المثليَّة الدينيَّة

يجد الباحث في تاريخ ديانات المِثليَّة الدينيَّة بأنَّ الشَّعائر الدّينيَّة هي القاسمُ المُشترَكُ بين أتباع جميع تلك الدِّيانات الّذين حاكوا من خيوطها لأنفسهم شرنقةً من التَّقوى والتَّديُّنِ المُزيَّفان، والمغلَّفانِ بالجهلِ وخِداعِ النَّفس والعَمى الرّوحي، ليختبئوا مع نجاسة خطاياهم فيها، والّتي أعطتهم شعوراً بالسَّلامِ والأمانِ المُزيَّفين، ولكنَّها لم تُغيِّر قلبهم الشِّرير الّذي يَخدعهم ويُضِلَّهم، والّذي يصفه الرَّب يسوع المسيح بأنَّه منبعٌ للجهلِ ولكلِّ الخطايا أيضاً (مر٧:٢٢).

لكن قبل أن ندخلَ في صُلب موضوعنا علينا أن نُشير، إلى أنَّ الرَّب يسوع المسيح هو **وحده** الّذي يستطيع أن يدخلَ بروحه القدّوس إلى أعماقِ قلبِ وروحِ كلِّ انسانٍ خاطئٍ يؤمن به ويتوب أمامه، فيُبَرِّرهُ ويُطهِّرهُ ويُغيِّرهُ ويُجدِّدهُ ويُنيرَهُ ويُعْطِيَه الحياة الأبديَّة، فيُصبح إنساناً جديداً متَّحِداً به وأهلاً لكي يعيش معه في السَّماء إلى الأبد، بعكس الشَّعائر الدّينيَّة الّتي وإن اختلفت في الشَّكل عن بعضها بعضاً داخل ديانات المثليَّة الدينيَّة في كلِّ الأرض، إلاّ أنَّها تأخذ الّذي يمارسها في إتِّجاه واحد ألا وهو الهلاكُ الأبديّ، لأنَّ مَوادها ومَفاعيلها تبقى فقط على "السَّطح الخارجي" للإنسان الخاطئ المُتَديِّن، بدون أن يكونَ لها القدرةَ على الدّخول إلى أعماقِ قلبهِ وروحهِ وصُنعِ أيِّ تغييرٍ فيهما، وبالتَّالي يبقى أعمى لا يرى الطّريق، وضالاً لا يعرف الحقَّ، وميِّتاً لم يختبر الحياة، وفوق هذا كلّه، فهو مقطوع العلاقة مع الله، في الوقتِ الّذي

يظنّ نفسه فيه بأنَّه يعيش في طاعته ومرضاته. فلذلك من الواضح بأنَّ الفرق بين الإنسانِ المُتَبَرِّرِ والإنسانِ المُتَديِّنِ كبيرٌ جداً.

ما تفعله الأديان في الإنسان

أمرٌ آخرٌ يجده الباحث في ديانات المثليَّة الدينيَّة هو أنَّ كلِّ ديانةٍ قد أعطت لشعائرها الدينيَّة أسماءً أحاطتها بهالةٍ من القُدسيةِ والوقارِ والرَّهبةِ لكي تأسر عقول الّذين يسمعونها، وتُعطيَ تأثيراً فعّالاً في مشاعرهم. فمثلاً أُعطيت الشَّعائر اسْم "النَّصائح العَشر" في الدِّيانة الشَّنتويَّة، و"الجواهر الثَّلاث" في الدِّيانة البوذيَّة، و"الأركان الخَمسَة" في الدِّيانة الإسلاميَّة، و"العناصر الخَمسَة" في الدِّيانة الكونفوشيوسيَّة، و"المبادئ السَّبعة" في الدِّيانة الجانيَّة، و"الأسرار السَّبعة" في الدِّيانة الكاثوليكيَّة...إلخ.

ولأنَّنا وُلِدنا ونعيش في مجتمعٍ يتَّكل أفراده على الشَّعائر الّتي تُسمّى "الأسرار السَّبعة" لكي يُصبحوا من خلال ممارستها "مسيحيّين" بحسب التَّعاليم الّتي يُعلِّمها لهم باباواتهم وكهنتهم ورهبانهم، ولكن لأنَّ تلك التَّعاليم هي مُناقضةٌ لتعاليم الإنجيل ولا تعطيهم اليقين بأنَّهم سَيَصِلون إلى الحياة الأبديَّة مُخَلَّصين، فلذلك وبسبب مَحبتنا لهم ورَغبتنا بعدمِ هلاكهم في الجحيم الأبديّ، سنُوَجِّهَهُم إلى الطَّريق الصَّحيح من خلال تفنيد المزاعم الخاطئة والتَّعاليم المغلوطة الّتي بسببها يتخبَّطون في بحرٍ من الكَذِب وعدمِ اليقين، ليتخلّوا عن شعائرهم الّتي لا ولن تَفيدهم شيئاً، ويُوَجِّهوا مشاعرهم إلى الرَّب يسوع المسيح، ويتوبوا أمامه ويقبلوه مخلِّصاً وربّاً على حياتهم، وحينها بالرّوح القدُس من جديد يُولَدون، وعلى الحياة الأبديَّة منه يَنالون.

**"الأسرار السَّبعة"**

بادئَ بدءٍ، يجب أن نُعرِّف القارئ العزيز على "الأسرار" كما تُعلِّمها الكنيسة الكاثوليكيَّة، والّتي ركَّبتها معَ معانيها بِدقَّةٍ مُعقَّدةٍ ومُعَقِّدةٍ للَّذين يُطبِّقونها، وأرفقتها بوعودٍ عن "نِعَمٍ كثيرةٍ" يحصل عليها الّذين يمارسونها، وهدَّدت الّذين يُنكرونها بالويل والثُّبور وعظائم الأمور.

- الأسرارُ هي أعمالٌ مقدَّسةٌ ومِنحٌ إلهيَّةٌ ننال بها نِعَمٌ سِرِّيةٌ غير منظورةٍ بواسطة مادةٍ منظورةٍ، وذلك بفعل الرّوح القُدس الّذي حلَّ بمواهبه في يوم الخمسين على

رُسل وتلاميذ المسيح الّذي وبحسب ما أسَّسه وسَلَّمه لرسله هم بدورهم سلَّموه للكهنة بوضع اليدِ الرَّسوليَّةِ.

- الأسرارُ علاماتٌ حِسِّيةٌ تُحقِّق النِّعمة، وضَعَها المسيح وعَهد بها إلى كنيسته وبها تُعطى لنا الحياة الإلهيَّة.

- الأسرارُ ضروريَّةٌ للمؤمنين بالمسيح لأنَّها تُنيل النِّعم الأسراريَّة، ومغفرة الخطايا، والتَّبني كأبناء الله، والتَّمثل بالمسيح الرَّب والإنتماء إلى الكنيسة، والرّوح القُدس يشفي ويغيِّر الّذين يَقبَلونها.

- الأسرارُ تُغذّي الإيمان وتُقوّيه، وعندما تحتفل الكنيسة بالأسرار فهي تَعترف بما ورثته من الرُّسل.

- الأسرارُ فاعلةٌ تلقائيّاً، أيّ بمجرَّد القيام بها فالمسيح هو الّذي يعمل فيها بمعزلٍ عن القداسةِ الشَّخصيَّة للقائمين بها، وثِمار هذه الأسرار رهنٌ باستعدادات من ينالُها.

- الأسرارُ هي نعمةُ الرّوح القُدس الّتي تؤازر المؤمن على طريق القداسة، وتؤازر الكنيسة على أن تنمو في المحبَّة وشهادتها.

أمضت الكنيسة الكاثوليكيَّة مئات السِّنين في إعداد وتركيب "أسرارها" حتّى اكتملت معها في القرن الثّاني عشر، فقدَّمتها للنّاس حينها قائلةً إنَّ المسيح هو الّذي صَنعها لكي نَصِل بها إليه، لكنَّها لم تَذكُر لماذا تأخَّر المسيح هذه القرون كلّها ليسلّمها لها!. لكن الّذي يقرأ الإنجيل يعرف ويتأكَّد منه أنَّ المسيح لا دخلَ لهُ بها، لأنَّه هو أتى شخصيّاً إلينا، وفتح يديه على الصَّليب مقدِّماً لنا حياةً أبديَّةً مجّانيةً من دون الحاجة إلى مُمارسةِ "أسرارٍ" لا نصل بها إليه أبداً، لأنَّ معظمها ليس موجوداً في تعاليمه الموجودةِ في الإنجيل على الأقل في الشَّكل الّذي تُقدِّمها به الكنيسة الكاثوليكيَّة، والذي أرفقته بعددٍ كبيرٍ من أحداثٍ وآياتٍ من الكتاب المقدَّس أخرجتها من سِياقها وقدَّمتها مبتورةً لتؤكِّد مصداقية "أسرارها"، والّتي يُخفى على الكثيرين أنَّ بعضاً منها كان شعائرَ ومفاهيمٍ وثنيَّةٍ من قبل أن تُمَسْحِنَها كما سنكتشف لاحقاً.

وبعكس الرّوح القدس الّذي يعمل في **داخل الإنسان** مباشرةً من دون أن يستعمل أيِّ "موادٍ منظورةٍ"، فإنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة تستعمل المواد المنظورة على **خارج الإنسان** أثناء ممارسة أسرارها عليه، فتَستخدم الماء في "سرِّ المعموديَّة"، وزيت

الميرون في "سرِّ التَّثبيت"، والخبز والخمر في "سرِّ الإفخارستيّا"، وتَستخدم الصَّليب في "سرِّ التَّوبة"، أمّا في "سرِّ مسحة المرضى" فإنَّها تَستخدم زيت الزَّيتون، وأخيراً تَستخدم الإكليل في "سرِّ الزَّواج".

لكن هنا نسأل، ماذا يحدث إن لم تَتوفَّر المواد المنظورة الّتي تأتي من خلالها "النِّعَم" غير المنظورة في "الأسرار" بعملِ الرّوح القدس بحسب التَّعاليم الكاثوليكيَّة؟. فمثلاً ماذا يحدث إن لم يتوفَّر الماء لإتمام "سرِّ المعموديَّة"، أفيُصبح من المستحيل حينها أن ينال الإنسان نعمةَ الولادة الجديدة وسُكنى الرّوح القدس؟. وإن لم يَتوفَّر الخبز والخمر أفيصبح من المُستحيل حينها على الإنسان أن "يأكُل المسيح" ليحيا به؟ إن صدَّقنا التَّعاليم الكاثوليكيَّة هذه يكون الجواب **نَعَم**، لكن إن صدَّقنا ما يقوله الإنجيل - وهو الأصْدَق - فإنَّ الجواب هو **لا**، لأنَّه يؤكِّد لنا أنَّ الله لم يربط محبته ورحمته ونعمته الّلواتي ينالهنَّ الإنسان الهالك مباشرةً من شخص المسيح الحيِّ القائم من بين الأموات والموجود في شعبه (يو١٤:٢٠)، وفي وسط شعبه (متى١٨:٢٠)، ومع شعبه كلّ الأيّام إلى انقضاء الدَّهر(متى٢٨:٢٠)، على توفُّرِ، أو عدم توفُّرِ، "موادٍ منظورةٍ" يُصيبها التَّبخُر، وتتعرَّض للعَفَن والنَّتَن، وتَفسُد مع مرور الزَّمن. فلذلك تُعتبر التَّعاليم الكاثوليكيَّة في هذا الموضوع ضرباً من ضروبِ الهرطقاتِ والفلسفاتِ والتّأليفاتِ البشريَّةِ لأهدافٍ معروفةٍ ومكشوفةٍ ليس إلّا.

وقبل أن ندخل في تفصيل كلِّ "سرٍّ" على حِدَةٍ، نُشير إلى أنَّه لا توجد أسرارٌ في إنجيل المسيحيَّة الحقيقيَّة، بل توجدُ فيه إعلاناتٌ، إعلاناتٌ أظهرت مجد الله وعظمته، وإعلانات كَشفت عن رحمته وفدائه وخلاصه لكلّ خاطئ يتوب أمامه، وعن طرحهِ في النّار الأبديَّة لكلِّ خاطئٍ يرفض التَّوبة. وعلى العكس تماماً، فإنَّ كُتُب الكنيسة الكاثوليكيَّة تمتلئ بتعاليمٍ عن "نِعَمٍ ومفاعيلِ وعظمةِ أسرارٍ" اخترعها البشر لضلال البشر وضَياعهم وهَلاكهم وهي تأتي بالتَّفصيل على الشّكل التّالي :

**١- "سِرُّ المعموديَّة"**

تضع الكنيسة الكاثوليكيَّة هذا "السِّر" كأوَّلِ وأهمِّ سرٍّ من أسرارها وتعتبره المدخل إلى بقيَّة الأسرار. وما يلي هو اختصارٌ لتعاليمها عن المعموديَّة، ومن ينالها، ومن يقوم بها، وطريقة إتمامِها:

- يجب على كلِّ من يُريد أن يُصبح مسيحيّاً أن يُعمَّدَ بهذه المعموديَّة.

- تُقَدَّس مياه المعموديَّة بصلاةِ استدعاءٍ للرّوح القدس تَطلب فيها "الكنيسة" إلى الله أن تَحلَّ قوَّةَ الرّوح القدس، بواسطة ابنه، فيولد المُعمَّدون فيها من "الماء والرّوح".

- إنَّ المعموديَّة هي لمحوِ الخطيَّة الأصليَّة، وفيها نُعتَق من الخطيَّة، ونولدُ ثانيةً ميلادِ أبناء الله، ونصيرُ أعضاءَ المسيح، فنندمج في الكنيسة ونُصبح شركاءَ في رسالتها.

- المعموديَّةُ ضروريَّةٌ للخلاصِ ولا خلاصَ بدونها (قبل المجمع الفاتيكاني الثّاني الّذي انعقد سنة ١٨٧٠) وهي تَمنحنا الفضائل الإلهيَّة ومواهبَ الرّوح القدس.

- المعموديَّةُ غير ضروريَّة للخلاص (بعد المجمع الفاتيكاني الثّاني) لأنَّ المسيح مات لأجل خلاص جميع النّاس. فالخلاص ممكنٌ بدون المعموديَّة للّذين ماتوا في سبيل الإيمان (معموديَّة الدَّم)، وللموعوظين، وللّذين بدافعٍ من النِّعمة يلتمسون الله بإخلاصٍ من غيرِ أن يعرفوا المسيح أو كنيسته (معموديَّة الشَّوق).

- المعموديَّةُ ضروريَّةٌ للأطفال لأنَّهم قد وُلِدوا في الخطيَّة الأصليَّة، فلذلك هم يحتاجون إلى العِتق من سلطان الشِّرير، وأن يُدْخَلوا إلى ملكوتِ حرَّيةِ أبناء الله. أمّا الأطفال الّذين ماتوا بدونِ معموديَّةٍ فإنَّها تُوكِل أمرهم إلى الرَّحمة الإلهيَّة.

- تُمارَسُ المعموديَّةُ بسكبِ الماء على رأس المُعمَّد فقط من دون أن تصل إلى بقيَّة جسمه. (أحياناً تتكلَّم الكنيسة الكاثوليكيَّة في تعاليمها عن المعموديَّة بالتَّغطيس الكامل لكنَّها لا تُمارسها عمليّاً).

- اللّذان يمنحان المعموديَّة هما الأسقف أو الكاهن. وفي حالِ الضَّرورة يستطيع أيٌّ كان أن يمنح المعموديَّة، أكان رجلاً أو امرأةً، وثنيّاً أو هرطوقيّاً، بشرطِ أن يتقيَّدَ بصيغة الكنيسة الكاثوليكيَّة، وأن يعملَ ما تَعملَهُ!.

هذا ما تُعلِّمه الكنيسة الكاثوليكيَّة عن معموديتها لكن بمقارنتها مع المعموديَّة الّتي أوصى بها الرَّب يسوع في الإنجيل والّتي مارسها تلاميذه وخدّامه لاحقاً نجد بأنَّها تتناقض معها في الشَّكل والمضمون وبأنَّ الفرق بينهما كبيرٌ جداً. وسنُفصِّل تالياً المعموديَّة الّتي أوصى بها الرَّب يسوع في الإنجيل ومارسها تلاميذه، وسنترك للقارئ مَهمَّة تمييز الفرق بين الإثنتين.

- في الإنجيل يَسبُق الإيمانُ المعموديَّةَ دائماً، ولا يتبعها أبداً مثلما تُعلِّم الكنيسة الكاثوليكيَّة، فلذلك يجب على القارئ أن ينتبه جيِّداً إلى هذا الكلام الّذي وضعه الرَّب يسوع المسيح كأساسٍ وحيدٍ لإجراء المعموديَّة لكي لا يكونَ ضحيَّةَ تعاليمٍ كاذبةٍ ومُضلِّلةٍ: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلَّها من **آمن واعتَمد** خَلَصَ، ومن لم يؤمن يُدَن" (مر١٦:١٥-١٦)، فلذلك يكون الكلام عن ضرورة المعموديَّة للخلاص كلاماً فارغاً لا يُرتجى منه أيَّة فائدة. وعلى ذكر الخلاص، لماذا تضع الكنيسة الكاثوليكيَّة الطُّرق الكثيرة لنواله مع أنَّه توجد طريقةٌ واحدةٌ لنواله ألا وهي الإيمان بالمسيح فقط؟ فمثلاً تقول تلك الكنيسة إنَّ "سرَّ المعموديَّة" ضروريٌّ للخلاص، و"سرُّ التَّوبة" ضروريٌّ للخلاص، و"سرُّ الإفخارستيّا" ضروريٌّ للخلاص، وصلاة المسبحة ضروريَّةٌ للخلاص، والصَّلاة لراحةِ أنفُس الموتى ضروريَّةٌ للخلاص، والأعمال الصّالحة ضروريَّةٌ للخلاص، والطّاعة للسُّلطة الباباويَّة ضروريَّةٌ للخلاص،... واللائحة تطول ولا تنتهي، وفي النَّتيجة لا أحدَ يَخلُص، فهل يوجد من ضلالٍ وضياعٍ أكثر من هذا؟. في المختصر المفيد نقول للّذين يبحثون عن الخلاص إنَّه يحدُث في لحظةِ توبتهم وحصولهم على الولادة الجديدة بعمل الرّوح القدس بدون الحاجة إلى الماء أو أيِّ شيءٍ آخر، وإنَّ الخلاص موجودٌ فقط في المسيح لأنَّه هو **وحده** الّذي صنعه على الصَّليب ليقدِّمه للخاطئ التّائب مجاناً، وإنَّ الخلاص سيبقى بعيد المنال عن الّذين وضعوا تعاليم الله جانباً واتَّبعوا تعاليم البشر، حتّى ولو كانوا من أتقى الأتقياء ومن أكثر النّاس تَديُّناً.

- في الإنجيل ليست المعموديَّة لازمةٌ للخلاص بل هي مُلازمةٌ له في حال تأمَّنت ظروف إتمامها. فمثلاً نال اللّص الّذي كان على الصَّليب الخلاص مباشرةً من المسيح لكن لم تَتوفَّر له الظّروف لكي يتعمَّد فمات ودخل السَّماء بدون المعموديَّة. أما خَصِيُّ الحبشة الّذي آمن وخَلُص فإنَّه اعتمد على يدِ فيلبُّس لأنَّ الظّروف كانت مؤاتيةً لكي يتعمَّد فكانت معموديته إعلاناً لإطاعته وصيَّة الرَّب يسوع المسيح وإعلاناً لإيمانه به. فلذلك يُخطئ كثيراً الّذين يَظنّون أنَّ المعموديَّة بالماء هي ضروريَّةٌ ولازمةٌ للخلاص، والدَّليل هو أنَّ سيمون السّاحر الّذي تكلَّمنا عنه في الفصل السّابق كان قد عَمَّده الرُّسل، لكنَّ معموديتهِ لم تُنجّيهِ من الهلاك الأبدي إذ بقي بعدها يمارس السِّحر والشَّعوذة. ويَذكر يوحنّا في سفرالرُّؤيا بأنَّه رأى الأعداد الّتي لا تُحصى ولا تُعد من المفديين الّذين دخلوا السَّماء، لكن بالتَّأكيد لم يعتمد هؤلاء جميعهم بالماء عندما كانوا أحياءً على الأرض مع أنَّهم موجودون الآن في السَّماء. فلذلك نجد بأنَّ

التَّعاليم عن ضرورة إتمام المعموديَّة بالماء للخَلاص هي مُجرَّدُ تعاليمٍ مضادةٍ لتعاليمَ الإنجيل فلا تصدِّقوها.

إن سلَّمنا جدلاً بأنَّ أخذَ الخلاص ونوال عطيَّة الرّوح القدس يَتِمَّان فقط بمعموديَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة، فسيقف المُسلمون والبوذيّون والهندوسيّون وكلّ أتباع الدِّيانات غير الكاثوليكيَّة أمام الله في يوم الدَّينونة ويلومونه - إن جاز التَّعبير- لأنَّه لم يَخلُقَهم في الكنيسة الكاثوليكيَّة، وبالتّالي فهو المسؤول عن حِرمانهِم من الخلاص ومن نوالِ الخلاص والرّوح القدس بالمعموديَّة الكاثوليكيَّة. فلهذا السَّبب تُعتَبر ادِّعاءات الكنيسة الكاثوليكيَّة بأنَّ معموديتها هي وحدها الّتي تُخلِّص باطلةً، لأنَّ الله لن يُميِّز بين إنسانٍ وإنسانٍ آخر بهذه الطَّريقة، وإلاّ سَيظَهر كمُناقضٍ لنفسهِ بنفسهِ من جهَةِ مَحبتِّهِ وعَدالتهِ. وربَّما لهذا السَّبب ابتدعت الكنيسة الكاثوليكيَّة بِدعةَ "معموديَّة الشَّوق" الّتي ذكرناها آنفاً لئلاّ تُصاب بالإحراج أمام أتباع تلك الدِّيانات.

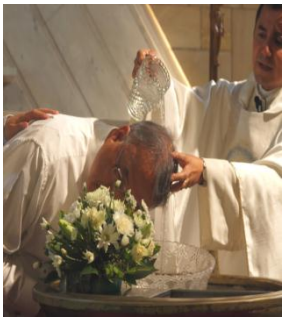

- في الإنجيل لا تتمُّ المعموديَّة بسكبِ الماء على رأس المُعمَّدِ فقط (كما يفعل الكاهن بالصُّورة)، بل بتغطيسِ جسدهِ بالكامل تحتَ الماء، ومن ثمَّ رفعهِ منهُ لأنَّ لها دلالةً روحيَّةً هي التَّشبه بموت المسيح ودفنه وقيامته. وتعني كلمة معموديَّة باللُّغة اليونانيَّة الّتي كُتِب بها الإنجيل التَّغطيس بالمياه الغامرة، (وليس بسكبِ قليلٍ من الماء على الرأس)، أيّ كما تَعمَّد الخَصِيُّ على يد فيلبُّس كما أسلفنا إذ نزل كلاهما إلى الماء وتَعمَّد الخَصِيُّ (أع ٨:٢٦-٣٩)، فلو كانت المعموديَّةَ تتمُّ بسكبِ الماءِ على الرأسِ فقط، لكان نزل فيلبُّس وحدهُ إلى الماء وأحضر القليلَ منهُ، وسكبه على رأس الخَصِيُّ.

- في الإنجيل لا نقرأ أنَّه تمَّت معموديَّةً لأطفالٍ حديثيّ الولادة خوفاً عليهم من الهلاك، لأنَّ هذه البدع التّعليميَّة ظهرت لاحقاً مع ظُهور المعلِّمين الكَذَبة، الّذين دَسُّوا بِدع هلاكٍ وضلالٍ في أفكار النّاس. حَسم الرَّب يسوع المسيح موضوعِ خلاصِ الأطفال وطمأن الّذين سينشغل بالهم عليهم حين قال: "دعوا **الأولاد** يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ **لمثل هؤلاء ملكوت الله**". فلذلك لا توجد ما تُسمّى "الخطيَّة الأصليَّة" ليدفع أيِّ طفلٍ

من أيّةَ ديانةٍ كان ثمنها، لأنَّ جميع الأطفال هم أوّلاً مشمولون بالذَّبيحة الكفّارية الّتي قدَّمها المسيح على الصَّليب، وثانياً أنَّهم لن يُدانوا بسبب خطيَّة لم يرتكبوها، وبالتّالي تكون بِدعَة **"الخطيّة الأصليَّة الّتي تُزيلها المعموديَّة"** خِدعَةً أرادت الكنيسة الكاثوليكيَّة من خلالها استملاك البشر منذ لحظةِ ولادتهم، والتَّسلط عليهم، والاستفادة منهم معنويّاً وماديّاً كلّ أيّام حياتهم، وحتّى إلى ما بعد مَماتهم!.

- في الإنجيل تُعتَبَرُ المياهُ الّتي تُستخدم في المعموديَّةِ مياهً عاديَّةً، وهي قد تكون مياهِ بحرٍ أو نهرٍ، أو حتّى خزّانِ منزلٍ، وهي ليست بمياهٍ مقدَّسةٍ، ولا تُطهِّر المُعَمَّدين بها من الخطايا. أمّا في الكنيسة الكاثوليكيَّة فيقول يوحنّا فم الذَّهب الّذي عاش في القرن الرّابع الميلادي، وكان واحداً من أهم مُعلِّميها، والّذي كما يبدو كان لم يزَل متأثّراً بالفكر الوثني الّذي كان وما زال يعتبر بأنَّ المياهَ مقدَّسةٌ وفيها قدرةٌ على التّطهير من الخطيَّة والنَّجاسة: "إنَّ معموديَّة النِّعمة تُطهِّر كلّ انسانٍ سواءً كان فاسداً أو زانياً عابداً للأصنام، لأنَّه مهما كان غارقاً في الخطيَّة فحالما يدخل مياه المعموديَّة يخرج من هذه المياه الإلَهية أنقى من أشعة الشَّمس عينها، وليس نقيّاً فقط بل قدّيساً بل بارّاً أيضاً". فبسبب هذه التَّعاليم التي يدعمونها بكلماتٍ من الإنجيل عن الغَسل من الخطايا، يؤمن الكاثوليك بأنَّ المياه الّتي تُستخدم في المعموديَّةِ هي "مياهٌ مقدَّسةٌ" تُطهِّر من الذّنوب تماماً مثلما يؤمن أتباع بقيَّة ديانات المثليَّة الدينيَّة بالتَّطهير من الذُّنوب بالمياه المقدَّسة، أيّ مثلما يؤمن الهندوس بمياه نهر الغانج "المُقدَّسة"، وكما يؤمن المسلمون بمياه نبع زمزم "المُقدَّسة"، وكثيرون غيرهم من أتباعِ دياناتٍ أخرى كما يظهرون بالصُّوَر المُرفقة أدناه.

مياه سيخيّة للتّطهير | مياه مندائيّة للتّطهير | مياه إسلاميّة للتّطهير | مياه هندوسيّة للتّطهير | مياه شنتويّة للتّطهير

ومن المفيد ذِكره في موضوعنا هنا أنَّه كان يجب على كلِّ من أراد أن يعتنق الدّيانة الميثرانيَّة الوثنيَّة، الّتي ابتدأت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وانتهت في القرن

الرّابع من بعده، أن يمرَّ بسبعةِ مراحلٍ أوّلها طقس العِماد أو التَّطهير. فهل يُمكن أن تكون المعموديَّة الكاثوليكيَّة هي المعموديَّة الميثرانيَّة المُمَسْحَنَة؟ وألَيس من المُمكن أيضاً أنَّ "المراحل السَّبع" الّتي كانت موجودةً في الدِّيانة الميثرانيَّة قد مُسْحِنَت وأصبحت "الأسرار السَّبعة" في الكنيسة الكاثوليكيَّة؟. من بعد كلِّ الّذي عرضناه في هذا الكتاب عن تلك الكنيسة فلا يوجدُ شيءٌ مُسْتَبعَدٌ، ولا شيءَ مُسْتَغرَبٌ، في كلِّ ما تَعْمَلهُ وتُعلِّمَهُ!.

وتدَّعي الكنيسة الكاثوليكيَّة أيضاً أنَّ الإنسان الّذي تُعمِّده يُطْرَد الشَّيطان منه فيُصبِح مسكناً للرّوح القدس، لكن يوجد دليلٌ موجودٌ فيها يَنقض ما تدَّعيه، لأنَّه يؤكِّد بأنَّ معموديتها هذه لا تَطرد الشَّيطان من المُعمَّدَ (حتّى ولو كَفَر به العَرّاب والعَرّابة)، ولا تمنعه من الدُّخول فيه في أيَّة ساعة يشاء، وهذا الدَّليل هو وجودُ كهنةٌ كاثوليك مختصّين بالصَّلاة على المُعمَّدين الّذين يسكنهم الشَّيطان لطرده منهم! (يُظهِر الرَّسم التّوضيحي كاهناً يحمل صليباً ليطرد به الشَّيطان من شخصٍ مُعمَّدٍ). وتوجدُ قصصٌ عديدةٌ قرأتُها تُثبت حقيقةَ ما أقول، وسأذكر واحدةً منها عن الرّاهبة الكَرملية المعروفة بالأخت مريم يسوع المَصلوب والّتي سكنها الشَّيطان عدَّة مرّاتٍ خلال حياتها واحتاجت إلى عمليَّةِ طردِ الشَّيطان منها لأجل تحريرها!. لكن كيف يكون هذا التَّخريف؟ كيف يستطيع الشَّيطان النَّجس أن يسكن في إنسانٍ يسكنه الرّوح القدس، روح الله القدّوس؟ ألا يدلّ هذا الدَّليل - مثل الكثير من الدَّلائل الّتي سَبقت - على أنَّه ليس للرّوح القدس أيَّةِ علاقةٍ بالمعموديَّةِ الكاثوليكيَّةِ، وبأنَّها فقط مجرَّد طقسٍ مائيٍّ خارجي؟. وألا يدلّ هذا الأمر أيضاً على أنَّ التّعاليم الّتي تعلِّمها الكنيسة الكاثوليكيَّة عن مفاعيل معموديتها هي تعاليمٌ مليئةٌ بالكَذِب والوَهم، وفارغةٌ من الصِّدق والحقيقة.

يُعطينا الإنجيل حقائقَ دامغةً بأنَّ الشَّيطان يستطيع فقط أن يَدخُلَ في أبنائهِ كما دخل مثلاً في ابْنهِ يَهوذا الإسخَريوطيّ (يو ١٣:٢٧) أو أن يدخل في الخنازير (مر٥:١٢)، ولكنَّه من المستحيل عليه أن يدخل في أبناء الله المحفوظين في يدِ الرَّب يسوع المسيح الّذي هزَمهُ وسحقهُ بموته على الصَّليب وبقيامته من بين الأموات. وبالتّالي ليس للشَّيطان أيِّ سلطانٍ عليهم، ولا يستطيع أن يَمُسَّهم، ولا أن يخطفهم من يده. والآيات التّالية تؤكِّد كلامنا الّذي سَبَقَ:

- خِرافي تَسمع صوتي، وأنا أعرفها فتَتبعُني. وأنا أعطيها حياةً أبديَّةً، ولن تهلِك إلى الأبد، ولا يَخطَفُها أحدٌ من يدِي (يو١٠:٢٧-٢٨).

- وإلَهُ السَّلام سيسحق الشَّيطان تحت أرجلكم سريعاً...(رو١٦:٢٠).

- نَعلمُ أنَّ كلَّ من وُلِد من الله لا يُخطىء... والشِّريرُ لا يَمَسُّهُ (١يو٥:١٨).

**٢- "سِرُّ التّثبيت أو الميرون"**

ابتدأت بوادر ظهور هذا "السِّر" تاريخيّاً في القرن الثّاني الميلادي حين اسْتحسَن عددٌ من الأساقفة أن يَمسحوا الّذين يُعمِّدونهم بزيت الزَّيتون العادي، لأنَّهم وجدوا أنَّه كان يُستَعمل في العهد القديم عند تعيين الملوك والكهنة في وظائفهم رمزاً لحلول الرّوح القدس عليهم، ولذلك كان غَرَض هؤلاء الأساقفة من مسح المعمَّدين بالزَّيت (كما يفعل الكاهن في الصُّورة الأولى)، أن يُعلِنوا أنَّ الرّوح القدس قد حلَّ عليهم. وبعد ذلك أخذ الإعتقاد بشأن هذا الزَّيتَ يتطوَّرُ شيئاً فشيئاً، حتّى ذهبَ عددٌ كبيرٌ من الأساقفة في القرن الرّابع إلى أنَّه هو الواسطة الوحيدة الّتي يحلُّ بها الرّوح القدس على المُعمَّدين. ولكي يبرِّروا تَصرُّفهم هذا أطلقوا كِذبَةَ أنَّ الرُّسل أخذوا من الأطياب الّتي وضعها نيقوديموس على جسد المسيح عند تكفينه، ومزجوها بزيتِ الزَّيتون، ثم وزَّعوا هذا المزيج على الكنائس الّتي كانت في أيّامهم، وأوصوهم بأنّه إذا أوشَك

على النَّفاذ من عندهم، يجب أن يُضيفوا إلى ما تَبقّى منه شيئاً من زيت الزَّيتون مع الأطياب المذكورة (كما يفعل الكاهن في الصُّورة الثّانية)، وأن يرفعوا لله صلواتٍ خاصَّةٍ عندَ قيامِهم بهذا العمل، لكي يُقدِّس الله الزَّيت الّذي يعملونهُ. ثمَّ في القرن التّاسع ذهب بعضُ الأساقفةِ إلى القول إنَّ "زيت المَسْحة" لا يبقى أيضاً بعد صلاتهم عليه زيتاً عاديّاً بل يُصبِح "مَوهبة الرّوح القدس" نفسها، وبناء على ذلك أصدروا أمراً باستعمال هذا الزَّيت لتقديس المُعمَّدين وتَثبيتهم في الله.

لكن بما أنَّ الإنجيل لا يَذكرُ شيئاً عن كِذْبة أخذِ الرُّسل الأطيابِ عن جَسد يسوع، تتبيَّن لنا القدرةُ العظيمةُ عند رجال الدّين على تلفيق القِصص الكاذبة ليصنعوا منها البِدَع المُضلِّلة (كما رأينا في الفصول السّابقة أيضاً). والدَّليل على أنَّ ما نقوله صحيح في موضوعنا هنا، هو تَلفيقهم لِقصَّة الأطياب الّتي أخذوها عن جسد المسيح ليصنعوا منها "سرّ مسحة التَّثبيت والميرون"، والّذي قاموا بربطه بمَسحتين لا علاقةَ لهما به لا من قريبٍ أو من بعيدٍ، واحدةٌ كانت قد أُجريت على ملوكٍ وكهنةٍ في العهد القديم وتَوقَّف استعمالها في العهد الجديد، والثّانيةُ هي المَسحة الّتي تكلَّم عنها يوحنّا الرَّسول في إحدى رسائله إلى المؤمنين الحقيقيّين بالمسيح والّتي لم يَكن يَقصُد منها مسحةً خارجيَّةً بالزَّيت على الجِلد بل مسحةٌ داخليَّةٌ بالرّوح القدس في القلب، وقد جاءت كلمات يوحنّا على الشَّكل التّالي: "أيَّها الأولادُ، هي السّاعة الأخيرةُ. وكما سمعتم أنَّ ضِدَّ المسيح يأتي، قد صار الآن أضدادٌ للمسيح كثيرونَ. مِنَّا خَرجوا، ولكنَّهم لم يكونوا مِنَّا... وأمَّا أنتم فلكم **مَسحةٌ من القدّوسِ** وتَعلمون كلَّ شيءٍ... كتبتُ إليكم هذا عن الّذين يُضلُّونكم. وأمَّا أنتم **فالمسحةُ الّتي أخذتموها منهُ** ثابتةٌ فيكم، ولا حاجةَ بكم إلى أن يُعلِّمكم أحدٌ، بل كما **تُعلِّمكم هذه المَسحةُ** عينها عن كلِّ شيءٍ، وهي حقٌّ وليست كَذِباً. **كما علَّمَتكم تَثْبتون فيهِ**. والآنَ أيَّها الاولادُ، **اثبتوا فيهِ،** (١يو٢:١٨-٢٨).

إنَّ ما تقدّم من كلامِ يوحنّا، هو ما يَستند عليه مُخترعو مَسحةِ "سرّ التَّثبيت" ليدعموا اختراعهم هذا، لكنَّنا ومن بعد أن قرأناه كاملاً وجدنا بأنَّه يَنْقُضَ هذا الإختراع من أساسهِ لسببٍ بسيطٍ هو أنَّ يوحنّا لا يتكلَّم فيه لا عن زيتِ زيتونٍ ولا عن طَبخِ ميرونٍ، هو فقط يتكلَّم عن مسحةٍ روحيَّةٍ داخليَّةٍ بالرّوح القدس تُعلِّم المؤمنين وتُثبِّتَهم بالمسيح ليقفوا ثابتين أمام أضداده الّذين يعملون على إضلالهم عنهُ وعلى تَنْيِهم عن إيمانِهم فيهِ. فلذلك نستطيع بأن نقول إنَّ "سرَّ التَّثبيت" ثابتٌ في خيالِ الّذين اخترعوه فقط، ولكنَّه ليس ثابتاً على التَّعليم الصَّحيح الموجود فقط في الإنجيل.

**٣ ــ "سِرُّ الإفخارستيّا"**

يُمارَسُ هذا "السِّر" أثناء ما يُسمّى "القدّاس الإلَهي" أو"الذَّبيحة الإلَهيَّة"، وهو يحتوي بحسب تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة على الكثير من "الأسرار الإستحاليَّةِ الإلهيَّة" الّتي تعلو على المفاهيم البشريَّة الطَّبيعيَّة وهي تأتي على الشَّكل التّالي: "خلال الإحتفال بالقدّاس الإلَهي يتحوَّل الخبز والخمر إلى ذاتِ جسد ودم المسيح وهو ما

يُسمَّى "الإستحالة"، لأنَّه في سرِّ الإفخارستيّا لا تَبقى مادَتَيِّ الخبز والخمر على حالهِما، لأنَّ مادة الخبز تتحوَّلُ كليّاً إلى جسد المسيح، ومادة الخمر تتحوَّلُ كليّاً إلى دمِ المسيح، لكن يبقى الشَّكل الخارجي على حالهِ". وما تأخذه كدعمٍ لهذا المُعتقد هو كلام الرَّب يسوع حين بارك الخبز وقال: "خُذوا كُلوا هذا هو جسديٍ"، وعندما أخذ الكأس وقال: "خُذوا اشربوا هذا هو دمي"( متّى٢٦:٢٦-٢٧). فبسبب هذه التَّعاليم أصبح هذا "السِّر" من أكثر الشَّعائر الدينيَّة تأثيراً في مشاعرِ وأذهانِ النّاس الّذين أصبحوا يعتقدون بأنَّهم يأكلون فيه جَسد ودَم المسيح حرفيّاً، لكن من دون أن يعلموا بأنَّهم بذلك يفعلون ما كان يفعله الوثنيّون القدماء عندما كانوا يأكلون جَسد ودَم الههم حرفيّاً أثناء ممارستهم هذا " السِّر" الّذي كان "سرًّا" وثنيّاً في الماضي السَّحيق من قبلِ أن يُمَسْحَنَ ويُصبح "سِرّاً كاثوليكيّاً".

لا يَتعجَّب أو يَمتعض أحدٌ من كلامي هذا، لأنَّ مَن يبحث في باطن التّاريخ ليستكشف بواطن الأمورعلى حقيقتها يجد بأنَّ جذور "سرِّ الإفخارستيّا" غائرةٌ في أسرارِ الوثنيَّة القديمة، لأنَّه يَتضمَّن شّعائرَ ورموزاً كانت من صلب الطُّقوس والعقائد الوثنيَّة مثل الأكل الحَرْفي للإله وعبادة الشَّمس والقمر، والّتي ليس لها أيَّةِ علاقةٍ لا بالمسيح ولا بكنيسته الحقيقيَّة. وسنُثْبت بالكلمة والصُّورَة ما نقول لاحقاً.

ولكن قبل أن نُكمِلَ، دعونا نَفتح الإنجيل ونقرأ ما جاء فيه عمّا جرى بالضَّبط في العِلِّيةِ الّتي اجتمع المسيح مع تلاميذه فيها ليأكل الفصح معهم قبل أن يُصلَب، فنستطيع حينئذٍ تَحديد ما قِيل فيها، وما جَرى على مائدتها، ونبني على الشَّيءِ مُقتَضاهُ.

ففي إنجيل متَّى نقرأ التّالي: "وفي أوَّل أيّام الفطير تقدَّم التَّلاميذ إلى يسوع قائلينَ له: "أين تُريد أن نُعِدَّ لك لتأكلَ الفصحَ؟" فقال:" اذهبوا إلى المدينةِ، إلى فلانٍ وقولوا لهُ: المعلِّمُ يقولُ: إنَّ وقتي قريبٌ. عندك أصنعُ الفصحَ مع تلاميذي". ففعل التَّلاميذُ كما أمرهم يسوعُ وأعدّوا الفصحَ. ولمَّا كان المساء اتَّكأ مع الإثني عشر... وفيما هم يأكلون أخذَ يسوع الخبزَ، وبارك وكسَّر وأعطى التَّلاميذَ وقالَ: "خذوا كُلوا. هذا هو جسدي". وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: "اشرَبوا منها كُلُّكُم، لأنَّ هذا هو دمي الّذي للعهدِ الجديدِ الّذي يُسفَكُ من أجل كثيرينَ لمغفرة الخطايا. وأقول لكم: إنّي من الآنَ لا أشربُ من نتاجِ الكرمةِ هذا إلى ذلك اليومِ حينما أشربهُ معكم جديداً في ملكوت أبي". ثمَّ سبَّحوا وخرجوا إلى جبل الزَّيتون (متّى٢٦:١٧-٣٠).

بالإنتقال إلى إنجيل لوقا نجد ما يلي: "وجاء يوم الفطير الّذي كان ينبغي فيه أن يُذبح الفِصحُ. فأرسَل (يسوع) بطرس ويوحنّا قائلاً: "اذهبا وأعِدّا لنا الفصح لنأكُل"... ولمّا كانت السّاعة اتكأ والإثنا عشر رسولاً مَعهُ، وقال لهم: "شهوةً اشتهيتُ أن آكُلَ هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم، لأنّي أقول لكم إنّي لا آكُلُ منه بعد حتّى يُكمَلَ في ملكوتِ الله". ثم تناول كأساً وشَكرَ وقال: "خذوا هذه واقتسموها بينكم، لأنّي أقول لكم إنّي لا أشرب من نتاج الكَرمةِ حتّى يأتي ملكوت الله". وأخذ خبزاً وشكر وكسَّرَ وأعطاهم قائلاً: "هذا هو جسدي الّذي يُبذَلُ عنكم. اصنعوا هذا لِذِكري". وكذلك الكأسَ أيضاً بعد العشاء قائلاً: "هذه الكأسُ هي العهدُ الجديدُ بِدَمي الّذي يُسفكُ عنكم" (لو٢٢:٧-٢٠).

هذا ما حدث بالضَّبطِ أثناء عشاء المسيح الأخير مع تلاميذه في العِلِّيَّةِ والّذي تَضمَّن الشُّكر أوَّلاً ثمَّ الأكل والشُّرب، والّذي فيه أمر يسوع بفريضةٍ سُمِّيَت "العشاء الرَّباني"، لكي يَتذكَّر المؤمنون به أثناء قيامهم بها موتهِ لأجلهم على الصَّليب. إنتهى ذلك العشاء بالتَّسبيح، وخرج بعده يسوع مع التَّلاميذ إلى جبل الزَّيتون، ومن هناك أخذَه الجنود للمحاكمة والإهانة، ثم إلى الصَّلبِ حيث قَدَّم جَسده ودَمه ذبيحةً كفّاريَّةً أمام الآب السَّماوي عن خطايا العالم.

إذاً من الواضح ممّا قرأنا أنَّه لم يَحدثَ أيُّ أمرٍ غيرَ طبيعيٍّ أو أيَّةُ "استحالةٍ" في هذا العشاء، لأنَّه من بعد أن بارك يسوع الخبز أعطاهُ لتلاميذهِ بدون أن يُصْبح جسده، لأنَّه كان هو موجوداً بجسده معهم، وهم أخذوا الخبز منه وأكلوه وقد عرفوا أنَّهم لا يأكلون جسده حرفيّاً، وأيضاً فهموا ما كان يَقصد بكلامه الّذي كان قد قاله من قبل من أنَّه الخُبزُ النّازلُ من السَّماء الواهبُ حياةً للعالمِ. ثم إنَّه بعدما بارك الكأس أيضاً أعطاها للتَّلاميذ ليشربوا منها كنِتاجِ الكرمةِ وليس كَدَمِهِ بالمعنى الحرفي للكلمة لأنَّ دَمَهُ كان لا يزال حينها يجري في شَرايينِ جسدهِ، وبالتّالي فإنَّ التّلاميذ شَربوا نتاج الكَرمة الّذي يَرمُزُ لِدَمهِ وليس دَمَهُ. فهم التَّلاميذ عندما كانوا في العِلِّيَّة المعنى الرّوحي لكلام المسيح هنا بعكس اليهود الّذين ذَكَرهم يوحنّا في الإصحاح السّادس من إنجيله، الّذين فهموا كلامه عن أكلِ وشربِ دمه حرفيّاً فتَذمَّروا عليه وعَثَروا بهِ. كان التَّلاميذ يَعلمون أيضاً أنَّهم لو أكلوا دم المسيح حرفيّاً لكانوا كَسَروا إحدى وصايا الله في الكتاب المقدَّس الّتي تُنهي عن أكل الدَّم: "وكلُّ إنسانٍ من بيتِ إسرائيلَ ومن الغرباءِ النّازلينَ في وسطكم **يأكلُ دماً**، أجعلُ وجهي ضدَّ النَّفسِ الآكِلةِ الدَّمَ وأقطعها من شعبها، لأنَّ نفسَ الجَسدِ هي في الدَّمِ...(لاو١٧:١٠-١٦).

وبما أنَّ "الاستحالةَ" لم تحدث أثناءَ عشاءِ المسيحِ الأخيرَ كما رأينا، فمعناه أنَّها **لا** تَحدث بعده، وبالتّالي تكون"الاستحالات" المزعومة الّتي تحدث أثناء القداديس حول العالم ليس لها أيَّةِ علاقةٍ بالمسيحِ. وبما أنَّ "الاستحالة" لم تحدث أثناء العشاء الأخير فمن أين أتت الكنيسة الكاثوليكيَّة إذاً بعقيدة "الاستحالة" إلى داخل شَعائرها الدينيَّة؟ الجواب هو أنَّها كانت عادةً وعقيدةً وثنيَّةً قديمةً لتبجيل الإلَه بأكْلِ لَحمهِ وشربِ دَمهِ حرفيّاً لنوال الخلود الأبدي، وقد مُسْحِنَت في الكنيسة الكاثوليكية مثلها مثل كلِّ العادات والطُّقوس الدينيَّة الوثنيَّة الأخرى الّتي تكلَّمنا عن معظمها في الفصول السّابقة من هذا الكتاب. والعرض التّالي يؤكِّد ما نقول:

- ارتبطت طقوس "الاستحالة" في الأسرارِ الإليوسينيَّةِ الوثنيَّة في روما القديمة بخبزٍ يُمثِّل إلَهةِ الذَرَة سيريس، وخمرٌ يُمثِّل إلَه الخمر باخوس الّذي أعطى دمه ليعيش البشر بحسب ما كان يؤمن أتباعه.

- في مصرَ كان الكاهن أثناء إقامة الشَّعائر المقدَّسة يُكرِّس كعكةً من عجينِ القمح لتُصبحَ جسدَ الإلهِ أوزيريس حرفيّاً وليس مجازيّاً، ثم يأكلها قُدماء المصريين كقربانةٍ مقدَّسةٍ مع الخمر، لأنَّهم كانوا يعتقدون إنَّهم بِعملهم هذا يستمدّون القوَّة من جَسدِ ودَمِ إلَه الشَّمس أوزيريس.

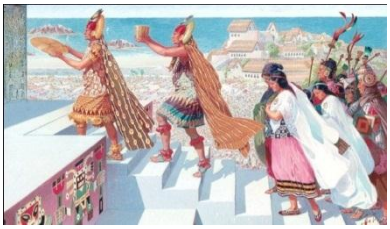

- أيضاً وُجِدت عقيدة "أكلِ الإلَه" في المكسيك وأميركا الوسطى بين أولئك الّذين لم يسمعوا شيئاً عن المسيح في حياتهم. وقد تفاجأ المُرسَلون الكاثوليك عندما وصلوا إلى هناك حين شاهدوا احتفالاً دينيّاً مُشابِهاً للقدّاس الكاثوليكي، لأنَّه صُنِع فيه رمزٌ من الدَّقيق ومن بعد تكريسه من الكهنة الوثنيّين وُزِّع بين النّاس الّذين أكلوه وهم يعتقدون بأنَّهم يأكلون حرفيًّا جسد إلهَهم المعبود.(ويُظْهِر الرَّسم التَّوضيحيّ المُرفَق شعب الإنكا في المكسيك وهم يمارسون شعائرَ "أكلِ الإلَه").

- وتقول الموسوعة الكاثوليكيَّة إنَّه كان لدى أتباع الدِّيانة الميثرانيَّة الّتي امتدت من سنة ١٤٠٠ق.م إلى سنة٤٠٠م "قربانٌ مقدَّسٌ"، وكانوا يحتفلون عادةً بوجبةٍ مقدَّسةٍ من الخبز والخمر. وبأنَّ تلك العادة كانت قديمةً قِدَمِ الجنس البشري إذ

كانت موجودةً في كلِّ الأجيال وبين كلِّ الشّعوب. وتُظهِرُ الصُّورةُ المُرفَقة أعلاه منحوتةً يعود زمنها لقرونٍ خَلت قبل الميلاد، وهي موجودةٌ الآن في مُتحف اللّوفر الفرنسي، يَظهرُ عليها أتباع إلَه الشَّمس ميثرا وهم يتناولون الخبز والخمر، وكانوا يرمزون بذلك إلى لَحمِ ودَمِ إلَهِهم ميثرا.

الإلَهة السّورية عتارغاتيس

- ويقول العالِم والباحث الفرنسي فرانز كومون: "كان عبّاد الإلَه ديونيسيوس في الدِّيانة الأورفيَّة يأكلون لَحم ثورٍ نيِّئٍ ويشربون دمه على أنَّه جسد ودم إلَهِهم ليحصلوا على فضائلٍ سماويَّةٍ إلهيَّةٍ وخلودٍ في العالم الآخَر بحسب اعتقادهم وعقيدتهم، وإنَّ عبّاد الإلَهَة السُّورية القديمة عتارغاتيس (كانت تُجسَّد عادةً كحوريَة البحر) كانوا يأكلون السَّمك الّذي يقدِّمونه لها مُعلنين بذلك بأنَّهم يأكلون لحمها حرفيّاً.

لكن كيف استطاع رجال الدّين في الوثنيَّة المُمَسْحَنة أن يُمسْحِنوا "الإستحالة" الوثنيَّة لتبدوَ وكأنَّها "استحالةً" مسيحيَّةً؟. وجدوا الحلَّ في ربطِها بالمسيح يسوع في طريقتَين، الأولى هي أنَّهم فسَّروا ما قاله عن ضرورة أكل جَسده وشُرب دمه لنوالَ الحياةِ الأبديَّةِ بطريقةٍ حَرْفِيَّةٍ، ومن ثم قدَّموا تفسيرهم هذا إلى النّاس بطريقةٍ احترافيَّةٍ في التَّضليل، وليس بالطَّريقة الرّوحيَّة الّتي قدَّمها المسيح بنفسه عندما قال أنَّ كلامه هذا هو روحٌ وحياةٌ، وبأنَّ الجسد لا يَفيد شيئاً (يو٦:٦٣). وأمّا الطَّريقة الثَّانية فهي أنَّهم ادَّعوا في مجمعٍ ترنت أنَّ الخُبز يتحوَّلَ بطريقةٍ سِرِّيةٍ إلى لحمِ وعظامِ وأعصابِ المسيح، وإنَّ الخمر يتحوَّلَ بطريقةٍ سرِّيةٍ أيضاً إلى دمِ المسيح. ومن ثم زادوا عليهما روحه ولاهوته ليُصبحَ بالتّالي حُضورهُ كاملاً في عناصر هذا "السِّر"، ودعوا النّاس لكي يأكلوا فيه "المسيح" كاملاً أثناء القدّاس!. وهكذا استمرت العادةِ الوثنيَّةِ القديمة بأكْل الإلَه حرفيّاً من بعد مَسْحَنتها بإعطائها إسْماً جديداً. فلذلك يتناول الكثير من النّاس اليوم ما يُسمَّونه "القربان المقدَّس" وهم يَظُنّون ويتخيَّلون أنَّهم يأكلون "جَسدَ المسيح ودَمهِ" حرفيّاً لينالوا الحياة الأبديَّة!.

إن وَقفَ أحدٌ قُرب الكاهنِ أثناء القدّاس فسيجد بأنَّه لا يوجد أيِّ دليلٍ حِسِّي على حدوثِ "الاستحالةِ"، لأنَّ عناصر القدّاس الكاثوليكي (الخبز والخمر) تبقى كما هي من جِهة الحجم والوزن واللّون والطَّعم والرّائحة. فالخبزُ يبقى بطعمهِ

ورائحتهِ وحجمهِ، والخمرُ أيضاً يبقى على طعمهِ ولونهِ ورائحتهِ، واذا شَرب منهُ الكاهن كثيراً فإنَّه سَيسكَر كأنَّه يشرب خمراً عاديّاً. فكيف إذاً يتحوَّل الخبز والخمر من دون أن يتغيَّرَ أيِّ شيءٍ فيهما ؟. طبعاً الجواب الكاثوليكيّ معروفٌ منذ زمنٍ طويلٍ وهو يُقْنِع الّذين لا يعرفون الحقّ الموجود في الإنجيل.

تَسبَّبت عقيدة "الاستحالة" بمشاكلٍ ومنازعاتٍ ومجادلاتٍ حتّى بين الكاثوليك أنفسهم، وكانت كلَّها تَتمحْوَر حول كيفيَّة التَّصرف في ما يجب أن يفعلوا لو تقيّأ إنسانٌ ما بعد المُناولة، أو إذا أكل كلبٌ أو فأرةٌ بالصُّدفَةِ ما سَمّوه "جَسد الرَّب". وكان الكهنةَ يأخذون الحَذَر الشَّديد أثناء القدّاس لئلاّ تقعُ أيَّة كَسرةٍ صغيرةٍ من الخبز إلى الأرض، خِشيةَ من أن يتأذّى "جَسد المسيح"!. وقد قامت منازعةٌ في مجمع كونستانس حول إن كان يجب حرق لحيةِ رجلٍ بالنّار أُريقَ القليل من "دمِ المسيح" عليها أثناء القدّاس، أم أنَّهُ يجب أن يُحرَق مع لحيته!. أخيراً صدر قرارٌ بابَاويٌّ بمنع الخمر عن النّاس وبأنَّ الكاهن هو الوحيد الّذي يشربه أثناء احتفاله بالقدّاس، وأُرفِقَ القرار بالتَّبرير التّالي: "إن أخَذَ النّاس الخبزَ وحدهُ يكون كأنَّهم أخذوا الخبزَ والخمرَ معاً، وبالتّالي لا يكونون محرومين من أيّةِ نعمةٍ، لأنَّ المسيحَ موجودٌ بكاملهِ في كلٍّ من الخبزِ وحدهُ أو الخمرِ وحدهُ". لكن كان طلب المسيح واضحاً من الّذين يؤمنون به أن يأخذوا الخبز ونتاج الكَرمة مع بعضهما حتّى ولو أريقَ البعض من الكأس. وأليس من المحتملِ بأن يكون التَّلاميذَ قد أراقوا وقتَ العشاءِ بعضٍ ممّا كان في الكأس على لحاهم؟ وبالطبع فإنَّ المسيح لم يَطلب منهم أن يحرقوا لحاهم!. وأوَلا يكون هذا الأمر دليلاً آخَرٌ على أنَّه لم تحدث أيَّةِ استحالةٍ على مائدة العشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه؟.

عندما يفهم القارئ العزيز المعنى الرّوحي لكلام الرَّب يسوع على مائدة العشاء عن أكلِ جسدهِ وشُربِ دمهِ يُدرك حينها استحالة حدوث "الاستحالة". لكن إن تمسَّك بتعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة الّتي تتكلم عن "استحالةٍ" تَحدثُ حرفيّاً بين يدي الكاهن على المذبح الكاثوليكيّ، فسيُصبِحُ من المُستحيل عليهِ بأن يفهمَ بإنَّ تلك "الاستحالة" المزعومة لا تتمَّ بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

ولكي تتوضَّح الصُّورةُ أكثرَ أمامنا يجب أن نُوَضِّح الفَرق هنا بين "مائدة الرَّب" الّتي أمر بها الرَّب يسوع لكي تُصْنَع **لِذِكْرِهِ**، وقد حدَّد هو بنفسهِ شكلَ وطريقةِ ممارستها، وبين ذبيحة المذبح الّتي تُصْنَع **لِذَبْحِهِ** والّتي لم يأمر بها لا في شَكلها ولا

في طريقةِ ممارستها، وبالتّالي يكونُ الفرقُ كبيرٌ بين المائدة والمذبح إن كان في طريقةِ **المُمارسةِ** عليهما، أو في **النَّتيجة** الّتي تَظهر في حياة الّذين يمارسونهما كما سنرى تالياً.

فعلى "مائدة الرَّب" يوضعُ فقط رغيفَ خبزٍ وكأسٍ فيه من نتاج الكرمة، **يرمزان** إلى جسدِ المسيحِ ودَمهِ ولكن لا يَستحيلان إليهما، ويجتمع حولها المؤمنون الحقيقيّون ليأكلوا الخبز بعد أن يكسروه ثمَّ يشربوا الكأس ليتذكَّروا ما صَنع الرَّب يسوع لأجلهم على الصَّليب، وليشكروه **لأنَّه غَفَر خطاياهم وأعطاهم الخلاص والحياة الأبديَّة،** وليُعاهدوه على حياةِ البرِّ والقداسة أمامهُ والتَّكريسِ له **(المُمَارسة)**، ولينطلقوا بعدها إلى العالم الشِّرير ليخبروه عن موتِ الرَّب يسوع إلى أن يَجيء.**(النَّتيجة)**

أمّا على المذبح فتُضاء الشُّموع ويُحرَق البَخور على الطّريقة الوثنيَّة، ويوضع عليه خبزٌ رقيقٌ في صحنٍ مُذهَّبٍ، وخمرٌ مُعتَّقٌ في كأسٍ مذَهَّبةٍ " **يتحوَّلان** " بطريقةٍ سرِّيَةٍ وسحريَّةٍ بين يدَيّ الكاهن إلى "جَسدِ ودمِ المسيح"، ويجتمع أمامه المُتديِّنون ليأكلوا "المسيح" حرفيّاً، وليَطلبوا منه بشفاعةِ "أمِّه مريم العذراء وجميع القدّيسين" **أن يغفر خطاياهم وأن يؤهِّلهم لنوال الحياة الأبديَّة (المُمارسة)**، وليَخرجوا بعدها خالي الوفاض إلى متابعةِ حياةِ التَّدنُّسِ الخادعِ وحياةِ الخطيَّةِ في العالمِ الشِّريرِ كأنَّ شيئاً لم يكن.**(النَّتيجة)**

ننتقل الآن للكلام عن العادة الثّانية الآتية من الوثنيَّةِ، والظّاهرةِ بوضوحٍ في "سرِّ الإفخارستيّا"، وهي أنَّ شعائر عبادة الشَّمس والقمر الّتي كانت قائمةً بين الشُّعوبِ الوثنيَّةِ القديمةِ، هي نفسُها موجودةٌ الآنَ في شعائرِ هذا "السِّر"، بعد أن تمَّت مَسْحَتِها في الكنيسة الكاثوليكيَّة بوضعِ صليبٍ عليها وبرَبطِها بالمسيح "نورُ العالم، وشمسُ البِرِّ"، مع أنَّه لا يوجد أيِّ ارتباطٍ بين المسيح والشَّمس سوى أنَّه خالقها.

وإذا عُدنا بالتَّاريخ إلى ما قبل التّاريخ المسيحيّ، فإنَّنا نجد بأنَّ الشَّمس قد نالت الإعجاب والتَّقدير والشُّكر من الشُّعوب الوثنيَّة على مرِّ الأزمان، فلذلك آمنوا بأنَّها هي الّتي تُعطيهم الحياةَ والضَّوءَ والدِّفءَ، وتؤمِّن لمزروعاتهم الخَصبَ، فلذلك جعلوها الكائنَ الأعلى عندهم والأكثرَ عبادةً على الاطلاق، وقدَّموا لها الذَّبائح، وأقاموا لها آلِهَةٍ وإلَهاتٍ ليعبدوها من خلالِهم، ودعوا مناطقهم ومُدنهم وأولادهم باسْمِها لتَحميهم، وجسَّدوها بتماثيلٍ متعدِّدةِ الأحجامِ وضعوها على جدرانِ ومذابحِ معابدهم ليعبدوها. وقد جعلوا من القمرِ أيضاً إلهاً، وأدخلوه في نظام عبادتهم،

ووضعوه في بعض الأحيان كهلالٍ تحت الشّمس ليُعبَد معها. الصُّوَر واللائحة التَّالية تُبيّنان للقارئ صِدْقَ ما نقول:

- إبتدأت عبادة الشَّمس في مدينة بابل مثل كلّ العِبادات الأخرى الّتي كنا قد ذكرناها قبلاً. وكان البابليّون يضعون صورةً للشَّمس ومن تحتها القمر في معبد بابل العظيم ليعبدونها كما تُظهِر الصُّورة الّتي على اليمين. وتُظهِر اللّوحة الّتي على اليسار أيضاً إله الشَّمس البابلي شَمْش الّذي يجلس على يمينها وهو يحمل في يدهِ رموزَ سلطتهِ، ويقف أمامه النّاس الّذين ياتون لعبادته مع الشَّمس القائمة في الوسط.

- في مصرَ كانت عبادة الشَّمس موجودةً وسائدةً في الدّيانة المصريَّة القديمة، حيث كانوا آلِهة الشَّمس، أوزيريس، وآتون، ورِعّ، يُعبَدون فيها. وتُظهِر الصّورتان المُرفَقتان الطّريقة الّتي كانت متَّبعَةً في مصرَ القديمة، في عبادة الشَّمس من خِلال تقديم الذّبائح والعطايا والإكرام لها.

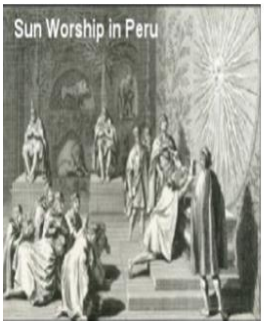

- وفي أميركا الجنوبيَّة كان إله الشَّمس يُدعى إنتي عند شعب الإنكا، وكان شعب الأزتيك في المكسيك يعبدون الشَّمس المجسَّدةِ كوجهٍ مستديرٍ (الصُّورةُ الّتي على اليمين). أمّا في البيرو فلقد وُضِع قرصِ الشَّمس على جدار معبد "كوزكو" لكي يسجد أمامه كلَّ الدّاخلينَ إليه (الصُّورةُ الّتي على اليَسار).

- وقبل الميلاد أيضاً، كانت تُعبَد الشَّمس من خلال إله الشَّمس سول في ألمانيا القديمة، ومن خلال الآلهة هيليوس عند اليونانيّين، وسفاروغ عند السّلافيّين، وبيلينوس عند السِّلتيّين...إلخ.

هذا قبل الميلاد، أمّا بعده فتستمر العبادة الوثنيَّة القديمة للشَّمس في ديانات المثليَّة الدينيَّة، مثل الإيزيديَّة والهندوسيَّة والبوذيَّة والشّينتويَّة وغيرهم، بقيام أتباعهم حتّى يومنا هذا بطقوسٍ مختلفةٍ لتكريمها وعبادتها، مثلما يَظهرون بالصُّوَر أدناه.

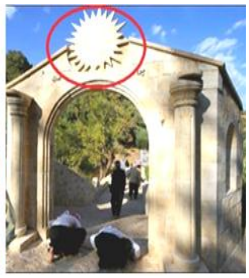

وأيضاً تستمر العبادة الوثنيَّة القديمة للشّمس في ما بعد الميلاد، في شعائرِ الكنيسة الكاثوليكيَّة بطرقٍ مختلفةٍ من بعد أن مَسْحَنتها، من خلال تحويلها لعيد ميلاد إلَه الشَّمس الوثني ليُصبح "عيد الميلاد" الكاثوليكي (سنتكلَّم عنه في الفصل التّالي)، ومن خلال إقامةِ مذابحَ معابدها باتِّجاه شروق الشَّمس (تغيَّرت تلك العادة نِسبيّاً الآن). ومن خلال تجسيدها للشَّمس بتمثالٍ كبيرٍ فوق ما تُسَمّى (كرسيِّ بطرس)، وبأشكالٍ مُتعدِّدةٍ في داخل الفاتيكان وفي قُبَّتِهِ مثلما تُظهر الصُّوَر أدناه،

ومن خلال نوافذ الشَّمس الّتي وضعتها فوق مداخلِ معابدها (الّتي تَظهر في الصُّورة على اليَسار)، والّتي تُشبه النَّوافذ الّتي كان الوثنيّون يضعونها فوق مداخلِ معابدهم لكي ينالوا الحِماية والبَرَكة من الشَّمس،

ومن خلال وضعَها تماثيلِ كبيرةِ الحجمِ للشَّمسِ وراءَ مذابحها، وأخرى مُتوسِّطة الحجم على تلك المذابح وَضعت في وسطِها قربانات الشَّمس ليحملها الكهنة بواسطةِ قطعة قماشٍ كبيرةٍ لتبجيلها وتبخيرها، أو ليسجد الناس أمامها بخشوعٍ وثنيٍّ في "ساعةِ سُجودٍ وصمتٍ وصلاةٍ"، وأحياناً يوضع القمر تحت قربانة الشَّمس على الطّريقة الوثنيَّة كما تُبيِّن المطابقة بين صورتي الكاهن الكاثوليكي والكاهن البابلي.

ومن خلال صُنعها أيضاً قرباناتِ الشَّمسِ الكبيرةِ ليأكُلها الكهنةُ أثناء القدّاس من بعد أن يحوِّلوها إلى"جَسدِ المسيح ودَمِه" كما يَزعمون، بالإضافة أيضاً إلى صنعها قربانات الشَّمس الصَّغيرة لكي تُناوِلها للنّاس أثناء القدّاس، من بعد أن أقنعتهم بأنَّها قد "اسْتحالت" إلى "جَسدِ المسيح ودَمه"،

ومن خلالِ هالةِ الشَّمسِ الّتي وَضَعتها حول رؤوس "قدّيسيها" (رأيناها في فصلٍ سابقٍ)، والتي زيَّنت بها أيضاً رأس التِّمثال الأسود المزعوم للرَّسول بطرس في الفاتيكان الّذي يَظهر في الصُّوَرة المُرفَقة،

ومن خلال وضعها للشَّمس على رؤوس رهبانها بقصِّها لشَعرهم بشكلِ قَرْعَةٍ مستديرةٍ ، كان الرَّب قد منع شعبه وكهنته في العهد القديم من قصِّ شَعرهِم بهذا الشَّكل الشَّمسي (لاويين ١٩:٢٧ - لاويين ٢١:٥)،

ومن خلال سَكّها للشَّمس على عملاتٍ معدنيَّةٍ باباويَّةٍ،

وأخيراً بجَعلها من مريم الكاثوليكيَّة إلَهةَ الشَّمس من خلال تجسيدها وهي تَجلس على القمرِ مع وضعِ قرصِ الشَّمسِ وسط صدرها كما تَظهَر بالصُّورة الّتي على اليَسار. قد يعترض الكثيرون على هذا الكلام لكن الصُّوَر المُرفَقة معه تُثْبِت أنَّ ما نقوله صحيح وواضحٌ كالشَّمسِ، وبأنَّه لا يوجدُ فيه أيّ افتراءٍ مِنّا على أحدٍ، وبالتَّالي لا يوجد من داعٍ للاعتراض علينا من أحدٍ.

عندما كان يسوع في العِلِّيَّة أثناء العشاء الأخير مع تلاميذه، أخذ الخبز بين يديه كما هو، ولم يَطلب مِقَصّاً منهم ليَقَصَّهُ بشكلٍ دائريٍّ ليقدِّمه لهم على شكلِ قرص الشَّمس. هو فقط أخذ الخبز بدون أن يَهتم لشكله، وكسَّره وأعطاهم إيّاه

ليأكلوه. فلماذا اذاً تَصنع الكنيسة الكاثوليكيَّة قربانات المذبح الكاثوليكي الّتي سَتحوِّلها إلى "جَسدِ المسيح ودمِه" كما تَدَّعي على شكلِ قرباناتٍ مستديرةٍ لتُناوِلَها لأتباعها؟ الجواب الأكيد هو إنَّه وكما رأينا فإنَّ تلك العادة في العبادة، كانت عادةً متَّبعةً في عبادة الشَّمس عند الشُّعوب الوثنيَّة، وقد مُسْحِنَت فيها.

هنا نسأل، هل يَقبل الله بهذا النَّوع من العبادة "الشَّمساويَّة" - إن جاز التَّعبير- أم أنَّه يرفضها جملةً وتفصيلاً، وبكلِّ أشكالها، أكانت وثنيَّةً أو كاثوليكيَّةً؟ الجواب نعرفه من ما كُتِب على صفحات العهد القديم من الكتاب المقدَّس، والّذي يُخبرنا بأنَّ عبادة الشَّمس بمختلف شعائرها وتماثيلها كانت مُنتشرةً بكثرةٍ بين الشُّعوب الوثنيَّة، وبأنَّه عندما سقط الإسرائيليون في الارتداد عن الرَّب عبدوها هم أيضاً ووضعوا تماثيلها (كانت تُدعى **الشَّمسات**) فوق مذابحهم. ولكن حين ملك يوشيّا الملك عمِل حسب إرادة الرَّب وحطَّم كلّ ما يتعلَّق بعبادتها بإبادته الكهنة الّذين كانوا يُوقِدون للبَعل والشَّمس والقمر، وبحرقِهِ بالنّار مركباتِ الشَّمس (٢مل٢٣:٥-١٤)، وبقطعهِ جميع تماثيل الشَّمس في كلِّ أرض إسرائيل (٢أخ٣٤:٧). وأيضاً يتكلَّم إشعياء النَّبي عن رفض الله لعبادة الشَّمسات ويضعها بمستوى رفضهِ للمسلَّةِ بهاتين الآيتين:

- في ذلك اليوم يلتفت الإنسان إلى صانعهِ... ولا ينظرُ إلى ما صنعتهُ أصابعه: السَّواري و**الشَّمسات** (إش١٧:٨).

- لا تقوم السَّواري و**الشَّمسات** (إش٢٧:٩).

(نرى في الصُّورةِ المُرفَقةِ **الشَّمساتِ** الوثنيَّة المُمَسْحَنَةِ بوضعِ صليبٍ عليها)

في نهاية كلامنا عن "سِرِّ الافخارستيّا"، ومن بعد الّذي تقدَّم معه من إثباتاتٍ ووقائعٍ ملموسةٍ عن ارتباطه بعقيدةِ أكل الإلَه وبعبادة الشَّمس، نقول بأنَّه كم هو محزنٌ أن نرى أعداداً لا تُحصى من النّاس الّذين يمضون سِنيّ حياتهم وهم يذهبون إلى المعابد ليتناولوا الشَّمس على اعتبارِ أنَّها "جسدَ المسيح ودمه"، بسبب التَّعاليم الّتي رسَّخها في أذهانهم مُعلِّمو الدِّيانة الكاثوليكيَّة الّذين يُحافظون بأمانةٍ على الإرثِ الوثني الّذي تسلَّموه من الدِّيانة الوثنيَّة!.

**- "سرُّ التَّوبة والاعتراف"**

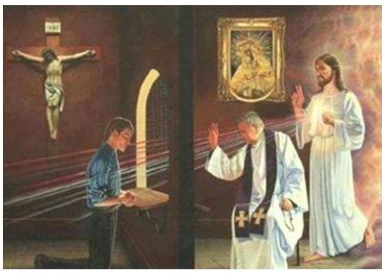
رسمٌ توضيحي يبيِّن كيفيّة تركيب "سرّ التوبة"

إنَّ دعـوةَ الله للنَّـاس إلـى التَّوبـةِ الصّـادقةِ أمامـه ليسـت بجديـدةً، فهـي قـد ظَهـرت فـي العهـد القـديم ونـادى بهـا أنبيـاء الله حينهـا، وتوَضَّـحت أكثـر فـي العهـد الجديـد الّـذي فيـه أيضـاً نـادى بهـا يوحنّـا المعمـدان، والـرَّب يسـوع المسـيح، والرُّسـل، ومـا زال المسيحيّون الحقيقيّون ينادون بها حتّـى يومنـا هذا وإلـى انقضـاء الـدَّهر، وهـي تَوبـةٌ بسيطةٌ جداً ليس فيها تعقيداتٍ ولا يوجد فيها أيِّ تدخُّلٍ لإنسانٍ لكـي يغفـر خطايـا إنسـانٍ آخـر، إلاّ الرَّب يسوع المسيح **وحده** الّذي يستطيع كإنسانٍ أن يغفر الخطايا. والآيات التّالية تُبيِّن حقيقة ما نقول:

- هكذا قال السَّيد الرَّب: **توبوا** وارجعوا عن أصنامكم...(حزقيال ١٤:٦).

- وفي تلك الأيام جاء يوحنّـا المعمدان يكرز قـائلاً: **"توبـوا** لأنَّـه قد اقتـرب ملكوت السَّموات...."(متّى ٣:١-٢).

- وبعدما أُسلِم يوحنّا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشـارة ملكوت الله ويقول: " قد كَمَـلَ الزَّمـان واقتـرب ملكـوت الله، **فتوبـوا** وآمنـوا بالإنجيـل" (مـر١:١٤-١٥). فَهَـل نتخيَّلَ هنا بأنَّ يسوع حينها ولكونـه كـان نجّـاراً كمـا يُقـال عنـه، قد صَـنع أوَّلَ كرسـيِّ اعترافٍ وجلس داخلها ليسمع اعترافات التّائبين بخطاياهم، خطيَّةً تِلْوَ أخرى.

- ودعا يسوع الإثني عشر وابتدأ يُرسلهم اثْنينِ اثْنينِ... فخرجـوا وصـاروا يكرزون للنّاس بأن **يتوبوا** (مر٦:١٢).

- فقال لهم بطرس: **"توبوا** وليعتمد كلُّ واحدٍ منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطيَّة الرّوح القدس" (أع ٢:٣٨). نادى بطرس للخطاة بالتَّوبـة، لكن من دون أن يطلب من أيِّ واحدٍ منهم أن يُعدِّد له خطاياه.

- فوقف بولس في وسط أريوس باخوس وقال: " فالله الآن يأمُر جميعَ النّاس في كلِّ مكـانٍ أن **يتوبـوا** متغاضـياً عـن أزمنـةِ الجهـلِ" (أع ١٧:٣٠). وقـف بـولس الرَّسـول

وتكلَّم للنّاس عن ضرورةِ توبتِهم، ولكنَّه لم يجلس في كرسيِّ اعترافٍ ليعرف منهم أنواعَ الخطايا الّتي يقترفونها.

إذاً على أساس هذه الآيات الّتي ذكرناها يتبيَّن لنا أنَّ التَّوبةَ الحقيقيَّةِ تكون في رجوع النّاس عن خطاياهم، وبالطّلب إلى الله مباشرةً أن يغفرها لهم على أساسِ إيمانهم بالمسيح يسوع كالمخلِّص والفادي الّذي مات عنهم على الصَّليب بدون الحاجة إلى كرسيِّ اعترافٍ. هذه هي الطّريقة الوحيدة للتَّوبة الحقيقيَّةِ، وهي بسيطةٌ في مَبناها، لكنَّها عظيمةٌ بفاعليتها إذ إنَّها تُبرِّر الإنسان من خطاياه أمام الله وتُحررِّه من قيود الشَّر، ومن تَسلُّطهِ عليهِ. وسنُعطي مِثالين عنها في القصَّتين التّاليتَين، ولينتبه القارئ العزيز الّذي لم يختبر التَّوبةَ الحقيقيَّةَ في حياته بعد على تفاصيلهما.

عندما علِمت المرأة الخاطئة بوجود يسوع في بيت سمعان، جاءت بقارورةِ طيبٍ ووقفت عند قدميه من ورائه باكيةً، وابتدأت تَبلُّ قدميهِ بالدُّموع وكانت تمسحهما بشعرِ رأسِها، وتُقبِّل قدميهِ وتَدهنُهما بالطّيب. فقال لها يسوع: "مغفورةٌ لكِ خطاياكِ. إيمانكِ قد خلَّصَكِ اذهبي بسلامٍ" (لو٧:٤٨)، خرجت المرأة الخاطئة من أمامه بعدها إنسانةٌ جديدةٌ مقدَّسةٌ وطاهرةٌ. وعندما كان يسوع مُعلَّقاً على الصَّليب قال له اللِّص الّذي كان على يمينه: "اذكُرني يا ربُّ متى جئتَ في ملكوتكَ". فقال له يسوع: "الحقّ أقول لكَ: إنَّك اليوم تكونُ معي في الفردوس" (لوقا٢٣:٤٢-٤٣).

أمّا دعوة الكنيسة الكاثوليكيَّة للنَّاس إلى التوبةِ فهي من خلال ابتداعها لِما سَمَّته "سرُّ التَّوبة"، والّذي وضَعت في طيّاته الكثير من التَّعقيدات، ومن تَدخُّل الإنسان في عمل الله، ومن التَّعاليم المُخالِفَة لتعاليم الإنجيل، ومن التَّجسُّسِ على أسرار النّاس الخاصَّة. وقد قامت بتركيبه على أربعِ آياتٍ إقتلعتها من الإنجيل تاركةً ما جاء من قبلها وما أتى من بعدها من الآيات الآخرى، ووضعت عليه هالةٌ من القُوَّةِ الغفرانيَّةِ، وسَلَّمته إلى كهنتها بعدما وضعت عليهم هالةٌ من السُّلطةِ الغُفرانيَّةِ، فأصبح في شكلٍ تَظنَّه النّاس بأنَّه مولودٌ جميلٌ خرج من رحمِ التَّعاليم المسيحيَّة الصَّحيحة، ويُمَكِّن كلّ من يمارسهُ من الحصول على الخلاص والحياة الأبديَّة. لكن من يَسبُر غَوْرَ هذا "السِّر" فسيجد بأنَّه مِسْخٌ عديم الجَمال، وليس فيه شيئٌ من التَّوبة الحقيقيَّة، لأنَّه يُدخِل الّذي يمارسه في متاهاتِ توبةٍ مزيَّفةٍ ومعقَّدةٍ بمضمونها وبتفاصيلها، ومغايرةٍ للتّوبةِ البسيطةِ والحقيقيَّةِ الّتي يطلبها الله من الإنسان الخاطئ لكي يَدخل ملكوت الله، كما وإنَّهُ يُوصِل الّذي يمارسه إلى الهلاك في النّار الأبديَّة لأنَّه يجعله غير مستوفٍ

للشُّروط الإلَهيَّة للتَّوبة الحقيقيَّة، بسبب طاعته للتَّعاليم البشريَّة المَغلوطة وتفضيله لها على التّعاليم الإلهيَّة الصَّحيحة. والآيات الأربع المُقتَلعة من الإنجيل هي على الشَّكل التّالي:

١- وأُعطيكَ مفاتيح ملكوت السَّماوات، فكلّ ما تربطهُ على الأرضِ يكون مربوطاً في السَّماوات. وكلّ ما تَحلَّهُ على الأرضِ يكون محلولاً في السَّموات (متّى١٦:١٩).

٢- الحقَّ أقول لكم: كلُّ ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السَّماء، وكلُّ ما تَحلُّونه على الأرض يكونُ محلولاً في السَّماء (متّى١٨:١٨).

٣- من غَفرتُم خَطاياهُ تُغفَر لهُ، ومن أَمسكتُم خطاياهُ أُمسِكَتْ. (يو٢٠:٢٣).

٤- اِعترفوا بعضكم لبعضٍ بالزَّلّات، وصَلُّوا بعضكم لأجلِ بعضٍ لِكيْ تُشْفوا. طلبةُ البارِّ تقتدر كثيراً في فِعلها (يع٥:١٦).

ولكن لكي يكون معنى حلِّ وربطِ الخطايا واضحاً أمامنا في هذه الآيات، علينا أن نُعيدها إلى سياقها الّذي وَردت فيه من قبل أن تقتلعها منه الكنيسة الكاثوليكيَّة بِسبب نواياها وأهدافها الواضحة، وحينها سنعرف معناها، وسنفهم مغزاها أيضاً.

- الآيةُ الأولى وَردت في هذا السِّياق : ولما جاء يسوع... سأل تلاميذه قائلاً: "مَن يقول النّاس إنّي أنا ابن الإنسان؟...فأجاب سمعان بطرس وقال: " أنتَ المسيح ابن الله الحيِّ"... وأنا أقول لكَ أيضاً: أنتَ بطرس، وعلى هذه الصَّخرة أبني كنيستي، أبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأُعطيكَ مفاتيح ملكوت السَّموات، فكلُّ ما تَربطهُ على الأرض يكون... .

الآية الثّانية وردت على الشَّكل التّالي: "وإن اخطأ اليكَ أخوك فاذهب وعاتبه بَينكَ وبَينهُ وحدكما. إن سمع منكَ فقد ربحتَ أخاكَ. وإن لم يسمع، فخذ معك أيضاً واحداً أو اثْنين، لكي تقوم كلُّ كلمةٍ على فمِ شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندكَ كالوثني والعشّار. الحقَّ أقول لكم: كلُّ ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السَّماء... وأقول لكم أيضاً: إن اتَّفق إثْنان منكم على الأرضِ في أيِّ شيء يَطلبانهِ فإنَّهُ يكون لهما من قِبَلِ أبي الّذي في السَّموات، لأنَّه حيث اجتمع اثنانِ أو ثلاثةٌ باسمي فهناك أكون في وسطهم".

أمّا الآية الثّالثة فقد دُوِّنت على هذا الشَّكل: "ولما كانت عشيَّة ذلك اليوم... حيث كان التَّلاميذ مُجتمعين... جاء يسوع ووقف في الوسط... فقال لهم أيضاً: "سلامٌ لكم، كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا". ولما قال هذا نفخ وقال لهم: "اقبلوا الرّوح القدس. من غَفرتم خطاياه تُغفر له...".

هنا نَطرح هذا السُّؤال، أين يَكْمُنُ " سرّ التَّوبة " بكل تفاصيله كالحَلِّ والرَّبط، ومغفرة البشر لخطايا البشر، وكرسيّ الاعتراف، في الآيات الّتي تقدَّمت ؟ الجواب هو إنَّنا بدون شكٍ نجد فيها توبةً وغفراناً للخطايا، ولكن لا نجد فيها أيِّ "سِرٍّ". ففي الآية الأولى نجد ارتباط الحلّ بالمفاتيح الّتي تكلَّمنا عنها في الفصلِ السّابق، وكيف أنَّها بشارة الإنجيل للعالم أجمع، والّتي كان لبطرس الرَّسول دورٌ كبيرٌ في إعلانها أمام اليهود في يوم الخمسين، وللوثنيين في بيت كرنيليوس الرّوماني، وكان الحلُّ من الخطايا يأتي على أساس قبول النّاس البشارة والتَّوبة، أو ربط الخطايا بمعنى عدم غفرانها ويكون على أساس رفض النّاس للبشارة وعدم التَّوبة. فلو كان المسيح قد أعطى بطرس سلطاناً خاصّاً ليغفر للنّاس خطاياهم كما تزعم الكنيسة الكاثوليكيَّة، لكان بطرس قد وقف أمام النّاس في يوم الخمسين ودعاهم إلى كرسيِّ الاعتراف ليغفرَ لهم خطاياهم فيها. أمّا الآية الثّانية فتتكلَّم عن التَّأديب الكنسي الّذي تقوم به الكنيسة أي جماعة المؤمنين، حين تتَّخِذ قراراً تأديبيّاً بحقِ شخصٍ مخطئٍ لهدف تقويمه فتُصادقُ السَّماءُ على هذا القرار الّذي يهدف لبناء الكنيسة، ونقاوتها، ومحبَّة أعضائها لبعضهم بعضاً. وأمّا الآية الثّالثة فهي تُشبه الآية الأولى وفيها نجد أنَّ يسوع تكلَّم بحقيقة غفران الخطايا وإمساك الخطايا، عندما طلب من رُسله بأن يذهبوا ليكرزوا بالإنجيل في العالم كلّه، وبالتّالي تُغفر خطايا كلّ من يقبل الإنجيل، بينما تُمسَك خطايا كلّ من يرفضهُ كما وضَّحنا آنفاً.

وامّا بالنِّسبة للّذي قاله يعقوب عن الزَلّات فإنَّ الآيةَ واضحةً كالشَّمسِ، بأنَّ كلامه عن الاعتراف الّذي ذكره فيها هو فقط عن الزَلَّات الّتي يجب على المسيحيين أن يغفروها بعضهم لبعض، وليس عن الخطايا الّتي لا يقدر أن يغفرها إلاّ الله وحده لأنَّه الوحيد الّذي يرى القلوب، وهو الّذي يعرف إن كانت توبةُ الإنسانِ الخاطئ حقيقيَّةٍ أمامه أو أنَّها مجردَ توبةً تمثيليَّةً. هذا من جهَةٍ، وأمّا من جهَةٍ أخرى، فلو سلمنا جدلاً بأنَّ استناد الكنيسة الكاثوليكيَّة إلى كلام يعقوب عن اعتراف المسيحيّين **لبعضهم البعض** بالزلّات حرفيّاً، فيجب عليها أن تدعو كهنتها للاعتراف بخطاياهم للنّاس أيضاً**!**.

لا يذكر الإنجيل أبداً أنَّ تلاميذ المسيح قد غفروا خطيَّةَ أحدٍ، وعندما أخطأ سيمون السَّاحر بعد أن اعتمد لم يطلب منه بطرس أن يعترف له بخطيَّته ليَحِلَّها له، لكن قال له أن يُصلّي إلى الرَّب لينال منهُ غفراناً لها. فلو كان بطرس أو التَّلاميذ الآخرون يملكون السُّلطان المزعوم للحلِّ والرَّبطِ لكان بطرسَ حلَّ خطيَّةَ سيمون، أو حَوَّله إلى تلميذٍ آخرَ ليِحِلَّها لهُ. وعندما أخطأ بطرس لم يَحِلَّ خطيته بنفسهِ بل اعترف للرَّب بها ونال الغفران عنها. لكن عندما أخطأ يهوذا الإسخريوطي، تلا "فعلُ النَّدامةِ" على خطيئته، واعترف بها إلى الكهنة، ثمَّ قام بشنق نفسه!.

سألتُ مرَّةً كاهناً صَديقاً هذا السُّؤال: "إن كان شخصٌ يقود سيارته وسقط في وادٍ سحيقٍ جداً، وأُصيب بكسورٍ وجروحٍ بالغةٍ وأحسَّ بأنَّه سيفارق الحياة، ولكنَّه لم يجد بقربه كاهناً ليعترف له ليغفر له خطاياه، فماذا يفعل حينها"؟ فأجابني بأنَّه حينئذٍ يجب عليه أن يَعترف ويتوب للرَّب مباشرةً، والرَّبُ يسمعُ توبته ويغفر خطاياه. فقلتُ له: "هذه هي التَّوبة الحقيقيَّة، وهذا هو الإعتراف الصَّحيح، وبالتّالي لا توجدُ أيَّةِ حاجةٍ للاعتراف عند كاهنٍ في كرسيِّ الاعترافِ ما دام أنَّ الله يعرف ما في قلوبنا، ويسمع توبَتنا ويَقبلها ويغفر خطايانا في أيِّ مكانٍ نكونُ فيه".

هنا أيضاً نطرح هذا السُّؤال، إن كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة تملك مفاتيح ملكوت السَّماوات، والحلِّ والرَّبط، وغفران الخطايا أو إمساكها، في "سرِّ التَّوبة" كما تدَّعي، فلماذا اخترعت إذاً بِدعةِ المَطهرِ والّذي أرفقته بالقِصصِ الخُرافيَّةِ لتأكيد وجوده، وثمَّ من بعده ابتدعت ما سُمِّيت صكوك غفران الخطايا لتبيعها للنّاس المسكينة والمخدوعة منها؟ إقرأ أيَّها القارئ العزيز تبريرها لهذه الطَّريقة في سَرِقة النّاس، من خلالِ ما تقوله الموسوعة الكاثوليكيَّة، واحْكُم أنتَ بنفسكَ على هذا الخداع الدّيني، وعلى هذه الهَرطقة العَجيبة الغَريبة والبعيدة عن الرَّحمة الإلهيَّة الحقيقيَّة: "إنَّ الخطايا الّتي تُرتَكبُ بعد المعموديةِ يُمكن أن تُغفر من خلال سرِّ التَّوبة، لكن يبقى العِقاب الزَّمني الّذي تُطالب به العدالة الإلَهيَّة كَدَينٍ في هذه الحياة، أو في الحياة الآتية في المطهر. لذلك، فإنَّ صكَّ الغفران الّذي يشتريه الخاطئ التّائب يمنحهُ خلاصاً من دَيْنِه هذا خلال حياته على الأرض".

إنَّ الأفكار والتَّعاليم الكاثوليكيَّة الّتي تتكلَّم عن المطهر، لم تكن من تعاليم المسيح ولا الرُّسل، وقد ظَهرت في سنة ٦٠٠ مع البابا غريغوري الأوَّل الّذي أعلنَ عن وجود مكانٍ ثالثٍ لتطهيرِ النُّفوسِ قبلَ دخولها إلى السَّماء، وثمَّ أصبح هذا الإعلان

عقيدةً رسميَّةً في مجمع فلورنس في سنة ١٤٥٩. لكن من أين أتى البابا المذكور بهذه البدعة عن التَّطهير بالنّار مع أنَّها لم تُذكَر في الكتاب المقدّس الّذي يؤكِّد أنَّ التّطهير من الخطايا يَتمُّ فقط بدماء المسيح؟ طبعاً يكون الجواب الحتمي هو من الوثنيَّة، وسنقدم الدَّليل باختصارٍ بما يلي. فلقد تكلَّم أفلاطون الّذي عاش من سنة ٤٢٧ إلى سنة ٣٤٧ قبل الميلاد عن معلِّمي ديانة الأورفيك وعن تعاليمهم في أيّامه فقال: "كانوا يتوجَّهون إلى باب الرَّجل الغَني ليُقنِعوه بأنَّ لديهم سلطةٍ معطاةٍ من السَّماء، وهي تُخوِّلهم من خلال الذّبائح والرُقِيِّة أن يُكفِّروا عن أيِّ ذَنبٍ ارتكبه هو، أو أيِّ واحدٍ من أجدادِهِ. وكانوا أيضاً يؤمنون بأنَّ أسرارهم تُنقِذنا من عذابات العالم الآخر، بينما إهمالها يؤدّي بنا إلى الدَّينونة الرَّهيبة".

ويوجد وصفٌ مُفصَّلٌ ودقيقٌ للعذابات المَطهريَّة في الكتابات المقدَّسة عند البوذيين الصّينيين، الّذين يأتون في أوقاتٍ مُعيَّنةٍ من السَّنة إلى أماكنَ خاصَّةٍ ليشتروا منها صلواتٍ لأجلِ خلاصِ أحبّائهم من المَطهر. أمّا في الدِّيانة الزرادشتيَّة فيعتقدون بأنَّ الرّوح تبقى من بعد موت الجسد في مكانٍ بين النّار والسَّماء يدعى البَرزخ، وبأنَّها تحتاج لأن تَعبُر اثنتي عشر مرحلةً لتتطهَّر كفايةً للدُّخول إلى السَّماء. ويقول ألكسندر هيسلوب في كتابه "البابليتان" عن المَطهر ما يلي: "في كلِّ نظامٍ دينيٍّ، نجد أنَّ عقيدة المطهر بعد الموت والصَّلوات لأجل الموتى قد أخذت مكاناً هاماً فيه، إلّا أنَّنا لا نجد أبداً هذه العقيدة في الكتاب المقدَّس".

وبالنّسبة لظُهور ما تُسمّى بصُكوك الغفران، فإنَّ من يعود إلى تاريخ العصور الوسطى المُظلِمة فسيجد بأنَّ البابا بونيفايس الثّامن (الّذي تكلَّمنا عنه في الفصل السّابق) لم يكن مُجرِماً وزانياً فقط، ولكنَّه كان مخادِعاً وماكِراً أيضاً لأنَّه كان هو الّذي ابتدع تجارةَ صُكوكِ الغفرانِ للأحياء، حين أعلن سنة اليوبيل في سنة ١٣٠٠، وقدَّم صكوكِ الغفرانِ بسَخاءٍ لكلِّ الّذين يريدون الحجَّ إلى ما تُسمّى "كاتدرائيَّة القدّيس بطرس" في روما. فأتى خلالَ تلك السَّنةِ ما يُقارب المليونَي شخصٍ بهدفِ الحصولِ على الغفران بحسبِ وعدِ البابا "الصَّادق"، وأودعوا أمام القبر المزعوم للقدّيس بطرس نقوداً معدنيَّةً كثيرةً دفعت بالكهنة لكي يحملوا المجارف في أيديهم ليجرفوها نهاراً وليلاً. ثمَّ ومن بعد أكثر من مئتي سنة أيّ في سنة ١٥١٤، وأيضاً بسبب الحاجةِ الى الكثير من المال لإكمال أعمال البناء في الكاتدرائيَّة نفسها، أوجد البابا لاون العاشر الّذي كان لا يقلَّ مكراً ودهاءً عن البابا بونيفايس الثّامن، عُنصراً مُميَّزاً لكسب المال من خلال بيعهِ لصكوكِ غفرانٍ يشتريها الأحياء لغفران خطايا الأموات

الموجودين في المطهر بحسب زعمه. وقام بتعيين رجلٍ خبيرٍ في كسب المال بطرقٍ مُلتويةٍ يُدعى جون تيتزل (يَظهر جالساً في الصُّورة التّوضيحيَّة المُرفَقة) ليبيعَ صكوكَ الغفرانِ في ألمانيا. وقد وصف شهودُ عِيانٍ دخول تيتزل إلى مدينةٍ ألمانيَّةٍ كالتّالي: "عندما كان يدخل بائعِ صُكوكِ الغفران، كان يُحمَل أمامه الختم الباباوي (الوثيقة الرَّسميَّة) على قماشةٍ مُخمليَّةٍ مُذهَّبةٍ، وكان جميع رجال الإكليروس ومجلس المدينة وجميع أهلها يخرجون لاستقباله بالأعلام والشُّموع والأغنيات، مُشكِّلين موكباً كبيراً لمرافقته على صوت قرع الأجراس وعزف الأرغن إلى ساحة الكنيسة، حيث يكون قد تمَّ وضعِ صليبٍ كبيرٍ في وسطها، وبجانبهِ كان يُرفرف عَلَم البابا. ثم يقوم تيتزل بوضع صندوقٍ معدنيٍ كبير مقابل الصَّليب، ليجمع فيه المال من النّاس الّذين كانوا يُقنَعون بطرقٍ كثيرةٍ لشراءِ صُكوكِ الغفران".

ويُقال أيضاً إنَّ تيتزل كان يحملَ معهُ صورةً للشَّيطان وهو يُعذِّب الأرواح الّتي في المَطهر، وكان يُردِّد العبارة التّالية المكتوبة على صُندوق المال: "في اللّحظة الّتي يرنَّ فيها المال في قعرِ الصّندوق، تنطلق الأرواح المُعذَّبة من قاعِ المَطهرِ".

أفضل طريقة لجني الكهنة للمال هي القدّاس والجنّاز

ومعَ أنَّه في أيّامنا الحاضرة لا يبيعُ الكهنةُ صُكوكَ غفرانٍ كما فعل جون تيتزل، إلاّ أنَّهم استبدلوا تلكَ الطريقةِ القديمة بطريقةٍ جديدةٍ هي بيعُ القداديسَ والصَّلواتِ الطَّويلةِ في الجنّازات إلى النّاس الحزانى على فقدان أحِبّائهم، مُشابهينَ بذلك الكتبةَ والفريسيين الّذين وبَّخهم المسيح لأنَّهم كانوا يأكلون بيوت الأرامل ولعلّةٍ (المال) يُطيلون صلواتهم فلذلك وعدهم بدينونةٍ أعظم (متّى٢٣:١٤).

إن كنتَ أيَّها القارئ العزيز تُفتش عن الطَّريقة الصَّحيحة الّتي عليك أن تَتَّبعها للتَّوبةِ لكي تنال غفرانَ خطاياك، فإنَّ الرَّب يسوع المسيح ولأنَّه يُحبَّكَ، قد أعطاك إيّاها من خلال مَثَل الفرّيسي والعشّار الّذي قالهُ ودُوِّن في الإنجيل كالتّالي: "إنسانانِ صَعِدا إلى الهيكل ليُصلِّيا، واحدٌ فرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ. أمّا الفرّيسيُّ فوقف يُصلّي

في نفسهِ هكذا: اللّهُمَّ أنا أشكركَ أنّي لست مثل باقي النّاس...ولا مثل هذا العشّار. وأمّا العشّارُ فوقفَ من بعيدٍ، لا يشاءُ أن يرفع عينيهِ نحو السَّماءِ، بل قرع على صدره قائلاً: **اللّهُمَّ ارحمني، أنا الخاطئَ**. أقولُ لكُم: إنَّ هذا نزل إلى بيته **مُبَرَّراً** دون ذاكَ" (لو١٨:٩-١٤). نَعَم، فقط أربعَ كلماتٍ كانت كافيةٍ ليَحصل العشّار الخاطئ على غُفرانِ خطاياه والتَّبرير والخلاص والمجد الأبدي، بدون أن يحتاج إلى ممارسةِ "أسرارٍ"، وإقامةَ قدّاساتٍ وجنّازاتٍ، وتِكرارِ صلواتٍ، وتلاوةِ اعترافاتٍ، وتقديمِ صَدَقاتٍ، وتتميمِ واجباتٍ، وعملِ إماتاتٍ، وشِراءِ غفراناتٍ، واتِّباعِ ضلالاتٍ. فقط اغمض عينيك عزيزي القارئ الآن وصلِّ بالإيمان هذه الكلمات الأربع أعلاه من كلِّ قلبك أمام الله مؤمِناً بما صنع الرَّب يسوع المسيح لأجلك على الصَّليب وبأنَّه يسمعك الآن، وستَنال منه حالاً الخلاص وغفران خطاياك والتَّبرير والحياة الأبديَّة.

### ٥- "سِرُّ مَسحة المَرضى"

قَطَف صانعو "الأسرارِ" في الكنيسة الكاثوليكيَّة آيةً واحدةً فقط مِمّا قاله الرَّسول يعقوب في رسالته إلى المؤمنين بالمسيح وصنعوا منها "سِرّاً" مع أنَّ يعقوب قالها علناً: "أمَريضٌ أحدٌ بينكم؟ فَليَدعُ شيوخ الكنيسة **فَيُصلّوا عليهِ** ويدهنوه بزيتٍ بِاسْمِ الرَّب، **وصلاةُ الإيمانِ تشفي المريضَ**، والرَّبُّ يُقيمهُ، وإن كان قد فعل خطيَّةً تُغفَر له...(يع٥:١٤-١٥). ويبدو مِمّا فعلوه بعدها أنَّهم لم يفهموا مضمونَ كلامِ يعقوبَ ولا قَصدهُ منه، لأنَّهم أحضروا زيتَ زيتونٍ وصَلّوا عليه وجعلوا منه المادة الأساسيَّة للشِّفاء في هذا "السِّر"، مع أنَّ يعقوب كان قد طلب الصَّلاة على المريض وليس على الزَّيتِ، وقال أيضاً إنَّ صلاةَ الإيمانِ هي الّتي تَشفي المريض ولم يَقُل إنَّ الزَّيت هو الّذي سيشفيه. وابتدأ صانعو هذا "السِّر" بالكتابة عن "مفاعيلهِ ونِعَمِهِ" ، ومِنها أنَّ المريض يَتقوّى بهِ لأنَّه يَعطيهِ نعمةً خاصَّةً تُمكِّنه من الإتّحاد بآلام المسيح، وعن ضرورته لغفرانِ خطاياه ونواله الحياة الأبديَّة.

إلى هنا قد يكون الأمر عاديًّا للوهلة الأولى ولا يدعو للارتيابِ أوالشَّكِ بأيِّ شيءٍ، لكن عندما نصل إلى معرفةِ هدفهم من وراء صُنعهم لهذا "السِّرِّ" فلا شكَّ بأنَّنا سنُصاب بالدَّهشة بسبب القدرة العظيمة الّتي يمتلكونها في النَّصب والاحتيال على النّاس بكلِّ الطُّرق المُمكِنة، حتّى ولو كانت من خلال استخدامِ آياتٍ من الإنجيلِ!. فلمن يُريد أن يعرف ما حدث وكيف حصل الإكليروس والرّهبان على ما يملكون الآن مع أنَّهم يدَّعون بأنَّ الفَقر يَنذرون، العرض التّالي هو لَهُ. ابتدأت الكنيسة

الكاثوليكيَّة بأخذ المال والأملاك من النّاس بواسطة هذا "السِّر" من خلال المرسوم الّذي أصدره البابا إسكندر الثّالث سنة ١١٧٠والّذي منعَ بموجبهِ كتابةِ أيَّةِ وصيَّةٍ قانونيَّةٍ بدون وجودِ كاهنٍ، وهدَّد بالحرمان الكنسي كلَّ كاتبَ عدلٍ يكتبُ وصيَّةً خارجةً على شروط هذا المرسوم البابا‌وي. فلذلك كان الكاهن آخِرَ من يَدْخُل إلى المريض المُنازِع حتّى الموت ليَمسَحهُ المَسحةَ الأخيرةَ بالزَّيتِ، ولكي يكون مُساعداً له في كتابةِ وصيَّتِهِ لأنَّ في تلك الأيّام كان القليل من النّاس يعرفون القراءة والكتابة. وبهذه المُساعدة كان الكاهن "يَمْسَحَ" كلَّ مالِ المريضِ ومقتنياتهِ من خلال الوصيَّة الّتي يأخذها منه، والّتي يكون فيها المريض قد تنازل عن كلِّ عقاراتهِ وأموالهِ ومقتنياتهِ الشَّخصية للكنيسة الكاثوليكيَّة على أملِ أنَّها تَضمن له في مقابل ذلك الحياة الأبديَّة في السَّماء من بعد موته بحسب وعودها "الصَّادِقة" لهُ. وبهذه الطَّريقة المُخادِعة فاضت "نِعَم" هَذا "السِّر" لكن ليس على المريض المخدوع والهالِك لا محالةً بل على الكنيسة الكاثوليكيَّة، فازدادت ثَرَوات الباباويَّة وثَروات الإكليروس من كهنةٍ ورهبانٍ وراهباتٍ عبر التّاريخ من خلال امتلاكهم لمدنٍ كاملةٍ، وقِطعٍ كبيرةٍ من الأراضي لا يستطيع أيِّ خبيرٍ بالطوبوغرافيا أن يقيسها تمتد من أعالي الجبال مروراً بالسُّهولِ وصولاً إلى شواطئِ البحارِ، كما امتلأت خزائنهم من الذَّهب والمجوهرات والأموال الّتي لا يستطيع أحدٌ أن يَعُدَّها وقد تَكلَّمنا عنها مُفَصلاً في الفصلِ السّابق.

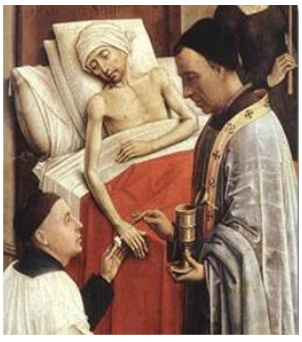

أخيراً هل نُصدِّق بعد الّذي تقدَّم بأنَّ الرَّب يسوع المسيح هو مَن أعطى هذا "السِّر" للكنيسة الكاثوليكيَّة كما تدَّعي، لتعمَل من خلاله على أخذ أملاك ومقتنيات النّاس بطرقٍ إحتياليَّةٍ ملتويةٍ لتصبح من أملاكها الخاصَّة ؟ وهل يشترك معها بهذه الأفعال الشّائنة والمُخزية ؟ حاشا وكلا. فلذلك يجب أن يُستَبدل اسم هذا "السِّر" من "سِرِّ مَسحةِ المَرضى" إلى "سِرِّ مَسْحِ ما للمَرضى".

**٦ - "سِرُّ الكهنوت"**

سمعتُ مرَّةً أحد الكهنة يقول بأنَّه لم يكن يوجدُ في القرون الأولى للمسيحيَّة كهنةٌ، وقد جاء ظهورَهُم لاحقاً بعدما شعر الأساقفة بأنَّهم مقصِّرون بالقيام بواجباتهم الدينيَّة تجاه النّاس فأتوا بمساعدين ليُساعدوهم في إقامة "الذَّبيحة الإلهيَّة" ودَعوهم كهنةً. لم أتفاجأ من كلام هذا الكاهن لأنَّه أكَّد لي ما كنتُ أعرفهُ من التّاريخِ بأنَّ ظهور الكهنة

أتى في القرن الخامس الميلادي، وممّا كنتُ أعرفه من الإنجيل الّذي لا يتكلَّم عن دعوة المسيح لتلاميذه بالكهنةِ ولا عن إقامته لكهنةٍ، ولكنَّه يتكلَّم فقط عن أساقفةٍ وشمامسةٍ أقامهم الرّوح القدس لخدمة المسيح وشعبه، فلذلك إن قلنا إنَّ كَهنة الكنيسة الكاثوليكيَّة قد أقيموا بحسب سلطةً بَشريَّةً وليس بحسب الإرادة الإلهيَّة، وبأنَّ "سِرّ الكهنوت" هو لزوم ما لا يَلزم، لا نكون مُخطئين. ولكي يكون كلامنا واضحاً سنغوص في "سِرِّ الكهنوت" من خلال تعاليم الّذين وضعوه أوَّلاً، ومن ثمّ نُقارِن تعاليمهم بتعاليمِ الإنجيلِ، وحينها نَصِل إلى خُلاصةٍ تُوصِلنا إلى الحقيقةِ الخالِصَة.

تُعرِّف الكنيسة الكاثوليكيَّة "سِرَّ الكهنوت" الّذي ابتدعته على الشَّكل التّالي :

- إنّ هذا السِّر هو حلولُ نعمةِ المسيحِ لغفران الخطايا وإمساكها، وممارسة الأسرار من خلالِ شخصِ الكاهنِ الّذي يُعطى من خلال رِسامةٍ خاصَّةٍ السُّلطةِ لإعطاءِ هذه النِّعمة.

- يَمنَح هذا السِّر سُلطةً روحيَّةً للكاهن على المؤمنين الآخرين من عامَّة الشَّعب، ويُعطيه درجةً روحيَّةً أعلى منهم، ولذلك يُعطى لقب "إكليروس" لحامل هذا السِّر بالمقارنة مع "عِلمانيين" لعامَّة الشَّعب.

- تُوجدُ في هذا السِّرّ درجاتٌ مختلفةٌ وهي عبارةٌ عن تدرُّجٍ بالسُّلطة، والّذي ينقسم إلى ثلاثِ درجاتٍ كُبرى هي: الأسقُفيَّة، والكهنوتيَّة، والشَّماسيَّة. فالأسقُفيَّة هي أعلى درجةٍ في الكهنوت، تَليها درجةِ الكاهن، وتَليهما درجةِ الشَّماس.

- لا يستطيعُ عامَّةُ الشَّعبِ أن يتقرَّبوا إلى الله والمسيح إلاّ من خلال الكاهن الّذي دَفع الله ليده سلطةَ مَغفرةِ خطاياهم أو إمساكها، وسلطةَ ممارسةِ الأسرارِ الأخرى، من معموديَّةٍ ومَيرونٍ وإفخارستيّا وتوبةٍ ومَسحةِ مرضى وزواج.

ما تقدَّم كان بالاختصار ما تُعلِّمه الكنيسة الكاثوليكيَّة عن "سِرِّ الكهنوت" لكن إن عَمِلنا على مُقارنتهِ بكهنوتِ الإنجيل فإنَّنا سنجد أنَّ الفرق بينهما كالفرق بين الثّرى والثّريا، وبأنَّه لا يوجد أيِّ ارتباطٍ بين الإثنين. فلقد دوَّن الرُّسل تعاليمَ الإنجيلِ مَسوقينَ من الرّوح القدس الّذي أرشدهم إلى الكتابة عن **ترتيبٍ** في كنيسة المسيح الّذي هو رأسها الوحيد، وبأنَّ جميع أعضائها **متساوون بالمركز** ولكنَّهم مُختلفون بالمواهب الّتي يعطيهم إيّاها الرّوح القدس ليخدموا بعضهم بعضاً بها، ولم يُرشدهم إلى الكتابة عن **تَراتبيَّةٍ** تَسلُّطيَّةٍ كالّتي موجودةٌ في درجاتِ "سِرِّ الكهنوتِ" في الكنيسةِ

الكاثوليكيَّةِ، والّتي تُشبهُ التَّراتبيَّةِ الّتي أخذتها تلك الكنيسة من جيش الملك قسطنطين مؤسِّسها، والّتي يكون فيها المأمور تحت إمرة رؤسائه. كما ولم يُرشدهم أيضاً إلى الكتابة عن **تراتبيَّةٍ** كالّتي هي موجودةٌ في عقيدةِ "إكليروس وعامَّة الشَّعب" والّتي تُشبِه التّراتبيَّة الموجودة في قصورِ طبقة النُّبلاء البورجوازيين، والّتي فيها يكون العبد تحت إمرة أسياده. ومن يقرأ الإنجيل ويفهمه، يعرف منه جيِّداً بأنَّ المسيح قد رفض مبدأ التّراتبيَّة في كنيسته، وبأنَّه لا يَقبل بأن يتسلَّطَ أحدٌ على الآخرين فيها، أو أن يكونَ بمنزلةٍ أعلى منهم.(تكلَّمنا عن هذا الموضوع في الفصل السّابق).

هل سمع الكهنة صرخته ؟

- أمرٌ آخرٌ نجده في تعاليم الإنجيل هو أنَّ الرَّب يسوع المسيح هو رئيسُ كهنةٍ وهو الوسيط **الوحيد** بين الله والنّاس في العهد الجديد، ولذلك لا توجد أيَّةِ حاجةٍ إلى كهنةٍ وسطاءٍ فيه ليأخذوا مكان اللاويِّين الّذين كانوا كهنة العهد القديم، لأنَّ الوَساطة الّتي كان يمثلها كاهن العهد القديم بين الله والشَّعب قد انتهت إلى غيرِ رجعةٍ حين **صرخَ** يسوعُ على الصَّليب **"قد أُكْمِل"** وانشقَّ حجاب الهيكل. ومع أنَّ الأزل والأبد قد سمعا صرختهُ المُدويِّةِ تلك، لكن للأسف فإنَّ الأساقفة والكهنة الّذين أقاموا أنفسهم أسياداً على النّاس ووسطاءَ بينهم وبين الله، يبدو أنَّهم قد سَدّوا آذانهم عن سماعها، أو أنَّهم قد سمعوها ولم يفهموها، ويبدو أيضاً أنَّهم أغمضوا أعينهم لكي لا ينظروا الحِجاب الّذي انشقَّ إلى اثنين، من فوقٍ إلى أسفلٍ (كما يظهر بالصُّورة المُرفَقة) مُنهياً بذلك ضرورةَ وقوفِ "كاهنٍ" بين الله والإنسان، وفاتحاً المجال لدخولِ كلّ من

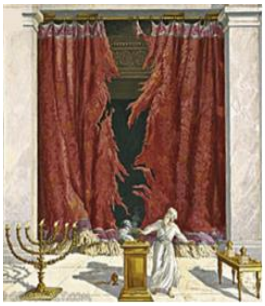

يؤمن بالمسيح يسوع ويَقبله في حياته كالمخلِّص والفادي إلى قدس الأقداس السَّماوي. فلذلك يُصبح القول بأنَّ الإنسان لا يستطيع الوصول إلى المسيح بدون "كاهنٍ" هو هرطقةٌ تَحمل في طيّاتها مَعنيَّين وسؤالاً واحداً ذا شِقّين لكن له جوابٌ واحدٌ، المعنى الأوَّل هو أنَّها تُهين المسيح وتَستهين بعمله الكامل على الصَّليب وبقدرته اللاّمحدودة، والمعنى الثّاني هو أنَّها تجعل من الكاهن سَدًّا منيعاً يمنع الانسان من الوصول إلى المسيح وليس وسيطاً بينهما!. أمّا السُّؤال بشقَّيه فهو إن مات الكاهن فماذا يفعل المسيح حينها، أفيصبح من المستحيل عليه أن يَتواصل مع النّاس؟ وماذا يفعل حينها النّاس الّذين يريدون أن يُقدِّموا العبادة للمسيح إلَه الحياة، أفيُصبح من المستحيل عليهم

أن يَصِلوا إليه من بعد أن يكونوا قد وضعوا الكاهنَ في القبرِ؟ الجواب هو بكلِّ بساطةٍ **كلاّ** لأنَّ المسيح قال: **"لأنَّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكونُ في وسطِهم"** (متّى١٨:٢٠) بدون أن يَذكر أيِّ شيءٍ عن "كاهنٍ" يكون في الوسط بينه وبين المجتمعين باسمه.

أيضاً أمرٌ آخرٌ نجده في تعاليم الإنجيل هو أنَّ المسيح قدَّم نفسه على الصَّليب **مرَّةً واحدةً** كذبيحةٍ أزليَّةٍ أبديَّةٍ كاملةٍ **لا تتكرَّر** بأيِّ شكلٍ من الأشكال. ويُقدِّم لنا الرّوح القدس تأكيداتٍ على هذا الأمر من خلالِ ما أوحى به إلى كاتب سفر العبرانيِّين، والّتي نحن بدورنا نُقدِّمها أمام الكهنة الّذين يقومون كلَّ يومٍ بتكرار "ذبيحة المسيح" حسب قولهم والّذين قد يكونون لم ينتبهوا إليها، أو لعلَّهم لم يقرأوها، أو أنَّهم قرأوها وعَبَروا عنها من دون أن يفهموا معناها مع أنَّ معناها واضحٌ كالشَّمس**!**.

وأمّا المسيحُ، وهو قد جاءَ رئيسَ كهنةٍ للخيراتِ العتيدةِ، فبالمسكنِ الأعظمِ والأكملِ، غير المصنوع بِيَدٍ، أي الّذي ليس من هذه الخليقةِ، وليس بدمِ تيوسٍ وعجول، بل بدمِ نفسهِ، دخل **مرَّةً واحدةً** إلى الأقداس، فوجد فداءً أبديّاً... فكم بالحريِّ يكون دمُ المسيح، الّذي بروحٍ أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيبٍ، يُطهِّر ضمائركم من أعمالٍ ميِّتةٍ لتخدموا الله الحَيَّ... لأنَّ المسيح لم يدخل إلى أقداسٍ مصنوعةٍ بِيَدٍ أشباهِ الحقيقيَّةِ، بل إلى السَّماء عينها، ليَظهر الآن أمامَ وجهِ الله لأجلنا. **ولا ليُقدِّم نفسه مراراً كثيرةً**، كما يدخلُ رئيسُ الكهنةِ إلى الأقداس كلَّ سنةٍ بدمٍ آخَرَ. فإذ ذاك كان يجب أن يتألَّم مِراراً كثيرةً منذ تأسيس العالم، ولكنَّه الآن قد **أظهِرَ مرَّةً** عند انقضاء الدُّهور ليُبطِل الخطيَّةَ بذبيحةِ نفسهِ. وكما وُضِعَ للنّاس أن يموتوا مرَّةً ثم بعد ذلك الدَّينونةُ، هكذا المسيح أيضاً، بعدما **قُدِّمَ مرَّةً** لكي يحمل خطايا كثيرين، سيَظهَر ثانيةً بلا خطيَّةٍ للخلاصِ للّذين ينتظرونهُ (عبر٩:١١- ٢٨).

ثمَّ قال: **"هأنذا أجيءُ لأفعل مشيئتكَ يا الله"**... فبهذه المشيئةِ نحن مُقدَّسونَ بتقديمِ جَسدِ يسوع المسيح **مرَّةً واحدةً**. وكلُّ كاهنٍ يقوم كلَّ يومٍ يَخدم ويُقدِّم مِراراً كثيرةً تلك الذّبائح عينها... وأمّا هذا فبعدما قدَّم عن الخطايا **ذبيحةً واحدةً**، جلس إلى الأبدِ عن يمين الله، مُنتظِراً بعد ذلك حتّى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه. لأنَّهُ **بقربانٍ واحدٍ** قد أكملَ إلى الأبدِ المُقدَّسين(عبر١٠:٩-١٤).

إذاً وفي ضوءِ هذه الحقيقةِ الإلهيَّة المُطْلقة الّتي أُعلِنت لنا في الإنجيل بأنَّ المسيح قد ذُبِح **مرَّةً واحدةً فقط**، يكون ادِّعاء الكهنة بأنَّهم يذبحونه كلَّ يومٍ صَباحاً ومساءً هو

هَباءٌ لا يَصِل إلى السَّماء، مهما ألَّفوا من كِتابات، وأعطوا من تحليلاتٍ دعموها ببضعِ كلماتٍ اقتلعوها بحسب أهوائهم من سياقِ ورودها في آيات الإنجيل.

- أيضاً أمرٌ آخرٌ نجده في تعاليم الإنجيل هو أنَّه يجب على الأساقفة والشَّماسة الّذين يخدمون الآخَرين في كنيسة المسيح أن يكونوا مُتزوِّجَين بحسب ما أمَر بهِ الرّوح القدس من خلال بولس الرَّسول الّذي كتب التّالي: "صادقةٌ هي الكلمة: إن ابتغى أحدٌ الأسقفيَّةَ، فيشتهي عملاً صالحاً. فيجب أن يكون الأسقف: بلا لوم، **بعلَ امرأةٍ واحدةٍ**،... يُدبِّر بيته حسناً، له أولادٌ في الخضوع بكلِّ وقارٍ... ليكن الشَّمامسة كلٌّ: **بعلَ امرأةٍ واحدةٍ**، مُدبِّرين أولادهم وبيوتهم حسناً..." (١تيم٣:١-١٢).

ممنوع الزّواج

أمّا في الكنيسة الكاثوليكيَّة فيوجد قانونٌ يُدعى "المَنع عن الزَّواج"، والّذي يُمنعُ الأساقفةُ بموجبهِ بكلِّ مراتبهم ومعهم الكهنة والرّهبان والرّاهبات من الزَّواج ويُجْبَرون على "البتوليَّة الدّائمة"(حاليّاً أصبح يوجد إستثناءً للكهنة دون الرهبان من هذا القانون). فمن أين أتوا بهذا "المَنع" يا تُرى؟ هل يُمكن أن تكون الكنيسة الكاثوليكيَّة قد استوردته من الوثنيَّةِ ومَسْخَنَتهُ فيها؟ وهل له من نتائج وخيمةٍ في حياة الّذين يُمارسونه؟ الجواب الواضح والصَّادم عن السُّؤال الأوَّل موجودٌ في الإنجيل الّذي يَربط قرار المنع عن الزَّواج لأسبابٍ دينيَّةٍ بأتِّباع الأرواح المُضِلَّة وتعاليم الشَّياطين المُقترنة بالكَذب والرِّياء، ويأتي على الشَّكل التّالي: "ولكنَّ الرّوح (القدس) يقول صريحاً: إنَّه في الأزمنة الأخيرة يرتدُّ قومٌ عن الإيمان، تابعينَ أرواحاً مُضلَّةً وتعاليمَ شياطينَ، في رياءِ أقوال كاذبةٍ، موسومةً ضمائرهم، **مانعين عن الزَّواج**...(١تيم ٤:١-٣). أمّا الجواب عن السُّؤال الثّاني فيأتي من التّاريخ القديم إذ كان قانون "المَنع عن الزَّواج" سارياً على الّذين كرَّسوا أنفسهم للعيش كرهبانٍ وراهباتٍ في معابدِ وأديارِ آلِهَةِ الدّيانات الوثنيَّة القديمة، والذي ما زال مُستمرّاً الى يومنا هذا في معظم معابد الديانات الوثنية المُختلفة. مُسْحِنَ هذا "المَنع" في الدِّيانة الكاثوليكيَّة وأصبح ساري المفعول على الّذين كرَّسوا أنفسهم للعيش كرهبانٍ وراهباتٍ في أديارها. ويقول المؤرِّخ ألكسندر هيسلوب في هذا الصَّدد: "إنَّ الكهنة غير المُتزوِّجين كانوا أعضاءً في جماعة الكهنة ذوي المَراتب العُليا عند الملكة سميراميس (عشتار) البابليَّة، والّتي قد تكون هي من وضعت مبدأ عزوبيَّة الكهنة". أمّا الجواب على السُّؤال الثّالث فنَجده في ما يُكمِل هيسلوب من كلامه: "وفي الزَّمن الّذي أُدخلت فيه عبادةَ الإلَهَةَ سيبل إلى روما، دَخل

معها رجال الدّين العازبون المُكرَّسون لها والذّين فاقت تجاوزاتهم اللاأخلاقيَّة كلّ حدود، مِمّا حدا بمجلس الشُّيوخ الرّوماني بأن يفصلهم من الجمهوريَّة الرّومانيَّة". وعندما فُرِضَت العزوبيَّة الوثنيَّة على كهنة الكنيسة الكاثوليكيَّة بأوامرَ باباويَّةٍ، تطوَّرت مشاكلَ معهم مشابهةً لتلك الّتي كانت مع كَهنة الإلَهة سيبل الوثنيين، إذ عندما حاول البابا بولس الخامس (١٦٠٥-١٦٢١) أن يُلغي رُخصةَ مواخيرِ البغاء في روما أيِّ "المدينة المقدَّسة" كما كانت تُدعى، قدَّم مجلس الشُّيوخ الرّوماني اعتراضاً على قراره هذا، على اعتبارِ أنَّ هذه الأماكن تُلْهي الكَهنة عن إغواء بناتهم أو التَّعدي عليهنَّ!.

أيضاً وصلت النّتائج الوخيمة لقانون "المَنع" عن الزَّواج في الكنيسة الكاثوليكيَّة إلى كرسيِّ الاعتراف، لأنَّ اعتراف النِّساء والفتيات بخطاياهنَّ اللاأخلاقية وملذاتهنَّ الشَّخصيَّةِ في أُذني كاهنٍ أعزبٍ قد دفع بالكهنة إلى اقتراف خطايا الزِّنى وارتكاب مساوئَ عديدةٍ عبر التّاريخ. ومن يريد أن يعرف أكثر عن هذا الموضوع فليقرأ كتاب "الكاهن، المرأة، وكرسيّ الاعتراف" للكاهن الكاثوليكي السّابق تشارلز تشينكي، والّذي يُعطي فيه وصفاً دقيقاً وشاملاً ومُفصَّلاً لأحداثٍ حقيقيَّةٍ جَرت أمام عينيهِ وسمعها بأُذنيه، وارتبطت مع الفساد الّذي ساد في أيّامه بسبب كرسيِّ الاعتراف.

كرسيّ البطش والعنف

كرسيّ اللّطف والعطف

وما دُمنا نتكلَّم عن كرسيِّ الاعتراف فلا ضَيْرَ من أن نَذكُر بأنَّهُ أُقيمَ أوَّلاً في العُصور الوسطى أثناء محاكم التَّفتيش ليعترف الناس الجالسون عليه بأسرارهم الشَّخصية للكهنة قسراً بسبب البطشِ والعُنفِ المَهولين. أمَّا فيما بعد تلك الحقبة الرَّهيبة فقد تغيَّر شكلُ الكرسيّ وأصبح مريحاً جدّاً ووُضِع داخلَ غرفةٍ صغيرةٍ، حيث أصبح الناس يعترفون عليهِ بخطاياهم الشَّخصيَّة (أسرارهم) للكهنةِ طوعاً بسبب اللُّطف والعَطف المُزيَّفين. لكن لأنَّ الكُرسيَتين ليستا من ضمنِ مخطَّطِ الله للتَّوبة وخلاصِ الإنسان، فهذا معناه أنَّه يرفضهما ويدينهما، الأولى بسبب عُنفِها، والثّانية بسبب عدم صدقَها في عَطفِها!.

**- "سِرُّ الزَّواج"**

منذ بدءِ الخليقة كان الزَّواج أمراً إلَهيّاً طبيعيّاً وقد أطاعه الملايين من البشر لآلاف السِّنين من قبلِ أن يُصبِح "سِرًّا" كاثوليكيًّا، إذ إنَّنا نجد في الكتاب المقدَّس أنَّ الله هو الّذي وضع مبدأ الزَّواج المُبارَك حين قال: "نعملُ الإنسان على صورتِنا كَشَبهِنا... فخلق الله الإنسان على صورته. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: أثمِروا واكثروا واملأوا الأرض...(تك١:٢٦-٢٨). فتزوَّج أوَّلاً آدم بِحوّاءَ، ثم كرَّت السُّبحة، فتزوَّج قايين، وتزوَّج نوح، ثم تزوَّج إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وتزوَّج داود وسليمان، وتزوَّج الملايين من البشر من بعدهم من أتباع كلّ الدِّيانات، حتّى من المُلحِدين، وما زالوا يتزوَّجون من دون الحاجة إلى أن يتزوَّجوا من خلال "سِرٍّ" أوجدتهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة بهدفِ أن يكون تَسلُّطها على أتباعها كاملاً، والّتي وعَدتهم بأنَّهم إن مارسوه فَسيُعطيهم "النِّعمة الضَّروريَّة لبلوغ القداسة في الحياة الزَّوجيَّةِ، والقبولِ بالمسؤوليَّةِ، وتَربيةِ الأولاد".

تكلَّم الرَّب يسوع المسيح عن الزَّواج مُعتبِراً إيّاه إتِّحاداً مقدَّساً فقط وليس"سِرًّا"، إذ حين جاء الفرَّيسيون إليه ليُجرِّبوه في موضوع طلاقِ الرَّجل لإمرأته لكلِّ سببٍ قال لهم: "أما قرأتم أنَّ الّذي خَلقَ من البدءِ خلَقهما ذَكراً وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرَّجل أباهُ وأمَّهُ ويلتصقُ بامرأته، ويكون الإثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعدُ اثنين بل جسدٌ واحدٌ. فالّذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسانٌ" (متّى١٩:٦)

اذاً وبحسب ما تقدَّم فإنَّنا نجد بأنَّ الزَّواج موجودٌ في تعاليم المسيح بشكلٍ طبيعيٍّ وعاديٍّ، وأمّا في تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة فإنَّ المسيح قد أَدخل إليه "نِعَماً ومفاعيلَ" وقدّمَه " سِرًّا " يتخطّى المفاهيم الطَّبيعيَّة مثله مثل بقيَّةِ أسرارها، فمن نُصدِّق إذاً المسيح أم الكنيسة الكاثوليكيَّة؟ وإن كان "سِرَّ الزَّواج" له "نِعمٌ ومفاعيلُ" بحسب ما تزعم، فلماذا لا يتزوَّج جميع رجال الدّين الكاثوليك بكلِّ رتبهِم إن كانت عاديَّةً أو سياديَّةً، ويستفيدوا من "نِعَمِ ومفاعيلِ" هذا "السِّر" المزعومة؟

وفي هذا المجال نقول أيضاً بأنَّنا كثيراً ما نُلاحظ الحبَّ والاخلاص والوفاء والوئام عند الكثيرين من أتباع الدِّيانات غير الكاثوليكيَّة، والّذين لا يعرفون شيئاً عن "نِعَم ومفاعيل" "سِرِّ الزَّواج" الكاثوليكي، وفي المقابل نُلاحظ انعدامَ الحبِّ والوفاءِ ووجودِ الخيانةِ والمشاكلِ وانهيار العائلات عندَ الكاثوليك الّذين تزوَّجوا بحسبِ هذا "السِّر"

ونالوا "نِعمه ومفاعيله" (بالطّبع لا نتكلّم هنا عن كلِّ الكاثوليك). فهل من أحدٍ يقدر أن يُفسّر لنا هذه التّناقضات غير الواضحة وغير المفهومة ؟.

"سرّ الزّواج" في الدّيانة الكاثوليكيّة  أمّا في الدّيانات غير الكاثوليكية فيتم الزّواج فيها بدون أيّ " سِرّ "

وبِما انّ "سِرَّ الزَّواج" لهُ "نِعَمٌ ومفاعيلُ" كثيرةٌ فلماذا إذاً تكثر حالات طَلب الطّلاق بين الّذين يَزوِّجهم الكهنة بهِ، ويُعطونَهم "نِعمَهُ ومفاعيلهُ"؟ فيُصبِحون بالتّالي مُضطرّين للدُّخول إلى غياهب ما تُسمّى"المحكمةِ الرُّوحيَّةِ" لينالوا منها الحُكم القانوني بطلاقِهم لكن بأسماءٍ أخرى مثل الهَجرِ أو بطلان الزَّواج وفَسخهِ، من بعد أن يدفعوا للقضاة والمحامين المبالغ الطّائلة بسبب سَيْر المحاكمة الّتي تمتد لعدَّةِ سنواتٍ. فبحسب تقارير صحافيَّة موجودةٌ على شبكة الإنترنت فإنَّ أدْراج مكاتب تلك المحكمة تمتلأ بالآلاف من دعاوى الطّلاق والّتي هي في ازديادٍ متطرِدٍ في كلِّ يومٍ، إذ أنَّ عدد الدَّعاوى المقدَّمة سنويّاً إلى هذه المَحكمة يصلُ إلى أكثرِ من ثلاثِ مئة دعوى، وتصل كِلفة الدَّعوى الواحدة منها إلى حوالي العشرين ألف دولارٍ أميركي. ولكي تسير الدَّعوى بدون أيّ تأخيرٍ مُفتَعلٍ بحسب أقوال المُدَّعين، فيجب عليهم أن يدفعوا رشاوى داخل المحكمة، وأن ينتظروا حوالي سبعة سنينٍ كي تُصدِر حكمها النِّهائي في دعاويهم!.

إلى هنا نكون قد انتهينا من الكلام عن ماهِيَّة "الأسرار" ومعانيها، وعن مضمونها وتفاصيلها، وسننتقل الآن لنرى نتائج "نِعَمها ومفاعيلها" فعليّاً في حياة الّذين يُمارسونها من المُعمَّدين في الكنيسة الكاثوليكيَّة، إن كان على صعيد الفردِ، أو على صعيد المُجتمعِ كَكُلٍّ، وحتّى أيضاً على صعيدِ رجال الإكليروس الّذين يُعلِّمونها للنّاس ويدعونهم إلى ممارستها.

- فعلى صَعيد الفَرد، وحتّى لا يعتقد أحدٌ بأنَّني أُقدِّم نظرياتٍ فلسفيَّةً بعيدةً عن الواقع في هذا الموضوع، سأبدأ بالكلام عمّا اختبرتهُ بنفسي، لأنَّني وُلِدتُ في بيتٍ مارونيٍّ

يؤمنُ بتعاليمِ الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ ويُمارس أسرارها، قَبِلتُ "سرُّ المعموديَّة" عندما كنتُ طفلاً (كما قيل لي) لكنَّني بالطبع لا أذكر ما جرى خلالها. ومن ثمَّ نلتُ "سِرّ التَّثبيت" مع صفعةٍ على وجهي من الكاهن، وتناولتُ "أوَّلِ قربانةٍ" وأنا بعمر الثّامنة، وعِشتُ عمرَ المُراهقةِ مُتديِّناً أُمارس الواجبات الدينيَّة كالذِّهاب إلى القُدّاسات والزِّياحات والّتي كنت أساعدُ فيها الكاهن على المذبح، وكثيراً ما تناولتُ من يده "سِرّ الإفخارستيّا" من بعدما أكون قد أخبرته بخطاياي في كرسيِّ الإعترافِ كي يَحلّها لي بحسب "سِرّ التَّوبة". **لكن في المقابلِ** كنتُ أعيش حياة الشَّر والخطيَّة بكلِّ أشكالها، إذ كانت تخرج من قلبي أشنع التَّجاديف واللّعنات المُتلاحِقة، وكانت أقذر النِكات البذيئة دائماً على لساني، وكانت كلَّ تصرّفاتي وأعمالي شِرِّيرةً، وعلاقاتي مع الفتيات لاأخلاقيةً مَبنيَةً على الشَّهوات الجَسديَّةِ، وكانت كلَّها دليلاً على أنَّ الرّوح القدس لا يسكن في داخلي. بقيتُ على تلك الحالة التَّعيسة إلى **اليّوم** الموافق (٧ شباط ١٩٧٩) الّذي كنتُ أقرأ فيه ما قاله الرَّب يسوع في سفرِ الرُّؤيا: "هأنذا واقفٌ على البابِ وأقرع. إن سمِعَ أحدٌ صوتي وفتح الباب، أدخلُ إليهِ وأتعشَّى معهُ وهو معي(رؤ٣:٢٠). فشعرتُ حينَها بأنَّه يقف فعليّاً على بابِ قلبي وبأنَّ كلامه هذا مُوَجَّهٌ إليَّ شخصيّاً، فسجدتُ أمامه بالإيمان، وفتحتُ له بابَ قلبي، وتُبت أمامه عن خطاياي وطلبت منه أن يغفرها لي، وقبِلْتَه مخلِّصاً وربّاً على حياتي فَوَلدَني ثانيةً بالرّوح القدس من فوق، وسَكن قلبي، فأصبحتُ انساناً جديداً يمتلك الرَّجاء بالسَّماء والمجد الأبدي. وكانت النَّتيجة الحتميَّة لهذا الإختبار العظيم أنَّ حياتي وكلماتي وأفكاري وأهدافي كلّها تَغيَّرت وأصبح لسان حالي يقول مع الرَّسول بولس: "إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ، الأشياءُ العتيقةُ كلّها قد مضَت، هوذا الكلُّ قد صار جديداً"(٢كو٥:١٧). في ذلك **اليّوم** أدركتُ وتأكدتُ من أنَّهُ لا يستطيعَ أحداً أن يُخلِّص الانسان الهالك إلاَّ الرَّب يسوع المسيح **وحده**، وبأنَّ ما يُسمّونها "الأسرار السَّبعة" ما هي إلاّ مجرَّدَ بِدعةً لا تُجدي منفعةً للأشرار الهالكين، لأنَّها لن تُصَيِّرَهُم من الأبرار المُخَلَّصين، وما هي إلاّ الرَّمل الّذي إذا بنى أحدهم بيته عليه فإنَّه سيسقط حين ينزل المطر، وتأتي الأنهار، وتهب الرِّياح، وسيكون سقوطه عظيماً.

- أمّا على صعيد المجتمع فحدِّث ولا حَرج، لأنَّه يُشبهُ مجتمعَ سدومَ وعمورة بسبب وجود أعظم وأشنع الشُّرور والخطايا فيه، والّتي هي الدَّليل على أنَّ "نِعَم ومفاعيل الأسرار السَّبعة" المزعومة لا تفعل في أفراده أيَّ شيءٍ، وليس لها أيِّ تأثيرٍ في قلوبِهم وكلامِهم وتصرُّفاتِهم، ولا تُحدث أيِّ تغييرٍ للأفضل في حياتهم، ولم تُعطِهم

نتائجَ إيجابيَّةٍ وفضائلَ حسنةٍ ومبارَكَةٍ في حياتهم، بل بالعكس، فإنَّها أبقتهم أمواتاً في الذّنوب والخطايا، وتحت تأثير طبيعتهم الفاسدة الّتي ولدوا بها، والّتي كانت السَّببَ في إنتاجِ التَّصرفاتِ المُحْزِنة والمُخْزِية في حياتهم وسلوكهم والّتي تأتي على الشَّكل التّالي:

**- مُجْتمعٌ فيهِ الحِقدُ والكَراهيةُ**: لا أحدَ من أفراده يُحبُّ الآخر فيه إلاَّ إذا جمعتهما المَصلحة الشَّخصيَّة أو القرابة العائليَّة. وبسبب فقدان المحبَّة بينهم كثيراً ما يُلاحظ المرء وجود الإغتياب، والتَّكلُّم بالسّوءِ، والثّرثرة على بعضهم بعضاً. أيضاً يوجد أمرٌ آخرُ شائعٌ في هذا المجتمع يُظهِر عُمق الكراهية الموجودة في قلوب أفراده المُعمَّدين ألا وهو التَّحزب والشِّقاق، إذ وبدلاً من أنَّ يعيشوا حياة المحبَّة والتَّسامح والوِحدة كما طلب المسيح من أتباعه أن يفعلوا، يقومون باتِّباع الزُّعماء السِّياسيين، فمثلاً واحدٌ منهم يَتبع الزَّعيم الفلاني على المنطقة الفلانيَّة، بينما يَتبع آخرُ زعيماً آخرَ على منطقةٍ أخرى، فتبتدأُ براكينُ قلوبهم المَملوَّة بالحقدِ والكراهيةِ بقذفِ حِمم الشَّتائم واللّعنات على بعضهما بعضاً. أوليس هذا الأمر دليلاً على إنَّ المعمَّدين لم يختبروا بعد سكنى الرّوح القُدس فيهم؟. فليتفضّل الكهنة الّذين يدّعون بأنَّهم أعطوهم إيّاه في "سِرِّ المعمودية" أن يُجيبونا.

**- مُجْتمعٌ فيهِ الكذب**: الثِّقةُ مفقودةٌ بين أفراده المُعمَّدين بسبب انعدام الصِّدق وتفشّي الكَذِب بينهم بكثرة. إذ يَكذبُ الكذّابُ المُعمَّدُ على مدارِ السّاعة على كلّ من يلتقي به، بدون أن يَرفَّ لهُ جفنٌ، أو يتحرَّكَ فيهِ ضميرٌ. يُحدِّد الرَّب يسوع المسيح بَنَويَّة الكذّاب ومن هو أبوه، وحتّى لو أنَّ الكهنة بالماء عمَّدوه وبالميرون مَسحوه، على الشَّكل التّالي: "أنتم من أبٍ هو **إبليس**،... متى تكلَّم بالكَذِب فإنَّما يتكلَّم ممَّا لهُ، لأنَّه **كذّابٌ وأبو الكذّاب**"(يو٨:٤٤).

**- مُجْتمعٌ فيهِ الحِلفان**: أعطى الرَّب يسوع المسيح أمراً واضحاً بعدم الحلفان على الشَّكل التّالي: "وأمَّا أنا فأقولُ لكم: لا تحلفوا البَتَّةَ، لا بالسَّماءِ لأنَّها كرسيُّ الله، ولا بالأرضِ لأنَّها موطئُ قدميهِ،... ولا تَحلِفْ برأسِكَ... بل ليَكُن كلامُكم نَعَم نَعَم، لا لا. وما زاد على ذلكَ فهو من الشِّريرِ"(متّى٥:٣٤-٣٧). إلاَّ أنَّ أفراد هذا المجتمع الّذين تعوَّدوا على التَّمرد على وصايا الله والمسيح فإنَّهم يَقْسِمون بالله، ويَحلفون بقدّيسيهم وبأولادهم وبشَرفهم حتى يُصدِّقوا بعضهم بعضاً.

**- مُجْتمعٌ فيهِ الزِّنى**: يمتلئ الكتاب المقدَّس بالوصايا الإلَهيَّةِ النّاهيَة عن خطيَّةِ الزِّنى، لكن هذا المجتمع استبدل كلمة زِنىً بكلماتٍ مثل المُصاحَبة أو الرِّفقةِ، ولا يخجلُ أفرادهُ الزُّناةُ أبداً بعلاقاتِ الزِّنى الّتي يُقيمونها بل يُفاخرون بها أمام بعضهم بعضاً!. وبالإضافة إلى ذلكَ، فإنَّ النَّوادي اللّيليَّة في هذا المجتمع والّتي قد يكون أصحابها من المُعَمَّدينَ أنفسِهم، تمتلئ كلَّ ليلةٍ بالمعمَّدين الغائصين بأوحال الرَّذيلة والفِسق والفُجور، هذا عدا عن العَلاقات الّتي تَتمّ سِرّاً في البيوت أو السِّيارات، وفي الأماكن المُظلِمة. كما وأيضاً لا يخلو هذا المجتمع من الشّاذين جنسيّاً ومن زواجهم بعضهم من بعض، ومن حياة المُساكَنةِ بدونِ عقدِ زواجٍ شرعيٍّ أمام الله والنّاس. والغريب في هذا الموضوع هو أنَّ الزُّناة من المُعمَّدين لا زالوا يعتقدون بأنَّ الكاهن قد أسكن الرّوح القدس في قلوبهم في "سِرِّ المعموديَّة" مع أنَّ أعمالهم تدلّ على إنَّ من يسكن ويَعمل فيهم هو رئيس سُلطان الهواء، الرّوح الذي يقودهم في طريق الشَّرِّ والمعصيَة الّذي يسيرون فيه (أف ٢:٢). وللتَّوضيح نقول إنَّ الرّوح القدس يقود من يَسكُنه في طريق القداسة وليس في طريق النَّجاسة.

**- مُجْتمعٌ فيهِ العَهَرِ والخلاعةِ**: يدعو الإنجيل النِّساء المَسيحيّات إلى الحِشمة فيقول: "وكذلك أنَّ النِّساء يُزيِّن ذَواتِهنَّ **بلباس الحِشمة**، مع ورعٍ وتعقُّل...". لكن على العكس تماماً، فإنَّ الإناث المُعمَّدات في هذا المجتمع لا يُقِمنَ أيَّ اعتبارٍ للحِشمة ولا يَعرِفنَ معناها، ولم يُكَلِّمَهُنَّ عنها الكهنة الّذين عَمَّدوهُنَّ (ربما لإعجابهم بما يَرون مِنهُنَّ)، فلذلك يَتمخطرنَ في الشَّوارع والأماكن العامة، ويَظْهَرن على شاشاتِ التِّلفاز ومواقعَ التَّواصلِ الإجتماعي شبهَ عارياتٍ، تماشياً مع المُوضة لإظهار "مفاتِنَهُنَّ"، بهدفِ الإثارة والإغراء، كما يُعلِنَّ بغطرسةٍ ووقاحةٍ وقباحةٍ. فلو كان الرّوح القدس يسكن في المُعمَّدات المُتَعَرّيات لكنّا رأينا فيهِنَّ شَهِيَّةً إلى العِفَّةِ والقداسةِ، وليس إلى العَهَرِ والخَلاعة .

**- مُجْتمعٌ فيهِ التَّجديف واللَّعنات**: سافرتُ مرَّةً إلى تايلند حيث الشَّعبُ هناكَ بمعظمهِ من أتباع الدّيانة البوذيَّة. وكان أكثر ما فاجأني حينها هو أنَّه لا يوجد في كلماتهم تجاديف ولعنات، وبأنَّهم لا يَسِبّون بعضهم بعضاً، وعند حصولِ أيِّ شجارٍ بينهم يستعملون جملةً واحدةً صغيرةً فقط هي "افْترق عنّي"!. لكن إن زار أحَد البوذيّين مُجْتمع المُعَمَّدين، فإنَّه سيتفاجئ بسماعه منهم كلّ أنواع التَّجاديف والشَّتائم واللَّعنات على بعضهم بعضاً، والّتي فيها أيضاً يَدعون بعضهم البعض بأسماءِ الأعضاء التّناسليَّة، كما ويَنعتون أمَّهاتِ وأخَواتِ بعضهم بعضاً بالعاهرات، بالإضافة إلى

تجديفهم أحياناً كثيرةً على الله. ولقد رأيتُ مرَّةً كاهناً يقف مع مجموعةٍ من المُعمَّدين الخاضِعين لسُلطته، وكانت حينها أفواههم تقذف أبشع أنواع التَّجاديف والشَّتائم. وما جعلني أشعرُ بالاشمئزاز حينها أنَّ الكاهن وبَدل أن يُوبِّخهم ويُنبِّههم إلى شرِّهم وإلى دينونة الله التي تنتظرهم كان يضحك معهم! ولو أنّي ذهبتُ يومها وراء ذاك الكاهن إلى القدّاس الذي كان سيقيمه كعادته، لكنتُ قد سَمعته يَعِظ فيه عن "نِعَم ومفاعيل الأسرار"، ولكنه بالطَّبع لن يكون مُنتبهاً بأنَّها لم تُغيِّر، ولم تؤثِّر، لا فيه ولا في أتباعهِ الأشرار بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

**- مُجْتمعٌ فيهِ الجريمة**: تمتلئ السُّجون من المعمَّدين الّذين اقترفوا الأنواع المختلفة من الجِنايات وجرائم القتل المُتعمِّد عن سابقِ تَصَوُّرٍ وتصميمٍ، والّذين أقدموا على جرائمِ السَّرِقةِ والتَّزويرِ والغِشِّ وغيرها عن سابق قصدٍ وتخطيط. فأين هو عمل الرّوح القُدس الّذي "وضعه" الكاهن بحسب زعمه فيهم في يوم عمادهم وأين هي مفاعيله؟!.

**- مُجْتمعٌ فيهِ العنف والقتل**: من المعروف والمنظور في هذا المجتمع أنَّه عند حصولِ أيَّ سوءِ تفاهمٍ أو احتكاكٍ ولو لأتفَه الأسباب بين المُعمَّدين، فأنَّهم يَتحوَّلون في لحظةٍ إلى وحوشٍ قاتلةٍ، فيضربون بعضهم بعضاً، وأحياناً كثيرةً تنتهي مشاكلهم بقتلِ بعضهم بعضاً. فلذلك على الكهنة الّذين يدَّعون بأنهم يعطون "الرّوح القُدس" في "سرِّ المعموديَّة" إلى المُعمَّدين، أن يسألوا أنفسهم عن عدمِ قدرةِ ذاكَ "الرّوح" وذاك "السِّر" على الحؤول دون أن يتحوَّل المُعمَّدون إلى وحوشٍ عنيفةٍ وقاتلة!.

**- مُجْتمعٌ فيهِ الإدمان**: يعتصر القلبُ حزناً على المعمَّدين المَغلوبين على أمرهِم، الّذين يَفْنون حياتهم في الإدمان على تدخين السَّجائر (ومن ضِمنهم كَهنةً) والنَّرجيلة، وتعاطي المُخدِّرات، ولَعِب القِمار، وشُرب الخمر. أليس هذا الأمر دليلاً إضافيّاً على إنَّ معموديتهم لم تنفعهم بشيء، لأنَّها لم تُعطهِم أيَّةِ قوَّةٍ ليتحرَّروا من هذه الآفات القاتلة؟. يقول الرَّب يسوع المسيح عن نفسه: "إن حرَّركم الإبنُ فبالحقيقةِ تكونون أحراراً". فلذلك لا يستطيع أحدٌ أن يدَّعي بأنَّه مسيحي يتَّبِع المسيح، وفي الوقت نفسه يعيش مُقيَّداً بعاداتٍ ومُستَعْبَداً لها، بدون أن يكون قد اختبر قُوَّةَ التَّحرير الموجودةِ في الرَّب يسوع المسيح **وحده**، والّتي ليست موجودةً في "الأسرار".

**- مَجْتمعٌ فيهِ الإرتداد**: إنَّ الأمرَ المثيرِ للإستغرابِ هو وجودُ الملايين من الكاثوليك المُلحدين، الّذين لا يؤمنون بوجودِ الله، ولا بوجودِ السَّماء أو جهنَّم، ولا بتعاليم

الإنجيل، حتّى إنَّهم لا يُبالون بتجسُّد المسيح وموته وقيامته، وفي الوقت ذاته يدعوهم الكهنة "مسيحيّين" لأنَّهم هم عمَّدوهم ! فما هو السِّر إذاً في تأثيرِ "سرِّ المعموديَّة" العكسيِّ على هؤلاء المُعمَّدين، لأنَّه بدلاً من أن يَجعلهم يؤمنون بالمسيح هم ينكرونه. وكيف يكونَ الإنسان مسيحيّاً وهو لا يُؤمن بالمسيح؟! أليس هذا الأمر دليلاً حاسماً على أنَّ "الأسرارَ" **خاليةً** من أيَّةِ مفاعيلٍ أو نِعَم .

**- مُجْتمعٌ فيهِ السَّفاهة والهَزْلُ**: حين تسمع في هذا المجتمع أعلى أصوات القَهقهات والضَّحكات، فمعناه إنَّ أحدهم قد أخبر نِكتةً سَفيهةً أمام الآخرين تَتضَمَّنُ معاني وإشاراتٍ جنسيَّةٍ، لأنَّ هذه المواضيع هي أكثر ما يُفرِح هذا المجتمع ويَجعله في سعادةٍ غامرةٍ!. حذَّر الرَّب يسوع هذا النَّوع من النّاس حين قال: "يا أولاد الأفاعي... فإنَّه من فضلةِ القلب يتكلَّم الفَمُ... ولكن أقول لكم: إنَّ كلَّ **كلمةٍ بطّالةٍ** يتكلَّمُ بها النّاس سوف يُعطُون عنها حِساباً يوم الدّين. لأنَّك بكلامك تتبرَّرُ وبكلامك تُدان" (متّى ١٢:٣٤-٣٦).

**- مُجْتمعٌ فيهِ الصَّلاة والتَّقوى**: من بعد كلّ هذه الصِّفات والمُواصفات والتَّصرفات الّتي ذكرناها آنفاً يُخطئ من يَظن بأنَّ هذا المجتمع لا يُصلّي، وبأنَّه لا يوجد فيه معابدَ تمتلئُ بالمُصلّينَ في أوقاتِ الصَّلاةِ بشكلٍ عامٍ، وفي وقت القدّاس بشكلٍ خاص. والأمرُ المُلفت فيه هو قدرةَ أفراده على عيشِ حياة الإزدواجيَّة، أي أنَّهم يخلطون التَّقوى والخطيَّة معاً بدون أن يشعروا بتبكيتٍ من ضمائرهم، لأنَّهم يُصَلِّبون أيديهم على وجوههم قبل النَّوم والأكل، ويُصَلّون الأبانا والسَّلام على حبّاتِ المَسبحة، ويصومون الصَّوم الكبير، ويَسجدون أمام تماثيل قدّيسيهم وشمساتهم، ويَندمون على خطاياهم أمام كَهنتهم، وفي أثناء القدّاس يتناولون منهم "القربان المقدَّس" المُشابه لقرص الشَّمس، ومن ثمَّ يخرجون من بعده كما دَخلوا، وليعودوا إلى ما كانوا عليه من دون أن يحدث أيِّ تغييرٍ فيهم. فمثلاً عند انتهاء القدّاس تَرى أنَّ الّذي كان مُدمناً على تدخين السَّجائر قبل القدّاس، قد أخرج من بعده سيجارةٍ من علبة سجائرهِ وأشعلها على عَجَلٍ وابتدأ بالتَّدخين. وتَرى بأنَّ الّذي كان على علاقةٍ آثِمَةٍ بإمرأةٍ قبل القدّاس، قد ذهب ليلاقيها من بعده. وتَرى بأنَّ الّذين كانوا يَكذِبون ويَشتِمون ويَحلِفون ويَسرِقون ويَغشّون قبل القدّاس، عادوا إلى متابعة الكَذِب والشَّتائم والحِلفان والسَّرِقة والغشّ من بعده. وحتّى إنَّك ترى أيضاً إنَّ الّذين كانوا يُرتّلون خلال القدّاس قد ذهبوا بعده ليُغنّوا للسَّكارى وليسْكِروا معهم في المطاعم والملاهي اللَّيلية، حيث يَخِفُّ النّور ويكثر الفجور...إلخ. يتكلَّم الإنجيل عن هذا النَّوع من "الأتقياء" فيقول: "لهم صُورَة

التَّقوى، لكنَّهم مُنكِرون قُوَّتها" (٢تيم٣:٥)، بمعنى أنّ تَقواهم هي خارجيَّةٌ مزيَّفةٌ، وقد يَخدعون أنفسهم وبعضهم بعضاً بها، لكنَّهم لن يَخدعوا الله وهي لن تَنفعهم أمام عرشِ دينونتهِ.

وأمَّا على صعيدِ رجالَ ونساءَ الإكليروسِ الكاثوليك بكلِّ مراتبهم، فسنترك التّاريخ يُخبِرنا بما فعلوا، لأنَّ أرشيفهُ مُثْخمٌ بأحداثٍ وحقائقَ رهيبةٍ عنهم، وسَنورد القليل منها ممَّا أخبرنا به المؤرِّخون مثل ويل ديورانت، وجان هنري أوبين، وألكسندر فليك، كيف أنَّ جميع رجال الإكليروس في روما ساروا على خُطى الباباوات (تكلَّمنا عنهم في الفصل السّابق) وفعلوا مثلهم بامتلاكهم للخَليلات أيضاً، وبأنَّ كلّ أدْيِرة الكابيتول كانت أماكنَ سيِّئةِ السِّمعةِ لدرجةِ أنَّه عندما أمر البابا غريغوري بإفراغِ بِركَةَ ماءٍ قائمةٍ قرب أحدِ الأديرة، وُجِدَ في قاعها ستَّةِ آلافٍ جمجمةٍ تعودُ لأطفالٍ دُفِنوا فيها أحياءٍ بعد أن وُلدوا من علاقات الزِّنى الرَّهبانيَّة، وبأنَّ الاغتصاب كان سِمَة القرن التّاسع لدرجةٍ دَفعت بالمطران تيودور ستوديتا أن يمنعَ وجودَ الإناثِ من الحيوانات في أملاك الأديرة!. وقد وُصِفت احتفالاتٍ صاخبةٍ من السُّكرِ والرَّقصِ والجِنسِ الجَماعي أقيمت في ديرِ كاثوليكيٍّ في مدينة "كرتيم" الألمانية في سنة ١٤٧٧ بأنَّها كانت أسوأ بكثيرٍ من الإحتفالات الّتي تُقام في بيوت الدَّعارة والبَغاء. وقد نصح أسقف هامبورغ ألبِرت العظيم كهنته مرَّةً بهذه النَّصيحة: "إن كنتم لا تستطيعون أن تكونوا عفيفين، على الأقل كونوا مُنتَبِهين". وقد أُصيب بالدَّهشة مُطرانٌ ألمانيٌّ آخرٌ عندما فَرض على كهنةِ مقاطعتهِ ضريبةً على كلِّ أنثى كانوا يحتفظون بها، وعلى كلِّ طفلٍ وُلِدَ لهم، لأنَّه اكتشف إنَّ كهنة أبرشيته يحتفظون بأحد عشر ألفِ إمرأةٍ !، فلهذه الأسباب كان الكهنة في ذلك العصر يُدْعَون "أزواجَ كلَّ النِّساء". ويُورد القاضي عبد الجبّار الهَمداني في كتابه "تَثبيت دلائل النُّبوة" ما يلي عن شيوع الفساد والإباحية والدَّعارة في الأديرة: "كانت الرّاهبات المتعبِّدات يَطِفنَ على الرّهبان المُنقَطعين في الأديرةِ، عارضاتٍ أعراضَهنَّ عليهم رحمةً بهم، وكانت الّتي تفعل ذلك تنال الشُّكر منهم ويقولون لَها: "لن ينسى لكِ المسيح هذه الرّأفة والرَّحمة". وفي سياق موضوعنا هذا أذكرُ ما أخبرني به مرَّةً أحد الأشخاص، كيف أنَّهُ قد أُوقِفَ عن العمل في ديرٍ للرّهبان موجودٍ على تلّةٍ من تلالِ لبنان (أتحفَّظ عن ذِكر اسْمه)، بعد أن اكتشف علاقات الرّهبان اللاأخلاقيَّة بالعاملات الأجنبيات اللّواتي يَعملنَ في تنظيف الدَّير!.

ويُخطئ من يَظن، أنَّ الأفعال الإكليروسيَّة القبيحة الّتي ذكرناها آنفاً قد زالت من الوجود منذ زمنٍ بعيدٍ، لأنَّها وبحسب التَّقرير الّذي نشرته صحيفة "لاريبابليكا"

الصّادرة عن الفاتيكان في تاريخ ٢٠٠١/٣/٢١ فإنَّها ما زالت مُستمرةً إلى يومنا الحاضر. ويتحدَّث التَّقرير المذكور عن قيامِ أساقفةٍ وكهنةٍ بإقامة العلاقات الجِنسيَّة حتّى مع الرّاهبات وقد جاء فيه: "إنّ هؤلاء الأساقفةُ والكهنةُ يَستغلّون سلطتهم الدينيَّة الّتي يتمتّعون بها في ٢٣ دولة منها الولايات المتَّحدة، البرازيل، الفليبين، الهند، إيرلندا، إيطاليا وحتّى في داخل الفاتيكان، بالإضافة إلى العديد من الدُّول الإفريقيَّة، لممارسة الجنس مع الرّاهبات رُغماً عَنهُنَّ وبأنَّهم يُجْبِرونَهنَّ على تناول حبوب منع الحمل، أو الإجهاض لمنع الفَضيحة".

وألسنا نسمع في أيّامنا الحاضرة أيضاً حجمَ الأصواتِ المُنَدِّدةِ بالعلاقاتِ الآثمة والشَّذوذ الجنسي الّتي يقيمها الأساقفة والكهنة والرّهبان الكاثوليك، وبالآلاف من الدّعاوى القضائية المُقامةِ ضدَّ الكثيرين منهم، والمُتَّصِلةِ بجرائم اعتدائاتهم الجنسيَّة على الأولاد في العديد من الدّولِ بحسب الاحصاءاتِ الأخيرةِ؟. وألسنا نسمع في المقابل أصواتَ الإعتذارِ الّتي تعلو من باباوات الكنيسة الكاثوليكيَّة في محاولةٍ منهم لمسح العار عن كنيستهم، بالإضافة إلى دفعهم لملياراتِ الدّولاراتِ كتعويضاتٍ أمرت بها المحاكم المَدنيَّة لضحايا تلك الاعتداءات الدينيَّة؟.

فأين هو إذاً تأثيرُ "نِعم ومفاعيل الأسرار" في أفعالٍ كهذهِ الأفعال؟ وأين كان تأثيرها في حياة الباباوات الّذين زَنوا وقتلوا النّاس الأبرياء من بعد أن أذاقوهم أبشع أنواع التَّعذيب أثناء محاكم التَّفتيش والحروب الصَّليبيَّة؟ وأين كان تأثيرها حين وضعت الكنيسة الكاثوليكيَّة النّاس لأكثر من ألفِ سنةٍ في عصورٍ مُظلمةٍ مَنعتهم فيها من قِراءة الإنجيل لئلاّ يَصِلوا إلى معرفة الرَّب يسوع المسيح فيتحرَّروا من إضلالِها لهُم، ومن تَسلُّطِها عليهم؟ وأين هو تأثيرها اليوم في الّذين يمارسونها في الدِّيانة الكاثوليكيَّة الجرداء من الرَّجاء، حين يذهبون إلى أبواب القبور ليُصَلّوا إلى أحبّائهم الّذين أضاعوهم إلى الأبد، ولا يعرفون أين هو مكانَ وجودهم؟ ولائحة الأسئلة تطول وتطول... وفي النِّهاية الجوابُ واحدٌ الّذي هو: " إنَّ "الأسرار" الّتي اخترعها البشر بعيداً عن قصد الله ومحبته ورحمته ونعمته وفدائه وعدالته، ستودي بهم وبالّذين يَتبعونهم ويُطيعونهم إلى مَهالك الشَّر والشَّنار".

وتأكيداً على الّذي قلناه آنفاً فانَّنا نضع أمام القارئ العزيز بعضاً ممّا يقوله الإنجيل عن صِفات وأعمالِ مجتمع الأشرار، وسنترك له المُقارنة بينهُ وبين صفات وأعمال مجتمع "الأسرار"، وهو بالتَّأكيد سيرى التَّطابق الواضح بين المُجْتَمَعَيْن.

- "ثمَّ دعا كلَّ الجمعِ (يسوع) وقال لهم: "اسمعوا منّي كلُّكم وافهموا. ليس شيءٌ من خارجِ الإنسانِ إذا دخلَ فيهِ يقدرُ أن يُنَجِّسهُ، لكنَّ الأشياءَ الّتي تَخرج منه هي الّتي تُنجِّسُ الإنسانَ...لأنَّهُ من الدّاخلِ، من قلوبِ النّاس، تخرجُ الأفكارُ الشِّرّيرةُ: زنىً، فسقٌ، قتلٌ، سِرقةٌ، طَمعٌ، خبثٌ، مكرٌ، عهارةٌ، عينٌ شرّيرةٌ، تجديفٌ، كبرياءُ، جهلٌ. جميع هذه الشُّرور تَخرجُ من الدّاخلِ وتُنجِّس الإنسانَ"(مر٧:١٤-٢٣).

- "لأنَّ غضبَ الله مُعلنٌ من السَّماء على جميعِ فجورِ النّاس وإثمِهم،... الّذين استبدلوا حقَّ الله بالكَذِبِ، واتَّقوا وعبدوا المخلوقَ دون الخالقِ، الّذي هو مباركٌ إلى الأبدِ. لذلك أسلمهم اللهُ إلى أهواءِ الهَوانِ، لأنَّ إناثهُم استبدلن الاستعمال الطّبيعي بالّذي على خِلاف الطَّبيعة، وكذلك الذّكور أيضاً اشتعلوا بشَهوتهم بعضهِم لبعضٍ... فلذلك أسلمهم اللهُ إلى ذهنٍ مرفوضٍ ليفعلوا ما لا يليقُ. مملوئينَ من كلِّ إثمٍ وزِناً وشرّ وطمعٍ وخبثٍ، مشحونين حَسداً وقتلاً وخِصاماً ومَكراً وسُوءاً، نَمّامينَ مُفترينَ، مُبغضينَ للهِ، ثالبينَ متعظِّمينَ مُدَّعينَ، مُبتدعينَ شروراً... الّذينَ إذ عَرفوا حكمَ اللهِ أنَّ الّذين يعملونَ مثلَ هذهِ يَستوجبونَ الموتَ، لا يفعلونها فقط، بل أيضاً يُسرّون بالّذِين يَعمَلون"(رو١:١٨-٣٢).

- "الجميعُ زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعملُ صلاحاً ليس ولا واحدٌ. حنجرتهم قبرٌ مفتوحٌ. بألسِنتهِم قد مكروا. سِمُّ الأصلالِ تحت شِفاهِهم. وفمُهم مملوءٌ لعنةً ومرارةً. أرجُلهُم سريعةٌ إلى سفكِ الدَّم. في طُرُقهِم اغتصابٌ وسحقٌ. وطريقُ السَّلام لم يعرفوهُ. ليس خوفُ الله قدّام عُيونِهِم"(رو٣:١٢- ١٨).

- "لا تَضلّوا: لا زناةٌ ولا عبدةُ أوثانٍ ولا فاسقونَ ولا مأبونونَ ولا مُضاجعو ذكورٍ ولا سارقونَ ولا طمّاعونَ ولا سِكّيرونَ ولا شتّامونَ ولا خاطفونَ يرثون ملكوتَ اللهِ..."(١كو٦:٩-١٠).

- "وأعمالُ الجسدِ ظاهرةٌ، الّتي هي: زنىً عهارةٌ نجاسةٌ دعارةٌ عبادةُ الأوثانِ سِحرٌ عداوةٌ خِصامٌ غَيرةٌ سَخطٌ تحزبٌ شقاقٌ بدعةٌ حسدٌ قتْلٌ سُكرٌ بَطرٌ،... إنّ الّذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله "(غلا ٥:١٩-٢١).

هنا أقول وبكلِّ صدقٍ، إنَّني لا أقصد من إثارة هذا الموضوع بهذا الشَّكل الواقعي المأخوذ ممّا نراه يوميّاً في حياة المجتمع المُتْخَم بالتَّدين القاتل لكن الفارغ من الحياة الجديدة في المسيح يسوع، أن يكونَ القصدُ منهُ دينونةَ أو إهانةِ أيِّ أحدٍ، أو النَّيلِ من

سِمْعتهِ، أو الإفتراءُ عليهِ، أو أن يكونَ بهدف التَّجريح لأيّةِ طائفةٍ. لكن القصد منه هو وضع الأمور في نِصابها الصَّحيح، إذ لعلَ قَولُ الحقيقةِ الّتي دائماً ما تكونَ قاسيةً، يقود المُخْلِصين في عبادتهم للمسيح ولكنَّهم ليسوا بمُخَلَّصين فيهِ، أكانوا من "الإكليروس" أو مِن "عامَّةِ الشَّعب"، لكي يُدركوا بأنَّه هو **وحده** الّذي يملك النِّعمة الوافرة والغافِرة ومفاعيلها المُغَيّرة لحياتهم وإنَّهُ على استعدادٍ أن يعطيهُم إيّاها إن تابوا توبةً حقيقيَّةً أمامه قبل فوات الأوان، ولكي يعرفوا بأنَّه هو **وحده** الّذي يُصَيِّرالأشرارَ أبراراً، وليس "الأسرار".

في نهاية هذا الفصل، إسمح لي أيُّها القارئ العزيز أن أقول لكَ: "لا تَظُنَّ أنَّ إقامتكَ للشَّعائر الدينيَّة الّتي تُدخِلكَ وتَخنُقَكَ في شَرنقةِ التَّديُّن المُزيَّف، والّتي تُحرِّك مشاعرك البشريَّة فقط من دون أن تُعطيكَ حياةً أو أن تَصنع أيِّ تغييرٍ في داخلكَ للأفضل هي ما يطلبه المسيح منكَ، لأنَّه يطلب منكَ فقط أن تتوب وتُؤمن به **وحده** ليعطيكَ بنعمتهِ الخلاص والحياة الأبديَّة. فهيّا تَشجَّع وتقدَّم منه تائباً وطالباً منه بالإيمان أن يُخلِّصُك ويُنجّيك من نارٍ أبديَّة لا تَرحَم، وستَختبر فيه **وحده** الحياة والفرح والأمان والتَّعزية والرَّجاء، والمجدُ الأبديّ في السَّماء".

الفصل الثّامن

## الأعياد الوثنيَّة المُمَسْحَنَة

منذُ القديم، منذ أن قامَ الإنسانُ بصنعِ آلهةٍ وثنيَّةٍ له، من ضِمنها الشَّمس، قام أيضاً بتكريسِ مُناسباتٍ ومَهرجاناتٍ احتفاليَّةٍ في أيّامٍ معيَّنةٍ من السَّنةِ مُرتبطةٍ بِتغيُّر الفصول أسماها أعياداً ليَفرح بها بتلك الآلهة وليُكرِّمها ويُبجِّلها، كما قام أيضاً بِتَخصيصِ أشياءٍ وأشجارٍ وحيواناتٍ كرموزٍ معيَّنةٍ لها. وعندما مُسْحِنَت تلك الآلِهة الوثنيَّة داخل الكنيسة الكاثوليكيَّة مُسْحِنَت أعيادها ورموزها وحيواناتها تلقائيّاً معها، وأصبحت بالتّالي من صُلب عقيدتها وتقاليدها وعاداتها واحتفالاتها، والّتي ما زالت مستمرةٌ فيها إلى يومنا الحاضر كما سنرى في هذا الفصل.

وسنبدأ كلامنا في هذا الموضوع، عن إثنَين من أهمِّ الأعياد الوثنيَّة الّتي كانت تُقام في أزمنةِ ما قبل ولادة الرَّب يسوع المسيح على أرضنا، وسنكمِّل الكلام لاحقاً عن الأعياد الباقية. العيد الأوَّل كان يدعى ساتورناليا (Saturnalia) وكان الوثنيّون يحتفلون به لمُدَّةِ أسبوعٍ ما بين ١٧و٢٤ من شهر كانون الأوَّل بعيد إله الزَّرع والخَصب والحياة الحَضَريَّة المُتمدِّنة "Saturn" أي " زُحَل " بإقامةِ الولائمِ وشُربِ الخمرِ، وصُنعِ العَهَرِ والشَّرِ. أما العيدُ الثّاني فكان يُقام في اليومِ التّالي لنهاية الإحتفال أيّ في الخامس والعشرين من الشَّهر ذاته وكان يُقامُ فيه ما يُسمّى عيد ميلاد إلَه الشّمس الّتي لا تُقْهَر "Sol invictus" أو "سُول" في روما، ومن خلال أعيادِ ميلادِ آلِهةٍ أُخرى للشَّمسِ من حولِ العالمِ القديمِ، وكان الَّذين يشتركون في هذا العيد يُقدِّمون الهدايا بعضهم لبعضٍ احتفاءً ببدءِ السَّنةِ الجديدةِ.

ولمّا جاء ملءُ الزَّمان وُلِد الرَّب يسوع المسيح في بيتَ لحم تتميماً لما جاء عنه في النُّبوات، وفرض بولادته التَّأريخ المسيحيِّ الجديد المعروفِ حاليّاً، لكن لم يَذكر كَتبة الإنجيل تاريخَ يومَ ولادتهِ بالضَّبطِ، ولم يتكلَّم عنه الرُّسلِ في رسائلهم، وكأنَّ الرّوح القُدس بحكمتهِ الإلَهيَّة ولقصدٍ معيَّنٍ عندهُ، حجبهُ عمداً بطريقةٍ استباقيَّةٍ عن جميعِ النّاسِ، لكي لا يجعلوا منه عيداً كما حصل لاحقاً. فلو كان الرَّب يسوع المسيح يُريدنا

أن نتذكَّر اليوم الَّذي وُلِد فيهِ أو أن نجعلَ منهُ عيداً، لكان أعلن توقيتهُ أمامَ البشريَّةِ جمعاء، ولكن بما أنَّهُ قد أخفاه فمعناه أنَّ "عيد الميلاد" المزعوم بأنَّه عيد ميلاده، والَّذي هو في الأصلِ عيد ميلاد إله الشَّمس الوثنيّ المُمَسْحَن - كما سنرى تالياً -، هو مرفوضٌ منه جملةً وتفصيلاً.

انتشرتِ المَسيحيَّةَ بعد موتِ وقيامةِ الرَّب يسوع من الأموات. ومع أنَّ ولادتهُ كانت أمراً أساسيّاً في الإيمان المسيحي، إلاَّ أنَّ المسيحيّين الأوائل لم يتطرَّقوا إلى تاريخها ولم يهتموا لمعرفة توقيتها، إذ كان هدف إيمانهم، وجُلَّ اهتمامهم، وموضوع بشارتهم موتهِ وقيامتهِ فقط لا غير، إلى أن ظهر الملك قسطنطين إلى الوجود في القرن الرّابع، وإرضاءً للوثنيّين المُتحوِّلين من الوثنيَّةِ إلى الوثنيَّةِ المُمَسْحَنةِ الّتي اخترعها والَّذين كانوا يَتَمتَّعون بأعيادهم ويَرفضون التَّخلي عن عادات آبائهم وأجدادهم، قام بمَسْحَنةِ عيدَ ميلادِ إلهِ الشَّمسِ "سول" الموافق في ٢٥ ك١ بتغيّير اسمهِ إلى "عيد ميلادِ المسيح، نورُ العالم وشمس البرِّ". وفي القرن الخامس ثَبَّتَت الكنيسة الكاثوليكيَّة هذا التاريخ كاليَومَ الَّذي وُلِد فيه المسيح بِحُلَّتهِ الجديدةِ المُمَسْحَنَةِ وأسمته كريسماس " Christmas"، وأَمَرت بأن يُحْتَفل به سنويّاً بهذا التّاريخ، وأقامت له احتفالاتٍ وقداديسَ وترانيمَ دينيَّةً خاصَّة بالمناسبة. لكن إن تَفحصَّنا هذه التَّسمِية لرأيناها بدعةً من جُملةِ البِدع الّتي اخترعتها الكنيسة الكاثوليكيَّة، لأنَّها تَتضَمَّن مزيجاً غريباً يَجمعُ إسْمين في كلمةٍ واحدةٍ بالشَّكل لكنَّهما مُتناقِضَين في المضمون، فالأوَّل هو Christ أي المسيح، والثّاني هو mass أي القدّاس!.. وهكذا تَوَحَّد عيدَي الساتورناليا وميلاد إلهِ الشَّمسِ الوثنيَّينِ ومعهما احتفالاتهما بالأكلِ وشُربِ الخمرِ والعَربدةِ، في عيدٍ واحدٍ دُعي "عيد الميلاد" أو "الكريسماس" في الكنيسة الكاثوليكيَّة الّتي أصبحت "خَيرَ خَلفٍ لِخيرِ سَلفٍ" كما يقولُ المثل المعروف.

قد يستغرب البعض هذا الكلام ويقول: "إن لم يكن المسيح قد وُلِد في ٢٥ ك١، فمتى يكون إذاً قد وُلِد؟". يؤكِّد معظم الكتّاب والمُفسِّرين للإنجيل بأنَّ ولادةَ المسيحِ كانت في فصلِ الخريفِ للأسبابِ التّالية:

١- عندما وُلِد المسيح كان الرُّعاة لا يزالون مَنتشرين في الباديَة يحرسون قطعانهم في اللّيل (لو٢:٨). من المنطقي والطَّبيعي أنَّ الرُّعاة لم يكونوا قد أرجعوا قطعانهم إلى الزَّرائب لأنَّ الشِّتاء لم يكن قد بدأ بعد.

٢- مِن المُسلَّم والمُعتَرف بـه أنَّ المسيح قد صُلِب فـي الرَّبيـع فـي وقتِ الفصـحِ (يو١٨:٣٩). فإذا حَسِبنا أنَّ خدمته كانت ثلاث سنين ونصف، فمعناه أنَّه ابتدأ خدمتـه في الخريف عندما كـان بعمرِ الثّلاثين كما تنصُّ عليه الشَّريعة اليهوديَّـة فـي العهد القديم (عدد٤:٣). فإن كان المسيح قد بلغ الثّلاثين عاماً في الخريف فمعناه أن ولادتـه كانت أيضاً في الخريف من قبل ثلاثين سنة. وبالتّالي يُصبح تاريخ عيد البِشارة الَّذي وضعتهُ الكنيسةُ الكاثوليكيَّة في ٢٥ آذار كاليومِ الَّذي حَبِلَت بـهِ مريم العذراء بيسوعَ المسيحِ غيرَ صحيحٍ!.

٣- في وقتِ ولادةِ المسيح أصدر أُغسطس قيصر أمراً ألزم بموجبه بأن يَكتَتِب كلّ المسكونة. فصعد يوسف ليكتَتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حُبلى إلى بيتَ لحمٍ (لو٢:١- ٥). لا توجدُ سِجلاّتٍ تُشير إلى أنَّ هذا الإكتتاب قد حصلَ فـي الشِّتاء وسطَ الأمطار والعواصف، لكنَّ الاكتظـاظ الَّذي كـان حاصـلاً وقتها والَّذي بسببه لم يجد يوسف ومريم لهما مكانٌ في البيتِ، يُشير إلـى أنَّ توقيتـهُ كـان فـي عيد المظـال الَّذي كان يُقام سنويّاً في أورشليم في الخريف في وقتِ نهاية الحِصـاد والإنتهـاء من قطف العنب (تث١٦:١٣). إذ بحسبِ المؤرِّخ اليهوديّ يوسيفوس فإنَّ تِعداد سُكّان أورشليم فـي الأيّـام العاديَّـة كـان حـوالي مئـةً وعشـرينَ ألفـاً، لكـن خـلال الأعيـاد كـان يتجـاوز المليونَين من اليَهود المُحتشدين الَّذين كانوا لا يملأون أورشليم فقط، لكن كلَّ المناطقِ المحيطةِ بها بما فيها بيتَ لحم الّتي تَبعد عنها خمسـةَ أميـالٍ إلـى الجنـوب. فـإن كانـت رحلةَ يوسف ومريم ليَحضرا العيد وليَكتتِبا في نفس الوقت، فهذا يضـع ولادةِ يسوع في الخريف من تلك السَّنة.

إنْدمج إذاً عيدا السَّـاتورناليا وولادة الشَّمس وأصبحا عيداً جديداً هو"الكريسماس" أو"عيد الميلاد" كما ذكرنـا، وبالتّـالي فقد بقيت الرُّموز الوثنيَّـة الّتـي كـان يستعملها الوثنيّون في العيديَّن المذكورين مترافقةً معهُ، حيث نراها متجلِّيةً بكلِّ وضـوحٍ فـي يومنا الحاضر لكن بِحُلَّةٍ جديدةٍ مُمَسْحَنَةٍ، والّتي سنذكرها تالياً واحدةً فواحدةٍ :

**- "شَجرةُ عيد الميلاد"**: اعتبرت الشُّعوب الوثنيَّة القديمـة الأشـجار الدّائمـة الإخْضِـرار الّتـي لا تَسـقط أوراقهـا عنهـا على مدارِ السَّنةِ، كأشجارٍ مقدَّسةٍ تَرمز إلى الحياة المُتجدِّدة وبأنَّ لها قُدراتٍ شِفائيَّةً وعجائبيّةً تَمنعُ الأمراضَ، فكرَّموها وعَبدوها وزيَّنوها. فكانـت مثلاً شـجرةَ البلّـوطِ مقدَّسـةً عنـد

تكريم الشَجرة عند البابليّين

الدروديّين، وعند الفراعنة كانت النَّخلة، وعند الرّومان كانت التَّنوب (نوعٌ من أشجارِ الصُّنوبر)...إلخ. وكانت عادةَ وضعِ شجرةٍ خضراءَ لتزيينها ظاهرةً في بابلَ ومصرَ قديماً حيث كان الوثنيون القدماء يَحتفلون بتقديسها ويُسمّونها شجرةَ الحياةِ وكانوا يُعلِّقون عليها الذَّهبِ والفِضَّةِ وصُوَراً وتماثيلَ الحيوانات، وكانوا أيضاً يزيِّنونها بالشَّرائط والزُّهور والتُّفاح الأحمر، ثمَّ يُوقدون الشُّموع ويُحيطونها بها، ويَرقُصون حولها حتّى الفجر. أمّا عند الرّومان فكان يتمُّ وضعُ شجرةَ التّنوبِ وتزيينها خلال عيد السَّاتورناليا بحبّاتٍ من التوتِ الأحمر والبُندق المَطلي بالذَّهب وكُراتٍ تَرمز إلى الشَّمس.

إنتقلت الشَّجرةُ المقدَّسةَ الخضراءَ من الوثنيَّة ومعها كلِّ تقاليدَ تكريمها وتزيينها إلى الكنيسة الكاثوليكيَّة الّتي مَسْحنَتها بربطها بالمسيح يسوع لأنَّه "شجرةَ الحياة"، وبربط الأنوار الّتي تُعلَّق عليها أيضاً به لأنَّهُ نورُ العالم، ودَعَتها "شجرةُ عيد الميلاد". ثمَّ أصبحت تلك الشَّجرةِ توضع أثناء العيد المذكور في المَعابدِ والبيوتِ، وفي الشَّوارع العامَّة بأحجامٍ مُختلفةٍ، وتُزيَّنُ بكُراتٍ مُلوَّنَةٍ وتُضاءُ بلمباتٍ كهربائيَّةٍ مُلوَّنةٍ أيضاً، ويتبارى النّاس في ما بينهم في مَن يَضع الأكبر منها، ومن يُزيِّنها بطريقةٍ مُبهِرةٍ أكثر من غيره!. وعندما يأتي ما يُسمّى "عيد الغطاس" ينتهي مهرجانُ "عيد الميلاد"، فتُزالُ الأشجارَ المُزيَّنةِ من البيوت ومن الشَّوارع، ويزول معها الفرح والسَّعادة اللَّذَان شعر بهما النّاس خلاله، فيعودون إلى همومهم وأحزانهم ومَشقّاتهم، على أملِ أن يأتي العيد نفسه ومعه شَجرته في السَّنة القادمة، حامِلَيْنِ إليهم أفراحاً جديدةً.

لا يَظن أحدٌ بأنَّ رَبْطِنا لعبادةِ الشَّجرةِ الخضراءِ الّتي كان يضعها ويُزيِّنها الوثنيّون أثناء الأعيادَ الوثنيَّةِ في بيوتهم ومعابدهم بالأمسِ بالشَّجرةِ الّتي يُزيِّنها النّاس ويضعونها في "عيد الميلاد" في بيوتهم ومعابدهم اليوم، بأنَّنا نقصد بأنَّهم يَعبدون تلك الأشجار، لكن لكي يُدركوا أنَّ ما يفعلونه اليوم كان يفعله الوثنيّون من قبلهم. وبما أنَّ هذه العادات تَحمِلُ أنفاسَ الوثنيَّةِ، فمعناه أنَّه ليس لها أيَّةَ علاقةٍ لا بالمسيح ولا بالمسيحيَّة الحقيقيَّة، وبالتّالي فإنَّه لا يوجد من سببٍ يدعونا لكي نكونَ ورثةَ عاداتٍ وثنيَّةٍ، إن كان عن معرفةٍ أو جهلٍ مِنّا، وخاصَّةً إذا عَرفنا بأنَّ تكريم الشَّجرة

الخضراء المقدَّسة بتزيينها ما زال موجوداً حتّى يومنا هذا في دياناتٍ أخرى، من دياناتِ المِثْلية الدّينيَّة مثل الهندوسيَّة والإيزيديَّة كما تُظهر الصُّوَر التّالية .

يوجدُ في العهد القديم من الكتاب المقدَّس عددٌ كبيرٌ من الأحداثِ الّتي تُشير على ارتباطِ الشَّجرةِ الخضراءِ الّتي كان الوثنيّون يُزيِّنونها بتعليقِ رموزهِم عليها مع العبادة الوثنيَّة المُزيَّفة، كما تَدِلُّ على غضبِ الرَّب من هذه المُمارسات وسنعرضَ البعضُ منها تالياً:

- تُخْرِبون جميعَ الأماكنِ حيثُ عَبدَتِ الأممُ الّتي تَرِثونها آلِهَتَها على الجبال الشّامخة، وعلى التِّلال، وتحتَ كلِّ **شجرةٍ خضراءَ** (تث١٢:٢).

- وعمل الإسرائيليّون الشَّر في عيني الرَّب... وبنوا هم أيضاً لأنْفسهِم مرتفعاتٍ وأنصاباً وسواريَ على كلِّ تلٍّ مرتفعٍ وتحتَ كلِّ **شجرةٍ خضراءَ**(١مل١٤:٢٣).

- كان آحازُ ابنَ عشرينَ سنةً حين مَلَك في أورشليم، ولم يعمل المُستقيم في عَيني الرَّب... وذَبح وأوْقد على المُرتفعات وتحتَ كلِّ **شجرةٍ خضراءَ** (٢مل١٦:٤).

- اسمعوا الكَلمة الّتي تَكلَّم بها الرَّب عليكُم يا بيتَ إسرائيل... لا تَتعلَّموا طريقَ الأمم... لأنَّ فرائضَ الأممِ باطلةٌ. لأنَّها **شجرةٌ** يقطعونها من الوَعرِ... **بالفِضَّةِ والذَّهبِ يُزيِّنونها**، وبالمسامير والمَطارق يُشدِّدونها فلا تتحرَّك (إر١٠:١-٤).

**- "حَطبةُ عيد الميلاد"** أو "Bûche de Noël": هي مُستوردةٌ إلى عالمنا الجديد من تقاليد عيد ميلاد إله الشَّمس الوثني "سول"، الَّذي كان يُحتفل به في ٢٥ك١ وكان الرّومان القدماء يدعونها "حطبة الإلَه سول"، وكان المقصودَ من إشعالهم لها من بعد أن يُزيِّنوها أثناء العيد المذكور أن يكرِّموا الشَّمس

بمساعدتِها على أن تَقهر بَرْد الشِّتاء وتستعيد نشاطها النّاري، وتَستكمل مسيرتها السَّماويَّة. فَقدت هذه الحَطبة رمزيتها القديمة، وتحوَّلت إلى نوعٍ من الحلوياتِ الّتي تُصَنَّع في "عيد الميلاد"، إلاّ أنَّها ما زالت تَحملُ نكهةِ الوثنيَّةِ المُرَّةِ في حناياها، برغمِ وجودِ الطّعمِ الحُلو للكريما والشّوكولاته في ثناياها!.

- **"مغارةُ عيد الميلاد"**: قال لوقا الإنجيلي بأنَّه عندما تمَّت أيَّام مريم لتَلِد، وَلَدت يسوع وقمَّطته واضجعته في مزودٍ، لأنَّها لم تَجد هي ويوسف أيِّ مكانٍ لهما في المنزل، ولم يأتِ لوقا على ذكرِ أيَّةِ مغارةٍ على الإطلاق. أمّا المغارةُ الّتي تتناقل صُنعَها الأجيال من دون أن تسألَ عن أصلها، فهي من صُنع الرّاهب فرنسيس الأسيزي الَّذي كان له الفضل في اطلاقها في سنة ١٢٢٣، ومن ثم انتشرت بعدها عادةَ صنعِ المغاورِ في "عيد الميلاد". لكن من يسبر غور التّاريخ القديم فإنَّه سيجد بأنّ المغارةَ المُرتبطةِ بولادةَ إلَهٍ كانت موجودةٌ من قبل أن يُولَد فرنسيس الأسيزي بمئاتِ السِّنين، إذ إنَّ واحدةً من التَّقاليدِ الشَّعبيَّةِ الوثنيَّةِ الّتي كانت مُتعلِّقة بإلَه الخصب والزّراعة أدونيس كانت أن يقوم الوثنيّون بزراعةِ القمح أو العدس في صحونٍ أو سلالٍ وكانوا يدعونها "جَنائن أدونيس" ، ومن بعد أن تُفرِّخ يضعونها أمام مهده عندما يولدُ من جديدٍ. ما زالت هذه العادة تُقام بصورةٍ "بريئةٍ" في الوثنيَّة المُمَسْحنَة، من خلالِ وضعِ القمح والعدس من بعد أن يفرخا أمام "مغارة الميلاد" من دون أن يعرف القائمون بهذه العادة بأنَّها كانت عادةً وثنيَّةً لأدونيس وقد مُسْحِنَت بربطها بالمَسيح.

وقبل أن نُكمل كلامنا عن بقيَّة الأعياد الوثنيَّة الّتي مُسْحِنت أيضاً، يجب أن نُوضِّح هنا أمراً يَمُرَّ عليه النّاس مرورَ الكِرامِ من دون أن ينتبهوا لتفاصيله الغريبةِ والمُريبةِ، ويَتعلَّق بِطِفلَين يَحملان الإسْمَ نفسهِ لكنَّهما مُتناقِضَان في المَقام والشَّخصيَّة والصِّفات والسِّمات والقُدرات، ولا يُشبهان بعضهما بعضاً بأيِّ شيءٍ، لأنَّ الطِّفل الأوَّل حقيقيٌّ، أمّا الطِّفل الثّاني فهو مُزيَّفٌ، ومن أوجدَهُ أوجدهُ على ما يبدو لإهانة الطّفل الأوَّل ليس إلاّ !.

فالطِّفل الأوَّل الحقيقيّ هو الرَّب يسوع المسيح المُتَجسِّد، وهو عمّانوئيل الَّذي تفسيرهُ: اللهُ معنا(متّى١:٢٣). وُلِد هذا الطِّفل العظيم من مريم العذراء المُبارَكة في

مزودِ اسطبلٍ فارغٍ يعود لبيتٍ أو فندقٍ في بيتَ لحمٍ منذُ ألفي سنةٍ، بدون أن يحتاج لحيواناتٍ تُدفِّئُهُ لئلاّ تقتله بِنَفَسِها ورائحةِ فَمها الكريهة، وقد مرَّ بمرحلةِ الطُّفولة مثلهُ مثلُ أيِّ طفلٍ آخر. انتهت تلك المرحلة **إلى غيرِ رجعةٍ** لأنَّه من بعدها قد كَبُر وتقدَّم في الحِكمة والقامة والنِّعمة عند الله والنّاس (لو٢:٥٢)، وفي سِنِّ الثّالثة والثّلاثين مات على الصَّليب ليفتدي الخُطاةَ، وفي اليوم الثّالث قام من بين الأموات وعاد إلى السَّماء من حيث أتى، وهو الآن يجلس على عرشها إلى يمين الآب السَّماوي حيث تُعظِّمهُ الملائكة وتهتف له أعدادٌ لا تُحصى ولا تُعَدُّ من القدّيسين الَّذين افتداهم بدمهِ. أمّا الطِّفل الثّاني المُزيَّف فهو الَّذي "وَلَدتهُ" الكنيسةُ الكاثوليكيَّة في ما تُسمّيها "مغارة الميلاد" وأسمته "الطِّفل يسوع". وقد صَوَّرته مُضْجعاً في مزودِ هذه المغارة وتُحيط به الحيوانات لتُدفِّئهُ(الفكرة ابتدعها مُبجِّل الحيوانات الرّاهب فرنسيس الأسيزي الَّذي ذكرناه آنفاً). بقي هذا الطِّفل طِفلاً صغيراً لا يَكبُر فيها لأنَّها جَسَّدته وهو دائماً يَجلسُ كطفلٍ في حضنِ "أُمّه" الكبيرة والعظيمة (تكلَّمنا عن هذا الموضوع في فصلٍ سابقٍ)، أو صَوَّرته محمولاً من "قدّيسيها" العطوفين بشدَّةٍ عليه، أو صنعته "دُميَةً فاتيكانيَّةً" يُبخرها ويَحملها ويُقبِّلها الباباوات في مناسبةِ "عيد الميلاد" بنوعٍ من المحبة والحنان المقرونَين بورعٍ وخشوعٍ "مُميَّزَين" لا نجدهما إلاّ عندهم، بالإضافة إلى حَضِّهم النّاس في المناسبةِ على تَعلُّم التَّواضع من "الطِّفل يسوع" ومحبتهِ والتَّعبدِ له. الصُّوَر المُرفقة أدناه توضِّح ما نقول.

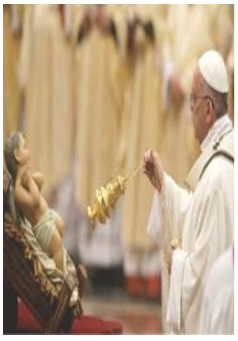
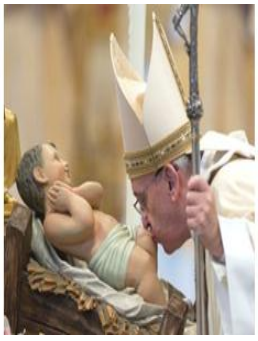

أيضاً أظْهرته في المجتمعات الكاثوليكيَّة من حول العالم أبيَض وأسوَد، وبأشكالٍ مُتعدِّدةٍ مُضحِكةٍ ومُبكِيةٍ في آنٍ معاً، وسأضع أمامك في الصَّفحة التّالية أيُها القارئ العزيز الصُّوَر الّتي تَرتبط بالطِّفل الثّاني الَّذي "وَلَدتهُ" الكنيسة الكاثوليكيَّة، وسأتركك تقرِّر إن كان هَدفها من "تَوليدها" له هو لتكريم الطِّفل الأوَّل حسب زعمها، أو لإهانته؟.

ولكي يزداد إيمان أتباع الكنيسة الكاثوليكيَّة في "الطِّفل يسوع" الَّذي "وَلدته " فقد اخترعت لهم قصَّةٌ على الطّريقةِ التقليديَّةِ الّتي تَتبعها دائماً، تفوحُ منها رائحة الكَذِب والخُرافة، عن "طفلٍ إلهيٍّ" لا تَعرف شيئاً عن أصلهِ أسمته "طِفلُ براغ ". ومع أنَّ هذا "الطِّفل" هو مُجرَّدُ تمثالٍ، إلاَّ أنَّه يتكلَّم مع البشر ويطلب منهم طَلبات، ويَعِدهم بالبركات، ويصنع لهم العجائب والمُعجزات، والَّذي نقتبس قصَّتهُ باختصارٍ عن موقع "سلطانة الحَبل بلا دَنس" على الشَّكل التّالي:

يبلغُ طولُ هذا التّمثال (الَّذي يظهر في الصُّورَة على اليَسار) ٤٨ سنتم، وهو مصنوعٌ من الشَّمعِ الرَّقيقِ. أحضرته إلى تشيكوسلوفاكيا الأميرةُ الإسبانيةِ ماريا دي لارا وكانت قد أعطتها إيّاه أمَّها كهديَة عُرسٍ، والّتي بدورها أعطتهُ لابنتها الأميرة بوليسكينا. في سنة ١٦٢٣ أصبحت بوليسكينا أرملةً فقرَّرت تكريسَ بقيَّة حياتها لأعمال التّقوى والمحبةِ. مرَّ الرّهبان الكرمليون في ذلك الوقت بضيقٍ شديدٍ حتى انعدام لقمة العيش، فأُوْحِيَ للأميرة بوليسكينا بضرورةَ تكريمِ التِّمثال لتَفيض النِّعم والخيرات عليهم. أَحضرت حينها الأميرة التِّمثال للرّهبان وطلبت منهم تكريمه في ديرهم ليخرجوا من حالةِ العَوَز. كانت نتائجُ التَّكريمِ باهرةً، فقد حصل الرّهبان على خيراتٍ روحيَّةٍ وزمنيَّةٍ أكَّدت أنَّ التِّمثال مُباركٌ من الله.

في سنة ١٦٣١ قام الملك السُّويدي غوستاف أدولتوس بغزوِ براغ حيث نهب مع جيشه الأديرة والمعابد، وفي فوضى هروب الرّهبان نَسوا أن يأخذوا معهم التِّمثال وعندما وجدهُ الغزاة رَموه في كومةٍ من النِّفايات مِمّا تَسبَّب بفقدان يَدَيه وهناك بَقيَ

لسبعِ سنواتٍ. ولمّا عاد السَّلام رجع الرّهبان إلى أديرتهم لكنَّ التِّمثال كان منسيّاً، وبقي الأمر على حالهِ حتّى وصول الكاهن سيريللوس، الَّذي كان مُتعبِّداً لطفلِ براغ وبدأ بالبَحث عنه حتّى وَجده. ومع أنَّ التّمثال كان من دون يَدَين إلاّ أنَّه وضعه على مذبحِ أحدَ المعابدِ حيث تَمَّ انعاش عبادة "الطِّفل يسوع" مع حَماسةٍ مُتجدِّدةٍ. وذات يومٍ وبينما كان سيريللوس يُصلّي أمام التِّمثال سمع الكلمات التّالية منه: "إرحَمني وأنا سأرحمكَ، أعطني يَدَيَّ وسأُعطيكَ السَّلام، وعلى قدرِ ما سَتُكرِّمُني على قَدرِ ما أنا سأباركُكَ". عندئذ لاحظ سيريللوس أنَّ يَدَيّ الطِّفل مفقودتان فأخذه إلى رئيس الدَّير طالباً منه ترميمه، إلاّ أنَّ الأوضاعُ الماليَّةِ المُعدَمةِ للدّير حالت دونَ عَمليَّةِ التَّرميم. لم يستسلم سيريللوس فقد صلّى بحماسةٍ للمساعدة وثِقَته أعطته المكافأة، إذ قد ظهر اقتراحٌ من الطِّفل الإلَهي يقول: "ضَعوني بجانب السِّكرستيّا، وستحصلون على المال". وقد فعل سيريللوس ذلك ونال جزاءً لإيمانه بشكلٍ واضحٍ إذ دخل رجلٌ غريبٌ إلى السِّكرستيَّا وعَرض أن يتحمَّل تكاليف التِّمثال فحصل سيريللوس على تمثالٍ مُرمَّمٍ وكاملٍ للطِّفل العجائبي. في هذه الأثناء تَفشّى مرض الطّاعون في المدينة وأُصيبَ بهِ رئيسُ الدَّير. وبعد أن تمَّ تذكيره بالتِّمثال العجائبي نَذر بتطوافِ القربانِ المقدَّسِ أمام التِّمثال وذلك لتسعةِ أيَّامٍ مُتتاليةٍ، فحصل على الشِّفاء تدريجيّاً. وبعد أن أتمَّ نَذره وضع التِّمثال المُقدَّس في غرفةٍ خاصَّةٍ ليَتعبَّد له بحرارةٍ، ثمَّ وضعه أمام جميع النّاس ليتسنّى لهم الإشتراك في عبادته. وقد نال المتعبِّدون له النِّعم والشِّفاءات العديدة (إلى هنا ينتهي الإقتباس).

وفي سنة ١٨٩٦ صدَّق البابا ليو الثّالث عشر على تكريم "طِفل براغ"، وفي سنة ١٩١٣ أسَّس البابا بيوس الخامس جمعيَّةً خيريَّةً باسْمهِ، وفي سنة ١٩٢٤ تَوَّج البابا بيوس الحادي عشر التّمثال رسميّاً لأوَّلِ مرَّةٍ، وثم توَّجَهُ مرَّةً ثانيةً البابا بنديكت السَّادس عشر في سنة ٢٠٠٩ خلال زيارته لتشيكوسلوفاكيا. يزور "طفل براغ" سنويّاً آلاف الحجّاج لإقامةِ القداديس لتكريمه ولوضع طِلْباتهم أمامه، كما وأنَّ عبادته قد انتشرت في العديد من دُوَل العالم حيثُ يَضع النّاس فيها تمثاله في بيوتهم ومعابدهم وعلى زوايا الشَّوارع، وهم مُقتنعون بأنَّهم بهذه الطّريقة يُبجِّلون ويكرِّمون الرَّب يسوع المسيح كطِفلٍ، بينما هم في الواقع يُهينونَهُ بتصرُّفهم هذا لأنَّ أعظمَ إهانةً تُوَجَّهُ إلى انسانٍ بالغٍ هي أن يوصف بالطّفل، فكم بالحريّ إن كان هذا الوصف يُوَجَّه إلى الله الّذي ظَهر في الجسدِ كإنسانٍ؟ فلذلك فكِّر مليّاً أيّها القارئ العزيز بهذا الموضوع قبل أن تَسير بِرُكبِ مسيرةٍ موجَّهَةٍ لإهانةِ الخالق بدعوتهُ بالطِّفل، لأنَّها

تسيرُ في اتِّجاهِ كرسيِّ الدَّينونةِ الّتي لا يجلس عليها طفلٌ، بل ربٌّ أزليٌّ عظيمٌ سَيدين جميع البشر على أعمالهم الشِّريرة، والّتي من ضِمنها تَسميتهم له "الطِّفل يسوع".

من الطَّبيعي بأن يكون القارئ العزيز قد سَمع بما تُسمَّى "كنيسةُ المهد" الموجودةِ في بيتِ لحمٍ في فلسطين، والّتي يَعتقد النّاس بأنَّ لها ارتباطاً بولادة الطِّفل الحقيقيّ الرَّب يسوع المسيح. لكن في الواقع وبحسب الوقائع الّتي سَنعرُضُها فإنَّنا سنجد بأنَّها مَبنيةٌ على أشرِّ كِذْبةٍ مُتداخلةٍ ومُتماسكةٍ بطريقةٍ احترافيَّة في الخداع الدّيني، وهي تَحْرِف هذه الولادة عن مسارها العظيم إلى مسارٍ تجاريٍّ وضيعٍ لضلالِ النُّفوس وربح الفلوس. اخترع هذه الكِذْبةِ الملك قسطنطين، ويستمر بالمحافظة عليها إلى يومنا الحاضر طغمةٌ من رهبانٍ جَشعين ومُحبّين للمال، يَنتمون إلى طوائفَ مُختلفةٍ من الوثنيَّة المُمَسْحنَة، والّذين أحياناً يختلفون بين بعضهم بعضاً على تَقاسُمَ المَغانم، فتصل الأمور في ما بينهم إلى الإشتباكِ بالأيدي وتبادل اللَّكمات والضَّربِ بالعِصيِّ. فبحسب التّاريخ فإنَّ الملك قسطنطين قد بنى "كنيسة المهد" في سنة ٣٣٥ في بيتِ لحمٍ في فلسطين من بعد إعلانه لديانته الجديدة (الوثنيَّة المُمَسْحنَة) على كاملِ أراضي الإمبراطوريَّة الرّومانيَّة، والّتي كانت فلسطين جزءاً منها. أمّا بحسب الجغرافيا فإنَّ هيلانةَ والدةَ قسطنطين وبطريقةٍ فائقةٍ للتَّصور والإدراك البَشري، ومن بعد حوالي ثلاثَ مئةِ سنةٍ، حدَّدت بدقَّةٍ المكان الَّذي وَلَدَت مريم يسوع فيه لتقوم بالبِناء فوقه، مع أنَّه لو عاد يوسف ومريم ومعهما الرُّعاة من بعدِ كلَّ هذهِ المدَّةِ إلى بيت لحمَ، لكان سيستحيل عليهم معرفة مكانَ تلك الولادةِ بالضَّبط مثلما فعلت هيلانة!!. فهل يوجد من خداعٍ على وجهِ الأرض أكثر من هذا الخداع؟ الجواب موجودٌ في كلمة **"هُنا"**، الموجودة في الصَّفحة التّالية:

فمن جُملةِ ما هو موجودٌ في "كنيسة المهد"، فإنَّ زائرها سيرى في داخلها مغارةً صغيرةً أرضيتها مصنوعةٌ من الرُّخام الأبيض (حيث السَّهم في الصُّورة)، وفي وسطها نجمةً فضِّيةً متعدِّدةِ الأضلاع يَتدلّى فوقها عشرة قناديل ويوجد نقشٌ حول النُّجمة باللُّغةِ

اللاتينيَّة يقول: "**هُنا** وُلِد يسوع المسيح من مريم العذراء". نعم **هُنا** يَتجلّى الخِداع الدّيني بأبشعِ صُوَره والَّذي يأتي بالنّاس من كلِّ حدبٍ وصوبٍ (كما يَظهرون في الصُّور أدناه)،

لينحنوا ويسجدوا أمام تلك النَّجمة وليُقبِّلوها ويَمسحوها بأيديهم طالبين بركتها، لَعلَّها تَشفيهم من داءٍ أليمٍ أو تُنجّيهم من ويلٍ عظيمٍ. لكن من المؤكَّد أنَّ الرَّب يسوع المسيح ومريمَ العذراء الّتي وُلِد منها كإنسانٍ، ليسا هما براءً من هذه النَّجْمَة الكِذْبَةِ وحسب، ولكنَّهما أيضاً براءٌ من الكَذَبَةِ الَّذين وضعوها **هنا**، ومن الكَذَبَةِ الَّذين يحافظون على استمرارية وجودها.

عيدٌ وثنيٌّ آخرُ مُسْحِن بربطهِ ليس بولادة المسيح وحسب هذه المرة لكن بولادة يوحنّا المعمدان أيضاً، وقد أتت مَسْحَنتهُ على الشَّكل التّالي: حين أرسلت باباويَّة روما الإرساليات الكاثوليكيَّة إلى الجزءِ الشَّمالي من أوروبا لاستقطاب الوثنيّين إلى داخل حظيرتها، وجدوا أنَّ يوم ٢٤ حزيران كان يوماً مُميَّزاً وشَعبيّاً بين هؤلاء النّاس لأنَّهم كانوا يحتفلون فيه بإشعالِ النّيرانِ المقدَّسةِ لتكريمِ الإلهَ بَعل، فقرَّروا أن يُمَسحِنوه، ولكن كيف؟ وجدوا الحل أنَّه بما أنَّ ٢٥ كانون١ قد أصبح كعيدِ ميلاد المسيح في كنيستهم الكاثوليكيَّة، ولأنَّ ٢٤ حزيران يأتي قبله بستَّةِ أشهرٍ بالضَّبط قاموا بتحديده كَيَومَ ميلادِ يوحنّا المعمدان لأنَّ يوحنّا كان قد وُلِد قبل المسيح بستَّةِ أشهرٍ (لو١:٢٦-٣٦). وهكذا أصبح يوم ٢٤ حزيران يُعرَف بعيدِ ميلاد يوحنّا المَعمدان في الرّوزنامة الباباويَّة، وأصبحت نيران الإلَه بَعل تُدعى "نيران القدّيس يوحنّا". وقد ذَكَرت الموسوعة الكاثوليكيَّة شَهادةَ شاهدِ عِيانٍ عن تلك النّيران كالتّالي: "شاهدتُ النّاس يَركُضون ويَقفِزون عبر نيران القدّيس يوحنّا في إيرلندا، فخورين بأن يَعبروها بدون أن تَلذعهم، لأنَّهم يعتقدون بأنَّهم يتباركون منها بطريقةٍ خاصَّةٍ في هذا الإحتفال".

أيضا عيدٌ وثنيٌّ آخرٌ مُسْحِن في الكنيسة الكاثوليكيَّة بربطهِ بمريمَ أمَّ يسوع مع أنَّها لا ترتبط به بأيِّ شكلٍ من الأشكال. وكان يتمُّ الاحتفال في هذا العيد في روما الوثنيَّةِ

في الثّاني من شهرِ شباط بحمل المشاعل والشُّموع في تكريمٍ للإلَهة فبريا Febria الّتي من اسمها اشتق اسمُ شهر February أيّ شباط. وأمّا في اليونان فكان يتم الاحتفال ذاته بإقامةِ وليمةٍ لتكريم الإلَهة سيرس Ceres وكان المحتفلون يحملون الشُّموع ليبحثوا عنها في العالم السُّفلي. ولأنَّ عدد الأيّام بين ٢٥ك١ و٢شباط هو أربعون يوماً فقد مُسْحِن هذا العيد بتسميته "تطهيرُ مريم العذراء"، على اعتبارِ أنَّ مريم قد بقيت أربعين يوماً غيرُ طاهرةٍ من بعد ولادتها ليسوع بحسب الشِّريعة اليهوديَّة. وهكذا، وبَدل أن يكون يوم ٢ شباط يوماً مكرَّساً لحمل الشُّموع لتكريم الإلَهة فبريا أو الإلَهة سيرس في الوثنيَّة، أصبح يوماً مكرَّساً في الكنيسة الكاثوليكيَّة لحمل الشُّموع للاحتفال بتكريمِ مريم الكاثوليكيَّة (كما تُظهر الصُّورَة المُرفَقة من الفاتيكان) ولتُرفَع الصَّلوات لها لكي تُبارِك الشُّموع الّتي ستستخدمها خلال المَراسم الدينيَّة في السَّنة الطَّقسيَّة، ودَعَت هذا الاحتفال Candlemas day .

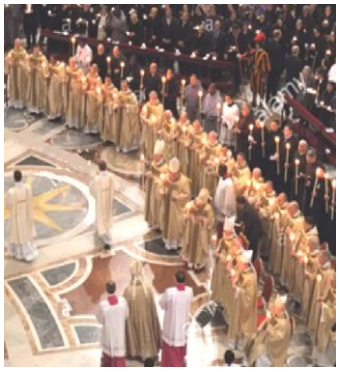

**- "عيدُ الفصح والقيامة" أو "العيد الكبير"**

بادئَ بدئٍ ولمعرفةِ المعنى الحقيقي لعيد الفصح الَّذي وضعه الله، ولكي تَنفَتح أعيُننا على حقيقتهِ وجوهرِهِ، وعلى الهدفِ منه، وعلى فائدتهِ العظيمة في فداءِ الإنسانِ وخلاصهِ من الهلاك الأبدي، يجب علينا أن نفتح سفرِ الخروج في الكتاب المقدَّس ونقرأ ما جاءَ عنهُ في الإصحاح الثّاني عشر، فنُصبح قادرين على التَّمييزِ بينهُ وبين "عيد الفِصح" المُزيَّف الَّذي فبركته الكنيسة الكاثوليكيَّة، الّتي وإن أَدخلت إليهِ شعائرَ ورموزاً وثنيَّةً من بعد أن مسحنتها كعادتها، فإنَّه بقي فارغاً لا هدفَ له، ولا توجد فيه أيَّةُ فائدةٍ لفداءِ الإنسان وخلاصهِ، مِثلهُ مثل كلِّ الشَّعائر الدينيَّة الّتي تكلَّمنا عنها في الفصل السّابق. ومن الفصح الَّذي وضعه الله نبدأ:

وكَلَّم الرَّبُّ موسى وهارون في أرضِ مصرَ قائلاً: "هذا الشَّهرُ يكونُ لكم رأسَ الشُّهورِ. هو لكم أوَّلُ شهورِ السَّنةِ. كَلِّما كلَّ جماعةِ إسرائيلَ قائِلَينِ: في العاشر من هذا الشَّهر يأخذونَ لهم كلُّ واحدٍ شاةً بحسب بيوت الأباء، شاةً للبيت... تكونُ لكم شاةً صحيحةً ذَكَراً ابنَ سنةٍ، ويكونُ عندكم تحت الحِفْظِ إلى اليومِ الرّابعَ عشرَ من هذا الشَّهرِ. **ثمَّ يذبحهُ كلُّ جمورِ إسرائيلَ في العَشِيَّةِ. ويأخذون من الدَّمِ ويجعلونهُ على**

**القائِمتَين والعتبةِ العليا في البيوت الّتي يأكلونَهُ فيها**. ويأكلون اللَّحمَ تلك اللّيلةَ مشويّاً بالنّارِ مع فطيرٍ. على أعشابٍ مُرَّةٍ يأكلونه... والباقي منه إلى الصَّباح، تُحرقونه بالنّارِ... هو فصحٌ للرَّبِّ. فإنّي أجتازُ في أرضِ مصرَ هذه اللَّيلةَ، وأضربُ كلَّ بِكْرٍ في أرضِ مِصْرَ من النّاسِ والبهائمِ. وأصنعُ أحكاماً بكلِّ آلِهةِ المَصريّينَ. أنا الرَّبُّ. **ويكونُ لكم الدَّمُ علامةً على البيوت الّتي أنتم فيها، فأرى الدَّمَ وأعبُرُ عنكُم**، فلا يكونُ عليكم ضربةٌ للهلاكِ حين أضربُ أرضَ مِصْرَ، ويكون لكم هذا اليوم تِذكاراً فَتعيِّدونَهُ عيداً للرَّبِّ. في أجيالكم تُعيِّدونَه فريضةً أبديَّةً"... فدعا موسى شيوخ إسرائيل وقال لهم: "اسْحَبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذْبَحوا الفصحَ. وخذوا باقةَ زوفا واغْمِسوها في الدَّمِ الَّذي في الطَّستِ ومُسُّوا العَتبةَ العُليا والقائمتينِ بالدَّمِ الَّذي في الطَّستِ. وأنتم لا يَخرجْ أحدٌ منكم من بابِ بيته حتّى الصَّباحِ، فإنَّ الرَّبَّ يجتازُ ليضرب المصريّينَ، **فحين يرى الدَّمَ على العَتبةِ العُليا والقائمَتَينِ يَعبرُ الرَّبُّ عن البابِ ولا يَدَعُ المُهْلِكَ يدخل بيوتكم ليَضرِبَ**. فتحفظونَ هذا الأمرَ فريضةً لكَ ولأولادكَ إلى الأبدِ... ويكون حين يقول لكم أولادكم: ما هذه الخدمةُ لكم؟ أنَّكم تقولون: "هي ذبيحةُ فِصْحٍ للرَّبِّ الَّذي عَبر عن بيوتِ بني إسرائيلَ في مصرَ لمّا ضرب المصريّين وخلَّصَ بيوتَنا"... فحدثَ في نصفِ اللَّيل أنَّ الرَّبَّ ضَرب كلَّ بكرٍ في أرضِ مصرَ، من بكرِ فرعونَ إلى بِكرِ الأسيرِ الَّذي في السِّجنِ، وكلَّ بكرِ بهيمةٍ. فقام فرعون ليلاً هو وكلُّ عبيدِهِ وجميعُ المصريّينَ. وكان صراخٌ عظيمٌ في مصرَ، لأنَّه لم يكن بيتٌ ليسَ فيهِ مَيْتٌ (سفر الخروج الإصحاح ١٢).

إذاً كما رأينا فإن العلامةَ المميَّزةَ للفصحِ الحقيقيّ في العهد القديم هو **الدَّم** الَّذي يُراقُ من الخروفِ المذبوحِ في عيدِ الفصحِ، ويوضعَ على العَتبةِ العُليا والقائمَتينِ، حتى يَعبُرَ غَضب الرَّب عن البيت فلا يَضرُبه المُهلِكُ. وإذا انتقلنا إلى العهد الجديد سنجد بأنَّ المسيح الَّذي صُلِب على الصَّليب كان هو بنفسهِ خروفَ الفصحِ المذبوحِ لأجلنا كما يقول بولس عنه (١كور٥:٧)، وأنَّه الخروف القائم كأنَّه مذبوح كما رآه يوحنا ( رؤ٥:٦)، وبأنَّ **دَمَهُ** الَّذي أُريق منهُ على الصَّليب هو الَّذي يفدي الإنسان الخاطئ (كو١:٤)، وهو الَّذي يَغْسِله من خطاياه (رؤيا١:٥)، وهو الَّذي يشفع به أمام الله الدَّيان فيُبعِد عنهُ غضبهُ ودينونتهِ (رو٥:٩). هذا من جِهة الفِداء، أمّا من جِهةٍ أُخرى، فإنَّه وكما ارتبط الفصحُ الحقيقيّ في العهد القديم بتحريرِ الشَّعبِ العبرانيِّ من عبوديَة مصرَ وعبورهِ إلى أرضِ الموعد، هكذا ارتبط الفصحُ في العهد الجديد بتحرير الإنسانِ الخاطئِ من عبوديَةِ الخَطيَّةِ وعُبورهِ إلى السَّماءِ والحياةِ الأبديَّةِ.

أمَّا بالنِّسبة إلى "عيد الفصح" المُزيَّف أو ما يُسمّى (Happy Easter) المُشتق من اسمِ الإلَهَةِ الأمّ عشتار والمُرتبطُ بها كما سنرى، والَّذي تحتفل به الكنيسة الكاثوليكيَّة سنويّاً، فهي قد فبركتهُ بِدقَّةٍ مُدهشةٍ كسلسلةٍ مُترابطةٍ، ومّسْحَنتهُ بربطهِ بأحداثٍ أخذتها من الإنجيل تتعلَّقُ بموتِ ودفنِ وقيامةِ الرَّب يسوع المسيح من الأموات، لكي تَجعل منه واجهةً جميلةً تُخَبِّئ ورائها أصولهُ وطقوسهُ الوثنيَّة القبيحة المؤلَّفة من مجموعةِ شعائرَ وعاداتٍ كالصَّومِ، والحزنَ والبكاءِ على موتِ الإلَه الوثني ودفنه، وأعياد ومهرجانات مرتبطةً ببدءِ فصل الرَّبيع يتخلَّلها الفرح والابتهاج بقيامتهِ من بين الأموات ، ومن رموزٍ كالبيضةِ والأرنبَ. من الطَّبيعي أن يَستفزَّ هذا الكلام الكثيرين من الَّذين يَعتبرون بأن "عيد الفصح" الكاثوليكي هو امتدادٌ طبيعيّ لعيدِ الفصح اليهودي، وقد يَسألون ألا يُمثِّل الكهنةُ فيه غسل المسيح لأرجلِ تلاميذه حين يغسلون أرجل النّاس؟، وألا يُمثِّل فيه النّاس أيضاً حَمْل المسيح للصَّليب من خلال حملهم لصليبٍ يسيرون به في مسيراتٍ تجوب الشَّوارع في يوم "الجُمعة العظيمة"؟، وألا يَحتفل به النّاس بقيامةِ المسيح من بين الأموات صارخين: "المسيحُ قام، حقّاً قام"؟، أفلا يكون إذاً عيداً مسيحيّاً؟. الجوابُ من النَّظرةِ السَّطحيِّةِ عليهِ هو **نَعَم**، لكن من النَّظرة العَميقة الجواب هو قطعاً **لا**، لأنَّه أوَّلاً لا يُشبِه الفصح اليهودي بشيءٍ وليسَ له أيَّةُ علاقةٍ به كما رأينا سابقاً، وثانياً ليس هو إلاّ واجهةً تُخفي الآلِهة والشَّعائر الوثنيَّة المُختَبئة فيه كما ذكرنا آنفاً. ولمن يسأل عن الطَّريقة التي صُنِعت بها هذه الواجهة، ها هو الجواب يأتيهِ بطريقةٍ مُفصَّلةٍ وسَلِسَةٍ وتَسلْسليَّةٍ، ومن الصَّوم نبدأ.

**"الصَّومُ الكبير"**: يبدأ هذا الصَّومَ الَّذي تفرضهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة فَرضاً بحسبِ الوصيَّة الثّانية من وصاياها السَّبع، والَّذي يأتي مرَّةً في السَّنةِ، بما يُسمّى "اثنين الرَّماد" بحسب التَّقليد الشَّرقي. وهو اليوم الَّذي أعلنه البابا غريغوريوس الأوَّل العظيم (٥٩٠ - ٦٠٤) كاليوم الأوَّل للصَّوم باسْم "أربعاء الرَّماد" بحسب التَّقليد الغَربي. يتوجَّهُ النّاس باكراً في هذا اليوم لحضورِ القُدّاس، ولكي يَرسمَ الكهنةَ على جباههم صَّليباً بالرَّمادِ المأخوذِ من رَمادِ أوراقِ الزَّيتونِ الّتي أُحرِقت بعد استخدامها في "عيد الشَّعانين" من السَّنة الماضية. يُذَكِّر الكهنة النّاس في هذه المُناسبة بأنَّهم تراب وإلى التُّراب يعودون، ويقولون لهم بأنَّ صومهم هذا هو تعبيرٌ خارجيٌّ عن النَّدامة على الخطيَّةِ وتوبةَ القلبِ. لكن مع الأسف، فإنَّ الكهنة لا يُلاحظون بأنَّ الصَّليب (الشَّيء)

الَّذي وضعوه على جباه النّاس لا يؤثِّر فيهم ولا على أفواههم الّتي تبقى مَمرّاً تَعبرُ منهُ اللّعنات والشَّتائم المُرَّة والكلام البذيء من قلوبهم إلى آذان سُكّان الأرض، وإلى مسامعِ ساكن السَّماء. هذا من جهةٍ، أمّا من جهةٍ أخرى، فإنَّ عادةَ وضعِ الرَّماد على الجِباه كانت موجودةٌ عند عَبّاد الإلَه أودين (إله شمال أوروبا) الَّذين كانوا يَضعونه على جِباههم لكي يؤمِّنوا حمايتهُ لهم، وقد تكون الكنيسةَ الكاثوليكيَّةِ قد أخذت هذه العادة ومسحنتها بوضعِ الرَّمادِ على شكلِ صليبٍ على جباه أتباعها. أمرٌ آخرٌ يتعلَّق بموضوع وضع الرَّماد على الرّأس يجب أن نَذكره لفائدةِ الَّذين يَصومون هذا النَّوع من الصَّوم، هو أنَّ المسيح طَلب مِمَّن يصوم أن يَدْهَنَ رأسهُ ويغسل وجههُ، وليس أن يضع عليه شيئاً يَدلُّ على أنَّه صائمٌ لئلاّ يبدو كالمُرائين الَّذين يغيِّرون شكلَ وجوههِم! (متّى٦:١٦) .

يمتنع الصّائمون على مدى أربعينَ يوماً تقريباً عن الأكلِ والشُّرب من منتصف اللَّيل حتّى منتصف النَّهار، تَشَبُّهاً بصومِ المسيح بحسب اعتقادهم، ويمتنعُ البعضُ منهم خلاله عن أنواعٍ معيَّنةٍ من الطَّعام والشَّراب، بينما يمتنعُ البعضُ الآخرِ عن أنواعٍ أخرى. لكن ما يجمع كِلَيهما هو "التَّمنين"، أي أنَّهم يُمنِّنون أنفسهم مُتباهين ومُفتَخرين بأنَّهم حين يصومون ويقومون باذلال ذواتهم والتَّوقف عن فعل ملذاتهم، يفعلون أمراً عظيماً أمام الله، وبأنَّه سيرضى عنهم، وسَيُجازيهم عنهُ خيراً.

لكن وبمقارنةِ هذا الصَّوم الموسمي والاستعراضي الَّذي تَسبقه وتَتبعه شراهةٌ عظيمةٌ على الأكلِ والشُّربِ والسُّكرِ، مع الصَّوم الَّذي يَطلبه ويَقبله الله، والَّذي نقرأ عنه في الكتاب المقدَّس، نَستنتج بأنَّه صومٌ غيرِ مقبولٍ عنده، ولا يعترف به، ولا يعني له شيئاً. فالصَّوم المطلوب منه والمقبول عندهُ هو أوَّلاً غيرَ مُحدَّدٍ بروزنامةٍ طقسيَّةٍ معيَّنةٍ، وهو انقطاعٌ بالكامل عن الأكلِ والشُّرب طوال النَّهار، وهو المملوء من التَّواضع والانكسار بهدفِ نَيلِ طِلبةٍ محدَّدةٍ من عنده بالصَّلاة ، وأن يكون مرتبطاً بتوبةٍ حقيقيَّةٍ عن الخطايا. وهو أيضاً صومٌ سِرِّيّ مَخفي عن العيون بحسبِ تعليمِ الرَّب يسوع المسيح والَّذي لم يَطلُبَ فيهِ من أيِّ خاطئٍ أتى إليهِ تائباً بأن يَربطَ توبته بصومٍ لأربعين يوماً، كما ولم يَطلب من تلاميذه أن يصوموا أربعين يوماً ليَتشبَّهوا بِصومِه، بل طَلب منهم أن يُصلّوا ويصوموا فقط - من دون أن يُحدِّدَ لهم عددِ أيّامٍ - لينالوا منه عوناً في خدمتهم له (متّى١٧:١٤-٢١ / أع١٣:١-٣)، كما وأنَّه أيضاً لم يَطلبَ منهم أن يصوموا صوماً لأربعينَ يوماً يَسبِقَ موتهِ وقيامتهِ للتَّوبةِ ولقهرِ ذواتهم. وهكذا، وبما أنَّ أيَّ صومٍ لأربعينَ يوماً لم يسبقَ الفصحَ في العهد القديم، وأنَّ

أيِّ صومٍ لأربعينَ يوماً أيضاً لم يَسبقَ الفصحَ الَّذي صنعه المسيح في العهد الجديد بتقديم نفسه على الصَّليب، فهل من المُمكن إذاً أن يكون صومَ الأربعين يوماً، صوماً وثنيّاً مرتبطاً بآلِهةٍ وثنيَّةٍ قديمةٍ بطرقٍ مختلفةٍ، وكان توقيته في الرَّبيع أيضاً؟ الجواب يأتي في العرض التّالي:

من الطَبيعي أن يكون من الصَعب على من يَصوم أربعين يوماً مُمَنِّناً نفسهُ بأنَّه يصومَ كما صام المسيحَ، أن يَقبلَ مقولةَ إنَّ صَومه نسخةٌ عن الصَّومِ الَّذي كان يصومهُ الوثنّيون في الرَّبيع، والَّذي مَسْحنتهَ الكنيسة الكاثوليكيَّة بِتَشبيهها إيَّاهُ بصومِ المسيح، مع أنَّ لا علاقةَ للمسيح به كما رأينا آنفاً. فبالعودة في التّاريخ إلى الوراءِ فإنَّنا نَجد أنَّ المكسيكيّين القدماء كانوا يصومون لمدَّة أربعين يوماً في الرَّبيع لتكريم الشَّمس في عودتها لنشاطها بعد الشِّتاء، وأنَّ الفراعنة كانوا يصومون أيضاً المدَّة ذاتها لتكريم إلَه الشّمس أوزيريس، وأيضاً كان البابليّون قديماً يصومون أربعين يوماً للنَّوح على إلَهِهم تمُّوز في بابل قبل أن يفرحوا بقيامته. ولتوضيح كلامنا فلنقرأ معاً ما وردَ عن تمُّوز في الكتاب المقدس وما جاءَ عنهُ في الأساطير: "فجاءَ بي إلى مدخلِ بابِ بيتِ الرَّب الَّذي من جهةِ الشِّمال، وإذا هناك نِسوَةٌ جالساتٌ يَبكينَ على تمُّوز..."(حز٨:١٤). أمّا في الأساطير فإنَّنا نقرأ بأنَّ خنزيراً برِّيّاً كبيراً قتل تمُّوز عندما كان عمره أربعينَ سنةٍ. فلذلك (كما يقول ألكسندر هيسلوب) خصَّص البابليّون الوثنيون أربعين يوماً - أي يومٌ واحدٌ عن كلِّ سنةٍ قد عاشها - للبكاءِ والصَّومِ وإذلالَ الذّاتِ، حتّى يرجع تمُّوز من جديد من العالم السُّفلي والَّذي بعودته يبدأ الرَّبيع. ويتابع هيسلوب قائلاً: "يبدو أنَّ هذا الصَّوم الكبير كان تمهيداً أساسيّاً للمهرجان السَّنوي العظيم في إحياءِ ذكرى موتِ وقيامةِ تمُّوز. وقد انتشرت هذه العادة من بابل إلى عددٍ كبيرٍ من شعوبِ الأرض، منهم المكسيكيّون الَّذين كانوا يَبكون على إلَهِهم كوتزلكوتل، والمصريّون الَّذين كانوا يبكون على إلَهِهم أوزيريس، والفينيقيّون الَّذين كانوا يبكون على إلَهِهم أدونيس".

الإلَه تمّوز

**"أحدُ الشّعانين"**: يظنُّ الكثير من النّاس بأنَّ "عيد الشَّعانين" الكاثوليكي هو إعادةُ تمثيلٍ للاستقبال الَّذي أقامه اليهود للرَّب يسوع المسيح في اليوم الَّذي دَخل فيه إلى أورشليم. لكن عندما قارنّا بين الحَدَثَين في ضوءِ ما هو مكتوبٌ في الكتاب المقدَّس بهدوءٍ وتَمعُّنٍ وجدنا أنَّهما مُختَلِفَان في القصدِ والشَّكلِ والمضمونِ، وبأنَّ الحدثَ

الأوَّل سَطحيٌ أوجدهُ من أوجدهُ من بعد وِلادة الرَّب يسوع المسيح بمئات السِّنين، ليَضع فيه عادةً وثنيَّةً مَسْحَنها بربطِها بدخول يسوع إلى أورشليم بهدفِ زيادةِ حجم الواجهة الّتي تكلمنا عنها سابقاً. بينما الحدث الثّاني فهو ضاربٌ بجذورهِ في العهدِ القديم وتحديداً حوالي سنة ٤٨٧ ق.م، من خلال النُّبوة الَّتي دونَّها النَّبي زكريّا في سفره كالتّالي: "ابتهجي جدّاً يا ابْنَةَ صهيون، اهتفي يا بنتَ أورشليم. هوَذا مَلكُكِ يأتي إليكِ. هو عادلٌ ومنصورٌ ووديعٌ، وراكبٌ على حمارٍ وعلى جحشٍ ابنِ أتانٍ" (زك٩:٩). تمَّمَ الرَّب يسوع المسيح بنفسه هذه النُّبوة في العهد الجديد حين أمرَ اثنين من تلاميذه - كما يُخبرنا كتبةُ الإنجيلِ - أن يذهبا إلى قريةِ بيتِ عنيا وبيت فاجي ليأتيا إليه بجحشٍ ابن أتان لم يجلسَ عليهِ أحدٌ من الناس قط. طَرح التِّلميذان ثيابهما على الجحشِ وأركبا يسوع عليه، وفيما هو سائرٌ ابتدأ كلُّ جمهورِ التَّلاميذِ بفرشِ ثيابهِم أمامهُ، وقطعوا سُعوف النَّخل وحملوها لاستقبالهِ، وكانوا يفرحون ويسبِّحون الله بصوتٍ عظيمٍ قائلين: "أوصنّا لابن داود، مباركٌ الآتي باسمِ الرَّب، أوصنّا في الأعالي". ويقول يوحنا في إنجيله بأنَّ التَّلاميذ لم يفهموا هذه الأمور أوَّلاً لكن عندما تَمَّجد يسوع حينئذ تذكَّروا أنَّ هذهِ كانت مكتوبةً عنهُ، وأنَّهم صنعوا هذه لهُ. إذاً كان قصدُ الرَّب يسوع الوحيد من صُنع هذا الحدث في ذلك اليوم أن يُتمِمَ نُبوَّةً جاءت عنهُ في العهد القديم، ليؤكِّد لتلاميذه وللعالمِ أجمع بأنَّه المسيح المُنْتَظَر، ولو كان يُريد أن يَجعل من هذا الحَدث عيداً يتكرَّر سنويّاً، لكان التَفت إلى تلاميذهِ عندما كان جالساً على الجحش ولقال لهم: "اصنعوا هذا لِذِكري مرَّةً كلِّ سنةٍ".

هنا قد يَسألني أحدهم، وأين هي العادة الوثنيَّة الّتي تكلَّمتَ عنها بأنَّها مُسْحِنت بربطها بدخول يسوع إلى أورشليم؟، الجواب يأتي بعد هذا السُّؤال: بما أنَّ الإنجيل لم يَذكر أيِّ شيءٍ عن وجودِ أغصانٍ للزَّيتون أو أطفالٍ يَحملهم أبائهم وهم يلبسون ثياباً جديدةً ويحملون الشُّموع أثناء دُخول يسوع إلى أورشليم، فمن أين أتَت إذاً عادةَ سيرِ الأطفال وهم يَحملون أغصان الزَّيتون في "أحدِ الشَّعانين" ؟. يَذكر المُؤرِّخ بلوتارد في كتابه "حياة ثيزيه"، أنَّه عند الإحتفال بعيد قطف الفاكهة في أثينا كان الأطفال يَسيرون في موكبٍ إلى معبدِ الإلَه أبولو، وكان واحدٌ منهم يحملُ غصنَ زيتونٍ ملفوفاً بالصُّوف، ومُعلَّقاً عليه الخبز والتَّمر وأكواب العَسل والزَّيت والخمر، وكان الأطفال الآخرون يَحمِلون الفاكهة والأعشاب والحَلوى المُستديرة. ويَروي الكاتب "أوفيد" أنَّه كان لأهل أثينا عادةٌ أن يضعوا أغصانَ الزَّيتونِ على واجهةِ منازلهم للبَرَكة، وبأنَّهم كانوا يُغيِّرونها كلّ ربيعٍ. مَسْحَنَت الكنيسة الكاثوليكيَّة هاتين العادتين

الوثنيتين بإدخالِهما إلى حدثِ دخول يسوع إلى أورشليم وأسْمتهُ "عيد الشَّعانين"، وهي تقومُ كلَّ سنةٍ بعادةِ تغيير أغصانِ الزَّيتونِ من بعد حَرْقِها لتَستَخدم رَمادها في "اثنين الرَّماد" الّذي يأتي في فصل الرَّبيع من كلِّ عام.

أمرٌ أخيرٌ يجب أن نتوقَّف عنده لتنبيهنا في انتهاء كلامنا عن "عيد الشَّعانين" هو أنَّ ابتهاجَ أورشليم بدخولِ الرَّب يسوع المسيح إليها لم يَشفع بها أمامهُ ويُبعِد عنها الدَّينونة الّتي أعلنها عليها بِخرابها وهلاكها بسبب خطيَّةِ رَفضَها لهُ وعدم توبتها. فلذلك على كلِّ الَّذين يكونون فَرِحين في "عيد الشَّعانين" أن يكونوا متإكِّدين بأنَّهم من التّائبين الحقيقيّين، لئلاّ يكونوا أمام الرَّب يسوع في يوم الدّين مُدانينَ ومن الهالكين.

**"خميسُ الأسْرار"** : يوجدُ في الكنيسة الكاثوليكيَّة سببان لظهورِ هذا الاحتفال مع شعائرهِ المُتنوِّعةِ الّتي تبتدأ من بعد ظهرِ يوم الخميس وتمتدُ إلى صباحِ يوم " الجُمعة العظيمة ". السَّبب الأوَّل بحسب التَّقليد فهو تاريخيٌّ ويبدأ مع الملكة هيلانة، الّتي قامت من بعد أن أوقف ابنها الملك قسطنطين اضطهاد وقتل المسيحيّين، ببناءِ سَبعةِ معابدٍ على سبعةِ مدافنَ كانت لهم خارج روما، حيثُ أصبح يُصْمد "القربان المقدَّس" فيها يومَ "خميس الأسرار" كتذكارٍ للإفخارستيّا الّتي أعطاها المسيح لتلاميذه في العِلِّيَّة، وقد مَنح العديد من البابوات غفراناً كاملاً لمن يزورَ هذه المعابدِ السَّبعةِ في هذا اليوم. وأمَّا السَّببُ الثّاني فهو دينيٌّ مؤسَّسٌ على أنَّ الإكثار من تصنيعِ الشَّعائرِ الدينيَّةِ سيؤدّي حتماً إلى الإكثارِ من تجييشِ المشاعرِ البشريَّةِ، فلذلك اختلقت الكنيسة الكاثوليكيَّة لاحقاً عدَّةِ عاداتٍ ليؤدِّيَها أتباعها في هذا النَّهار بشكلٍ مُتتالٍ، وهي تأتي على الشَّكل التّالي:

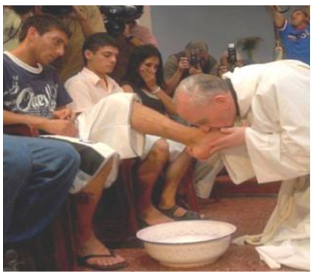

العادة الأولى تُدعى "خميس الغَسْل" وفيها يَقوم أسيادُ الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ بتمثيليَّةِ "الغسيل والتَّقبيل" حين يُمثِّلون غَسلَ المسيح لأرجُلِ تلاميذهِ، فيجمع كلُّ واحدٍ منهم اثنا عشر شخصاً يَرمزون إلى عددِ تلاميذ المسيح، ليغسلوا أرجلهم وليُقبِّلوها لكي يُظهِروا للناس أنَّ "تواضعهم" يفوق كلَّ وَصفٍ، وهو أعظمُ من تواضعِ المسيحِ الَّذي لم يقبِّل أرجلَ تلاميذهِ قَط!. ثم يقومون من بعد انتهاء الغسيل والتّقبيل ليُكمِّلوا تَسيَّدهم على النّاس الَّذين يُنادونهم "سَيِّدي سَيِّدي" أو "يا أبونا" ضاربين بعرضِ الحائط الوصايا التّالية الّتي أوصى بها المسيح لمن يُريد أن يكون من أتباعه:

"حينئذٍ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: "على كرسيِّ موسى جلس الكتبة والفَرّيسيّون... الّذين يُحبّون المتَّكأ الأوَّل في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع، والتَّحيات في الأسواق، وأن يَدعوهم النّاس: سيِّدي سيِّدي **! وأمّا أنتم فلا تُدْعَوا سَيِّدي... ولا تَدْعُوا لكم أباً على الأرض...**" (متّى إصحاح٢٣).

أمّا العادةُ الثّانية فهي "سبعُ مَحطّاتٍ" ابتُدِعَت كدلالةٍ على أنَّ المسيح مَرَّ بسبعةِ أماكنٍ ليلةَ آلامهِ، انتقل فيها من العِلِّيَّةِ إلى بستان الزَّيتون، ومن ثَمَّ إلى حنّان وقيافا وهيرودس وبيلاطس، وأخيراً إلى الصَّلب. يقوم النّاس عند حلول مَساءِ هذا اليوم وحتّى مُنتصف اللّيل بالتَّنقل بين "سَبعِ كنائسٍ" يختارونها ليُصَلّوا صلاةً سريعةً في كلِّ واحدةٍ منها. مع العِلم أنَّ أكثرهم لا يعرفون لا معنى ولا مغزى ما يعملون، فهم فقط يسيرون في الشَّوارع مع السَّائرين ويُصَلّون مع المُصَلّين.

تبتدأُ العادةُ الثّالثةُ عند منتصفِ اللّيلِ حيث يَسهر المؤمن الكاثوليكيّ في هذه اللَّيلة صامتاً وواجماً أمام "القُربان المقدَّس" الموجود فيه "المسيح" بحسب اعتقاده، متذكِّراً نِزاعه في بستان الزَّيتون، ومُتأمِّلاً في آلامه على الصَّليب، بقصدِ تعزيتهُ على اعتبارِ أنَّه يَستحق منهُ أن يُعزّيه في محنتهِ بحسب ما يقوله الكَهنة له. لكن من المؤكَّد بأنَّه يسهو عن بال السّاهرين في هذه اللَّيلة أنَّ المسيح قد مات وقام منذ أكثر من ألفي عام، وأصبحَ يتواجدُ دائماً على عرشِ السَّماء، وليس في وعاءٍ يوضع فيه ما يُسمّى "القربان المقدس" المَصنوعِ على الشَّكلِ الوثنيِّ للشَّمسِ، وهو يفيض بتعزياتِ الرّوح القُدس على **الملايين** من الّذين يؤمنون به، ولا يحتاجُ لكي يُعزّيه أيِّ **واحدٍ** من الَّذين يمشون على تُراب الأرضِ.

**"الجُمعةُ العظيمة"**: يقول الكاتب والباحث السُّوري في الميثولوجيا وعلم الأديان فِراس السَّواح في كتابه "لغز عشتار": "كان البابليّون (بحدود ٣٢٠٠ق.م) يسيرون في الشَّوارع بمواكبٍ دينيَّةٍ يُنظِّمها الكَهنة، ويُشارك بها المَلك للبكاء مع الإلَهة عِشتار على ابنها تمُّوز، ولترتيل المراثي الحزينة عليهِ، ولتَمثيل عذاباته وآلامه خلال احتفالٍ دينيٍّ ضخمٌ يُعادُ سنويّاً في الرَّبيع ضمن مهرجان السَّنة البابليَّة الجديدة. وقد بقيت هذه الطُّقوس موجودةً عند بعض الشُّعوب حتّى القرن العاشر الميلادي".

وبالإضافة إلى بكاءِ البابليّين وحُزنِهم على الإلَه تمُّوز، فإنَّ الفينيقيّين كانوا يبكون أيضاً على إلَهِهم أدونيس خلالَ احتفالٍ يُعاد سنويّاً معَ بدءِ كلِّ ربيعٍ في منطقةِ جبيل اللبنانيَّة. ويَصف الكاتب والعلاّمة الفرنسي "غيميه" ما كان يَجري هناك كالتّالي:

الإله أدونيس

"كان تذكارِ موتِ أدونيس يُقام في بدء الرَّبيع في جبال لبنان عندما تذوب الثّلوج، وتَحمل معها ذرّاتٍ من التُّرابِ الأحمر، فتختلط هذه الذَّرات مع مياهِ نهرِ أدونيس (نهر إبراهيم) وكأنَّها بمثابةِ إعلانٍ وتذكيرٍ بموتِ أدونيس، فيُسارع الفينيقيّون إلى تأبينهِ والنَّواح عليهِ. كان الإحتفالُ يتقدَّمهُ كهنةٌ يحملون تابوتاً منحوتاً من خشبٍ ومحاطاً بالورود وُضِع فيه تمثالٌ رمزيٌّ مقدَّسٌ لأدونيس. وكانت تسيرُ جنبَ الكهنةِ كاهناتٍ (أو بناتِ المَلك أوالحاكم) حاملاتٍ فراشاً مُنفرِداً عليهِ صُورةَ الإلَهةَ عشتروت الباكية، وخلفهم كانت تسيرُ فتياتٌ حاملاتٌ سِلالاً مملوَّةً كعكاً وزهوراً وطيباً، ويتبعهم جمعٌ غفيرٌ من النّساءِ المتَّشِحاتِ بملابسَ الحدادِ نائحاتٍ مُولولاتٍ، وعندما يصل الموكبُ الجنائزيّ عند مغيبِ الشَّمسِ إلى قبرِ الإلَه أدونيس، يقومونَ بوضعِ التِّمثالِ المقدَّسِ فيهِ ( دُمِّر القبر في عصر الملك قسطنطين). وهنا تبدأ النِّساء بالعويل والبكاء، ويكونَ عادةً هذا المكان عند ضَفَّة نهر أدونيس الجاري بمياهه الحمراء. وكانت طقوسُ الحُزن تستمر سبعةٍ أو ثمانيةِ أيّامٍ تَعمَّ خلالها مظاهر الحداد، وتُوضع خلالها أشكالٌ شَمعيَّةٌ وفَخّاريَّةٌ لأدونيس أمام البيوت أو على أسطُحها، وفي الموعد المحدَّد يُطاف بها في أسواقِ المدينة وشوارعها، تُرافقها الباكيات وهُنَّ يَرثين موت أدونيس ويُعَدِّدن محاسن صِفاته، والنّادبات النّائحات يَقرَعن على صُدورهنَّ، والرّاقصات والمُغنّيات يُنشدن أناشيدَ الحُزنِ والأسى، ويُصْعدنَ الأنّات والزَّفرات على وقعِ الدَّفِ والنّاي هاتفاتٍ: "لقد مات أدونيسَ الجميلُ البَهيُّ، حقّاً مات".

هذا ما كان يحدث في الوثنيَّةِ قديماً، ولكن إذا قارنّاه مع ما يحدث حاليّاً في يوم "الجُمعة العظيمة" في الوثنيَّةِ المُمَسْحَنَة فإنَّنا نجدُ أنَّه يوجد اختلافٌ ظاهريٌّ بينهما بالأسماء والأماكن فقط، لكن لا يُوجد أيّ اختلافٍ في جوهرهما. إذ إنَّ ما كان يفعله الوثنيّون لإظهار حُزنهم على موت إلَهِهم، أصبح يفعله أتباع الوثنيَّة المُمَسْحَنَة لإظهارِ حزنهم على موت "يسوع". فَبُكاءُ عشتارَ على تمُّوز وبكاءُ عشتروت على أدونيس، أصبحَ "بكاءُ مريمَ على يسوع"، والتّابوت المملوء بالأزهار الَّذي كان يوضع فيه تمثالُ أدونيس الميِّت تحوَّل مع أزهاره ليكون النَّعش الَّذي يوضع فيه تِمثال "يسوع الميِّت"، ومظاهر الحداد والحُزن البالغ الّتي كانت تُقام على أدونيس وتمّوز أصبحت

تمثال "يسوع الميِّت"

تُقام على "يسوع"، فتُقفَلَ الأسواقُ والملاهي والمطاعم ويُقيم الكهنة والنّاس في المعابد أو على الطّرقاتِ العامَّةِ ما تُسمّى مراحلَ دربِ الصَّليبِ الأربع عشرة الّتي ابتكرها الرّاهب فرنسيس الأسيزي ليتأمَّل بآلام المسيح وليُشاركه بها حسب مزاعمه، لكن من يتأمَّل في هذه المراحل فإنَّه يجد فيها الخُرافة كما في قصَّة "القدّيسة" الوهميَّة فيرونيكا الّتي مَسحت وجهَ يسوع بمنديلها (تكلَّمنا عنها في فصلٍ سابقٍ)، ويجد أيضاً فيها الكَذِب بالقولِ إنَّ يسوع وقع ثلاثَ مَرّاتٍ تحت الصَّليب، وبأنَّ مريم أمَّهُ لاقتهُ وهو حاملٌ صليبهُ، وبأنَّها وضعَت جسدهُ في حِضنها من بعد موتهِ وانزالهِ عن الصَّليب. لكن إن تَصفَّحنا الواقع والوقائع المَوجودَيْن في الإنجيل فإنَّنا نجد بأنَّ يسوع لم يَقع ولا مرَّةً تحت الصَّليب، وأنَّ مريم أمَّهُ لم تُلاقِهِ وهو حاملٌ صليبهُ، وبأنَّها أيضاً لم تَضع جَسدهُ على حِضنها من بعد موته كما يُجسِّدونها في الكنيسة الكاثوليكيَّة (الصُّورَة المَرفَقة).

هنا يجب أن نُمرِّر هذا السُّؤال المُهم لنَحصَل على الجوابَ الأهمّ، هل يَطلُب أو يَقبل الرَّبُ يسوع المسيح بأن يُشْفِقَ أو أن يَحزنَ ويبكي أحدٌ عليهِ، كما كان يَحزن ويَبكي الوثنيّون على تمُّوز وأدونيس؟ النَّص التّالي من الإنجيل يُعطينا الجوابَ الأهمَّ: "ولمّا مضوا بيسوع إلى الصَّلب... تَبعه جمهورٌ كثيرٌ من الشَّعب، والنِّساء اللّواتي كنَّ **يَلطِمن أيضاً ويَنُحْنَ عليه**. فالتفت يسوع إلَيهِنَّ وقال: يا بناتِ أورشليم، **لا تَبكينَ عليَّ** بل ابْكينَ على أنفُسِكنَّ وعلى أولادِكُنَّ،..." (لو٢٣:٢٨). وبَّخ الرَّب يسوع بناتِ أورشليم على بُكائهنَّ عليه، ممّا يَعني أنَّه يرفض بأن يُشْفِق ويَحزن ويبكي عليه أحدٌ، لأنَّ الحُزنَ والبُكاءَ يَصُحّان على تمُّوز وأدونيس، ولكنَّهما لا يَصُحَّان عليهِ أبداً.

وحتّى لا يَظن أحدٌ من بعد الَّذي كتبته بأنَّني أنظرَ باستخفافٍ إلى آلام الرَّب يسوع المسيح الَّذي أحبَّني وأسْلم نفسهُ لأجلي، فإنَّني أُعلن أمام الملأ بأنَّني لا أزدري بجراحه الّتي أتت لي بالشِّفاء، ولا أَستهينُ بدمائهِ الطّاهرةِ الّتي طَهَّرتني من معاصيَّ وذُنوبي، ولا أستخفُّ بإكليل الشَّوك الَّذي تُوِّجَ به لأُتوَّجَ بإكليل الحياة. ولذلك فإنَّني أقف إجلالاً واحتراماً أمام محبتَّه العظيمة الّتي دَفعته ليُخليَ نفسه آخذاً صورةَ عبدٍ من أجلي، كما وأُعْلِن بأنَّ قلبي ممتلئٌ من الشُّكر الكثير لهُ على ما قدَّم لي بتقديمِ نفسهُ بديلاً عني على الصَّليب، محتمِلاً أقسى الآلام النَفسيَّةِ والجَسديَّةِ لكي يفديني فداءً أبديّاً كاملاً ويُعطيني الحياة الأبديَّة، الفِداء والحياة اللَّذان أتمنّى من كلِّ قلبي أن يَنالهما كلَّ

أنسبائي وجميع أصدقائي الَّذين لم يَختبروا الحياةَ الجديدة في المسيح يسوع، والَّذين ما زالوا يَعيشون في العِبادات والطُّقوس والتَّقاليد والأعياد الوثنيَّة المُمَسْحَنَة الّتي لا تنفعهم، والّتي ستودي بهم في النِّهاية إلى الهلاك الأبدي.

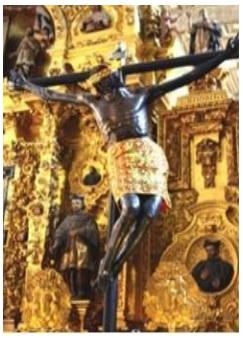

أمرٌ أخيرٌ سَنمُرَّ عليه سريعاً هنا هو أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة وبهدفِ إهانةِ شَخصِ المُخلِّص العظيم، فأنَّها لا تَقبل إلاّ بأن تَضع بَصمات الوثنيَّة القبيحة على كلِّ ما يَمِتُّ بصلةٍ إليه. فمن المعروفِ عند جميع البشر أنَّ الرَّب يسوع وُلد من العذراء مريم في بيت لحمٍ وكان أبيضَ البشرة، لكنَّ "يسوع" الَّذي تَصْلُبه الكنيسة الكاثوليكيَّة في بعض الدُّوَل الّتي تُسيطر على شعوبها دينيّاً قد أصبح أسودَ كما يَظهر بالصُّوَرة المُرفقة.

**"سبتُ النّور"**: لا يوجدُ لهذا اليوم أيَّةَ علاقةٍ بأحدِ القيامةِ إذ إنَّ تعبيرَ"سبت النّور" هو كلمةٌ اصطلاحيَّةٌ أخذت أبعادها من شعلةٍ تُسمّى "نورٌ مقدَّسٌ" يَظهرَ بطريقةٍ عجائبيَّةٍ من داخلِ قبرٍ مزعوم يُقال بأنَّ المسيح يسوع قد دُفن فيه وهو موجودٌ حاليّاً داخلَ ما تُسمّى "كنيسةُ القيامة"(سنتكلّم عنها لاحقاً) في أورشليم أو القُدس. تبتدئُ الطُّقوسَ الخاصَّةِ بفيضِ هذا النّور حين يدخل البطريرك الأرثوذكسي عند السّاعة الثّانية عشرة ظُهراً من نهارِ السَّبت التّالي لنَهار "الجُمعة العظيمة"، إلى داخلِ القبر المزعوم حاملاً شمعتين مُطفأتين كما يقتضي التَّقليد، ويَسجد أمام الحجر الَّذي وُضِع عليه جسدَ المسيحِ، ويبدأ بالصَّلاة فيما يُغَلِّف المكان سكونٌ وصمتٌ شديدان، فالنّاس يترَّقبون خُروج النّور ليُضيئوا منه شموعهم. وبعد الصَّلاة ينبثق النّورُ المُقدَّس من الحجرِ على شكلِ طيفٍ ذي لونٍ أزرقٍ ويُضيئ الشَّمعتين، فيَخرج البطريرك من القبر وهو يحملهما في يده وقد أُضيئتا بطريقةٍ معجزيَّةٍ تفوق الخيال. فيوزِّع نورهما على شُموع المَحتشدين الَّذين يعلو تَصفيقهم وتَهليلهم. فتبتدأ الأجراس تُقرع في الخارج فرحاً بما يحدُثَ في الداخلِ، ومن ثمَّ تُوزَّع شُعلة النّور على بلدانٍ مختلفةٍ، فتقام فيها القداديس والصَّلوات الإحتفاليَّة بالمناسبة. وفي نهايةِ النَّهار تَنتهي تَمثيليَّة "النّورُ المُقدَّس" بانطفائهِ، فَتَرجِع النّاس الّتي لمستهُ وابتهجت بضوئهِ إلى حياتها المُعتادة، في الظُّلمة الرّوحية القاتلةِ.

لكِن المُهم في هذا الموضوع هو أن نعرفَ إن كان للرَّب يسوع المسيح الَّذي يُجري مُعجِزات وليس خُزَعبلات علاقةٌ بهذا النّور الَّذي يُرجِعُه عددٌ من العلماء إلى عمليَّةٍ علميَّةٍ تُستعمل فيها مادة الفوسفور، الّتي إذا وُضِعَت على شمعةٍ فإنَّها ستشتعل تلقائيّاً بعد حوالي عشرينَ دقيقةٍ. تكلَّم الرَّب يسوع عن نفسه بأنَّه نور العالم، وبأنَّ من يتبعه لا يمشي في الظُّلمة بل يكون له نورُ الحياة (يو ٨:١٢)، ولم يَذكُر شيئاً عن أنَّه سوف يُخرِج من قبرٍ مزعومٍ له، نوراً يُبهر العيون ولكنَّه لا ينيرَ قلوبَ الذين يعيشون في الظُّلمة الرّوحية!. هذا من جهةٍ، أمَّا من جهةٍ أخرى، فإنَّنا نسأل هذا السُّؤال، إن سلَّمنا جدلاً بأنَّ الرَّب يسوع هو من يُضيئ الشُّعلة الأرثوذكسيَّة بطريقةٍ معجزيَّةٍ بين يديِّ البطريرك الأرثوذكسي فقط وليس بين يديِّ البابا الكاثوليكيّ، أفلا يكون معناه بأنَّه يَقبل بالكنيسة الأرثوذكسيَّة وببطاركتها فقط، بينما يَرفض الكنيسة الكاثوليكيَّة وباباواتها الَّذين يَدَّعون بأنَّهم مُمثِّلوهُ الوحيدون على الأرض، وخلفاءَ رسولِهِ بطرس؟!.

**"عيدُ القِيامة"**: من بعد أن غُصنا في موضوعِ "موتُ الإلَه" والحزنُ والبكاء عليهِ، ننتقلُ الآنَ إلى قيامتهِ من الموتِ مع ما يترافق معها من ابتهاجٍ واحتفالاتٍ. فوفقاً للأساطير القديمة الّتي تتعلَّقُ بالإلَهِ تمُّوز، فأنَّه ومن بعد موته نزل إلى العالم السُّفلي، لكن من خلالِ بكاءَ أمِّهِ عشتار عاد إلى الحياة من جديدٍ في بداية فصل الرَّبيع. وهكذا أصبحت قيامته عيداً سنويّاً للإحتفال برجوعهِ ثانيةً، ولتهنئةِ عشتار الفَرِحة بقيامة ابنها (Happy Easter) وللتَّضرع إليها لكي تُعطي عابديها خَدماتها وبَركاتها من خلال زيادة محاصيلهم وخصوبتهم، وعندما كانت محاصيلهم تُثمرُ بقوَّةٍ كانوا يؤمنون بأنَّ "مخلِّصهم" تمُّوز جاء من العالم السُّفلي، وأنهى الشِّتاء وأتى بالرَّبيع. ويقول الكاتب فراس السَّواح بهذا الصَّدد: "إنَّ الكهنةَ البابليّينَ كانوا يُعلنون في اليوم الثّالث من موتِ تمُّوز قيامتهُ من بين الأموات، فَينقلب المأتمُ إلى عرسٍ وتبتدأ النّاس بالأكلِ والسُّكرِ والرَّقصِ وعزفِ الموسيقى للإحتفالِ بقيامتهِ". أمّا بما يتعلَّق بالإلَه أدونيس، فكان الإحتفال بقيامته يبدأ بأن تلبس النِّساء الفينيقيّات اللَّون الأبيض، وبإطلاقِ أصواتِ الفرحِ وهُتافاتِ النَشوةِ والإنشراحِ، الّتي تترافقُ مع إقامةِ المآدب وتناولِ الخمرَ والرَّقصِ والغِناءِ، مُعلِنةً انتصارَ الحياةِ على الموتِ وصُعودِ هتافٍ عظيمٍ: "أدونيس قام، حقّاً قام".

هل لاحظتَ أيُّها القارئ العزيز في ما تقدَّم التَّشابه الكبير بين الإحتفالِ الوثنيّ السَّنويّ للابتهاجِ بقيامة تمُّوز وأدونيس من الموت، والاحتفالُ السَّنويِّ للكنيسةِ

الكاثوليكيَّةِ للابتهاجِ بقيامةِ "يسوع" من الأمواتِ؟ وهل لاحظتَ كيف أنَّه كما فَرِحت عشتار بقيامة ابنها تموز من الأموات بحسب الأساطير البابليَّة هكذا تَفرح مريم الكاثوليكيَّة بقيامةِ "ابنها يسوع" من الأموات؟. وهل لاحظتَ أيضاً كيف أنَّ الهتاف بقيامة الإلَه الوثني مُسْحِن بتحويله إلى هتافِ: "مريم كُفِّي البكاء. المسيح قام، حقّاً قام"؟. وهل لاحظتَ أخيراً كيف أنَّ إقامةَ الموائدِ وشُربِ الخُمورِ الّتي كان يُقيمها الوثنيّون للاحتفال بعيد القيامة الوثني، قد أصبحت تُقام للاحتفال "بعيد القيامة" الكاثوليكيّ بأكلِ اللُّحومِ المَشويَّةِ وتناولِ المَشروباتِ الرّوحيَّةِ ؟.

وبما أنَّ لوقا لم يَذكُر في سفرِ أعمالِ الرُّسل أنَّ الكنيسة الأولى قد أقامت احتفالاً سنويّاً بقيامةِ الرَّب يسوع من الأموات، وبما أنَّ الرُّسل لم يَذكروا أيِّ شيءٍ عن هكذا احتفالٍ في رسائلِهم، فهل من المُمكن إذاً أنَّنا نَشهد طريقةً أُخرى في مَسْحَنةِ عيدٍ وثنيٍّ بإلباسه "ثوباً مسيحيّاً" ؟ الجواب هو التّالي، فبالعودةِ إلى مجمعِ نيقية (سنة ٣٢٥) فإنَّنا نجد بأنَّ الأساقفة الَّذين كانوا مُنضَمين تحت لِواءِ مُمَسْحِنِ الوثنيَّةِ الملك قسطنطين، وتحت إشرافه، قرَّروا في هذا المجمع مَسْحَنَة الاحتفال الوثنيّ بقيامةِ الإلَهِ الوثنيِّ من الموت، بتغيير اسْمه ليُصبحَ الاحتفال المسيحيّ بقيامةِ يسوع المسيح من الموتِ، وباقامتهِ سنويّاً في الأحدِ الَّذي يلي بَدْرَ الرَّبيع.

طبعاً سيغتاظ الكثيرون من الَّذي ذكرته آنفاً وقد يسألونني بغضبٍ: "ألستَ مسيحيّاً وتُؤمنُ بقيامةِ يسوع، فكيف تُشَبِّهها إذاً بقيامةِ الإلَه الوثني" ؟. جوابي هو أنَّه بالنِّسبة لي، فإنَّه يوجد تَشابهٌ بينهما في القصَّة فقط، ولكن لا يوجدُ أيِّ تشابهٍ بينهما في القُوَّةِ. لأنَّ القيامةَ الأولى هي القيامةُ الحقيقيَّةُ والواقعيَّةُ والتّاريخيَّةُ الّتي اجترحها الرَّب يسوع المسيح، بينما الثّانية هي القيامةُ المُزيَّفةُ والوَهميَّةُ والأسطوريَّةُ الّتي ابتدعها من ظَهر في جنَّةِ عَدْنٍ كحيَّةٍ، ليَفِحَّ من خلالها على القيامة الأولى حتّى من قبلِ حدوثها. وبالنِّسبة لي أيضاً، فإنَّ القيامة الأولى هي انتصارٌ واختبارٌ، هي انتصارُ الرَّب يسوع على الموت وعلى إبليس، مُعْلِناً قوَّتَهُ العظيمةُ في قهرهما معاً، وهي اختبارٌ روحيٌّ سماويٌّ يُعطيهِ الرَّب يسوع لكلِّ إنسان خاطئ يؤمن بهِ ويَقبلهُ مخلِّصاً لحياته، فيُقيمهُ من الموتِ الرّوحي إلى الحياة الأبديَّة، ويَعتقهُ من قصاصِ الخطيَّة بالتَّبرير المجاني برحمتهِ ونعمتهِ العظيمتينِ، بينما القيامة الثّانية لا تعدو أكثرَ من مُجرَّدِ مهرجانٍ أرضيٍّ يُقامُ كنسخةٍ عن المهرجانِ الوثنيّ، فتُلَبسُ الثّيابَ الجديدةِ وتُقرعُ فيه الأجراسِ، وتُطلقُ الصَّيحاتِ، وتَصدح الموسيقى، وتُصنعُ الحلويات، وتُقام الولائم، وتُقَدَّم التَّمنيات والتّهاني، ولكنَّه لا يَنفع الإنسان الخاطئ بشيءٍ لأنَّ مفاعيلَهُ

آنيةٌ وتنتهي عند انتهائه. هنا أسأل الَّذين عندهم القيامة مهرجانٌ وليست اختباراً: "ماذا تنتفعون إن احتفلتُم بعيد الفِصح والقيامة وأنتم ما زلتم أمواتاً في آثامكم وخطاياكم، ولم تنالوا الصَّفح عنها، ولم تَختبروا قوَّة قيامة المسيح الحقيقيَّة بتغييركُم" ؟. إنَّ من يُريد أن يُعيِّدَ قيامة الرَّب يسوع فِعليّاً عليه أوَّلاً أن يَختبر قوَّتها في تغييره ونقلهِ من الموتِ إلى الحياةِ ومن ملكوتِ الظُّلمةِ إلى النّورِ، وإلاّ لن ينتفع منها بأيِّ شيءٍ.

في يوم الأحدِ الموافق لعيد الفِصح الكاثوليكي يقوم بعضُ المسيحيّينَ الحقيقيّينَ عند شروقِ الشَّمسِ بعقدِ اجتماع لعبادةِ وإكرام المسيح القائم من بين الأموات. لكنَّهم على ما يبدو لا يُلاحِظون أنَّ المسيح قام قبل شروقِ الشَّمس لأنَّه عندما جاءت مريم المجدليَّة إلى القبر باكراً وجدته فارغاً، والظُّلام باقٍ (يو٢٠:١). كما ويَغفلون عن أنَّ هذه العادة في العبادة لم يَقُم بها المسيحيّون الأوائل لأنَّها كانت - وما زالت - عادةً وثنيَّةً يقوم بها الوثنيون لعبادة الشَّمس عند شُروقها كما يَظهرون في الصُّورَة المُرفَقة.

الإله ميثرا

**البيضةُ والأرنبُ في "عيدُ الفصح والقيامة"**: يؤكِّد ارتباط هذين الرَّمزين الوثنيّين بعيد الفصح الكاثوليكي هويتهُ وجذورهُ الوَثنيَّة الّتي تكلَّمنا عنهما سابقاً. فاليهودُ لم يَكسروا البيض في عيد الفصح في العهد القديم، ولا رسلُ المسيحِ أو المسيحيّون الأوائل كسروا البيض في أيَّةِ مناسبةٍ دينيَّةٍ، كما وإنَّ الأرنب أيضاً لم يعنِ لهم شيئاً. فكيف إذاً مَسْحَنت الكنيسة الكاثوليكيَّة هذين الرَّمزين وجَعلتهما من "عيد الفصح" الَّذي فبركته. الجواب سنبدأه من البيضة وهو أنَّ البابليّين القدماء آمنوا بأسطورةٍ تقول بأنَّ بيضةً كبيرةَ الحجم جداً، نزلت من السَّماء في نهر الفرات في الأحد الأوَّل من بدء الرَّبيع، وأنَّ الإلَهةَ عشتار فَقست منها وجعلتها رمزاً مقدَّساً لها، فلذلك كُرِّس شهرُ نيسان لها عند الشُّعوب الّتي عبدتها، وكانوا يُقيمون لها فيه عيدَ ابتهاجٍ على شَرفها، وكان من المألوف فيه أيضاً عَملُ هدايا من البيضِ المُزيَّنِ والمُلوَّنِ ليكونَ كتَقدماتٍ لها في هذه المناسبة. وآمن

الفُرس أيضاً بولادة إلهَهم ميثرا الّذي يَظهر في الصُّورةِ المُرفَقةِ أعلاه من بيضةٍ ، فلذلك كانوا يُلوِّنون البيضَ ويأكلونه خلال احتفالِ الرَّبيع أي في عيد النّوروز.

وعلى النَّسقِ ذاته، فإنَّ المصريّينَ القُدماءِ اعتبروا البيضةَ رمزاً للخصوبةِ وولادةِ الحياة واستمرارها. وكانوا في وقت احتفالهم بعيد شَمِّ النَّسيم، عيد قدوم الرَّبيع، يُلوِّنون البيض ويَنقشون دعواتهم وأمنياتهم للعام الجديد عليه وثم يَضعونه في سلالٍ من سُعفِ النَّخل يُعلِّقونها على شرفاتِ منازلهم المزيَّنةِ بالأزهارِ لتَحظى ببركةِ الإلَهِ عند شُروقه فيحقِّق أمنياتهم. وقد وَصل الأمرَ بهم إلى دفنِ البيضَ مع أمواتهم في القبور. وفعل الإغريقُ والفينيقيّونُ والرّومان الأمرَ ذاتهِ، إيماناً منهم بالأسطورة الّتي تقول بأنَّ الحياةَ تأتي من البيضةِ.

تعترف الكنيسة الكاثوليكيَّة في موسوعتها بالتّالي: "لأنَّ استعمال البيض كان ممنوعاً خلال الصَّوم الكبير، فإنَّه كان يُحضَرَ إلى طاولة الفِصح ملوَّناً وله رمزُ فرح الفصح... وهذه العادةُ قد يكونُ مصدرها الوثنيَّة، لأنَّ عاداتٍ وثنيَّةً كثيرةً في الإحتفال بعودة الرَّبيع تحوَّلت إلى عيد الفصح". نعم هذا الاعتراف صحيح، لأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة وبالمنطق البشري الجاهل بمعنى وقوَّةِ وعَظمةِ قيامةً الرَّب يسوع المسيح من القبر، وبهدفِ تغيير اتِّجاهها وأهدافها، مَسْحَنَت البيضة الوثنيَّة بربطها بقيامته قائلةً: "كما أنَّ الصُّوصَ يَخرج من البيضةِ، هكذا خَرج المسيحُ من القبرِ"، وارفقتها بصلاةٍ في المُناسبة أطلقها البابا بولس الخامس في القرن السّابع عشر قال فيها: "إلهنا المجيد، نتوَّسلُ إليكَ أن تُصبِح هذه البيضةُ الّتي خَلقتها طعاماً مفيداً لخدّامكَ حين يأكلونها في تذكارِ ربَّنا يسوع المسيح". وقد سَمِعتُ مرَّةً أحد الكهنة يقول على التِّلفاز شيئاً له صلةٍ بهذا الموضوع كما يلي:" يقول التَّقليد إنَّه عندما عادت مريم المجدليَّة من القبرِ الفارغ لتُخبِر الرُّسل أنَّ الرَّب قام، وكانت حينها حاملةً سَلَّة بيضٍ أبيضَ. قال لها بطرس: "لا، ليس معقولاً ما تقولينه، ولا أُصدِّقه. لكن إذا أصبحَ البيضَ الَّذي في السَّلةِ أحمرَ فإنّي أُصدِّق القيامة ". في اللّحظة ذاتها تحوَّل لون البيضِ من أبيضَ إلى أحمرَ". فيا للكَذِب عند رجال الدّين في هذا المَجال، كما في كلِّ المجالات!.

وبانتقالنا للكلام عمّا يَختص بالأرنب، وبما أنَّه لم يكن لليهودِ أيَّة علاقةٍ بهِ لأنَّه كان من الحيوانات النَّجسة بالنِّسبة لهم، بحسب الشَّريعة الموسويَّة في العهد القديم (لاو١١:٦)، فهل يُمكن أن يكون إذاً رمزاً مسيحيّاً؟. الجوابُ هو أنَّ الأرنبَ ليس له

عشتار الأوروبيَّة مع الأرنب

أيَّةِ علاقةٍ لا باليهوديَّة ولا بالمسيحيَّة بل كانت علاقتهُ مع الوثنيَّة فقط، اذ كان رمزاً للخُصوبة عند الوثنيّين مثلَ العديدِ من رموزهم الأخرى، وكان مُرتبطاً بالعديد من آلِهَتهِم. وتقول الموسوعة البريطانيَّة: "كان أرنبَ الفصحِ من الرُّموزِ القديمةِ للخُصوبةِ وتجديدِ الحياةِ. وهو تَرافق مع القمر في أساطير مصرَ القديمة وفي أساطيرِ شُعوبٍ أخرى. كما وترافق مع فِكرة الدَّورة القمريَّة وبداية الحياة الجديدة عند الشّاب والشّابة معاً". وكانت شعوب الأنكلوساكسيون الوثنيّون يُقيمون الاحتفالات في بدايةِ فصل الرَّبيع لكي يَعبدوا إلَهَةَ الخُصوبةَ والرَّبيعِ (Eastre او Eostre) أي عشتار، والّتي كان يُرمَز إليها بالأرنب لأنَّه كثير الإنجاب، وكانوا بحسب مُعتقداتهم الوثنيَّة أيضاً يؤمنون بأنَّ هذه الإلَهَة قد تقمَّصت روحها في جسدِ أرنبٍ". في أيَّامنا الحاضرة يعتقد الكثير من الأطفال من حول العالم بأنَّ أرنب الفصح يأتي إليهم بطريقةٍ سِحريَّةٍ وغامضةٍ في منتصف اللّيل في عيد الفصح - كما يأتي بابا نويل في عيد الميلاد - ليضعَ لكلِّ واحدٍ منهم سلَّةً تحتوي على الحلوى والسَّكاكر.

**"كنيسةُ القيامة"**: دعاها الّذين بنوها بهذا الإسم بعد أن زَعموا بأنَّ لها ارتباطاً بأحداثٍ موجودةٍ في الانجيل تتعلَّقُ بموتِ وقيامةِ الرَّب يسوع من الأموات، إلاّ أنَّ مَن يَدخُلها يجد أنَّهُ لا يوجد لها أيِّ ارتباطٍ بهما بسببِ أنَّ رائحتَي الوثنيَّة المُمَسْحَنة والكَذِب تفوحان في داخلها مثلَما تفوحان في داخل أختها التَّوأمَ "كنيسةُ المهد"، كما أنَّهما تَحملان السِّماتِ والصِّفاتِ نفسها، وتَتضمَّنان الأكاذيب ذاتها لكن بصورةٍ مختلفةٍ، والّتي كلُّها من فبركةِ بطاركةِ وباباواتِ وكهنةِ ورهبانِ ألأرثوكاثوليكيَّة، أيِّ الكنائس اليونانيَّةِ والقُبطيَّةِ والأرمنيَّةِ والسِّريانيَّةِ والأثيوبيَّةِ الأرثوذكسيَّة، ومعهم الكنيسة الكاثوليكيَّة ممثَّلةً برهبانِ الفرنسيسكان فيها، الَّذين قسَّموها حِصصاً وغُرَفاً فيما بَينهُم، كلٌّ على مقاسهِ، وكلٌّ له أكاذيبَه وطقوسَه وصَلواتَه الخاصَّة فيها، وتقاسموا الهَيمنة عليها لأهدافٍ وضيعةٍ بقصدِ جني المال من أناسٍ مساكينٍ يائسينٍ يأتون لطلبِ البركةِ من لمسِ حجرٍ جامدٍ موجود هنا، ونوال الرَّحمةِ بالوقوفِ أمام صخرةٍ مزيَّفةٍ موضوعةٍ هناك. ولئلاّ يَتَّهِمنا أحدٌ بالتَّجنيّ عليهم

باتِّهامهم بالكَذِب من دون أيَّـةِ حِجَّـةٍ أو إثبـاتٍ، فَسنُفنِّد مزاعمهم وأكاذيبهم وفبركاتهم من خلالِ بحثٍ معمَّقٍ في الإنجيل وفي التّاريخ والجغرافيا أيضاً، لكي تُصبح الصُّورةَ الحقيقيَّةَ واضحةً أمام المخدوعين بتعاليمهم، فيقرِّرون ما يجب عليهم فعله لكي من ضَلالهم يَنجون. وسنبدأ بحثنا من إنجيليَ متّى ويوحنّا عن الأحداثِ الّتي سبقت قيامة الرَّب يسوع كالصَّلبِ والدَّفنِ، والّتي واكَبْتها كصدمةِ التَّلاميذ وذُهولهم، والّتي تَلتها كَظُهورهِ عليهم كتأكيدٍ لهم على قيامته. وسنبدأ بعرض الأحداث الّتي استند إليها بُناةَ "كنيسةُ القيامة" واضعين إيّاها في أحرفٍ عريضةٍ، وهي تأتي على الشَّكل التّالي:

يقول متّى: "فأخذَ عسكر الوالي يسوع إلى دارِ الولاية وجمعوا عليه كلَّ الكتيبةِ، فعرَّوه وألبسوه رداءً قرمزيّاً، **وضفروا إكليلاً من شوكٍ ووضعوهُ على رأسهِ**، وقصبةً في يمينهِ... **وبعدما استهزأوا به** نَزعوا عنه الرِّداءَ وألبسوه ثيابهُ، ومضوا به للصَّلبِ... ولمّا أتوا إلى موضعٍ يقالُ له جُلجثةُ وهو المُسمَّى"**موضعَ الجُمجمةِ**" ... **ولمّا صَلبوهُ اقتسموا ثيابهُ**... حينئذٍ صُلِب معه لصّانِ **واحدٌ عن اليمين** وواحدٌ على اليَسار... فصرخَ يسوعُ بصوتٍ عظيم، وأسلم الرُّوحَ. وإذا حجابُ الهيكلِ قد انشقَّ إلى اثنينِ، من فوقٍ إلى أسفلُ. **والأرضُ تَزلزلت، والصُّخور تَشقَّقت**، والقُبور تَفتَّحت... **وكانت هناك نساءٌ كثيراتٌ يَنْظُرنَ من بعيدٍ**... بينهنَّ مريمُ المجدليَّةُ، ومريم أمُّ يعقوب ويوسي، وأمُّ ابنَي زَبَدي. ولمّا كان المساءُ، جاء رجلٌ غنيٌّ من الرّامةِ اسمه يوسفُ وتقدَّم إلى بيلاطس وطلبَ جَسد يسوعَ... فأخذ يوسفُ الجَسدَ ولَفَّهُ بكَتَّانٍ نقيٍّ، ووضعهُ في قبره الجديد **الَّذي كان قد نَحتهُ في الصَّخرةِ**، ثمَّ دَحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى... وبعد السَّبت عند فجرِ أوَّلِ الأسبوع، جاءت مريم المجدليَّةُ ومريم الأخرى لتَنظُرا القبرَ. وإذا زلزلةٌ عظيمةٌ حَدثت، لأنَّ **ملاك الرَّب نزلَ من السَّماء وجاء ودحرج الحجرَ عن البابِ وجلس عليهِ**... وقال للمرأتين: "لا تخافا أنتُما، فإنّي أعلمُ أنَّكما تَطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا، لأنَّه قام كما قال! هلمّا انظرا **الموضع الَّذي كان الرَّب مُضْطَجعاً فيه**. واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه: إنَّه قام من الأموات... فخرجتا سريعاً من القبر بخوفٍ وفرحٍ عظيم، راكِضَتين لتُخبِرا تلاميذهُ. وفيما هما مُنطلقتان إذا يسوع لاقاهما وقال: " سلامٌ لكما... لا تخافا. اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يروننني "... وأما الأحدَ عشَر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليلِ إلى الجبلِ حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له...

وأمّا التّلميذ الَّذي كان يسوع يُحبُّهُ كما كان يقول عن نفسه أي يوحنّا فكتب التّالي: "**فحينئذٍ أخذ بيلاطس يسوعَ وجلدهُ**... فخرج يسوع خارجاً وهو حاملٌ إكليلَ الشَّوكِ

وثوبَ الأرجوانِ... فحينئذ أسلمهُ إليهم ليُصلبَ... فلما أخذ يسوع الخلَّ قال: " قد أُكمل". ونَكَّس رأسهُ وأسلم الرّوح... **لكنَّ واحداً من العسكرِ طعن جنبهُ بحربةٍ**،... ثمَّ إنَّ يوسفَ الَّذي من الرّامةِ جاءَ... وجاء أيضاً نيقوديموس، **وهو حاملٌ مزيجَ مُرّ وعودٍ** نحو مئة منًا. فأخذا جسد يسوعَ، **ولفّاهُ بأكفانٍ مع الأطيابِ**،... وفي أوّل الأسبوع جاءت مريمُ المجدليَّة إلى القبر باكراً، والظّلامُ باقٍ... فركضَت وجاءت إلى سمعان بطرس والتّلميذ الآخر الَّذي كان يسوع يُحبَّه، وقالت لهما: "أخذوا السَّيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه!". فخرج بطرس والتِّلميذ الآخر وأتيا إلى القبر...ثمَّ جاءَ سمعانُ بطرس يتبعهُ، ودخل القبرَ ونظر الأكفانَ موضوعةً... ولمّا كانت عشيَّة ذلك اليوم ... جاء يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم: "سلامٌ لكم". ولمّا قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التَّلاميذ إذ رأوا الرَّب...

وإذا تفحَّصنا سفرَ أعمال الرُّسل لنُعاينَ ما الَّذي عَمله الرُّسل من بعد قيامة يسوع من الأموات، وقرأنا رسائلهم الّتي كتبوها بعدها أيضاً، فإنَّنا نجدُ بأنَّهم وضعوا القيامةَ أمامهم والقبرَ الفارغِ وراءهم، وبأنَّهم حَدَّثوا النّاس عنها كاختبارٍ وكانتصارٍ وليس كمهرجانٍ، وبأنَّهم حَثّوهم لاختبارها في حياتهم، ولكن لم يَدعوهم للحجِّ إلى القبر الَّذي حَدثت فيه، ولم يعتبروه "قبراً مقدَّساً". فمثلاً عندما وعظ بطرس اليهود في أورشليم وآمن منهم حوالي ثلاثةَ آلافِ نفسٍ، لم يَدعوهم بطرس بعدها لزيارةِ القبرِ الفارغِ الَّذي دَخله المسيح كزائرٍ لثلاثة أيّامٍ فقط، وخرج منه كَمُنتصِرٍ إلى أبد الآبدين، مع أنَّهم كانوا قريبين منه (أع٢:١٤-٤٧). وعندما ذَهب بولس ليُبشِّر الشُعوب الوثنيَّة في أوروبا، أخبرهم عن موتِ المسيح وقيامتهِ لخلاصِهم، ولكنَّه لم يُنظِّم لهم رِحلات حجٍّ إلى أورشليم ليُريهم تَلَّةَ الجلجثةِ والقبرَ الفارغ. لكن، وعلى عكسِ الرُّسل تماماً، يقومُ أولياء ما تُسمّى"كنيسة القيامة" بدعوةِ النّاس للتَّبرك بزيارة قبرٍ مزعومٍ أقاموه زوراً فيها قائلين لهم: "ليس هو هَهُنا، لكنَّه قام"، ولكنَّهم يَتصرَّفون وكأنَّه لا يزالُ موجوداً هَهُنا، وبأنَّه لم يَقُم أبداً!.

وإذا بحثنا في باطن التّاريخ عن تاريخيَّة "كنيسة القيامة" فإنَّنا سنجد بأنَّ الغموض يكتنف مراحل بنائها عبر العصور لتُصبِح بالشَّكل المُكتمِل الَّذي نراها فيه اليوم. لأنَّها دُمِّرت بالكامل أكثر من أربعَ مَرّاتٍ بسبب الزَّلازل والحروب والغزوات، وأُعيدَ بناؤها وتوسِعتها وإضافةِ أقسامٍ جديدةٍ عليها. تبتدئ قصَّةَ بنائها مع هيلانة والدة الملك قسطنطين الّتي أتت إلى أورشليم بطلبٍ منهُ لكي تَستكشف الأماكن الّتي جرت فيها أحداثَ صَلبِ وقيامةِ الرَّب يسوع المسيح من الأموات. وعندما وجدت تلَّة

الجلجثة وصليب المسيح وقبره بحسب زعمها، ابتدأت بالبناء فوقهما بإشرافٍ من مهندسٍ سوريٍّ يُدعى زينوبيوس ورجلِ دينٍ يدعى يوستاثيوس. استمرت مَرحلةِ البناءِ أحدَ عشرَ عاماً إذ ابتدأ في عام ٣٢٥ وانتهى في عام ٣٣٦. وهكذا ظهرت "كنيسة القيامة" لأوَّلِ مرَّةٍ إلى الوجودِ، ودُشِّنت باحتفالٍ عظيمٍ حضره عددٌ كبيرٌ من الأساقفة والحشود، وأُعْلِنت فيه قُدسيَّة المكان مع ما يحتويه. في سنة ٦١٤ غزا الفُرس أورشليم وأضرموا حريقاً كبيراً فيها ودمَّروها. وفي سنة ٦٢٩ دخل الإمبراطور هرقل أورشليم وأعاد بناءها بدون أيّ تغيير على خارطتها الأصليَّة. في سنة ٦٣٨ غزا المُسلمون أورشليم (أصبحت تُدعى القُدس حينها) بقيادةِ عُمَر بن الخطّاب الَّذي أمَر بعدم المساس بها، ولكن في سنة ١٠٠٩ أمَر الخليفة الفاطمي "الحاكم بأمر الله" بهدمِها بوحشيَّةٍ، وبالهجومِ على "القبرِ المقدَّس" بالمثاقب والمَطارق، ولم يَتوقَّف حتّى سَوَّى سَقفها بالأرض وجعل من كلِّ شيءٍ حُطاماً ورُكاماً. في سنة ١٠٩٩ دخل الصَّليبيون القُدس وأعلن قائدهم بأنَّه "حامي القبر المقدَّس"، وباشروا بترميمها وتوسِعتها وأضافوا عليها ديراً وبُرجاً للأجراس. لكن في سنة ١٨٠٨ إحترقت بِرُمَّتِها وانهارت قبَّتها على الهيكل الدّاخلي الَّذي يحوي بداخله "القبر المقدس" فسحقه بالكامل. انفرد الرّوم الأرثوذكس بعدها بترميم القسمَ الأكبر منها وتوسعتهُ على نفقتهِم، فلذلك يملكون اليوم أكبرَ حِصَّةٍ فيها. وفي سنة ١٨٢٢ صَدر أمرٌ من السُّلطة العثمانيَّة الّتي كانت مُتسلِّطة في تلك الأيّام على الأراضي الفلسطينيَّة بتقسيمها على الطَّوائف بالشَّكل المعمولِ فيه إلى يومنا الحاضر. في سنة ١٩٤٧ ضَرب زلزالٌ قويٌّ المنطقة وأدَّى إلى تَصدُّع قُبَّتِها، وبسبب الخوفِ من انهيارها بالكامل رُمِّمت ابتداءً من العام ١٩٩٤ودُشِّنت في العام ١٩٩٧.

وبالانتقالِ إلى جغرافيَّة "كنيسة القيامة" لمَعرفةِ إن كانت هيلانة قد بنتها بالتَّحديدِ فوق تَلَّة الجلجثة وعلى القبر الَّذي دُفِن فيه المسيح بحسب ادِّعائها، فإنَّنا نَجد أنَّه كان من المستحيل، ليس عليها فقط، ولكن على يوسف الرّامي أيضاً، معرفةَ مكانهما بالضَّبط من بعدِ ثلاثمايةِ سنةٍ من حادثة الصَّلبِ لسببٍ بسيطٍ هو أنَّه وفي سنة ١٣٥، وبِقصدِ الإنتقامِ من اليهودِ والمسيحيّينَ على حدٍّ سَواء، قام الإمبراطور أدريان بتغيّيرٍ جذريٍّ لمعالمِ أورشليمَ القديمةِ، فَهدم ما فيها من مبانٍ كان من ضِمنها بقايا هيكل سليمان، وفَلح تَلَّة الجُلجثة مع محيطها الَّذي كان يَتضمَّنَ القبرَ الَّذي دُفن فيه المسيح وسَوَّاهما بالأرض. ثمَّ قام ببناءِ عددٍ من المعابدِ عليها كرَّسها للآلِهَة الوثنيَّةِ، وكان أحدها معبدَ الإلَهةِ عشتار.

فلذلك السؤالَ المطروحِ الآن هو: "بما أنَّ مكانَ صلبِ يسوع والقبر الَّذي دُفن فيه جسده، قد أزالهما أدريان من الوجودِ حسب الأدلَّة التّاريخيَّة الّتي ذكرناها، فإلى أيِّ دليلٍ استندت هيلانةَ لكي تَضع أساسات "كنيستها" من بعد حوالي مئتي سنة من مُلكِ أدريان؟. وإن كانت هيلانة وَجدت القبرَ الحقيقيَّ كما يَزعم رجال الدّين القيِّمين على القبر المزعوم منذ قرونٍ، فلماذا لا يُظهِرونهُ كما هو أمام الملأ بدلاً من إخفائه عن العيون كما سنرى؟". طبعاً لدى رجال الدّين هؤلاء أجوبةٌ كثيرةً لكنَّها مُبهمةٌ ومُفبركةٌ وملآنةٌ بالأكاذيب، وقد فَضَحتها جولةً "يوتيوبيَّةً" قُمنا بها في أرجاء "كنيسة القيامة"، أي بمعنى أنَّنا أتينا بتفاصيلِ ما بداخلِها من على موقع اليوتيوب على الإنترنت بسبب الحظر المفروض علينا للسَّفر إلى أورشليم للأسبابِ السِّياسيَّةِ المعروفةِ في لبنان، ويستطيع القارئ العزيز أيضاً مشاهدةِ تفاصيلها بنفسهِ وبمساعدةٍ من مُرشدين سِياحيّين على الموقع الإلكتروني المذكور كما على مواقعَ عديدةٍ أخرى.

من باحتِها الخارجيَّة اقتربنا إلى بابها الكبير المسؤول عن فتحه وإغلاقه كلِّ يومٍ عائلتان مُسْلِمتان، ودخلناها. لفتَ نظرنا حجرٌ من الجير الأحمر موضوعٌ على الأرضِ طولهُ حوالي المترين وعرضه حوالي المتر يدعونه "حَجر الطّيب" ويتدلّى فوقه عددٌ من المصابيحِ الملوَّنةِ. على الحائطِ وراءهِ توجدُ أيقونةٌ كبيرةٌ تُجسِّد إنزال يسوع عن الصَّليب وتكفينهِ ودفنِه. ويقول رجال الدّين "الصّادقون" السَّاجدون أمامه في الصُّورَة المُرفَقة إنَّ هذا الحجرُ مقدَّسٌ لأنَّ يوسف الرَّامي وضع جسدَ يسوع عليه عندما كان يضع عليه الأطياب ليُكفِّنه قبل أن يدفنهُ فلذلك يأتي النّاس ويسجدون أمامهُ، ويقبِّلونهُ، ويَمسحونهُ بمناديلهم ليأخذوا منه "بَركةً" ينقلونها إلى بيوتهم وعائلاتهم حسب اعتقادهم. لكن بما انَّ كتبةُ الإنجيلَ لم يذكروا شيئاً عن هكذا حَجرٍ، فلا شك اذاً أنَّ الَّذين وضعوه في مكانهِ هنا، وضعوهُ لكي تكتملَ عناصرَ الكِذبَةِ المشوَّقَةِ الّتي فبركوها والّتي من ضمنها الأطيابُ الّتي أخذوها عنه حسب زعمهم وسَمّوها "الميرون المُقدَّس".

من على يمين الباب الخارجي صعدنا سُلَّماً بارتفاع خمسة أمتار أوصلنا إلى "كنيسة الجلجثة"، حيثُ مَوضِع صَلبَ يسوع بحسب المزاعم الرهبانيَّة. شاهدنا في الواجهة مذبحاً

وفوقهُ صورةُ المسيحِ المصلوبِ وعلى جانبيه صورتَيْ أمّه مريم العذراء والقدّيس يوحنّا، وتحت المذبح يوجدُ قرصٌ فيه فتحةٌ على حجمِ اليَد يُشير إلى الصَّخرة الّتي غُرِزَ صليبَ يسوع فيها، وتَسمح الفتحة لِمن يُريد أن يلمسَ الصَّخرةَ بإدخالِ يدهِ ولمسها مباشرةً!. نعم أدخِل أيّها الإنسان يدكَ في هذه الفتحةِ (حيث السَّهم الأحمر في الصّورَة أعلاه) ليس لتختبر رحمةَ الله وفداءهُ لك، لكن لتَختبر ما تَفعلهُ بعقلكَ أكاذيبَ رجال الدّين.

ثمّ نعود ونَنزل السَّلالم لنُكمِل سيرنا من على يَسار "حجر الطّيب" إلى القِسم الوحيد الَّذي يملكه الأرمن الأرثوذكس، الَّذين وضعوا فيه حجراً مستديراً تعلوه قبَّةً صغيرةً أسموه "حَجر المريمات الثّلاث"، وقالوا: "إنَّ النِّسوة اللّواتي كنَّ يَنْظُرن عَمليَّة الصَّلب من بعيدٍ، كُنَّ يَقِفنَ في هذا المكان"!.

تابعنا السَّيرَ لأمتارٍ قليلةٍ إلى الباحةِ الداخليَّة الموجودةِ في مُنتصفِ البناء مُتوقِّعينَ أن نُصابَ بالفَرحةِ لأنَّنا سنُشاهد القبرَ الّذي نحتهُ يوسف الرّامي في الصَّخرةِ ووَضعَ فيه جسدَ يسوع (كالّذي يَظهر في الصُّورَةِ الأولى). لكن على العكسِ تماماً، فلقد أُصِبنا بالصَّدمةِ لأنَّنا شاهدنا كِذبَةً أطاحت بالفَرحة. لأنَّ ما رأيناه يُدعى "القبرُ المقدَّس" إلاّ أنَّه لم يكن القبرَ الحقيقيَّ الَّذي دُفِن فيه المسيح ولا حتّى أنَّه يُشْبِههُ، إذ كان مُجرَّدَ مبنًى شِبهَ مستطيلٍ بِعُلوٍّ حوالي ستَّة أمتارٍ وبطولِ ثمانيةٍ وبعرضِ أربعةٍ، مُزيَّنٍ بزخارفَ منها صَدَفَةِ الإلَهَة فينوس وبشمعدانات كبيرة، تَملُكهُ وتُحافظُ عليه كنيسةُ الرّوم الأرثوذكس، وله بابان، واحدٌ أمامي وواحدٌ خلفي، يوصِل الأمامي إلى غرفتين صغيرتين، الغرفة الأولى توجدُ فيها صخرةٌ يقال إنَّ الملاك جلس عليها فلذلك تُدعى "صَخرة الملاك" ثم تَليها الغرفة الثّانية التي تَسع لشَخصين فقط، وفيها صورةَ الإلَهة الأمّ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة، وعددٌ من الشَّمعاتِ المُضاءةِ على بلاطةٍ تُخفي البلاطة الّتي وُضِع عليها المسيح يوم دفنه بحسبِ مزاعمَ رجالِ الدّين الّذين يُديرون هذا المكان. يَصْطَفُ النّاسُ بالمئاتِ

للدُّخول إلى هذا القبرِ المزعوم وللسُّجود أمام تلك البلاطة (كما يَسجُدَ الرَّجلَ الموجودِ في الصُّورة). لكن إن دَخلهُ من يملك نور المسيح في قلبه، فَسيجد بأنَّ تلك البلاطة ما هي إلاّ ستارةً وضعها رجال الدّين ليَخفوا أكاذيبهم تحتها لكي لا يعرف النّاس الحقيقة بأنَّه لا يوجد أيِّ قبرٍ تحتها، ويكتشفوا بأنَّهم مَخدوعونَ ومُضَلَّلون، وللدَّليل على إنَّ ما نقوله صحيح، فانَّنا سنستعين برأيِ العُلماء والباحثين المُختَصّين الَّذين أتوا في سنة ٢٠١٦ كبعثةٍ من جامعة أثينا الوطنيَّة وأزاحوا "البلاطة السِّتارة" فوجدوا تحتها رقاقةً سفليَّةً من الرُّخام. ومن بعد أن فَحصوها مع أرضيتها قالوا إنَّها **قد تكون** الأصليَّة الّتي وُضِع عليها المسيح، ولكنَّهم بحاجةٍ للمزيد من الأبحاث والوقت للتَّأكد من الأمر. إذاً وبما أنّه لا يوجد أيّ تأكيدٍ عند أحدٍ بأنَّ المسيح دُفِن في هذا المكان، فلماذا يستمر رجال الدّين بالخِداع والكَذِب على النّاس قائلينَ أنَّه دُفِن **هنا** حيث البِلاطة، مثلما يقولون في "كنيسة المهد" إنَّه وُلِد **هنا** حيث النَّجمة؟.

البلاطة الأصّلية القبطيّة!

خرجنا من الباب الأمامي للقبرِ المزعوم ودخلنا من بابه الخلفي حيث استقبلنا الأقباط الأرثوذكس الَّذين أرونا قِسماً من بلاطةٍ ظاهراً للعَيان وقالوا: "إنَّها البِلاطة الأصليَّة الّتي وُضِع عليها جسدَ المسيح". أُصِبنا بالاستغراب لأنَّنا لم نَرَ القسم المُتَبقّيَ منها عند الرّوم الأرثوذكس مع أنَّ للمكانين أرضيَّةً واحدةً، ومُتصِّلين ببعضهما البعض. فكيف يكون إذاً هذا التَّخريف؟ أليس هذا هو الكَذِب بعينهِ؟ وكيف تكون البلاطة الأصليَّة مَخفيَّةً عند الرّوم الأرثوذكس بينما هي واضحةً للعيان عند الأقباط الأرثوذكس، مع أنَّهما ينتميان إلى كنيسةٍ واحدةٍ؟!!.

خَرجنا بعدها من القبرِ القُبطي ورفعنا رأسنا إلى الأعلى لنَتنشق الهواء النَّقي من بعد تَنشقَّنا لدخانِ الشُّموع، فشاهدنا فوقنا قبَّة الشَّمس المُشرِقة وهي عبارةٌ عن تمثالٍ كبيرٍ للشَّمس، يَنبعَ منه إثنا عشر شُعاعاً. ويقول رجال الدّين هنا: "إنَّ الشَّمس تَرمز إلى قيامة المسيح كبروزِ فجرٍ جديدٍ، وأنَّ الشُّعاعات تَرمز إلى الإثني عشر رسولاً". ولكنَّهم لا يقولون أبداً إنَّ الشَّمس الّتي كانت من أهمِّ معبودات الوثنيّين وكانت تُشرق في معابدهم، أكملت اشراقها في معابد الوثنيَّة المُمَسْحَنَة والّتي أحدها المعبد الذي يُدعى "كنيسة القيامة".

ومن بعد انتهائنا من مشاهدةِ القبرِ وقبَّـةِ الشّمسِ، دخلنـا مغـارةً محفـورةً فـي الصَّـخرِ تَتبـع للسِّـريان الأرثوذكس الَّذين يُقيمون فيها القداديس يوميّاً. فـي عمقِ المَغارة (حيث الدّائرة الحمراء فـي الصُّورة) يوجد قبرٌ يُقالُ إنَّ يوسف الرّامـي دُفِن فيـه. يَعتقدُ الـبعض أنَّ القصـد مـن مـا يقـال هـو للإيحـاء بـأنَّ يوسف الرّامي لم يُدْفَن لا هو ولا ذُرِّيته في القبر الَّذي قدَّمه ليُدفَن فيه المسيح، بل أنَّه قد دُفِنَ في قبرٍ آخرٍ قربهُ، وبالتّالي يُصبِح "القبر المقدَّس" تلقائيّاً فـي عقول النّـاس ذا مهابةً وقُدسيَّةً إلهيَّةً، لم تُدنِّسهما أيَّةِ عِظامٍ بشريَّةٍ.

عمود الجَلد الكاثوليكي

أكملنـا سَـيرنا لنجـد بـأنَّ مـريم المجدليَّـة تَحظـى بمكـانٍ مُخصَّــصٍ للقائهــا بالمســيح القــائم مــن الأمــوات عنــد الفرنسيسكان الكاثوليك، الَّذين بدورهم أعدّوا ما يَجذُب انتباه الـزُّوار مثـلَ صـورةٍ تُجسِّـد اللّقـاء، وتماثيـلٍ لمراحـلَ دربِ الصَّليب، وجزءٍ من عمودٍ يقولون إنَّه من العمود الَّذي جُلد عليه يسوع. كما وعندهم بـابٌ برونـزيٌّ يؤدِّي إلـى" كنيسة القربان الأقدس" الّتي تُحيي ذِكرى ظُهور يسوع لأمّه مريم مـن بعـد قيامتـه، مـع أنَّ الإنجيـل لا يـذكر شـيئاً عـن هـذا الظّهور لأنَّه لم يَحدث على الإطلاق، إذ إنَّـه يَذكر أنَّ ظهور المسيح من بعد قيامتـه كان أوَّلاً لمريم المَجدليَّة وليس لأمّه مريم. ولكن من بعد البحث والسُّؤال وَجدنا أنَّ هذا الظُّهور المذكور موجودٌ فقط في ما يُسمّى "إنجيل برنابا"، واحدٌ من الأناجيل المَنحولة، أي المملوءةِ بالأكاذيبِ، والّتي لا تَعترف بها الكنيسة الكاثوليكيَّة!.

ثمَّ بعدها سِرنا وسطَ مَمرٍّ من أعمدةٍ يُدعى "مَمرَّ أقواسَ العذراء" أوصلنا إلى أربعةِ أقسامٍ صغيرةٍ مختلفةٍ ومتقاربةٍ. القسم الأوَّل هو مغارةٌ يقول تقليد من القَرن السّابع بأنَّ يسوع سُجِن فيها بانتظار إحضار الصِّلبان المُعدَّة لعمليَّة الصَّلب. والقسم الثّاني هو "هيكلُ لونجينوس" وهو الجندي الَّذي طَعن جنب يسوع بالحربة (مع أنَّ اسمه لا يَرِد في الإنجيل أبداً). والقسم الثّالث هو "هيكلُ إقتسام الثّياب" حيث اقتسم الجُند ثيابَ يسوع. أمّا القسم الرّابع فهو يَدعى "هيكلُ الإستهزاء" ويَتضمَّنَ بلاطةً بيضاءً كبيرةً وُضِع تحتها عَمودٌ أبيضُ يقول رجال الدّين أنَّ يسوع كان يجلس عليه حين وَضَع الجُند إكليلَ الشَّوكِ على رأسهِ واستهزأوا به، ويُقولون أيضاً إنَّ كلَّ من يضع أذنه

على البلاطة يستطيع سماع ضِحكات الاستهزاء الّتي كان يُطلقها الجُند. يُصدِّق الكثير من الناس هذه الكِذبةِ ويضعون آذانهم عليها (كما تفعل المرأةَ في الصُّورَةِ)، لكنَّنا لم نستطع أن نُحدِّد إن كانوا يسمعون ضحكات استهزاء الجُند بالمسيح، أم ضحكات استهزاء رجال الدّين بهم!.

ثمَّ من على اليَسار نزلنا عدداً من السَّلالمِ لنُصبِح في القِسم الأقدم من هذا المكان ويُسمّى "كنيسة القدّيسة هيلانة ". يوجدُ فيها قسمٌ من هيكلٍ وثنيٍّ رومانيٍّ من القرن الثّاني للميلاد، وفيها المكان الَّذي بحسب التَّقليد قد وجدت هيلانة الصّلبان الثّلاثة فيه (حيثُ السَّهم الأحمر في الصُّورَةِ) وقد أقامت مَيِّتاً بالَّذي صُلِب عليه يسوع. وفيها أيضاً "هيكلُ القدّيس ديزما" وهو اللِّص الَّذي كان على يمين المسيح وقت الصَّلب. لكن لا أحدٌ يسألَ رجال الدّين هنا كيف أنَّهم عرفوا اسمه لهذا اللّص من بعد مئات السِّنين، أمِن هويِّتهِ أو من جوازِ سفرهِ؟!.

عدنا بعدها أدراجنا صُعوداً إلى حيثُ دخلنا باباً أوصَلنا إلى القبرِ الّذي دُفِن فيه أبُ البشريَّة آدم ويُدعى "هيكل آدم"، وبجانبه مكتب الأب الرئيس المسؤول عن إدارة المكان. القبرُ بحسبِ التَّقليد الكنسي المتداولِ هنا والمُجَسَّدِ على الأيقونةِ الكبيرةِ الموجودةُ على المَدخل فإنَّه كان للإنسان الأوَّل آدم الَّذي مات ودُفن في الجُلجثة!، وعندما أسلم يسوع الرّوح على الصَّليب تَزلزَلت الأرضَ وتَشقَّقت، فتسرَّبت دماؤه الطَّاهرة ووَصلت إلى جُمجمةِ آدم (الموجودة في الدّائرة الحمراء في الصُّورة) وطهَّرته من الخطيَّة وخلَّصَتهُ، ومن هنا أتت تسمية الجُلجلثة أو الجُمجمة!. لم نستطع أن نسأل أحداً عن أنَّه كيف تمكَّن أولاد آدم من دفنهِ في المكان الَّذي سيُغرز عليه صليب المسيح تحديداً، وهل هي مُصادَفةٌ أم أنَّها خُرافةً فبركها رجالَ دينٍ بارعين بتأليف الأكاذيب؟. من المؤكَّد بأنَّها خُرافةً إكليروسيَّةً اذ لو

أنَّها حَدثت فعلاً لما كان كَتبة الإنجيل قد أغفلوا عن ذِكرها كمُعجزةٍ خارقةٍ وعظيمةً. أمّا مكتب الأبِ الرئيس (الصُّورة الأخيرة)، فتوجدُ فيه صورةَ الأمّ والطِّفل الوثنيّين المُمَسْحَنَين، وتوجدُ فيه أيضاً قطعةً من الصَّليب الحقيقي، الصَّليب الَّذي وُزِّع منه حول العالم كميَّةٌ لا تَسعها أكبر بواخر النَّقل في العالم، بينما كان الصَّليب الَّذي حمله يسوع يَحمل شخصاً واحداً فقط !.

وأخيراً انتهت جولتنا عند البَوّابة الّتي دخلنا منها. فخرجنا من ذلك المكان ونحن نَشعر بالأسى على نفوسٍ ضائعةٍ تأتي من أصقاع الأرض قاطبةً لتكونَ فريسةً لأطماعٍ دينيَّةٍ قبيحةٍ ووضيعةٍ بَعيدةٍ عن جمالِ وعظمةِ المسيحيَّةِ الحقيقيَّةِ. خرجنا ونحن حاملين معنا انطباعاً ويقيناً بأنَّ ما رأيناه داخل ما تسمّى "كنيسة القيامة" ما هو إلاّ الوثنيَّة المُمَسْحَنة بحدِّ ذاتها وبكلِّ أبعادها، فوجود الشَّمس في قبَّتها، وصَدَفَة الإلَهة فينوس على حائط القبر المزعوم، ووجود الصَّليب "الشيء" الَّذي يُبَجَّل على الطّريقة الوثنيَّة، ووجود أيقونة الأمَّ والطّفل الوثنيَين المُمَسْحَنين، ووجود الأكاذيب والخُرافات المتنوِّعة بقصدِ الخِداع الدّيني، وإضاءةِ الشُّموع، وإشعالِ البخور، جميعها تؤكِّد بأنَّها لم تَقُم ولم تُبنَ على أساسات المسيحيَّة الحقيقيَّة الّتي هي الصِّدق والحقّ والإيمان والمُساواة ومحبَّة الآخرين، بل قامت على أساسات الوثنيَّة المُمَسْحَنة الّتي هي الكَذِب والخِداع والوَهم والتَّسلُّط والأنانيَّة والّتي شِعارها: "تعال أيّها الإنسان الميِّت والمِسْ بيدِكَ الصُّخورِ والصُّوَرِ والأصنامِ، وأضِئ الشُّموعَ أمامها وبَخِّرها، ثمَّ عُد إلى بيتك مَيْتاً وهالكاً كما أتيتَ من دون أن تنال الحياة الأبديَّة". ومن جهتنا نُضيف: "ولكن إيّاك أن تَنسى أن تَضَع من مالكَ في الصُّندوق الَّذي يُجْمَع فيه المال بالملايين إلى جيوبِ وخزائنِ رجال الدّين المُرائين".

في ختامِ هذا الفصل نقول للتّذكير إنَّ من يَعتقد أنَّه من خلال الإحتفال بالأعياد الوثنيَّة المُمَسْحَنة يُمَجِّد ويُكَرِّم الرَّب يسوع في ولادته وموته وقيامته فهو مُخطئ. ومن يظنَّ أنَّ القيامةَ مكانٌ يزورهُ فهو مُخطئ أيضاً. لأنَّ القيامةَ انتصارٍ واختبارٍ وليست مكاناً أو مهرجاناً كما رأينا، وهي تَدلّنا على قوَّةِ يسوع وشفاعته المُستمرة لأجلنا أمام الآب السَّماوي، وهي مرتبطةٌ بحياةٍ جديدةٍ يُعطينا إيَّاها من خلال تبريرنا وخلاصنا، ونُصرتنا وتَعزيتنا، وسَلامنا وفَرحنا، ورجائنا بالميراث الأبدي، وبإثمارنا

في خدمته. ومن اختبر هذه القيامة في حياته يَحمِل كُنْهَها وقُوَّتها في كيانه حيثما تَوجَّه، ولا يحتاج لكي يَحِجَّ لزيارةِ "قبرٍ مقدَّسٍ" في "مدينةٍ مقدَّسةٍ"، لأنَّه يعلم يقيناً إنَّ أدْوارَ بيتَ لحمٍ وأورشليم وكافة المناطق الّتي ارتبطت بِتجسُّدِ وحياةِ وموتِ الرَّب يسوع المسيح على الأرضِ، قد انتهت في لحظةِ صعودهِ إلى السَّماء من بعد قيامته من الأموات، وقد أصبحت بعدها عيونَ الَّذين يُؤمنون به تتطلَّع ليس إلى مدينةِ أورشليم الأرضيَّة، بل إلى مدينةِ أورشليم السَّماويَّةِ الّتي قال عنها يوحنّا: "وأنا يوحنا رأيتُ المدينةَ المقدسةَ أورشليمَ الجديدةَ نازلةً من السَّماءِ من عند الله مُهيَّأةً كعروسٍ مزيَّنةٍ لرَجُلِها. وسمعت صوتاً عظيماً من السَّماء قائلاً:" هوذا مسكنُ اللهِ مع النّاسِ، وهو سيسكن معهم، وهم يكونونَ له شعباً،... والّتي لها مجدُ اللهِ، ولمعانُها شِبهُ أكرمِ حجرٍ كَحجَرِ يَشبٍ بَلّوريٍّ... ولم أرَ فيها هيكلاً، لأنَّ الرَّبَّ الله القادرَ على كلِّ شيءٍ هو والخروفُ هيكلها... والمدينةُ لا تحتاجُ إلى الشَّمسِ ولا إلى القمرِ ليُضيئا فيها، لأنَّ مجدَ اللهِ قد أنارها، والخروفُ سراجُها،... وتَمشي شُعوبُ المُخَلَّصين بنورها... ولن يَدخلَها شيءٌ دنسٌ ولا ما يصنع رَجِساً وكَذِباً، إلاّ المكتوبين في سفرِ حياةِ الخروف(رؤيا إصحاح ٢١).

## الفصل التّاسع

## من هي بابل الزّانية ؟

قد يسألني البعض: "ما هو الهدف من كتابة هذا الكتاب في زمنِ التَّقارب بين "الطّوائف المسيحيَّة"، أهل هو لزرع الكراهية والبغض في قلوب أتباع تلك الطوائف ليبتعدوا عن بعضهم بعضاً، أو ليَكرهوا بعضهم بعضاً؟. الجواب هو بكلِّ بساطةٍ: "إنَّ الهدف من كتابتي له هو أن أُظْهِرَ محبَّةَ ونورِ المسيح أمام العالم، محبَّتهُ الّتي سكبها في قلوب المؤمنين الحقيقيّين به فأصبحوا تلقائيّاً يُحبّون الآخرين ويعملون بكلِّ قواهم جاهدين لكي يُساعدوهم ليَصِلوا إليه بالطّريقةِ الصَّحيحةِ المطلوبة منهُ والموجودةُ فقط في الإنجيل، ونورهُ الّذي أنار قلوبهم فأعطاهم القدرة على التّمييز بين الحقِّ والكذب حتّى في أحلك أوقات الظُّلمة الرّوحيَّة، وأصبحوا بالتّالي قادرين على إعلانِ الحقّ والحقيقة وفضح الكَذِب والخِداع".

من يعود إلى الفصل الأوَّل من هذا الكتاب فسيجد بأنَّنا قد وعدنا القارئ العزيز فيه، بأن نُثْبت له أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي المرأة الزّانية بابلُ الموجودةُ في سفر الرُّؤيا في الكتاب المقدَّس، وللتّأكيد على أنَّ ما نقوله صحيح سنفتح الإصحاحات ١٤- ١٦- ١٧- ١٨ من سفر الرُّؤيا، ونرى ما كُتِب فيها عن مَوقِعِ وشَخصيَّةِ وسُلطانِ وإجرامِ وثَروةِ ودَينونةِ بابلُ الزَّانيةُ، وسَنُقارنها باختصارٍ مع مَوقِعِ وشَخصيَّةِ وسُلطانِ وإجرامِ وثَروةِ ودينونةِ الكنيسةِ الكاثوليكيَّة الّتي تكلَّمنا عن مُعظمها في فصولِ هذا الكتاب، ولا شكَّ أنَّ ما سنجده سَيُبيِّن أنَّ المَطابقةَ تامَّة وكاملةً بينهما وبالتّالي تكون **الكنيسة الكاثوليكيَّة هي بابلُ الزّانية.**

**- موقعُ بابلُ الزّانية**: السَّبعةُ الرُّؤوسِ هي سبعةُ جبال عليها المرأةُ (بابلُ) جالسةٌ.

**موقعُ الكنيسة الكاثوليكيَّة**: يقول العديد من مُفسِّري سفر الرُّؤيا في الكتاب المقدَّس إنَّ مدينةَ روما الّتي بُنيت فيها الكنيسة الكاثوليكيَّة كبناءٍ مادي ( الفاتيكان) مبنيَّةٌ على سبعةِ جبال هي : Palatine - Quirinal - Esquilin - Viminal - Capitoline - Aventine - Gaelian

**- شخصيَّةُ بابلُ الزَّانية**: ثم جاءَ واحدٌ من السَّبعةِ الملائكةِ الّذين معهم السَّبعة جامات، وتكلَّم معي قائلاً لي: "هلمَّ فأريكَ دينونةَ الزّانية العظيمة... فمضى بي

بالرّوحِ إلى بريَّةٍ، فرأيتُ امرأةً جالسةً على وحشٍ قرمزيٍّ مملوءٍ أسماءَ تجديفٍ وعلى جبهتها مكتوبٌ: "سرٌّ. بابلُ العظيمةُ أمُّ الزَّواني ورجاسات الأرض". فتعجَّبتُ لمّا رأيتُها تعجُّباًعظيماً... وملوك الأرض زنوا معها، وسَكِر سكّان الأرضِ من خمرِ **زناها**... من خمرِ غضبِ **زناها** شرب جميع الأمم... ومعها كأسٌ من ذهبٍ في يدها مملوَّةٌ رجاساتٍ ونجاساتِ **زناها**... إذ بسحركِ ضَلَّت جميع الأمم. (طبعاً المقصود بالزِّنى الّذي تقوم به بابل الزَّانية وتُسْكِر به جميع الأمم هو الزِّنى الرّوحي أي تحويل النّاس عن عبادة الله الآب بالرّوح والحقّ إلى عبادةِ آلِهَةٍ غيره).

**شخصيَّةُ الكنيسة الكاثوليكيَّة**: لا نكون نكذب إن قلنا إنَّه بعد كلّ الّذي كتبناه في هذا الكتاب والمُدَعَّمِ بالصُّوَرِ والمعلوماتِ المُوَثَّقةِ عن تفاصيلَ العبادةِ المُزيَّفةِ الّتي تقوم بها الكنيسةَ الكاثوليكيَّة وتُعلِّمها لأتباعها، بأنَّها هي الّتي تُمارس الزِّنى الرّوحي"البابلي" بكلّ أبعادهِ، كما وأنَّها تُعلِّمه لأتباعها من الأممِ والشُّعوبِ المُختلفةِ أيضاً، الذين تَتحمَّل مسؤولية ضَلالهم وهَلاكهم (يَظهر البعض منهم في الصُّوَرةِ المُرفَقة). ولا نكون نَكذب أيضاً إن قُلنا إنَّها مَنبع الرَّجاسات والنَّجاسات لأنَّها أوَّلاً وبدل أن تُقدِّم الرَّب يسوع المسيح للعالَم كالخالق القدير والمُخلِّص الوحيد قدَّمته طِفلاً صغيراً يحتاج إلى أن تَحمله وترعاه دائماً "أمِّهِ" التي هي دائماً أعظم منه، كما وقدَّمته مسيحاً محدوداً فارغاً من ألوهيته الأزليَّة السَّرمديَّة ومخلِّصاً عاجزاً عن تَخليص النّاس من خطاياهم إلاّ بمساعَدةٍ منها. وثانياً لأنَّها مَسْحَنَت الإلَهة الأمّ الوثنيَّة (إن كانت سوداءَ أو بيضاءَ، مع طِفلٍ أو من دونه)، وعلَّمت النّاس أن يَتَّخذوها كأمٍّ لهم من بعد أن أسمتها مريم نِسبةً لمريم أمَّ يسوع، مع أنَّ مريم أمُّ يسوع تَرفض بالتَّأكيد أن يُدعى اسمُها عليها. وثالثاً لأنَّها مَسْحَنت الآلِهَة الوثنيَّة وجعلتهم من شُفعائها وقدّيسيها، وأقامت لهم أصناماً وتماثيلَ ورفاتٍ كاسرةً الوصيَّة الثّانية من وصايا الله العشر، وطَلبت من النّاس أن يَطلبوا شفاعتهم أمام الله مع أنَّه لا يوجدُ إلاّ شفيعٌ **واحدٌ** بين الله والنّاس: الإنسانُ يسوع المسيح. ورابعاً لأنَّها وضعت باباواتها في منصبِ الحبرِ الأعظمِ الوثنيّ، وأمرت النّاسِ بأن يَخضعوا لهم ولوصاياهم بدلاً من الخضوع لوصايا الله المتعارضة مع وصاياهم. وخامساً لأنَّها مَسْحَنَت الرُّموزَ الوثنيَّةِ ودَعت النّاس لتقديسها والتَّبرُّك

بها على الطّريقة الوثنيَّة، مع أنَّها أشياءً خاليةً من أيَّةِ بَرَكةٍ. وسادساً لأنَّها مَسْحَنَت عدداً من الشَّعائرِ الوثنيَّةِ وسمَّتها "أسراراً"، وقالت للنّاس إنَّها تحَمل لهم في طَيّاتها "نِعَماً ومفاعيلَ"، لكن تَبيَّن أنَّها لا تُنْعِم عليهم بشيءٍ ولا تفعل بهم شيء. وأخيراً لأنَّها مَسْحَنَت الأعياد والمهرجاناتِ الوثنيَّة، وشجَّعت النّاس على إقامتها بمواعيدها السَّنويَّة ليختبروا الأفراحَ الغامرةِ الموجودةُ فيها، لكنَّهم على العكس اختبروا فيها الأفراحَ العابرةِ الّتي تَنتهي في لحظةِ انتهائها.

نَعم هذا هو الخَمر المُسْكِر الّذي يُدعى "الوثنيَّة المُمَسْحَنَة"، الذي أسكَرت الكنيسة الكاثوليكيَّة سكّان الأرض به، خاصَّةً المُسَمّين منهم "مَسيحيّين" بالإسم والوراثة، بينما هم في الواقع وثنيّون في القناعة والمُمارسة، والّذين أصبحوا بسببه سكارى لا يميِّزون بين تعاليم الإنجيل الّتي تُوصِلهم إلى الحياة الأبديَّة، وبين التَّعاليم الكاثوليكيَّة الّتي توصلهم إلى الهلاك الأبدي حتماً. نَعم هذا هو الخمر الّذي تُقدِّمه الكنيسة الكاثوليكيَّة كلَّ يومٍ لأتباعها الخاضِعين لتعاليمها، مُدَّعيَةً أنَّها تُقدِّمهُ لخيرهم الأبدي، بينما هي في الواقع تَقتلَهم به، لأنَّها تُشبِه بعملها هذا ذاك الرَّجلُ الّذي جَلب قنّينةَ سمٍّ عليها مُلصقٌ مكتوبٌ عليه "سمٌّ قاتلٌ"، وأبدله بمُلصقٍ مكتوبٌ عليه "عصيرُ فاكهةٍ" ثمَّ قدَّمها للنّاس لكي تَشرب منها، فكان نَصيبَ كلِّ من شرِب منها الموتُ المُحتَّم.

**- سلطانُ بابلُ الزّانية**: هَلمَّ فأُريكَ دينونةَ الزَّانيةِ العظيمةِ الجالسة على المياه الكثيرة... ثمَّ قال لي: "المياه الّتي رأيتَ حيث الزّانية جالسةٌ هي شعوبٌ وأممٌ وألسنةٌ ... والمرأة الّتي رأيتَ هي المدينة العظيمة الّتي لها مُلكٌ على ملوكِ الأرض...".

سفراء ١٨٧دولة مُعتمَدين في الفاتيكان

**سلطانُ الكنيسة الكاثوليكيَّة**: يَعلَم الجميع أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة قد عَمِلت منذ نشأتها، على التَّسيّد دينيّاً باللُّطف والمَحبة أحياناً، وأحياناً أخرى بالعنف والقتل، على شعوبٍ وأممٍ كثيرةٍ ابتداءً من قارةِ أوروبا ثم انتقلت إلى بقيَّةِ القارات. وبالتّالي فهي الآن تَملك تَحالفاتٍ ومُعاهداتٍ سياسيَّةٍ مع ملوكِ ورؤساءِ تلك الأمم والشّعوب الّذين يَتعاطون معها كدولةٍ دينيَّةٍ أكثرَ منها ككنيسةٍ مسيحيَّةٍ، ويَهابون سُلطتها وتأثيرها على شُعوبهم سياسيّاً ودينيّاً. وكدليلٍ على أنَّ الكنيسة الكاثوليكية تجلس على المياه الكثيرة الّتي هي أُممٌ وشعوبٌ وألْسِنةٌ، فإنَّ

الإحصاءات الأخيرة تُشير إلى أنَّ تِعداد الكاثوليك المُنتشرين في العديد من دَول العالم وصل إلى حوالي ١,١٣ مِليار نسمةٍ من تَعداد البشريَّة العام.

**- إجرامُ بابلُ الزّانية:** ورأيت المرأة سَكرى من دمِ القدّيسينَ ومن دمِ شُهداءِ يسوع،... فيها وُجِدَ دمُ أنبياءٍ وقدّيسينَ وجميعِ من قُتِل في الأرض.

**إجرامُ الكنيسة الكاثوليكيَّة:** تَكلَّمنا في فصلٍ سابقٍ عن إجرامها وكيف أنَّها أبادت بالقتل والتَّعذيب أثناء محاكمَ التّفتيشِ الّتي أقامتها، والحروب الصَّليبيَّة الّتي أطلقتها الملايين من المسيحيّين الحقيقيّين الأبرياء، لمُجرَّدِ أنَّهم عارضوا تعاليمها وتمسَّكوا بتعاليم الإنجيل. فهل من دليلٍ أعظم من هذا الدّليل، على أنَّها بابل الزّانية القاتلة والمُجرِمة الّتي لطَّخت أيديها بدمِ القدّيسين وشُهداء يسوع؟

ومعها كأسٌ من ذهب في يدها

**- ثروةُ بابلُ الزّانية:** والمرأةُ كانت مُتسربلةً بأرجوانٍ وقرمزٍ ومُتحليَّةً بذهبٍ وحجارةٍ كريمةٍ ولُؤلؤٍ **ومعها كأسٌ من ذهبٍ في يدها**... بَضائعُها من الذّهب والفضَّة والحجر الكريم واللّؤلؤِ والبزِّ والأرجوانِ والحَرير والقِرمز، وكلَّ إناءٍ من العاج، وكلَّ إناءٍ من أثمنِ الخشبِ والنُّحاسِ والحَديدِ والمَرمَرِ، وقِرفةً وبخوراً وطيباً ولُباناً وخمراً وزيتاً وسميذاً وحنطةً وبهائمَ وخيلاً، ومركباتٍ، وأجساداً، ونفوسَ النّاس... وذهب عنكِ جَنى شهوةِ نفسكِ، وكلّ ما هو مُشْحِمٌ وبهيٌّ... وتجارُ الأرضِ استغنوا من وفرة نعيمها.

**ثروةُ الكنيسة الكاثوليكيَّة:** تؤكِّد المُطابقة بين ثَّروة بابل الزّانية وبين ثَّروة الكنيسة الكاثوليكيَّة، بأنَّ الإثنتينِ هما واحدةً. كُنّا قد ذَكرنا في فصلٍ سابقٍ، عن عدم إمكانيَّة أيِّ إنسانٍ، أن يُحْصيَ أملاكَ ومقتنياتِ الكنيسةِ الكاثوليكيَّة الّتي منها الذّهبُ والّذي لكثرةِ كميّاتهُ الموجودةُ فيها ذَهَّبَت به مذابحها وكلّ ما تَضعه عليها من أوانٍ وصُلبانٍ وكؤوسٍ ومباخرَ وشمعداناتٍ وشَمْساتٍ، وأيضاً ذَهَّبت به تيجانَ وصُلبانِ وخواتمِ باباواتها ورصَّعتهم باللؤلؤ والحجرِ الكريم، كما وذَهَّبت به ثيابهم وكَراسيهم ومَركبات خيلهم، وحتّى أنَّها ذهَّبت به الجدران والسُّقوف، ممّا حدا بلاعب كُرة القدم الشَّهير مارادونا أن يقول: " ذَهَبتُ مرَّةً إلى الفاتيكان فوجدتُ سَقف الكنيسة مَطليٌّ

بالذّهب والبابا يَخطب فينا عن وجوبِ دعمِ الكنيسة للفقراء!. تبّاً للجحيم... بيعوا السَّقف واطعموا الفقراءَ". وسندع الصُّوَر التّالية المأخوذة من داخل الفاتيكان والمملوءَةِ بالذَّهب والإلماس أيضاً توكِّد ما نقول.

وأيضا تؤكِّد الثّيابَ الأرجوانيَّةِ والحريريَّةِ الغاليةِ الثّمنِ، والخَشبَ الثّمين، والعاج والمَرمَر الموجودونَ فيها، بالاضافة إلى أفخر أنواع الطَّعام المُقدَّم على موائدها، والأموالَ الهائلةَ المُكدَّسةَ في المصارفِ الّتي جمَّعها رجال الإكليروس الكاثوليكي على مرِّ العصور بسبب جنى شهوتهم لكسب المال بوسائلَ مُتعدِّدةٍ مثل صكوكِ الغفرانِ و" سِرُّ مسحةِ المرضى" وأعمالَ التِّجارةِ الّتي تقوم بها مع العديد من الدُّول من حول العالم، هذه جميعها تؤكِّد إلى أنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي بابلُ الزّانية الّتي كلّ ما فيها مُشحِمٌ وبهيٌّ، والّتي تاجرت بكلِّ أنواعِ البضائع التي من بينها نفوس النّاس!. الصُّور التي عرضناها في الفصل السّادس من هذا الكتاب ومعها الصُّوَر التّالية المُصوَّرة في داخل الفاتيكان، تُعطينا الصُّورة الواضحة عن هذا الموضوع.

الأرجوان والقرمز والحرير والبزّ داخل الكنيسة الكاثوليكيّة

أثمن الخشب والنّحاس والحديد والمَرمر ومعهم العاج في الكنيسة الكاثوليكية

- **دينونةُ بابلُ الزَّانية واحتراقها**: ثمَّ بعد هذا رأيتُ ملاكاً آخر نازلاً من السَّماء، وصَرخ بشدَّةٍ بصوتٍ عظيم قائلاً: "سَقطت سَقطت بابل المدينةُ العظيمةُ، وصارت مسكناً لشياطينَ، ومَحرساً لكلِّ روحٍ نَجسٍ، ومَحرساً لكلِّ طائرٍ نَجسٍ وممقوتٍ... وبابلُ العظيمةُ ذُكِرت أمام الله ليُعطيها كأسَ خمرِ سَخَطِ غضبهِ... وأمّا العشرة قرون (الملوك) سيُبغضون الزّانية وسَيجعلونها خَربةً وعُريانةً ويأكلون لَحمها ويُحرقونها بالنّار. لأنَّ الله وضعَ في قلوبهم أن يصنعوا رأيهُ... لأنَّ خطاياها لحقت السَّماء، وتذكَّر الله آثامها... لأنَّها تقولُ في قلبها: "أنا جالسةٌ ملكةٌ، ولستُ أرملةً، ولن أرى حزناً. من أجل ذلك في يومٍ واحدٍ ستأتي ضَرباتها: موتٌ وحزنٌ وجوعٌ، وتَحترقُ بالنّارِ لأنَّ الرَّب الّذي سَيدينها قويٌّ. وسيبكي ويَنوحُ عليها ملوكُ الأرضِ، الّذين زَنوا وتَنعَّموا معها، حينما يَنظرون دُخان حريقها... ويقولون : "ويلٌ ويلٌ! المدينةُ العظيمةُ المتسربلةُ بِبَزّ وأرجوانٍ وقرمزٍ، والمتحلِّيةُ بذهبٍ وحجرٍ كريمٍ ولؤلؤٍ لأنّه في ساعةٍ واحدةٍ خَرِب غِنىً مثل هذا... وألقوا تراباً على رؤوسهم، وصرخوا باكين ونائحين... لأنَّها في ساعةٍ واحدةٍ خرِبَت... إفرحي لها أيَّتُها السَّماء، والرُّسل القدّيسون والأنبياء، لأنَّ الرَّب قد دانها دينونتكم"... ورفعَ ملاكٌ واحدٌ قويٌّ حجراً كرَحًى عظيمةٍ، ورماهُ في البحر قائلاً: هكذا بِدفعٍ ستُرمى بابلُ المدينةُ العظيمةُ، ولن توجدَ في ما بعدُ. وصوتُ الضّاربين بالقيثارةِ والمُغَنّين والمُزَمِّرين والنّافخين بالبوقِ، لن يُسمع فيك في ما بعد... وصوتُ عريسٍ وعروسٍ، لن يُسمَع فيكِ في ما بعد. ونور سِراجٍ لن يُضيئَ

صوت المُغَنّين

صوت عريسٍ وعروسٍ

نور سراجٍ

فيكِ في ما بعد... وبعد هذا سمعتُ صوتاً عظيماً من جمعٍ كثيرٍ في السَّماء قائلاً: "هلِّلويا، الخلاصُ والمجدُ والكرامةُ والقدرةُ للرَّب إلَهنا، لأنَّ أحكامه حقٌّ وعادلةٌ، إذ قد دان الزَّانيةُ العظيمةُ الّتي أفسدتِ الأرضَ بِزناها وانتقم لدمِ عبيدهِ من يَدها".

**دينونةُ الكنيسة الكاثوليكيَّة واحتراقها**: هي دينونةٌ آتيةٌ عليها لا محالةً بحرقِها وبخرابِها، ماديّاً كبناءٍ حجريّ، ومعنويّاً ككيانٍ بَشريٍّ، لأنَّ خطاياها لحقت بالسَّماء وتَذكَّر الله آثامها. فلذلك وفي ساعةٍ واحدةٍ سيتحوَّلُ نَعيمها إلى جحيمٍ إذ ستتغيَّر صورتها الحاضرة البَهيَّة الّتي تُخفي حقيقتها، وسَتزول عظمتها المُزيَّفةُ الموجودةُ حاليّاً فيها، وسَتنهار كلّ الأساساتِ والأعمدةِ القائمةِ عليها، حين يحرقها أعداؤها بالنّار لأنَّ الوعد بدينونتها أتى كما قرأنا والمكتوب في الكتاب المقدَّس سَيتحقَّق بحذافيره. فلذلك ستحترق الكنيسة الكاثوليكيَّة في يومِ الدينونةِ العسير وسيكون احتراقها مُريعاً وفَظيعاً. ويقول الرَّسول بطرس في هذا الصَّدَد: "ولكن سيأتي كَلِصٍّ في اللّيل، يومُ الرَّبِّ، الّذي فيه تزولُ السَّماواتُ بضجيجٍ، وتَنحلُّ العناصرُ مُحترِقةً، وتحترقُ الأرضُ والمصنوعاتُ الّتي فيها(٢بط٣:١٠). إذاً، وبما أنّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي كنيسةُ المصنوعاتُ الأرضيَّةُ، كالحجرِ والذّهبِ واللؤلؤ والحديدِ والخشبِ والمرمرِ والحريرِ والأرجوانِ والعاجِ والخَمرِ والسَّميذِ والبَخورِ، فإنَّها بالتّالي ستحترق، حين ستحترق الأرضُ والمصنوعاتُ الّتي فيها كما يقول الرَّسول بَطرس، ولن يَرحمها ادِّعاؤها بأنَّ باباواتها هم خلفاؤهُ. الصُّوَر التَّوضيحيَّة المُرفَقة أدناه تُعطينا صُورةً واقعيَّةً عمّا سَيحدث لها في يومِ احتراقها ماديّاً ومعنويّاً.

ولأنَّه لا يَسعنا أن نُنهيَ هذا الكتاب بالكلام عن المرأة (الكنيسة) القبيحة والنَّجسة، بابلُ الزّانية الجالسةِ على الوحشِ القرمزيِّ، بسبب ما يترافق معه من تأثيرٍ مُحزنٍ على نفوسنا. فلذلك سننتقل إلى كلامٍ يُفَرِّحُنا عن المرأةِ (الكنيسة) الجميلةِ عروسُ المسيحُ الّتي رأها يوحنّا في سفرِ الرّؤيا بطهارتها وقداستها ونقاوتها، والّتي لم تجلس على أيِّ وحشٍ، ولم تَضلُلَّ الأمم بالكَذِب والرِّياء، بل هَدَتهم إلى أعظمِ هديَّةٍ قدَّمتها السَّماء للبشريَّة الهالكة، ألا وهو مخلِّصها وعَريسها الرَّب يسوع المسيح. وهذا ما

قاله الملاكُ ليوحنّا عنها: "لأنَّ عُرس الخروف قد جاء، وامرأتهُ هيَّأت نفسها. وأُعطِيَت أن تَلبَس بَزّاً نَقيّاً بَهيّاً هو تَبرُّرات القدّيسين. وقال لي: "اكتب: طوبى للمَدعوّين إلى عشاءِ عرسِ الخَروف" (رؤ١٩:٨-٩).

أخيرا أسألك أيَّها القارئ العزيز هذين السُّؤالين الأخيرين، ما هو القرار الّذي ستتَّخِذه في حياتك من بعد أن عرفتَ الحقيقة الواضحة المُعلَنة في هذا الكتاب؟ وهل ستبقى في بابلُ الزّانيةُ الّتي أصبح معروفاً عِندكَ من تَكون، وما هي حقيقةُ أعمالها، وما هو مصيرها؟ أم ستتركها لكي تكونَ من المَدعوّين إلى عشاءِ عرسِ الخروف؟

صورة معبِّرة عن العذاب والبكاء في النّار الأبديَّة

القرار يعودُ لكَ، وأرجو من الرَّب يسوع المسيح أن يفتح قلبك، لكي تُقرِّر أن تَقبله ربّاً ومخلِّصاً لحياتك، فتنجو من العذابِ والبكاءِ في النّار الأبديَّة وتنالَ منه الخلاصَ والحياةَ الأبديَّةِ. والّذي له وحدهُ كلّ المجدَ والكرامةَ والقدرةَ والقوَّةَ والسُّلطانَ والحِكمةَ والبَرَكةَ إلى أبدِ الآبدين.آمين.

محتويات الكتاب


| | |
|---|---|
| الإهداء | ١ |
| المقدَّمة | ٢ |
| الفصل الأوّل - بابلُ، الرَّحمُ الّذي وُلدت منه الوثنيَّة والمِثليَّة الدّينيَّة | ٤ |
| الفصل الثّاني - العبادةُ الوثنيَّة للأمّ والطِّفل المُمَسْحَنَة | ٩ |
| الفصل الثّالث - الإلَهةُ الأمّ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة | ٤٣ |
| الفصل الرّابع - الآلِهَةُ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة | ١٠٤ |
| الفصل الخامس- الرُّموزُ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة | ١٤٤ |
| الفصل السّادس - المناصبُ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة | ١٦١ |
| الفصل السّابع - الشَّعائرُ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة | ١٩٣ |
| الفصل الثّامن - الأعيادُ الوثنيَّة المُمَسْحَنَة | ٢٤٠ |
| الفصل التّاسع - من هي بابلُ الزّانيةُ؟ | ٢٧٧ |